شفاء الغرام
بأخبار البلد الحرام

تأليف

الإمام العلامة الحافظ أبى الطيب تقى الدين محمد بن أحمد بن على الفاسى المكى المالكى
أحد قضاة مكة غفر الله له - ٧٧٥-٨٣٢ هـ

ولتمام النفع ألحقنا به

كتاب الدرة الثمينة فى أخبار المدينة

للعلامة المؤرخ الكبير محمد بن محمود بن النجار
٥٧٣ — ٦٤٧ هـ

الجزء الثانى

طبع هذا الكتاب القيم فى عهد
حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز أيد الله ملكه

ملتزم النشر والتوزيع
مكتبة النهضة الحديثة
لأصحابها عبد الحفيظ وعبد الشكور عبد الفتاح فدا
بمكة المكرمة

طبع بدار إحياء الكتب العربية
عيسى البابى الحلبى وشركاه

١٩٥٦

شفاء الغرام
بأخبار البلد الحرام

تأليف

الإمام العلامة الحافظ أبي الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي المالكي

أحد قضاة مكة غفر الله له — ٧٧٥-٨٣٢ هـ

ولتمام النفع ألحقنا به

كتاب الدرة الثمينة في أخبار المدينة

للعلامة المؤرخ الكبير محمد بن محمود بن النجار

٥٧٣ — ٦٤٧ هـ

الجزء الثاني

طبع هذا الكتاب القيم في عهد

حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز أيد الله ملكه

ملتزم النشر والتوزيع
مكتبة النهضة الحديثة
لأصحابها عبد الحفيظ وعبد الشكور عبد الفتاح فدا
بمكة المكرمة

طبع بدار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

١٩٥٦

حقق أصوله وعلق حواشيه

لجنة من كبار العلماء والأدباء

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب السادس والعشرون

فى ذكر شىء من خبر إسماعيل عليه السلام وذكر ذبح إبراهيم لإسماعيل عليهما السلام

روينا عن البخارى فى صحيحه قال: حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا عبد الرازق قال: أخبرنا معمر عن أيوب السختيانى وكثير بن كثير بن المطلب بن أبى وداعة - يزيد أحدهما على الآخر - عن سعد قال ابن عباس رضى الله عنهما: أول ما اتخذ النساء المنطق [1] من قبل أم اسماعيل اتخذت منطقة لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها وهى ترضعة حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى أعلا المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، وذهب ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسماعيل فقالت: يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا فى هذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شئ؟ وقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها فقالت: « آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم قالت: فإذاً لا يضيعنا. ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعى بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال: ربّنا إنى أسكنتُ من ذُرِّيتى بوادٍ غيرِ ذى زَرْع عند بيتِك المحرّم - إلى [2] قوله - يشكرون» [3] وجعلت أم اسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد مافى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال يتلبط - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحداً، فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا؟ ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس: قال النبى صلى الله عليه وسلم: فذلك سعى الإنسان بينهما. فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت: صه، تريد نفسها، ثم سمعت فسمعت أيضا فقالت قد سمعت إن كان عندك غوث [4] فاذاهى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تخوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف. قال ابن عباس: قال النبى

---

(١) فى نسخة (ك) المنطقة: وهى النطاق الذى تشد به المرأة وسطها.

(٢) فى بعض النسخ: حتى بلغ إلى.

(٣) الآية بأكملها « ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »

(٤) فى النسخة (ك) غواث، بدل غوث.

صلى الله عليه وسلم يرحم الله أمّ اسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف الماء لكانت زمزم عينا معينا ، قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك : لا تخافى الضيعة فإن هـذا بيت الله الحرام يبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كدى[1] فنزلوا فى طريق أسفل مكة فرأوا طائرا غائبا فقالوا : إن هذا الطير ليدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء، فأرسلوا حربا أو حربين فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا فى الحال وأم اسماعيل عند الماء فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندكم فقالت : نعم ولكن لا حق لكم فى الماء قالوا : نعم ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : قال النبى صلى الله عليه وسلم : فألفى ذلك أم اسماعيل وهى تحب الانس فنزلوا فارسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوجوه على امرأة منهم ، وماتت أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته فلم يجد اسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبتغى لنا. ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن بضيق[2] وشدة فشكت إليه قال : فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه فلما جاء اسماعيل وكأنه آنس شيئاً . فقال : هل جاءكم من أحـد ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته ، وسألنى كيف عيشنا فأخبرته انا فى جهد وشدة . قال : فهل أوصاك بشىء ؟ قالت: نعم، أمرنى أن اقرأ عليك السلام ويقول : غيِّر عتبة بابك قال : ذاك أبى ، وقد أمرنى أن أفارقك ، الحقى بأهلك فطلقها ، وتزوج منهم أخرى ، فلبث عنهم ابراهيم ماشاء الله ثم أتاهم بعد فلم يجده ودخل على امرأته ، فسألها عنه فقالت خرج يبتغى لنا قال كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت : نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله عز وجل . قال : ماطعامكم . قالت : اللحم ، قال : فما شرابكم ؟ قالت الماء . قال : اللهم بارك لهم فى اللحم والماء . قال النبى صلى الله عليه وسلم : ولم يكن لهم يومئذ حب ، ولو كان لهم دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلاّ لم يوافقاه . قال : فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ، ومريه يثبت عتبة بابه ، فلما جاء اسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم ،أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألنى عنك ، فأخبرته ، وسألنى كيف عيشنا ؛ فأخبرته أنا بخير قال : أفأوصاك بشىء ؟ قالت : نعم ، وهو يقرىء السلام عليك ويأمرك أن تثبت عتبة بابك . قال : ذاك أبى ، وأنت العتبة ، وأمرنى أن أمسكك . ثم لبث عنهم ماشاء الله . ثم جاء بعد ذلك ، يبرى سلالة تحت دوحة قريباً من زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال : ياإسماعيل إن

(١) كدى ، بالضم : الجبل الذى على يمين الذاهب من جرول إلى الحجون .

(٢) فى النسخة « لك » : فى ضيق .

الله امرنى بأمر قال فاصنع ماأمرك ربك ، قال : وتعيننى عليه قال : وأعينك . قال : فإن الله أمرنى أن أبنى ههنا بيتاً وأشار إلى أكمة مرتفعة على ماحولها . فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتى بالحجارة وابراهيم يبنى حتى إذا ارتفع البناء جاء بهـذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبنى واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: « ربنا تقبل منا أنك إنت السميع العليم » حتى رفع البناء .

ورأيت فى الاخبار الواردة فى هـذا المعنى أمورا بعضها يخالف مافى هـذا الخبر وبعضها يوضح مافيه من أمر مبهم فحسن ببالى ذكر ذلك لما يحصل به من الفائدة .

فمن الأمور المخالفة لهذا الخبر : أن الفاكهى روى بسنده من طريق الواقدى عن أبى جهم بن حذيفة خبرا فى قدوم ابراهيم باسماعيل عليهما السلام قال فيه : فعمد ابراهيم إلى موضع الحجر فأنزل فيه هاجر واسماعيل وامر هاجر أن تتخذ فيه عريشا انتهى ، وذكر الأزرقى ذلك فيما رواه بسنده عن ابن اسحاق لأنه قال فى خبر رواه من هذ المعنى فعمدفيهما إلىموضع الحجر فأنزلها فيه وأمر هاجر أم اسماعيلأن تتخذ فيه عريشا انتهى ، فهذا يخالف مافى خبر ابن عباس السابق لأن فيه: ثم جاء ابراهيم بهاجر وابنها اسماعيل وهى ترضعه حتى وضعها عند البيت عنـد دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد ، ووجه المخالفة بَيِّنٌ ظاهر ، لأن موضع الحجر غير موضع زمزم وذكر الامام المسعودى مايخالف ماذكره ابن عباس وما ذكره أبو جهم بن حذيفة وابن اسحاق فى موضع انزال ابراهيم لابنه اسماعيل وأمه هاجر لأنه قال : ولمـا اسكن ابراهيم ولده اسماعيل بمكة مع أمههاجر واستودعهما فسألته على حسب ما أخبر الله سبحانه وتعالى وانه أسكنهما بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم وكان موضع البيت ربوة عراء أمر ابراهيم هاجر أن تتخذ عليها عريشا يكون لها سكنا وكِنًّا انتهى .فتحصل من هـذا فى الموضع الذى أنزل ابراهيم ابنه اسماعيل وأمه ثلاثة أقوال : هل هو فى موضع الحجر على ماذكر أبو جهم وابن اسحاق ؟ أو فوق زمزم على ماذكر ابن عباس ؟ او فى موضع البيت على ماذكر المسعودى ؟ والله اعلم .

ومنها أن الفاكهى[1] روى بسنده من طريق الواقدى عن أبى جهم بن حذيفة خبراً ذكر فيها نفاد الماء الذى كان مع أم إسماعيل وتطلبها للماء حين عطش ابنها إسماعيل وسقى الله لها و إخراج جبريل لها الماء فى موضع زمزم وغير ذلك. وفيه قال: قال : ويقبل غلامان من العماليق يريدان بعيرين لها قد أخطآه وقد عطشا ، وأهلهما بعرفة ، فنظرا إلى طير يهوى قبل الكعبة فاستنكرا ذلك وقالا : أنَّى يكون هذا الطير على غير ماء ؟ قال أحدهما لصاحبه : كما ترى هذا الطير يذهب إلى غير ماء ؟ قال الآخر : فامهل حتى نبرد ثم نسلك فى مهوى أو مهد الطير فأبردا ثم نزحا ، فإذا الطير يرد ويصدر . فاتبعا الواردة منها حتى وقعا على أبى قبيس ، فنظرا إلى الماء وإلى العريش ، فنزلا وكلما هاجر

(١) هو مؤرخ الحجاز الإمام أبى عبدالله محمد بن اسحاق الفاكهى المتوفى نحو عام ٢٨٠ ﻫ .

وسألاها متى نزلت ؟ فأخبرتهما ، وقالا : لمن هذا الماء ؟ فقالت : لى ، ولابنى . فقالا : ومن حفره ؟ فقالت : سقيا الله فعرفا أن أحدا لايقدر على أن يحفر هنالك ماء، وعهدهما بما هنالك قريب وليس به ماء . فرجعا إلى أهلهما من ليلتهما وأخبراهم فتحولوا حتى نزلوا معها على الماء . وأنست بهم ومعهم الذرية ؛ ونشأ إسماعيل مع ولدانهم ، وكان إبراهيم يزور هاجر كل شهر على البراق يغدو غدوة فيأتى مكة ثم يرجع فيقيل فى منزله بالشام . ونظر من هنالك من العماليق وإلى كثرتهم وعمارة المـاء فسرّ بذلك انتهى ، وهذا يقتضى أن الذين نزلوا على هاجر حين أخرج الله لها المـاء العماليق وهو يخالف خبر ابن عباس السابق فإنه يقتضى أن الذين نزلوا على هاجر حين أخرج الله لها المـاء قوم من جرهم قدموا من طريق كُدى بعد أن أنـكروا الماء لـكونه لم يعهدوه و بعد أن استأذنوا هاجر فى النزول معها فأذنت لهم فى ذلك لحبها فى الأنس بهم وفى حبها لذلك اشعار بفقدها لأحد تأنس به غيرهم والله أعلم ، وذكر الجندى فى فضائل مكة عن ابن عباس خبراً فى وضع إبراهيم لإسماعيل وأمه بمكة ، وفيه ما يقتضى أن جرهما الذين نزلوا على إسماعيل وأمه قدموا من اليمن بعد أن سار إسماعيل يصطاد لأمه فيه، فمـكثت هى و إسماعيل يصطاد عليها من الحل حتى جاء ناس من اليمن من جرهم فرأوا الطير يطوف على المـاء وهم ذاهبون إلى الشام ؛ فلما رأوا المـاء وجدوا عنده المرأة وابنها . وذكر بقية الخبر، وهذا غريب جداً أعنى كون إسماعيل يصطاد حين نزل جرهم على أمه والمعروف أنه كان إذذاك رضيعاً ... ومنها أن الفاكهى روى بسنده عن طريق الواقدى عن أبى جهم بن حذيفـة قال : لما بلغ إسماعيل تزوج امرأة من العماليق ابنة صدى قال : فجاء إبراهيم زائراً لإسماعيل و إسماعيل فى ماشيته يرعاها ويخرج متنـكبا قوسه فيرمى الصيد مع رعيته وكان يرعى بأعلى مكة السدرة وما والاها فجاء إبراهيم إلى منزله فقال : السلام عليـكم يا أهل البيت . فسكتت فلم ترد عليه إلا أن تـكون ردت عليه فى نفسها . فقال : هل من منزل ؟ قالت : لاها[1] الله إذن . قال : كيف طعامكم ولبنـكم وماشيتكم ؟ قال : فذكرت جهدا ؛ فقالت : أما الطعام ، فلا طعام ، وأما الشاة فلا تحلب الشاة بعد الشتاء المضير . قال الواقدى : المضير السحب ، وأما الماء فعلى ما ترى من الغلظ . قال : فأين رب البيت ؟ قالت فى حاجته . قال : فإذا جاء فاقرئيه السلام وقولى غيِّر عتبة بيتك انتهى . وهذا يقتضى أن امرأة إسماعيل التى أمره أبوه بفراقها من العماليق ، وهو يخالف ما فى خبر ابن عباس السابق فإن فيه ما يقتضى أنها من جرهم . وذكر المسعودى أنها من العماليق ، وذكر كلامه يقتضى أنها من العماليق الذين قدموا من اليمن وملـكهم السميدع وذلك يخالف ما فى خبر أبى جهم بن حذيفة ، فإنه يقتضى أنها من العماليق الذين كانوا حول مكة حين قدم إبراهيم باسماعيل إلى مكة . وذكر المسعودى أن المرأة التى تزوجها إسماعيل من العمالقة هى صدا بنت سعد وذلك يخالف ما ذكره أبو جهم بن حذيفـة فى اسم أبى المرأة التى تزوجها إسماعيل من العمالقة والله أعلم بالصواب ، وقال السهيلى بعد أن ذكر أم أولاد إسماعيل : وقد كان له امرأة سواها من كدى . وهى التى أمره أبوه

(١) لعل هذا من العبارات التى كانت ذات معنى فى اللهجات القديمة .

أن يطلقها حين قال لها إبراهيم : قولى لزوجك فليغير عتبة بابه . يقال لها : صدا بنت سعد . وذكر السهيلى [1] أن الواقدى ذكر ذلك فى كتابه انتقال النور . وذكر السهيلى أن المسعودى ذكر ذلك أيضا .

ومنها أن الفاكهى روى بسنده من طريق الواقدى عن أبى جهم بن حذيفة قال : وفيه نَظَرَ إسماعيل إلى بنت مضاض بن عمرو فأعجبته فخطبها إلى أبيها فتزوجها . فجاء ابراهيم زائرا لإسماعيل فجاء إلى بيت اسماعيل فسلم عليه فقال : السلام عليكم يا أهل البيت ، ورحمة الله ، فقامت اليه المرأة فردت إليه ورحبت به فقال : كيف عيشكم ولبنكم وماشيتكم ؟ قالت : خير عيش، نحمدالله ، ونحن فى لبن كثير ، ولحم كثير ، وماء و بلٍ وصَيِّبٍ ، قال : هل من حب ؟ قالت : يكون إن شاء الله ونحن فى نعم ، قال بارك الله لكم . قال : أبو جهم فكان أبى يقول ليس أحد يخلو على اللحم والماء بغير مكة إلا اشتكى بطنه ولعمرى لو وجد عندها حبا لدعى فيه بالبركة وكانت أرض زرع قال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم واللبن . قال : فما شرابكم ؟ قالت: اللبن والماء ، قال : بارك الله لكم فى طعامكم .أو قال فى طعام وشراب ، قالت : انزل رحمك الله فاطعم واشرب قال: إنى لا أستطيع النزول. انتهى باختصار، ثم قال بعد غسلها لرأسه وهو راكب فلما فرغت قال لها: إذا جاء اسماعيل قولى له: اثبت عتبة بيتك . فإنها صلاح المنزل اه . وهذا لم نورده لمخالفة بينه و بين خبر ابن عباس السابق و إنما أوردناه لما فيه من الفائدة ببيان ان زوجة اسماعيل التى أمره أبوه بامسا كها لشكرها النعمة هى بنت مضاض بن عمرو الجرهمى فان خبر ابن عباس السابق لا يفهم ذلك ولكن يروى عن ابن عباس انها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى ، وذكر المسعودى ان امرأة إسماعيل التى أمره أبوه بإمساكها هى شامة بنت مهلهل الجرهمى ، وذكر ذلك السهيلى لأنه قال : ثم تزوج أخرى وهى التى قال لها ابراهيم عليه السلام فى الزورة الثانية: قولى لزوجك فليثبت عتبة بيته ، الحديث .وهو مشهور فى الصحيح أيضا ، يقال اسم هذه المرأة الأخير شامة بنت مهلهل ، وذكر السهيلى ان الواقدى ذكر ذلك فى كتاب : « انتقال النور » ، وأن المسعودى ذكر ذلك أيضا قال السهيلى : وقد قيل فى الثانية عاتكة اه وما ذكره الواقدى والمسعودى والسهيلى فى امرأة إسماعيل الثانية يخالف ما يروى فيها عن ابى جهم وابن عباس والله أعلم . ولم يبين السهيلى عاتكة التى قيل إنها امرأة إسماعيل وقد بين ذلك ابن هشام فى كتابه «التيجان» لأنه قال: إنها عاتكة بنت عمرو الجرهمى وانها قالت لإبراهيم صلى الله عليه وسلم ان هاجر واسماعيل يرعيان الغنم فانزل أو سر معى إلى زمزم أغسل رأسك وأنت راكب اه وليس فى خبر ابن عباس السابق بيان أن امرأة اسماعيل الأولى من جرهم وقد بين ذلك الأزرقى لأنه قال بعد أن ذكر نزول جرهم على اسماعيل وأمه فلما بلغ أنكحوه جارية منهم قال وهى فى كتاب المبتدأ عن عباد عن سلمة عن محمد بن إسحاق ان اسم امرأة إسماعيل عمارة بنت سعيد بن أسامة اه .

---

(١) هو الإمام الفقيه المحدث أبو القاسم عبدالرحمن السهيلى (٥٠٨ — ٥٨١ هـ) صاحب « الروض الأنف » .

وليس فى خبر ابن عباس السابق بيان سن اسماعيل حين بنى مع أبيه الخليل ابراهيم البيت الحرام ، وقد بين ذلك الفاكهى لأنه روى بسنده من طريق الواقدى عن أبى جهم بن حذيفة قال فلما بلغ اسماعيل ثلاثين سنة وسيدنا ابراهيم الخليل يومئذ ابن مائة سنة أوحى الله عز وجل إلى ابراهيم أن ابن لى بيتاً وذكر بناء البيت، وذكر ذلك أيضا، المسعودى وذكر الأزرقى ما يخالف ذلك لأنه روى بسنده عن ابى اسحاق ان ابراهيم لما قدم مكة لبناء البيت كان اسماعيل ابن عشرين سنة وفى هذا بعد لأن اسماعيل تزوج بعد أن بلغ، وزاره ابراهيم بعد أن تزوج فلم يجده ثم لبث ابراهيم ماشاء الله ثم زار اسماعيل ثانية فلم يجده ثم لبث ابراهيم ما شاء الله ثم جاء لبناء البيت وهذا يقتضى أن يكون من بلوغ اسماعيل إلى بناء البيت مدة طويلة فيكون سنه حين البناء أكثر من عشرين سنة [1] والله أعلم . وقد بان بما ذكرناه بعد ذكرنا لخبر ابن عباس السابق فوائد كثيرة تتعلق به والله اعلم .

ذكر ذبح ابراهيم لاسماعيل عليهما السلام

قال الفاكهى: وكان من حديث ذبح اسماعيل وقصته فى ذلك ماأذكره الآن ، حدثنى عبدالملك بن محمد عن زياد ابن عبد الله عن ابن اسحاق قال : حدثت وعند الله العلم أن إبراهيم أمر بذبح ابنه قال أى بنى خذ الحبل والمدية وهى الشفرة ثم امش بنا إلى هذا الشعب لنحتطب لأهلك منه قبل أن يذكر له ما امر به فلما توجه به اعترضه إبليس عدو الله ليصده عن امر الله عز وجل فى صورة رجل فقال : أين تريد أيها الشيخ ؟ قال أريد هذا الشعب لحاجة لى. فقال : والله إنى لأرى الشيطان قد اتاك فى منامك فأمرك أن تذبح ابنك هذا فأنت تريد أن تذبحه، فعرفه ابراهيم. فقال: عنى أى عدو الله فوالله لأمضين لأمر ربى . فلما يئس من ابراهيم اعترض لاسماعيل وهو وراء أبيه يحمل الحبل والمدية، فقال : أيها الغلام ، هل تدرى أين يذهب بك أبوك ؟ قال نحتطب لأهلنا . قال : لا والله ما يريد إلا أن يذبحك. قال : ولِمَ؟ قال : يزعم أن ربه أمره بذلك .قال : فليفعل ما أمره به ربه سمعاً وطاعة . فلما امتنع منه الغلام ذهب الى هاجر ام اسماعيل وهى فى منزلها . فقال : ياأم اسماعيلَ أتدرين أين ذاهب إبراهيم بإسماعيل ؟ قالت : ذهبا يحتطبان فقال : ما ذهب إلا ليذبحه . قالت : كلا إنه أرحم من ذلك وأحب اليه . قال : يزعم أن الله أمره بذلك . قالت : إن كان الله امره بذلك سلمنا لأمر الله . فرجع عدو الله بغيظه لم يصب منهم شيئا مما أراد وقد منع الله منه ابراهيم وآل ابراهيم واجمعوا لامر الله بالسمع والطاعة . فلما خلا إبراهيم فى الشعب ويقال ذلك الى ثبير، قال له: يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك قال : يا أبت افعل ماتؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين . قال فحدثت

(١) فى رواية سابقة ذكرها الفاكهى ص ٦ : أن إبراهيم عليه السلام كان يزور هاجر وولدها إسماعيل كل شهر على البراق يغدو غدوة فيأتى مكة ثم يرجع فيقبل فى منزله بالشام ، فإذا صحت هذه الرواية فلا وجه لاستبعاد أن سن اسماعيل حين بناء البيت كانت لاتزيد عن العشرين. ولعل هذا الخبر من الأساطير.

أن إسماعيل قال له عنـد ذلك يا أبتاه إذا أردت ذبحى فاشدد رباطى لا يصيبك من دمى فينقص أجرى . فان الموت شديد ولا آمن أن اضطرب عنده إذا وجدت مسه واشحذ شفرتك حتى تجهز علىّ فتذبحنى فاذا أنت أضجعتنى فاكببنى على جنبى [١] ولا تضجعنى لشق فإنى أخشى إن أنت نظرت إلى وجهى أن تدركك الرقة فتحول بينك و بين أمر ربك فى ، وان رأيت أن ترد قميصى إلى أمى فانه عسى أن يكون أسلى لها فافعل . فقال ابراهيم نعم العون أنت يابنى على أمر الله ويقال إنه ربطه كما أمره بالحبل فأوثقه ثم شحذ شفرته ثم تله للجبين واتقى النظر إلى وجهه ثم أدخل الشفرة حلقه فقلبها جبريل عليه السلام لقفاها فى يده ثم اجتذبها إليه ونودى: أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا فهذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه . قال ابن اسحق وحدثنى الحكم بن عيينـة عن مجاهد عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث عن ابن عباس أنه قال : أخرجه الله إليه من الجنة قيل رعى قبل ذلك أربعين خريفا ثم قال الفاكهى قال ابن اسحق فحدثنى من لا أتهم من أهل البصر عن الحسن أنه كان يقول ما فدى إلاَّ بِتَيْسٍ هبط عليه من الأروى هبط عليـه من ثبير ثم قال الفاكهى ويزعم أهل الكتاب وكثير من العلماء أن ذبيحة إبراهيم التى فدى بها اسماعيل كبش أملح أقرن أعين ثم قال الفاكهى وحدثنا محمد بن سليمان قال حدثنا قبيصة بن عقبة قال حدثنا سفيان عن عبـد الله بن عثمان بن هشيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : الكبش الذى ذبحه إبراهيم هو الكبش الذى قربه ابن آدم ثم روى الفاكهى بسنده عن ابن عباس أن الكبش الذى فدى به اسماعيل هو القربان المتقبل من أحد بنى آدم ثم قال فى هذا الخبر فلم يزل ذلك الكبش محبوسا عند الله حتى أخرجه فى فداء اسماعيل فذبحه على هـذا الصفا فى ثبير عند منزل سمرة الصراف وهو على يمينك متى ترمى الجمار ، وذكر الفاكهى خبرا فيه ما يقتضى أن ذبح ابراهيم لفداء اسماعيل كان بين الجمرتين بمنى وأن ذلك كان فى زمن الحج لأنه قال وحدثنا عبد الله بن أبى سلمة قال حدثنا ابن أبى الوزير والفضل بن خالد قالا حدثنا محمـد ابن جابر قال حدثنـا أبو اسحق عن حارثة بن مضرب عن على فذكر خبرا يأتى ذكره ثم قال : وقال على بن أبى طالب : ثم أوحى الله تعالى إليه ناد بالحج فنادى عند كل ركن : حجوا ياعباد الله فلبى كل شئ حتى النحلة فكانت أول التلبية لبيك اللهم لبيك ثم آتاه جبريل قبل يوم عرفة فذهب به إلى منى فنزل بها وبات حتى أصبح غاديا إلى عرفات ثم راح إلى الجبل الذى يفيض منـه الناس فوقف به ثم أراه الموقف ثم خرج إلى « جمع [٢] » فبات بها ليلة جمع ثم انه أمر بذبح اسمعيل فأصبح حزينا . فقال له هل عرفت المواقف ؟ قال : لا فذهب به مرة أخرى فقال : اعرف، فمن ثم سميت عرفات ثم رده إلى جمع فلما صلى الغداة وقف فدعا حتى أضاء

(١) الظاهر أنها « وجهى »
(٢) « جمع » هى مزدلفة .

النهار ثم أفاض فأتى جمرة العقبة فرماها بسبع حصيات ثم قيل له : اذبح ما أمرت به فدعا إسمعيل فقال : إنى أمرت بذبحك . فقال له إسماعيل : امض على ما أمرت به فانى سوف أطيعك . ولا أحسب إلا أنه قال أخاف أن أجزع فان خفت فشد يدى وراء ظهرى فإنى أجدر أن لا أضطرب فوضعه لجبينه فجعل ينظر و يعرض فقال له : اعرض وضعْ السكين فوضعها فانقلبت، وناداه مناد من السماء ان قد وفيت بنذرك وأرضيت ر بك اذبح الذى أنزل عليك فنزل عليه كبش من ثبير فاضطره الجبل ثم جاء به يجرى حتى نحره بين الجمرتين اه. وروى عن ابن عباس أن الذبيح اسمعيل . وروى مرفوعا ما يقتضى أن الذبيح اسحق ولفظ هذه الرواية بعد ذكر قصة تتعلق بابراهيم فى رميه الجمار : فلما أراد إبراهيم أن يذبح ولده اسحاق قال لابيه يا أبت أوثقنى لا أضطرب فينضح عليك دمى إذا ذبحتنى فشده فلما أخذ الشفرة فأراد أن يذبحه نودى من خلفه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا . نقل هاتين الروايتين عن ابن عباس المحب الطبرى وقال : أخرجهما الإمام .وقال المحب :وعن العباس بن عبد المطلب قال الذى أمر إبراهيم بذبحه إسحاق وهكذا قالوا : كانت القصة بالشام . أخرجه الواحدى بسنده وهذا قول الأكثرين أنه إسحاق وهو قول على وابن مسعود ، وكعب ، ومقاتل ، وقتادة ، وعكرمة ، والسدى ، وقال آخرون : الذى أمر بذبحه إسماعيل ؛ وهو قول سعيد بن المسيب ، والشعبى ، والحسن ، ومجاهد ، وابن عباس ، وفى رواية:عطاء ثم قال المحب : وسياق الآية يدل على أنه إسحاق لأنه جلّ وعلا قال: « فبشرناه بغلام حليم » ولا خلاف أن هذا إسحاق ، ثم قال : فلما بلغ معه السعى، فعطف بقصة الذبيح على ذكر إسحاق فدل على أنه هو اه . وذكر النووى ما يخالف ما نقله المحب الطبرى عن الأكثرين فى الذبيح لأنه قال فى التهذيب : واختلف العلماء فى الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق والأكثرون على أنه إسماعيل[1] اه .

ومن رجح أن الذبيح إسماعيل الفاكهى فى كتاب أخبار مكة لأنه قال : وقد قال الناس فى الذبيح ما قالوا . فقالت : العرب هو إسماعيل . وقالت طائفة من المسلمين وأهل الكتاب جميعاً : إنه إسحاق ، فإن أقوال العرب فى ذلك أثبت . واستدل الفاكهى على ذلك بما معناه أن الله تعالى عبر عن قصة إسماعيل بقوله : « فبشرناه بغلام حليم» إلى قوله: « إنه من عبادنا المؤمنين » . وأخبر عن قصة إسحاق بقوله: «و بشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين» و إن ذكر قصة إسحاق بعد القصة التى قبلها دليل على أن إسحاق غير الذبيح و ان ذلك يتأيد بكون سارة بشرت بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، و يعقوب هو ابن إسحاق والبشارة بيعقوب تقتضى حياة أبيه لتصح البشرى ، فكيف يؤمر بذبح ابنه . ونقل أن الذبيح إسماعيل عن ابن عباس من رواية مجاهد عنه ومن رواية عكرمة عنه وعن مجاهد نفسه وعن سعيد بن المسيب ، وعن سعيد بن جبير عن أبى الخلد ، وعن عبد الله بن سلام ولفظه ما نقله عنه ، قال : كنا نقرأ فى كتاب اليهود أنه إسماعيل وعن محمد بن كعب القرظى ، وعن سعيد بن جبير وعن الحسن ، وذكر

(١) يكاد العلماء يجمعون على ذلك ، والمستشرقون يرتبون على أن الذبيح إسحاق أساطير وأوهاما بعيدة عن الصواب.

فى ذلك شعر لأمية بن أبى الصلت الثقفى حيث يقول :

ولإبراهيم الموفى بالنذر احتسابا وحامل الأجزال
بكره لم يكن ليصبر[1] عنه لو رآه فى معشر أقبال
بينما يخلع السراويل عنه فكه ربه بكبش حلال[2]

ثم قال الفاكهى : قال ابن إسحاق فى حديثه فحقق قول أمية بن أبى الصلت فى شعره أن الذى أمر بذبحه إبراهيم من ولده بكره ، وبكره إسماعيل وهو أكبر من إسحاق فى علم الناس كلهم ! العرب من بنى إسماعيل وأهل الكتاب اهـ .

وممن رجح كون الذبيح إسماعيل الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير لأنه قال فى ترجمته : وهو الذبيح على الصحيح ؛ ومن قال إنه إسحاق فإنه تلقاه مما حرفه النقلة من بنى إسرائيل اهـ . وكلام السهيلى يقتضى ترجيح قول من قال : إن الذبيح إسحاق ؛ وأجاب عما يخالف ذلك ونذكر كلامه لإفادة ذلك وغيره ونصه : وقوله (وبشرناه بغلام حليم) الآية . يعنى بإسحاق ألا تراه يقول فى آية أخرى (فبشرناهُ بإسحاقَ ومن وراءِ إسحاقَ يعقوب) . وقال فى آية أخرى « فاقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها[3] » الآية . وامرأته هى سارة ، فإذا كانت البشارة بإسحاق نصاً فالذبيح إذاً هو إسحاق لقوله ههنا « فلما بلغ معه السعى » الآية . وأيضاً فإنه قال : بلغ معه السعى ، ولم يكن معه بالشام إلا إسحاق ، وأما إسماعيل فكان استودعه مع أمه فى بطن مكة .

وبهذا القول قال ابن مسعود ورواه ابن جبير عن ابن عباس وروى ايضا عن ابن عباس مرفوعاً عن النبى صلى الله عليه وسلم غير أن الإسناد فيه لين . وبهذا قال كعب الأحبار، وبه قال شيخ التفسير محمد بن جرير وروى ذلك ايضا عن مالك ابن انس فقالت طائفة ان الذبيح اسماعيل وروى هذا القول باسناد عن الفرزدق الشاعر عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ولوصح اسناده عن الفرزدق لكان فى الفرزدق نفسه مقال ، وروى ايضا من طريق معاوية قال : سمعت رجلا يقول للنبى صلى الله عليه وسلم : يابن الذبيحين فى حديث ذكره ، فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم . ولو صح اسناده هذا الحديث لم يقم به حجة لأن العرب تجعل العم أبا قال الله تعالى : (إلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحاق) الآية وقال تعالى : (ورفع أبويه على العرش) وهما أبوه وخاله ، ومن حجتهم أيضا ان الله لما فرغ من قصة الذبيح قال (وبشرناه بإسحاق) الخ ، والجواب عنه من وجهين أحدهما ان البشارة الثانية

---

(١) فى النسخة (ك) : ليبصر ، بدل ليصبر .
(٢) الأجزال : جمع جزل أى الأحمال . فكه : أطلقه . حلال : أى مبارك فيه .
(٣) الصرة : الجماعة . صكت : لطمت .

انماهي نبوة اسحاق والأولى بولادته ألا تراه يقول :(و بشرناه باسحاق نبياً) ولاتكون النبوة فى حال الكبر. ونبيا منصوب على الحال ،والجواب الثانى ان قوله (و بشرناه باسحاق نبياً)تفسير كأنه قال بعد مافرغ من ذكر البشرى وذكر ذبحه : وبشرناه ، وكانت البشارة باسحاق كما روت عائشة ، وهـذا كقوله تعالى : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » أى وهى صلاة العصر فعطف الاسم على الاسم والمسمى واحـد . ومما احتجوا به أيضا قوله : فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب . فى قراءة من نصب أى ومن بعد إسحاق يعقوب فكيف يبشر باسحاق وانه يلد يعقوب ثم يؤمر بذبحه والجواب ان الاحتجاج باطل من طريق النحو لان يعقوب ليس مخفوضاً عطف على إسحاق ولو كان كذلك لقال ومن وراء إسحاق بيعقوب لأنك إذا فصلت بين واو العطف و بين المخفوض بجارٍ ومجرور لم يجز . لا تقول مر بزيد و بعده عمرو إلا ان تقول و بعده بعمرو فإذا بطل ان يكون يعقوب مخفوضا ثبت انه منصوب بفعل مقدر مضمر تقديره وهبنا له يعقوب فبطل ما ادعوه به وثبت ما قدمناه و بالله المستعان اه

وفى قصة الذبيح دليل واضح على فضل اسماعيل[1] وقد أثنى الله عليه فى غير ما آية فى كتابه العزيز فقال تعالى:(و إسماعيلَ و إدريسَ وذا الكِفْلِ كلٌّ من الصَّابرين .وأدخلنَاهُم فى رحمتنا انهم من الصَّالحين)، وقال (واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صَادق الوعْد وكان رسولًا نبياً. وكان يَأمُر أهلَه بالصَّلاة والزكاة وكانَ عند ربِّه مرضياً) وقال عز وجل (واذكر اسماعيلَ واليَسَع وذا الكِفل كلٌّ من الأخيار) والآيات والاحاديث فى فضله كثيرة، وكان اسماعيل رسولا من الله الى جرهم والعماليق على ما ذكره السهيلى . لانه قال واسماعيل نبى مرسل أرسله الى اخواله من جرهم و إلى العماليق الذين كانوا بأرض الحجاز ، فآمن بعضهم وكفر بعض، انتهى .

وفيما ذكره السهيلى من أن جرهما أخوال اسماعيل نظر، لأن أمه هاجر جارية سارة زوج الخليل عليه السلام ، ولعل السهيلى اراد أن يقول إن اصهاره من جرهم فسبق القلم إلى كتابة اخواله والله أعلم وقد نقل القطب الحلبى كلام السهيلى ولم ينبته على ما أشرنا اليه ونقل القطب عن السهيلى أن تفسير اسماعيل مطيع الله اه .

واسماعيل أول من ذللت له الخيل[2] لأن الفاكهى روى بسنده عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إن أباكم إسماعيل أول من ذللت له الخيل العراب فاعتقها وأورثكم حبها . وقد سبق هذ الحديث بسنده فى خبر جرهم، واسماعيل أيضا أول من ركب الخيل لأن الزبير بن بكار روى بسنده عن ابن عباس قال : كانت الخيل

(١) والفداء نفسه تكريم من الله وأى تكريم ، وذلك لحكمة جليلة ، هى لبعث العرب من جديد ، والتمهيد لبعثة رسولنا محمد صلوات الله وسلامه عليه .

(٢) هذا كناية عن شجاعته وفروسيته وقوته ، مما لا غنى لساكن الصحراء عنه .

وحوشا لا تركب فأول من ركبها اسمــاعيل فبذلك سميت العرب ذرية اسماعيل بن ابرهيم . واسماعيل أيضا أول من تكلم بالعربية لأن الزبير روى بسنده عن ابن عباس قال: أول من تكلم(١) بالعربية فوضع الـكتاب على لفظه ومنطقه ثم جعله كتاباً واحدا مثل بسم الله الرحمن الرحيم الموصول حتى فرق ولده : اسماعيل بن ابراهيم ، وروى الفاكهى عن محمد بن على بن الحسين يعنى الباقر أنه سئل أول من تــكلم بالعربية فقال إسماعيل بن ابراهيم النبى عليهما السلام وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة انتهى . وقيل ان الله أنطق اسماعيل بالعربية انطاقا وهو ابن أربع عشرة سنة ذكر هذا القول السهيلى وقد روى فى أول من تكلم بالعربية غير ماذكرناه لان الفاكهى روى بسنده عن ابن عباس قال : من الأنبياء خمسة ممن تــكلم بالعربية ، محمد رسول الله صلى الله عليــه وسـلم ، واسماعيل بن ابراهيم ، وشعيب بن صالح ، وهود ، وسـائرهم بالسريانية ما خلا موسى فانه تــكلم بالعبرانية ، والعبرانية هى من السريانية وتــكلم بها ابراهيم ثم اسحاق ثم يعقوب فورثها ولده من بعده بنو إسرائيل(٢) فهى لغتهم وبها قرأ موسى التوراة عليهم انتهى وهذا يقتضى ان إسماعيل ليس أول من تــكلم بالعربية لان هودا تــكلم بها وهو قبل إسماعيل .

وروى الفاكهى بسنده ما يقتضى أن جرهما وقطورا أول من تكلم بالعربية لأنه روى بسنده عن ابن اسحاق من طريق عثمان بن ساج ومن طريق زياد البكائى عنه خبرا فى قدوم جرهم وقطورا إلى مكة، وفيه: وجرهم وقطورا أول من تكلم بالعربية منهم اهـ . وقد قيل أول من كتب بالعربية غير ماذكرناه لأن السهيلى قال : والخلاف كثير فى أول من تكلم بالعربية وفى أول من أدخل الـكتاب العربى أرض الحجاز فقيل : حرب بن أمية قاله الشعبى، وقيل : سفيان بن أمية ، وقيل عبد بن قصى تعلموه بالحيرة(٣) وتعلمه أهل الحيرة من أهل الانبار(٤) اهـ . وذكر السهيلى مايقتضى ترجيح ماقيل من أن اسماعيل أول من كتب بالعربية لأنه قال: وعنه عليه السلام أنه قال أول من كتب بالعربية اسماعيل، قال أبو عمرهذا أصح من رواية من روى أول من تكلم بالعربية اسماعيل اهـ. وأبو عمر هذا هو ابن عبد البر حافظ المغرب واختلف فى تسمية إسماعيل باسماعيل لأن المسعودى قال وقيل إنما سمى اسماعيل لأن الله تعالى

---

(١) فى النسخة (ك) نطق .

(٢) فى النسخة (ك) اسماعيل بدل إسرائيل وهو خطأ ، لأن الجملة بعده « وبها قرأ موسى التوراة عليهم » تقتضى أن تكون الـكلمة هى إسرائيل .

(٣) الحيرة : مدينة بالعراق كانت عامرة ثم اندثرت . ولم يبق إلا آثارها .

(٤) الانبار : اسم لمدينتين إحداهما فى بلاد فارس والأخرى فى العراق وهى المقصودة هنا .

سمع دعاء هاجر ورحمها حين هربت من سيدتها سارة أم إسحاق وقيل إن الله تعالى سمع دعاء ابراهيم اه .

واختلف أيضاً فى مبلغ عمر اسماعيل حين مات وفى موضع قبره فقال ابن اسحاق كان عمر اسماعيل فيما يذكرون مائة سنة وثلاثين سنة ثم مات رحمة الله و بركاته عليه فدفن فى الحجر مع أمه هاجر اه ؛ وقال المسعودى : وقبض اسماعيل وله مائة وسبع وثلاثون سنة فدفن فى المسجد الحرام قبال الموضع الذى كان فيه الحجر الأسود اه وذكر ابن الأثير فى كامله والشيخ عماد الدين اسماعيل بن كثير فى تاريخه فى مبلغ عمر اسماعيل مثل ماذكره المسعودى والله أعلم بالصواب . وفى موضع قبره مقالة اخرى وهى انه بالحطيم وقد سبق ذلك والله أعلم بالصواب . وفى اسماعيل لغتان : اسماعيل باللام والأخرى اسماعين بالنون . ويروى أن هاجر دعت ابنها اسماعيل ياشمويل لأن الفاكهى روى بسنده عن حارثة بن مضرس[١] عن على قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يذكر أن هاجر دعت اسماعيل هكذا ياشمويل ياشمويل ثلاث مرات ومدها اه .

واسماعيل أول العرب كلها[٢] قال ابن هشام فالعرب كلها من إسماعيل وقحطان و بعض العرب يقول: قحطان من ولد اسماعيل و يقول إسماعيل أبو العرب كلها اه . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن إسماعيل أبو العرب إلا أربعة قبائل وهذا الحديث ذكره الفاكهى لأنه قال : وحدثنى عبدالله بن أبى سلمة قال حدثنا ابراهيم بن المنذر عن عبد العزيز ابن عمران عن معاوية بن صالح عن ثور بن يزيد عن مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : العرب بنو اسماعيل إلا أربعة قبائل: السلف ، والأوزاع ، وحضرموت ، وثقيف ؛ وهذا الخبر مرسل وفيه نظر لكونه يقتضى أن ثقيفا ليسوا من بنى اسماعيل وهم منهم لأن ثقيفا تنسب إلى مضر على الصحيح ،وقيل تنسب إلى معد بن عدنان وهو من بنى إسماعيل وكذلك مضر . وذكر الفاكهى محاورة كانت بين إسماعيل وأخيه إسحق بن إبراهيم لأنه قال : قد حدثنا عبد الله بن أبى سلمة قال أخبرنا الهيثم بن عدى عن مجاهد[٣] عن الشعبى عن ابن عباس قال جاء اسماعيل إلى اسحق فطلب ميراثه من أبيه فقال له اسحاق : أما رضيت أن تركناك وأمك لم نأخذ كما فى الميراث فأوى إلى جذم حائط كئيباً يبكى فأوحى الله عز وجل إلى إسماعيل: مالك، قال : ما أنت أعلم به يارب قال الله تعالى لا تبك يا إسماعيل فإنى جاعل الملك والنبوة فى آخر الزمان فى ولدك ، وأجعل الذل والصغار فى ولده إلى يوم القيامة اه . وفيما ذكرناه من أخبار إسماعيل كفاية إذ القصد الاختصار والله أعلم .

---

(١) فى النسخة (ك) مضرب، بدل مضرس .

(٢) يقصد العرب المستعربة ، وأما العرب العاربة وهم أبناء يعرب بنى قحطان فليسوا من ولد إسماعيل . لأن قبيلة جرهم وهم الذين تزوج منهم اسماعيل يرجعون فى أصلهم إلى يعرب بن قحطان .

(٣) فى النسخة (ك) مجالد، بدل مجاهد .

البَابُ السَّابِعُ وَالعِشْرُونَ

فى ذكر شىء من خبر هاجر أم اسماعيل عليه السلام وذكر أولاد اسماعيل

وفوائد تتعلق بهم ، وذكر شىء من خبر بنى اسماعيل ، وذكر ولاية ثابت بن اسماعيل للبيت الحرام

•••••••

ذكر شىء من خبر هاجر أم إسماعيل عليهما السلام

قال ابن هشام بعد أن ذكر أن قبرها وقبر ابنها إسماعيل فى الحجر عند الكعبة، تقول العرب: هاجر وآجر فيبدلون الألف من الهاء كما قالوا هراق الماء وأراق الماء وغير ذلك، وهاجر من أهل مصر وقال حدثنا عبد الله بن وهب عن عبد الله بن لهيعة عن عمر مولى عفرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الله الله فى أهل الذمة أهل الدرة السوداء السحم الجعاد، فإن لهم نسبا وصهراً . قال عمر مولى عفرة : نسبهم أن أم إسماعيل النبى صلى الله عليه وسلم منهم وصهرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم متسرفيهم . قال ابن لهيعة : أم إسماعيل هاجر أم العرب من قرية كانت أمام القرما[1] من مصر اه . وقال السهيلى: وكانت هاجر لملك الأردن واسمه صاروف فيما ذكر العتبى دفعها إلى سارة حين أخذها من إبراهيم عجبا منه بجمالها فصرع مكانه فقال ادعى الله أن يطلقنى ـ الحديث وهو مشهور فى الصحاح فأرسلها وأخذ منها هاجر وكانت هاجر قبل ذلك الملك بنت ملك من ملوك القبط بمصر . ذكر الطبرى من حديث سيف بن عمر أو غيره أن عمرو بن العاص حين هاجر مصر قال لأهلها إن نبينا عليه الصلاة والسلام قد وعدنا بفتحها وقد أمرنا أن نستوصى بأهلها خيرا فإن لهم نسبا وصهرا فقالوا هذا النسب لا يحفظ حقه إلا نبى لأنه نسب بعيد وصدق كانت أمكم هاجر امرأة لملك من ملوكنا فحاربنا أهل عين الشمس فكانت لهم علينا دولة فقتلوا الملك واحتملوها فمن هنالك سرت إلى أبيكم ابراهيم أو كما قالوا ، ثم قال السهيلى : وهاجر أول امرأة ثقبت أذنها وأول من خفض من النساء وأول من جرت ذيلها ، وذلك أن سارة غضبت عليها فحلفت أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها فأمرها ابراهيم عليه السلام أن تبر قسمها بثقب أذنيها وخفاضها[2] فصارت سنة فى النساء ، وممن ذكر هذا الخبر أبو زيد فى نوادره اه .

---

(١) القرما ، بالتحريك : مدينة قديمة بين العريش والفسطاط وهى أقرب إلى العريش ، ومكانها يقرب من مدينة بور سعيد المعروفة حاليا بمصر .

(٢) فى النسخة (ك) أخفاضها بدل خفاضها .

وقال السهيلى بعد أن ذكر شيئا يتعلق بأولاد إسماعيل وأمهم هاجر: ويقال فيها آجر، وكانت سرية لا براهيم وهبتها له سارة بنت عمه وقال السهيلى ايضا بعد ان ذكر إخراج جبريل ماء زمزم لاسماعيل وكان سبب انزال هاجر وابنها اسماعيل مكة ونقل اليها من الشام ان سارة بنت عم ابراهيم شجر بينها و بين هاجر أمر فأمر ابراهيم عليه السلام أن يسير بهما الى مكة فاحتملها على البراق واحتمل معه قربة ماء ومزود تمر وسار بها حتى انزلها بمكة فى موضع البيت ثم قال بعد أن ذكر ما كان بين هاجر و بين إبراهيم فى مفارقته لها وما كان منها من السعى بين الصفا والمروة لطلب الماء عند فناء ما كان معها من الماء وعطش ابنها، ثم ماتت هاجر و إسماعيل ابن عشرين سنة وقبرها فى الحجر ثم قبر اسماعيل عليه السلام، وذكر السهيلى الفرماء التى ذكرها ابن لهيعة فى خبر هاجر فقال السهيلى: وقول ابن لهيعة بالفرماء من مصر، الفرماء مدينة تنسب إلى صاحبها الذى بناها وهو الفرما بن فيلفوس و يقال ابن فليس ومعناه محب الفرس اه وقول السهيلى وأمهم هاجر يعنى أولاد اسماعيل لأنها أم أبيهم وأما قول أبى هريرة إنها أم بنى ماء السماء فجوز السهيلى فيه احتمالين لأنه قال وكذلك قول أبى هريرة إنها أم بنى ماء السماء يعنى هاجر، يحتمل أن يكون تأول فى قحطان ما قاله غيره و يحتمل أن يكون نسبهم إلى ماء السماء على زعمهم فانهم ينسبون اليه كما تنسب كثير من قبائل العرب إلى حاضنتهم وإلى رابهم أى زوج أمهم كما سيأتى بيانه فى باب قضاعة إن شاء الله اه. وذكر ابن الأثير فى كامله شيئا من خبر هاجر لانه قال فى ولادة اسماعيل فلما كبر اسماعيل و إسحاق اختصما فغضبت سارة على هاجر فأخرجتها ثم أعادتها فغارت منها فأخرجتها وحلفت لتقطعن منها بضعة فتركت أنفها وأذنها لئلا تشينها، ثم خفضتها فمن ثم خفض النساء.

وقيل كان اسماعيل صغيرا و إنما اخرجتها سارة غيرة منها وهو الصحيح إن شاء الله وقالت سارة لاتساكنينى(١) فى البلد اه. وقال النووى فى التهذيب فى ترجمة إبراهيم وفى التاريخ أيضا يعنى تاريخ ابن عساكر فى ترجمة هاجر قال: هاجر و يقال آجر بالمد القبطية و يقال الجرهمية أم إسماعيل كانت للجبار الذى يسكن عين الجر(٢) بقرب بعلبك فوهبها لسارة فوهبتها لإبراهيم وأنها توفيت ولإسماعيل عشرون سنة ولها تسعون سنة فدفنها اسماعيل فى الحجر اه. وما ذكره النووى من أن هاجر جرهمية على ما قيل لعله باعتبار ملائمتها لهم فى السكنى بمكة ولا يصح أن يكون باعتبار نسبها اليهم لكونها قبطية وما ذكره هو والسهيلى من كونها ماتت وسن ابنها اسماعيل عشرون سنة فروى فى بعض الأخبار ما يقتضى خلاف ذلك لأن فى خبر ذبح اسماعيل ما يقتضى أنها كانت حية اذ ذاك، وفى الأخبار الواردة فى هذا المعنى أن أباه أمر بذبحه بمزدلفة حين حج وكان حجه بعد بنائه للبيت، و بناؤه للبيت

---

(١) فى النسخة (ك): لا تشاركينى وكلاهما صحيح.

(٢) عين الجر: موضع معروف بين بعلبك ودمشق.

وإسماعيل ابن ثلاثين سنة على ما قيل ، وهذا وإن لم يصح ففيما ذكراه نظر من وجه آخر ، وهو أن الأزرقي روى عن ابن إسحاق أن إبراهيم لما أمر ببناء البيت أقبل من أرمينية على البراق حتى انتهى إلى مكة وبها إسماعيل وهو يومئذ ابن عشرين سنة ، وقد توفيت أمه قبل ذلك اهـ .

وهـذا يقتضى أن أمه توفيت وسن إسماعيل دون عشرين سنة، لأنها ماتت قبل قدوم إبراهيم ، وقدم إبراهيم وإسماعيل ابن عشرين سنة . وفى كلام النووى نظر من وجه آخر لأنه ذكر أن لها حين ماتت تسعين سنة ولابنها عشرون سنة ؛ وهذا إن صح فإنه يقتضى أن يكون هاجر حملت بإسماعيل وهى بنت سبعين سنة ـ بتقديم السين ـ وفى حمل من بلغت هذا السن نظر فإن صح ذلك، فهى كرامة لها ولا ريب فى علو قدرها .

وفى كتاب الفاكهى[1] بعد أن ذكر شيئاً من خبرها ؛ وسمعت من بعض من يروى العلم يقول : أوحى إلى ثلاث من النساء : إلى مريم بنت عمران ، وإلى أم موسى ، وإلى هاجر أم إسماعيل صلوات الله عليهم أجمعين اهـ . وهذا غريب والله أعلم بصحته . وفيما ذكرناه من أخبار هاجر كفاية إذ القصد الاختصار ؛ ومن غريب ما قيل فى وفاة هاجر ما ذكره ابن الأثير فى كامله لأنه قال فى وفاة سارة ، وقيل إن هاجر عاشت بعد سارة مدة ، والصحيح أن هاجر توفيت قبل سارة اهـ . ووجه الغرابة فى هذا أن إسماعيـل أكبر من إسحاق بأربع عشرة سنة ، وسارة عاشت مائة سنة وسبعا وعشرين سنة على ما ذكره أهل الـكتاب .

ويسن للمحرم السعى بين الصفا والمروة لسعى هاجر بينهما لما طلبت المـاء لابنها حين اشتد به الظمأ . وخبرها فى ذلك عن ابن عباس فى صحيح البخارى وقد سبق ذلك فى الباب الذى قبله .

ذكر أسماء أولاد إسماعيل وفوائد تتعلق بذلك

قال ابن هشام فى السيرة : حدثنا زياد بن عبد الله البـكائى عن محمد بن إسحاق قال : ولد إسماعيل بن إبراهيم اثنى عشر رجلا : نابتا وكان أكبرهم ، وقيدر ، وأربل[2] ، ومنشى ، ومسمعا ، وماشى ، ودما ، وادر ، وطيما ، وبطورا ، ونبشا ، وقيدما ، وأمهم بنت مضاض بن عمرو الجرهمى اهـ .

وقال الأزرقى : حدثنى جدى قال : حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال : أخبرنى ابن إسحاق قال : ولد لإسماعيل بن إبراهيم اثنى عشر رجلا وأمهم السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى فولدت له اثنى عشر رجلاً :

(١) هو أخبار مكة تأليف أبى عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهى المتوفى نحو عام ٢٨٠ هـ

(٢) فى النسخة (ك) : أدبل بدل أربل .

نابت بن إسماعيل ، وقيدار بن إسماعيل ، وواصل بن إسماعيل ، ومياس بن إسماعيل ، وطمياء بن إسماعيل ، وقطورا ابن إسماعيل ، وقيس بن إسماعيل ، وقيدمان بن إسماعيل ، وكان عمر إسماعيل فيما يذكرون ثلاثين ومائة سنة ،وعن نابت بن إسماعيل وقيدار بن إسماعيل نشر الله العرب فكان أكبرهم قيدار ونابت ابنا إسماعيل ومنهما نشر الله العرب اه . وذكر المسعودى[1] أولاد إسماعيل وسمى بعضهم بغير ما سبق،قال : وولد لإسماعيل اثنى عشر ولدا أولهم : ثابت، وقيدر ، واذيل ، ومنشى ، ومسمع ، وديما ، وردام ، ومنشا ، وحذام ، وميم ، وقطور ، ونافس ، وكل هؤلاء قد أنسل اه .

وذكر الفاكهى أسماء أولاد إسماعيل على وجه فيه مخالفة لبعض ما سبق لأنه قال : حدثنا عبدالله بن أبى سلمة قال : حدثنا يعقوب بن محمد بن محمد بن طلحة التيمى عن عبدالمجيد وعبد الرحمن بن سهيل عن عبد الرحمن ابن عمرو العجلان قال : سمعت على بن أبى طالب يقول : ولد إسماعيل اثنى عشر رجلا وأمهم بنت الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمى فاكبر أولاد إسماعيل نابت ، وقيدر ، والذيل ، ومنشا ، ومسمع ، ودومها ، وناس ، وادد ، وصيبا ، ومصور ، وتيش ، وقيدم، كلهم بنو إسماعيل ، وكان عمر إسماعيل مائة وثلاثين سنة، فمن نابت وقيدار نشر الله العرب اه . وقد بان بما ذكرناه فى أسماء أولاد إسماعيل اختلاف المقالات فى أسمائها ورأيت فيها غير ماذكرت، فمن ذلك منشا بدل منشى ، ومسماع بدل مسمع ، ودوما بدل دما ، وتيما بالتاء بدل طيما، و يا فيعش بدل تيش وهذه الأسماء مذكورة هكذا فى كتاب النسابة لأبى على الحوانى :سعام، ولعانوا، وحدان اه . ولم أر من تعرض لضبط جميعها بالحروف وأظن أن سبب الاختلاف فى كثير منها التصريف فى نقل ذلك من الكتب المذكورة فيها والله أعلم . وأما الأسماء التى فى السيرة فيقع فى بعض النسخ الجيدة، منها ضبطها بالشكل وقد ضبطت ما ذكرته منها بالشكل على ما رأيته فى نسخ معتمدة من السيرة وقد تعرض السهيلى لضبط بعضها و بيان معنى بعضها وماسمى ببعضها من الأماكن فنذكر ذلك لما فيه من الفائدة ، ونص كلامه وذكر فى ولد إسماعيل : ظميا ، وقيده الدارقطنى بالظاء منقوطة بعدها ميم كأنها من ظمياء والظميا مقصور سمرة فى الشفتين وذكر رماو رأيت للبكرى أن دومة الجندل عرفت بدوما ابن إسماعيل وكان نزلها فلعل ذلك مغير عنه وذكر أن الطور سمى بقطور بن إسماعيل ولعلها[2] محذوف الباء أيضا إن كان يصح ما قاله والله أعلم . وأما الذى قاله أهل التفسير فى الطور فهو كل جبل ينبت الشجر فإن لم ينبت شيئاً فليس بطور ، وأما قيدر فتفسيره عندهم صاحب الإبل وذلك أنه كان صاحب ابل اسماعيل اه . واختلف فى أمهم ففى السيرة لابن إسحاق أنها بنت مضاض بن عمرو الجرهمى ولم يسمها، وفى الأزرقى عن ابن إسحاق أن أمهم السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى ونقل ذلك السهيلى عن الدارقطنى وفى الأزرقى أيضا فى خبر ذكر فيه خبر جرهم وقطور بن إسماعيل أن إسماعيل خطب إلى مضاض بن عمرو ابنته رعلة فزوجه إياها فولدت له عشرة ذكور

(١) هو على بن الحسن مؤلف كتاب « مروج الذهب » ، وقد توفى عام ٣٤٦ هـ

(٢) فى النسخة (ك) : ولعله بدل لعلها .

قال وهى أم البيت اه . ولا منافاة بين قول من سماها السيدة و بين قول من سماها رعلة لإمكان أن يكون أحد الأمرين أسمالها والآخر لقبا واقتصر كل من القائلين على أحدهما ، والله أعلم . وفى الفا كهى أن أم أولاد إسماعيل بنت الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمى كما فى الخبر السابق وهـذا يخالف ما سبق من أن أمهم بنت مضاض ابن عمرو . وذكر الفا كهى ما يقتضى أن أم أولاد إسماعيل من العمالقة لأنه روى خبرا عن أبى جهم بن حذيفة فيه نزول العماليق على أم إسماعيل . ونشأ[١] إسماعيل مع ولدانهم . ثم روى بإسناده عن عثمان بن عفان أمير المؤمنين : أنه سئل متى نزل إسماعيل مكة ؟ قال : فذكر نحو حديث أبى جهم الأول ، إلا أنه قال : تزوج إسماعيل امرأة منهم فولدت له عشرة ذكور اه . فيحصل من هذا فى أم أولاد إسماعيل قولان : هل هى من جرهم أو من العماليق؟ وعلى الأول هى بنت مضاض بن عمرو أو بنت الحارث بن مضاض بن عمرو والله أعلم . وسيأتى فى أم نابت بن إسماعيل غير ما سبق ، و إلى نابت بن إسماعيل يرجع نسب عدنان على مقتضى ما ذكر ابن إسحاق وغيره من أهل الأخبار ، وقيل : يرجع نسب عدنان إلى قيدار بن إسماعيل ؛ وهذا القول ذكره السهيلى لأنه قال : وذكر من وجه قوى فى الرواية عن نساب العرب أن نسب عدنان يرجع إلى قيدار بن إسماعيل ؛ وأن قيدار كان الملك فى زمانه ، وأن معنى قيدر ــ إذا فسر ــ الملك[٢] ، والله أعلم اه .

وذكر القطب الحلبى[٣] فى شرح سيرة عبد الغنى خلافاً فى نسب نابت بن إسماعيل وفى أمه وأم قيدر ومن ينسب إليهما ، ونذكر كلامه لإفادة ذلك ونص كلامه : قال المؤلف : ابن نابت بالنون فاعل من نبت . قال الأمير أبو نصر ، ما كولا فى باب نابت بالنون نابت بن إسماعيل بن إبراهيم . وهذا القول الأخير خلاف ما ذكره الجوانى فى النسب فإنه قال : عدنان بن أدبن أدر بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن بنت . فقدم سلامان على نبت ؛ وقال . إن أم نبت هامة بنت زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان و تدعى حرمن ، وجعل نابت بن حمل وأمه العاصرية بنت مالك الجرهمى بن قيدار وأمه هالة بنت الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمى[٤] ، ويقال بل اسمها سلما ، وقيل الخنفا . ثم قال القطب : قال الجوانى : ومن العلماء من ينسب اليمن إلى إسماعيل[٥] ويقولون إنهم من ولد بيمن بن نبت بن إسماعيل: وافترق باقى ولد إسماعيل فى أقطار الأرض فدخلوا فى قبائل العرب. ودرج بعضهم فلم يثبت لهم النسابون نسباً إلا ما كان من ولد قيدار ونشر الله تعالى ذرية إسماعيل صلى الله عليه وسلم الذين تكلموا بلسانه من ولد قيدار ابنه أبى العرب .

---

(١) فى النسخة (ك) : ونشأة إسماعيل ، وهو الصحيح الذى يقتضيه سياق الكلام .
(٢) « « « : وأن معنى قيدر الملك إذا فسر ، والله أعلم .
(٣) هو الحافظ قطب الدين الحلبى صاحب كتاب « المورد العذب الهنى فى شرح سيرة عبد الغنى »
(٤) فى النسخة (ك) : ابن مضاض الجرهمى .
(٥) « « « : إلى إسماعيل سلما ، عليه الصلاة والسلام .

وفى كتاب «التيجان» قال وهب : حدثنى ابن عباس رضى الله عنهما : أن إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم وعلى عنقه قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم فجرى إليه يعقوب وعيصو فأخذهما إلىٰ صدره فنزلت رجل قيدار اليمنى على رأس يعقوب ورجله اليسرى على رأس عيصو ؛ فغضبت سارة ، فقال لها إبراهيم عليه السلام : لا تغضبى فإن أرجل أولاد هذا الذى على عنق على رءوس هؤلاء بمحمد صلى الله عليه وسلم اه . وخبر ابن عباس رضى الله عنهما هذا يدل على أن عدنان يرجع إلى قيدار لا إلى نابت بن إسماعيل واستفدنا بما ذكره القطب فى أم قيدر معرفة اسم بنت الحارث بن مضاض التى ذكرها الفاكهى أنها أم أولاد إسماعيل ؛ لأن الفاكهى ذكر فيهم قيدار الذى ذكره القطبى واسم أمه . وأن فيها ثلاثة أقوال : هالة وسلمى والحنفا ، والله أعلم . ولإسماعيل بنت غير أولاده الاثنى عشر ذكرها السهيلى لأنه قال . وقد ذكر ابن إسحاق أسماء بنى إسماعيل ولم يذكر بنته الأخرى وهى نسمة بنت إسماعيل وهى امرأة عيصو بن إسحاق وولدت له الروم وفارس فيما ذكر الطبرى ، وقال : أشك فى الأنساب أهى أمهم أم لا ؟ وهم من ولد عيصو ؛ ويقال فيه أيضا : عيصى اه .

ذكر شىء من خبر بنى إسماعيل

قال الأزرقى : حدثنى جدى ، قال : حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج ، قال : أخبرنى ابن إسحاق فذكر أولاد إسماعيل وشيئاً من خبرهم ، وخبر بعضهم وخبر جرهم وقطورا ، وما كان بينهما من القتال ، إلى أنه قال : ثم نشر الله تعالى بنى إسماعيل عليه السلام بمكة وأخوالهم جرهم إذ ذاك الحكام وولاة البيت كانوا كذلك بعد نابت بن إسماعيل ، فلما ضاقت عليهم مكة وانتشروا بها انبسطوا فى الأرض وابتغوا المعاش والتفسح فى الأرض فلا يأتون قوماً ولا ينزلون بلدا إلا أظهرهم الله عز وجل عليهم بدينهم فوطئوهم وغلبوهم عليها حتى ملكوا البلاد ونفوا عنها العماليق ومن كان ساكنا بلادهم التى كانوا اصطلحوا عليها من غيرهم ، وجرهم على ذلك بمكة ولاة البيت لا ينازعهم إياه بنو إسماعيل لخؤولتهم وقرابتهم وإعظام الجرم أن يكون به بغى أو قتال انتهى . وقال الفاكهى : وحدثنى الزبير بن أبى بكار قال : وجدت فى الكتاب الذى ذكر أنه من كتب عبد الحكيم بن أبى غمر : أن الله تعالى لما نشر ولد إسماعيل توالدوا وكثروا وضاقت عليهم مكة واشتدت المعيشة بها عليهم فجعلوا ينبسطون فى الأرض وينتشرون ، فخرج أهل القوة منهم يتخذون أموالا من الإبل والبقر والغنم يتطلبون بها الرعى فلا تلبث أموالهم أن تربو وتكثر ؛ فجعل الناس يتداعون إلى ذلك رغبة فيه وكراهة أن يحدثوا فى الحرم حدثا ، يقولون : نحن عباد الله وهذا بيته وحرمه ، ومن أحدث فيه أخرج منه ولم يعد فيه فيخرج إلى ظل الله ومظهر من حرمه من أحداثنا ، فمن أحدث منا لم يحرم عليهم دخول الحرم ولا زيارة البيت . فلم يبرحوا يصنعون ذلك ويخرجون حتى ضاقت مكة وما يقيم بها أحد [1] من ولد

(١) فى النسخة (ك) : وما يقيم بها من ولد إسماعيل . . .

إسماعيل إلا متدين حبس نفسه بجوار البيت وعمارته ، أو مضعف لامال له صبر على لأوائها وشدتها حسبة، أو خائف مستجير بالبيت والحرم فيأمن بذلك . وكان الناس إذ ذاك يدعون من أقام بها أهل الله يقولون[١] : هؤلاء أهل الله أقاموا عنده بفناء بيتـه وحرمه وفى حرمته[٢] من بين حابس له نفسه[٣] أو صابر على لأوائها وشدتها[٤] لوجهـه اهـ .

وقال الفاكهى : حدثنا عبد الله بن عمران المخزومى قال : حـدثنا سعيد بن سالم قال : حدثنا عثمان يعنى ابن ساج قال : أخبرنى محمد بن إسحاق وحدثنى عبد الملك بن محمد عن زياد بن عبد الله البكائى[٥] على بن إسحاق يزيد أحـدهما على صاحبه فى اللفظ أن بنى إسماعيل والعماليق من سكان مكة ضاقت عليهم البلاد فتفسحوا فى البلاد ، والتمسوا المعاش فخلف الخلوف بعد الخلوف ، وتبدلوا بدين إسماعيل غـيره ، وسلخوا إلى عبادة الأوثان فيزعمون أن أول ما كانت عبادة الأوثان أو الحجارة فى بنى إسماعيل أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن حين ضاقت عليهم والتمسوا التفسح فى البلاد إلا احتملوا معهم من حجارة الحرم تعظيماً للحرم وصيانة لمكة والكعبة فأينما حلوا وضعوه ، فطافوا به طوافهم بالكعبة ، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون مااستحسنوا من الحجارة ، وأعجبهم حتى خَلف الخلُوف ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم الخليل عليه السلام غيره ، وعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالة وانتحوا ما كان يعبد قوم نوح منها على إرث ما كان بقى فيهم من ذكرها، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم و إسماعيل يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به ، والحج ، والعمرة ، والوقوف على عرفة ، ومزدلفة ، وهدى البدن ، وهلال الحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ماليس فيه .

وكان أول من غير دين إسماعيل عليه السلام ونصب الأوثان وسيب السائبة ، ونحر البحيرة ، ووصل الوصيلة ، وحمى الحام ، عمرو بن لحى[٦] بن قمعة بن خندف جد خزاعة إلا أنهم من ولد عمرو بن عامر بن غسان اهـ .
وقال الزبير بن بكار : وجدت فى كتاب ذكر أنه من كتب عبد الحكيم بن أبى غمر : لما أدرك إلياس بن مضر أنكر على بنى إسماعيل ما غيروا من سنن آبائهم و بان فضله فيهم ولان جانبه لهم حتى جمعهم رأيه ورضوا به رضا

---

(١) فى النسخة (ك) : يدعون من أقام بها أهل الله يقولون هؤلاء أهل الله وجيرانه . . . الخ .
(٢) « « « : بفناء بيته وفى حرمته وحرمه من بين حابس . . . الخ .
(٣) « « « : (بعد كلمة ـ نفسه) أو مستجير به أو صابر . . . الخ .
(٤) « « « : على شدتها ولأواها لوجهه . . . الخ .
(٥) فى النسخة (ك) ليس فيها كلمة البكائى .
(٦) تجمع الروايات على أن عمرا هو أول من أدخل الأنصاب إلى مكة ، ودعا إلى التقرب إليها بالعبادة .

لم يرضوا مثله بأحد من ولد إسماعيل بعد أدر ؛ فردهم إلى سنة آبائهم حتى رجعت سنتهم تامة على أولها ، وهو أول من أهدى البدن إلى البيت أو فى زمانه ، وقال : وهو أول من وضع الركن للناس بعد هلاكه حين غرق البيت وانهدم زمن نوح عليه السلام . فكان أول من سقط عليه إلياس فى زمانه فوضعه فى زاوية البيت للناس . و بعض الناس يقول : إنما هلك بعد إبراهيم و إسماعيل ولم تبرح العرب تعظم إلياس بن مضر تعظيم أهل الحكمة كتعظيم لقمان وأشباهه . و يقال : قلّ نبى إلا وقد علم ممن هو أو من أى أمة هو ، وفيه قال الله عز وجل : « و إن إلْيَاسَ لمن الْمُرْسلين » .

وقال الفاكهى : وحدثنى عبد الملك بن محمد عن زياد بن عبد الله قال ابن إسحاق : يقال : إن أول نبى كان بين ولد إسماعيل الحروب[1] كان بين سعد العشيرة و بين معد ، و يقال : كانوا يسمعون أن دعوة إبراهيم لولد إسماعيل فى معد بن عدنان لسعد العشيرة وهم أخرجوا من اليمن إلى أرض نجد إلا أن كنانة أقامت بهذا الحرم و إنما اقتتلوا على المياه ، فقال عامر بن الظرب العدوانى[2] فى حرب معه ، وسعد العشيرة ، يذكر قرابتهم وفضل معد فيهم و ينتمى إلى عوف من البيت على صلة معد :

أبونا مالك والصلب زيد معد ابنه خير البنينا
أتاهم من ذوى شمران آت فظلت حولها أمد السنينا
فياعوف بن بيت بالعوف وهل عوف لتصبح موعدينا
فلا تعصوا معدا إن فيها بلاد الله والبيت السكينا

وشمران من اليمن اهـ . وسعد العشيرة المذكور فى هذا الخبر من مذحج و إنما قيل له سعد العشيرة لأنه كان يركب فيما قيل فى ثلاثمائة من ولده وولد ولده فإذا قيل له من هؤلاء ؟ قال : عشيرتى مخافة العين عليهم ، ذكر ذلك الحازمى وقال : المذحجى منسوب إلى مذحج واسمه مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن كريب بن زيد بن كهلان ، سمى به لأنه ولد على أكمة حمراء باليمن يقال لها مذحج . وقيل غير ذلك اهـ .

وممن كان عظيم القدر من بنى إسماعيل : معد[3] بن عدنان لأن الزبير بن بكار قال فيما رويناه عنه : حدثنا

---

(١) لعلها : الحرث .

(٢) حكيم جاهلى مشهور كان سيدا فى قومه و يعد من المعمرين ومن الخطباء والحكماء فى الجاهلية .

(٣) هو الجد الأعلى للرسول الأعظم ، وأبو العرب كافة ، ويؤثر أنه عنى بالحجاز والحرم ، ومهد الأمن فيهما ، ويعد من الأنبياء فى بعض الروايات .

إبراهيم بن المنذر عن عبد العزيز بن عمران قال : أخبرنى أبو القاسم بن نشيط عن الحجاج بن أرطاة عن عطاء ابن أبى رباح عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال : لما وقع بخت نصر بأهل حصور و بأهل عرما بعث الله عزّ وجل ملكين فاحتملا معد بن عدنان حتى أنزلاه بأرمينية حتى إذا تم الأمر رده الله إلى التهمة ، قال فلما انقضت غزاة بخت نصر من بلاد المغرب وخرج منها إلى بلاده رد معد بن عدنان إلى موضعه من تهامة فكان بمكة فى نواحيها مع أخواله من جرهم وهم ولاة البيت و بها منهم بقية ، فاختلط بهم وصار معهم حتى أنكحوه فنا كحهم ولم يصبه ولم يصب جرهم ومن كان معهم من معرة جيش بخت نصر ما أصاب غيرهم اه . وقد أتينا من أخبار بنى إسماعيل بجملة فيها مقنع إن شاء الله .

ذكر ولاية نابت بن إسماعيل للبيت الحرام

قال الأزرقى فيما رويناه عنه : حدثنى جدى . قال : حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال : أخبرنى ابن إسحاق بعد أن ذكر أولاد إسماعيل فولى البيت نابت بن إسماعيل ما شاء الله أن يليه ، ثم توفى نابت بن إسماعيل فولى بعده مضاض بن عمرو الجرهمى وهو جد نابت بن إسماعيل أبو أمه ، وضم ابن بنته نابت بن إسماعيل و بنى إسماعيل اليه فصاروا مع جرهم أبى أمهم مضاض بن عمرو ومع أخوالهم من جرهم اه .



الباب الثامن والعشرون

فى ذكر ولاية إياد بن نزار بن معد بن عدنان للكعبة وشىء من خبره

وذكر ولاية بنى إياد بن نزار للكعبة ، وشىء من خبرهم

وخبر مضر ومن ولى قبل قريش

ذكر ولاية إياد بن نزار بن معد بن عدنان للكعبة

قال الزبير بن بكار قاضى مكة : حدثنا عمر بن أبى بكر الموصلى عن غير واحد من أهل العلم بالنسب قالوا : لما حضرت نزارا الوفاة آثر إياداً بولاية الكعبة وأعطى مضر نافة حمراءفسميت : مضر الحمراء ، وأعطى ربيعة فرسه فرسه ، فسمى : ربيعة الفرس ، وأعطى أنمارا جارية تسمى بجيلة . فحضنت بنيه فسموا : بجيلة أنمار . ويقال : بل أعطاه بجيلة وغنماً كانت ترعاها فيقال لهم : أنمار الشاء . ويقال : بل أعطى إيادبن نزار غنماً له برقاء ، فسميت إياد البرقاء . ويقال : بل أعطى إيادا عصا وحلة ، فهم يُدعون إياد العصا وقد قال فى ذلك رجل إيادى :

نحن ورثنا عن إياد كله * نحن ورثنا العصا والحُلَّة

قال الزبير : وقال غير عمر بن أبى بكر : أعطى إيادا أمة شمطاء ، فسموا إياد الشمطاء اهـ . ورأيت لإيادبن نزار ولإخوته المشار إليهم خبراً يستظرف فى ذكائهم فحسن ببالى ذكره هنا لما فى ذلك من الفائدة ، وقد ذكر هذا الخبر غير واحد من أهل الأخبار ، منهم الفاكهى ونص ما ذكره ، وحدثنى حسن بن حسين الأزدى قال : حدثنا على بن الصباح ومحمد بن حبيب ومحمد بن سهل قالوا : حدثنا ابن الكلبى عن أبيه عن أبى صالح عن معاوية ابن عميرة بن منجوس الكندى عن ابن عباس قال :

ولد نزار بن معد بن عدنان أربعة : مضر، وربيعة ، وإيادا ، وأنمارا ، وأم مضر وإياد سودة بنت عك ، وأم ربيعة وأنمار الجدلة بنت وعلان بن جوشم[1] بن جلهمة بن جرهم ، فلما حضر نزارا الموت جمع بنيه هؤلاء الأربعة فقال : اى بنى هذه القبة الحمراء وهى من أدم ، وما أشبهها من المال فلمضر ، وهذه البدرة والمجلس فلأنمار ، وهذا الفرس الأدهم والخباء الأسود وما أشبهها من مالى فلربيعة ، وهذا الخادم وكانت شمطاء وما أشبهها من مالى فلإياد ، وإن أشكل عليكم كيف تقتسمون ، فأتوا الأفعى الجرهمى ومنزله بنجران ، وإن أنتم رضيتم وهناقد خفت صوته إذ لم

(١) وفى نسخة :حوسم

يسمع الصوت فألمع. ثم مات،فتشاجروا فى ميراثه ولم يهتدوا إلى القسم فتوجهوا إلى الأفعى يريدونه ، وهو بنجران فرأى مضر أثر بعير قد رعى فقال : إن الذى رعى هذا الموضع لبعير أعور ، فقال ربيعة : إنه لأزور،فقال : إياد :إنه لأبتر . فقال أنمار : إنه لشرود . فساروا قليلا ، فإذا برجل يوضع على جمله فسألهم عن البعير فقال مضر :أعور ؟ قال: نعم ، قال ربيعة : أزور ؟ قال : نعم ، قال إياد : أبتر، قال نعم : قال أنمار : شرود قال : نعم . فسألهم عن البعير . وقال : هذه صفة بعيرى فدخلوا نجران . فقال صاحب البعير : هؤلاء أصابوا بعيرى وصفوا لى صفته وقالوا: لم نره . فاختصموا إلى الأفعى وهو يومئذ حكم العرب فأخبروه بقولهم فحلفوا له ما رأوه . فقال الرجل : قد نعتوا لى صفة بعيرى . قال الأفعى لمضر : كيف عرفت أنه أعور ؟ قال : إنه رعى جانباً وترك جانباً فعرفت أنه أعور . فقال لربيعة : كيف عرفت أنه أزور ؟ قال : رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر فعرفت أنه أفسدها بشدة وطئه. فقال لإياد : كيف عرفت أنه أبتر ؟ قال : باجتماع بعره ، ولو كان ذيالا لمصع به . فقال لأنمار : كيف عرفت أنه شرود ؟ قال : إنه رعى فى المكان المكلىء ولم يجزه إلى مكان أغزر منه نبتاً . فقال للرجل : ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه . ثم سألهم من أنتم فأخبروه فرحب بهم وأخبروه ما جاء بهم . فقال:تحتاجون إلى وأنتم كا قد أرى ؟ فذبح لهم وأقاموا عنده ثم قام إلى خازن له يستحثه بالطعام ثم جلس معهم ثم أكلوا وشربوا وتنحى عنهم الأفعى حيث لا يرى وهو يسمع كلامهم . فقال ربيعة : لم أر كاليوم لحماً أطيب منه لولا أن شاته غذيت بلبن كلبة . فقال مضر : لم أر كاليوم خمراً لولا أن حُبْلَتَه نَبَتَتْ على قبر . فقال إياد : لم أر كاليوم رجلاً أَسْرَى لولا أنه ليس لأبيه الذى يدعى إليه . فقال أنمار: لم أر كاليوم كلاما أنفع فى حاجتنا وكان كلامهم بإذنه، فقال : ما هؤلاء إلا شياطين . فدعا القهرمان فقال :أخبرنى خبر هذه الكرمة فقال : إن حبلته غرستها على قبر أبيك وسأل الراعى عن العناق فقال : هى عناق أرضعتها بلبن كلبة . ولم يكن ولد فى الغنم غيرها وماتت أمها ،ثم أتى أمه فقال : اصدقينى من أبى فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال لا يولد له فخفت أن يموت ولا يولد له فر بى رجل فوقع على وكان نازلا عليه ، فولدت . فرجع إليهم وقال : قصوا على قصتكم فقال : ما أشبه القبة الحمراء من مال فلمضر . فذهب بالدنانير والإبل فسميت مضر الحمراء. وأما صاحب الخباء الأسود فله كل أسود فأخذ ربيعة الفرس وما أشبهه . وكان الفرس أدهم فسميت ربيعة الفرس . وأما الدراهم والأرض فلأنمار . وذهب إياد بالخيل البلق والغنم والنعم فانصرفوا من عنده فقال الأفعى : مساعدة الخاطل تعد من الباطل وإن العصا من العصية، وإن خشينا من أخشن اه . وذكر هذا الخبر شارح العبدونية أيضاً ونقل فيه عن كل من أولاد نزار إلا أنمار فى صفة البعير الذى رأوه فى طريقهم إلى الأفعى الجرهمى غير مافى هذا الخبر، وأن فيه قال: فلما مات أبوهم اختلفوا فى القسم فمشوا إلى الأفعى بن أفعى فعثروا فى طريقهم على أثر بعير فقال مضر : هذا أثر

بعير أزور . فقال ربيعة : نعم ، وأبتر . فقال إياد : نعم ، وأعور . قال أنمار : نعم ، وشرود . وفى الخبر الذى ذكره شارح العبدونية أن الأفعى أطعم أولاد نزار عسلاً وأنه لما استطيبوه قال الثالث منهم : إلا أن عسله وضعته على هامة جبار ، وأن الأفعى سأله عن ذلك فأخبر بما يصدق فيهم ، وفيه أن الأفعى وكل بهم من يسمع كلامهم ويحفظه ويخبره . وبقية الخبر بمعنى الخبر الذى ذكرناه .

وذكر الحافظ قطب الدين الحلبى فى كتابه « المورد العذب الهنى ، فى شرح سيرة عبد الغنى » فوائد تتعلق بخبر ابن نزار يحسن ذكرها ههنا ، وذلك ، أنه قال عند ذكره للخبر السابق : زاد أبو الحسن بن الأثير : فقيل لمضر : من أين عرفت الخمر فقال : لاننى أصابنى عطش شديد وذكر الماوردى فى كتابه أعلام النبوة قال : وذكر لى بعض أهل العلم أنه إنما قال ذلك لأن الكرم إذا نبتت على قبر يكون انفعاله أقل انفعالا من غيره ، وأن ربيعة قيل له : من أين علمت اللحم ؟ قال : لأن لحم الكلب يعلو شحمه بخلاف لحم الشاة فإن شحمها يعلو لحمها .

وذكر الماوردى(1) قال : لأنى شممت رائحة كلب . وان إيادا قيل له : من أين علمت أنه ينتهى إلى غير أبيه ؟ قال : لأنه وضع الطعام ولم يجلس معنا . فيكون أصله دنيا . وقال الماوردى : لأنه يتكلف مايعمله . ورأيت بخط أبى الربيع سليمان قيل لإياد : فيما قال ، فقال : نظرت إليه مذ وقعت عينى عليه فنظر إلىّ وأدام النظار ولم يطرق انتهى .

ذكر ولاية بنى إياد بن نزار الكعبة وشىء من خبرهم وخبر مضر ومن ولى الكعبة من مضر قبل قريش

قال الفاكهى : ذكر ولاية إياد بن نزار البيت وحجابتهم إياه وتفسير ذلك : حدثنا حسن بن حسين الأزدى . قال : حدثنا محمد بن حبيب قال : قال عيسى بن بكر الكنانى : ثم وليت حجابة البيت إياد فكان أمر البيت إلى رجل منهم يقال له : وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد فبنى صرحا بأسفل مكة عند سوق الحناطين اليوم ، وجعل فيه أمة يقال لها الحَزْوَرَة فبها سميت حزورة مكة ، وجعل فيه سُلَّماً وكان يرقاه ويقول بزعمه إنه يناجى الله تعالى ، وكان ينطق بكثير من الخير يقوله : وقد أكثر فيه علماء العرب فكان أكثر من قال فيه أن قال : إنه كان صديقاً من الصديقين وكان يتكهن ويقول مرضعة فاطمة ووادعة وقاطعة والقطيعة ، والفجيعة وصلة الرحم ، وحسن الكلم ، يقول ربكم : « ليجزين بالخير ثواباً وبالشر عقاباً ، وكان يقول : من فى الأرض عبيد لمن فى السماء . هلكت جرهم وأزيلت إياد ، وكذلك الصلاح والفساد، حتى إذا حضرته الوفاة جمع إيادا ؛ فقال : اسمعوا وصيتى : الكلام كلمتان ، والأمر بعد البيان . من رشد فاتبعوه ، ومن غوى فارفضوه ، وكل شاه معلقة برجليها . فكان أول من قالها فأرسلها مثلاً ، فمات وكيع فنعى على على رؤوس الجبال ، فقال بشر بن الحجر :

---

(1) هو القاضى أبو الحسن الماوردى مؤلف كتاب « أدب الدنيا والدين » ، توفى عام ٤٥٠ هـ .

ونحن إياد عباد الإله ورهط مُنَاجِيه فى سُلَّم
ونحن ولاة حجاب العتيق زمان النُّخاع على جُرْهُم

ثم قال : وقامت نايحة وكيع على أبى قبيس فقالت :

ألا هلك الوكيع أخو إياد سلامُ المرسلينَ على وكيع
مناجى الله مات فلا خــلود وكل شريف قوم فى وضيع[(١)]

ثم إن مضر أديلت بعد إياد وكان أول من ديل منها عدوان وفهم ، وأن رجلا من إياد ورجلا من مضر خرجا يصيدان فمرت بهما أرنب فاكتنفا بها برميانها ؛ فرماها الإيادى فنزل سهم فنظم قلب المضرى فقتله ؛ فبلغ الخبر مضر ـ فاستغاثت بفهم وعدوان يطلبون لهم قود صاحبهم ، فقالوا : إنما أخطأه ، فأبت فهم وعدوان إلا قتله فتناوش الناس بينهم بالمدور[(٢)] وهو مكان، فسمت مضر من إياد ظفرا ، فقالت لهم إياد : أجلونا ثلاثا فلن نساعيكم أرضـكم فأجلوهم ثلاثاً ، فظعنوا قبل المشرق فلما ساروا يوما اتبعتهم فهم وعدوان حتى أدركوهم ، فقالوا : ردوا علينا نساء مضر المتزوجات فيـكم فقالوا : لا تقطعوا قرابتنا اعرضوا على النساء فأية امرأة اختارت قومها رددتموها و إن أحبت الذهاب مع زوجها أعرضتم لنا عنها ، قالوا : نعم ، فـكان أول من اختار أهله امرأة من خزاعة . فحدثنا الزبير ابن بكار قال : لما هلك وكيع الإيادى واتضعت إياد وهى إذ ذاك تلى أمر بيت الله الحرام ، وقاتلوهم وأخرجوهم وأجلوهم ثلاثاً يخرجون عنهم، فلما كانت الليلة الثانية حسدوا مضر أن تلى الركن الأسود فحملوه على بعير فبرك فلم يقم فغيروه فلم يحملوه على شىء إلا رزح وسقط ، فلما رأوا ذلك عبثوا له تحت شجرة فدفنوه ، ثم ارتحلوا من ليلتهم ، فلما كان بعد يومين افتقدت مضر الركن فعظم فى أنفسها، وقد كانت شرطت على إياد كل متزوجة فيهم ، فكانت امرأة من خزاعة فيما يقولون ؛ يقال لها: قدامة متزوجة فى إياد وخزاعة إذ ذاك فيما يزعمون والله أعلم ينتسبون لبنى عمرو بن لحى بن قمعة بن إلياس بن مضر ، فأبصرت إياد حين دفنت الركن. اجتمع الزبير والـكلبى وحديثهما كل واحد منهم بنحو من حديث صاحبه . فقالت لقومها حين رأت مشقة ذهاب الركن . على مضر : خذوا عليهم أن يولوكم حجابة البيت وأدلـكم على الركن ، فأخذوا بذلك عليهم فوليتها خزاعة على العهد والميثاق الذى كان . فهذا سبب ولايتهم البيت . وقال الـكلبى فى حديثه : فقالوا لهم إن دللنا كم على الركن . أتجعلونا ولاة ؟ قالوا : نعم ، وقالت مضر

---

(١)وضوع ، فى منتخب شفاء الغرام طبع أوربا صفحة ١٣٧ .

(٢) لم أجد فى معجم ياقوت (المدور) إنمـا الموجود مدرى: جبـل بنعمان قرب مكة . ولعله المقصود لقربه من مكة .

جميعاً : نعم ، فدلّهم عليه . فأعادوه فى مكانه وولوه فلم يبرح فى أيدى خزاعة حتى قدم قصى مضر ، فكان من أمره الذى كان اه .

وقال الفاكهى أيضا بعد أن ذكر خبر بنى نزار السابق متصلا به : وكان العدد والشرف من بنى نزار بن معد فى إياد قال : فلم يزالوا كذلك حتى بغوا على مضر وربيعة فأهلكهم الله تعالى فكانوا أول من أهلكهم بعد ابن آدم . سلط الله عز وجل عليهم النخاع وجعل الشرف والعدد والملك والنبوة فى مضر فدخلوا إلى أرض العراق اه.

وذكر المسعودى مايقتضى أن ولاية البيت بعد جرهم صارت إلى ولد إياد بن نزار لأنه قال : بعد أن ذكر خبر جرهم متصلا به ؛ ثم صارت ولاية البيت فى ولد إياد بن نزار، لأنه قال بعد ، ثم كانت حروب كثيرة بين ولد مضر وإياد فكانت لمضر على إياد فانجفلوا عن مكة إلى العراق اه .

وممن ولى الكعبة من مضر على ما ذكر الفاكهى أسد بن خزيمة . لأنه قال : فلما مات صار البيت فى أسد ابن خزيمة ، فكان سادن الكعبة ، لحدثنى عبد الله بن أبى سلمة قال: حدثنا الوليد بن عطاء المكى عن أبى صفوان عن عبد الملك بن عبد العزيز عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال : أسد بن خزيمة خازن الكعبة فى الزمن الأول ، وحدثنى هارون بن محمد بن عبد الملك ، قال : حدثنى موسى بن صالح بن شيخ بن عميرة قال : حدثنى أبى قال : قال لى أبو جعفر المنصور : يا شيخ أين قبر جدك ؟ قال : قلت بخرمان[1] . قال : فقال لى : لا ، هو هذا . وهو على أبى قبيس إنه كان من الفريقين[2] عظيما يعنى أسد بن خزيمة اه . ذكر ذلك الإمام الفاكهى فى ترجمة ترجم عليها بقوله : ذكر من ولى مكة من مضر بن نزار قديماً وتفسير أمورهم : ولم أر فيما ذكر فى هذه الترجمة شيئاً يفهم منه ولاية أحد ممن ذكر فيها لما ذكر غير أسد بن خزيمة ونفر قليل غيره على ما يأتى بيانه بل فى كلامه ما يشعر بخلاف ما ترجم له ونذكر كلامه بنصه ، قال بعد الترجمة التى سبق ذكرها : حدثنا أحمد بن حميد الأنصارى ، قال : حدثنى محمد بن زكريا ، قال : حدّثنا العباس بن بكار قال : حدثنا الفضل بن محمد ، قال : كان محلم بن سويد الرئيس الأول ظَنَنَّا أول من رأس معدا ، وكانت معد قبل ذلك تسترضى رأيه جماعة رحل رجل ، فكان أول من قاد معه ميمنة وميسرة ولواء ، وفى ذلك يقول الفرزدق :

زيد الفوارس وابن زيد منهم وأبو قبيصة والرئيس الأول

---

(١) خرمان : بستان بمكة .

(٢) كذا بالأصل ، ولعله القريتين .

أما قوله : ابن زيد ، فهو حصين بن زيد بن صباح الضبي وهو الذى قال :

أوصى أبونا ضبة الملقى سيف سليمان الذى يبقى
إن على كل رئيس حقا أن يخضب القناة أو تندقا

قال : وكان ضبة ينزل مكة وكان قد ولى الحجاز واليمن لسليمان بن داود عليهما السلام ، وفى ذلك يقول الشاعر :

ضبة رب الحجـــاز تُجْبَى إليه إتاواتها
من كل ذى إبل ناقة ومن كل ذى غنم شاتها

وكان البيت فى ضبة من مضر، فلما أن مات صار البيت من مضر فى سعد بن ضبة، فلما مات صار البيت فى أسد بن خزيمة ، فكان سادن الكعبة . ثم قال بعد ذكر أن ما نقلناه عنه آنفا فى شأن أسد بن خزيمة ، ثم رجعنا إلى حديث الأنصارى ، قال : فلما مات صار البيت فى تميم،فلما مات صارت الرياسة إلى ابنه عمرو بن تميم ، ثم صار البيت فى أسيد ابن عمرو ، فلما مات أسيد صارت مضر لا رأس لها حتى نشأ أبو الخفاد الأسدى وكان من المعمرين عاش دهراً طويلا ، وفيه يقول ربيعة أبو لبيد الجعفرى :

أبو الخفاد إقبال الكبر فالدهر صرفان فسد مضر
فى الدهر إن يحيى لك من قيس غيلان وأحياء أخر

وكان الذى يسعى لأبى الخفاد فى جميع صدقاته الحارث بن عمرو بن تميم ، فكان إذا نزل بقوم لم يبرح حتى يأكل من طعامهم فأكثر يوما من ذلك فعظم بطنه ـ فسموه الحارث الحنط وهو أبو الحنطات ، فلما مات أبو الخفاد صار البيت فى بنى جمان بن سعد ثم تحول البيت بعد الجمانيين إلى الأضبط بن قريع ، ثم تحول البيت إلى بنى حنظلة بن دارم بن حنظلة وضرب عليهم القبة الحمراء وهى قبة مضر الحمراء،وبها سميت مضر الحمراء ، فلما مات صارت إلى ابنه حاجب بن زرارة ، وكان الحاجب والنباش ابنا زرارة من أشراف بنى تميم وذوى القدر بمكة ـ حدثنا عبد الله بن عمران المخزومى قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن ثور بن يزيد ، قال : تزوج رجل امرأة على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فلامه أخ له فذكر منها صلاحا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ما عليك إلا أن تكون تزوجت ابنة حاجب بن زرارة أن الله عز وجل جاء بالإسلام فسوى بين الناس ولا لوم على مسلم .

وحدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى حماد بن نافع قال سمعت سليما المكى يقول ، كان يقال فى الجاهلية : والله لأنت أعز من آل النباش وأشار بيده إلى دور حول المسجد فقال : كانت هذه رباعهم ثم رجعنا إلى حديث الفضيل قال : ثم صارت إلى ابنه عطارد بن حاجب فلما مات صارت الرياسة فى بنى تميم فى عمير بن عطارد فلما

مات صارت إلى ابنه بجيد بن عمير وكان أحـد الأجواد وكان صاحب ربع بنى تميم وهمدان بالـكوفة وكان على أذربيجان فى ولاية معاوية فمر به ألف رجل من بنى بكر بن وائل كانوا وجهوا فى بعث فحملهم على ألف فرس وكان البيت من ضبة فى الـكبرمن بنى ثعلبة بن بكروهم الفرسان والعدد من بنى صباح فى الحصين بن يزيد ثم تحول البيت يعنى الشرف والرياسة يوم القرنين أو القريتين شك أبو العباس فى ضرار بن عمرو فلما مات صار إلى زيد الفوارس فلما قتل صار إلى قبيصة بن ضرار وكان قبيصة على أصحابه يوم الكلاب فلما مات صارت إلى المنذر بن حسان بن ضرار وكان المنذر بن حسان هو الذى قتل مهران الملك يوم القادسية . فلما مات المنذر صارت إلى غيلان ابن حرشة بن عمرو بن ضرار . فلما مات صار إلى ابنه مكحول بن غيلان اه.فقوله فى هذا الخبر: ثم تحول البيت يعنى الشرف والرياسة يفهم أن ما فى هذا الخبر من قوله :فلما مات صار البيت من هذا المعنى وذلك يخالف المعنى المقصود بهذه الترجمة والله أعلم بالصواب .



الباب التاسع والعشرون

فى ذكر من ولى الإجازة بالناس من عرفة ومزدلفة ومنى من العرب فى ولاية جرهم، وفى ولاية قريش، وفى ولاية خزاعة وقريش على مكة

قال ابن إسحاق : وكان الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر يلى الإجازة للناس بالحج من عرفة وولده من بعده وكان يقال له : ولولده صوفة وإنما ولّى الغوثَ بن مر أن أمه كانت امرأة من جرهم كانت لا تلد فنذرت لله إن هى ولدت رجلا أن تصدق به على الكعبة عبداً لها يخدمها ويقوم عليها فولدت الغوث وكان يقوم على الكعبة فى الدهر الأول مع أخواله من جرهم فولى الإجازة بالناس من عرفة لمكانه الذى كان به من الكعبة، وولده من بعده حتى انقرضوا فقال مر بن أد لوفاء نذر أمه[1] :

إنى جعلت ربِّ من بُنَيَّهْ رَبيطَةً بمكة العَلِيَّهْ
فبارِكَنَّ لى بهـا أليَّه واجعله لى من صالح البريَّة

وكان الغوث بن مر زعموا إذا دفع بالناس يقول :

لا هم إنى تابع بتسامح إن كان إثم فعلى قضاعة

قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد . قال : كانت صوفة ترفع بالناس من عرفة ، وتجيز لهم إذا نفروا من منى إذا كان يوم النفر أتوا لرمى الجمار ،قام رجل من صوفة يرمى للناس لا يرمون حتى يرمى، فكان ذوو الحاجات المستعجلون يأتونه فيقولون له : قم فارم حتى نرمى معك . فيقول : لا والله حتى تميل الشمس فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجيل يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك ، ويقولون له : ويلك قم فارم ، فيأبى عليهم حتى إذا مالت الشمس قام فرمى ، ورمى الناس معه قال ابن إسحاق : فإذا فرغوا من رمى الجمار وأرادوا النفر من منى أخذت صوفة بجانب العقبة فحبسوا الناس . وقالوا : أجيزى بنى صوفة فلم يجز أحد من الناس حتى يجيزوا ، فإذا نفدت صوفة ومضت خلى سبيل الناس فانطلقوا بعدهم فكانوا كذلك حتى

---

(١) هكذا وردت ولعلها «لوفاء نذر زوجه» لأن امرأة مر هى أم الغوث وهى التى نذرت ووفت كما أشارت إلى ذلك رواية ابن إسحق .

انقرضوا فورثهم من بعــدهم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكانت من بنى سعد فى آل صفوان بن الحارث ابن شحنة بن عطارد قال ابن هشام : صفوان : هو ابن حباب بن شحنة بن عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم قال ابن اسحاق : فـكان صفوان هو الذى يجيز للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده حتى كان آخرهم هو الذى قام عليه الإسلام كرب بن صفوان ، فقال ابن مَغْرى السعدى :

لا تبرح الناس ما حجوا معرفهم حتى يقال أجيزوا آل صفوانا

قال ابن هشام: وهذا البيت فى قصيدة لأوس بن معرى وأما قول ذى الاصبع العدوانى واسمه حرثان بن عمرو :

وعذير الحى من عدوان كانو حية الأرض

بغى بعضهم ظلما فلم يرع على بعض

ومنهم كانت السادات والموفون بالقرض

ومنهم من يجيز النا س بالسنة والفرض

ومنهم من حكم يقضى فلا يَنْقضى ما يقضى

وهذه الأبيات فى قصيدة له لأن الافاضة من المزدلفة كانت فى عدوان فيما حدثنى زياد بن عبد الله عن محمد ابن اسحاق يتوارثون ذلك كابراً عن كابر حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام أبو سيارة عميلة بن الأعزل ففيه يقول شاعر العرب :

نحن دفعنا عن أبى سياره وعن مواليه بنى فزارة

حتى أجار سالمـا حماره مستقبل القبلة يدعو جاره

وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أتان فلذلك يقول: سالما حماره اه .

وذكر الزبير بن بـكار خبر الاجازة من المزدلفة وأفاد فى ذلك مالم يفده ابن إسحاق فأفضى ذلك ذكرنا له.

قال بعد أن ذكر خبر الاجازة من عرفة : قال أبو عبيدة : والثانية الافاضة من جمع غداة النحر إلى منى فكان ذلك إلى بنى زيد بن عدوان بن عمرو بن قيس بن غيلان فـكان آخر من ولى منهم أبو سيارة عميلة بن الأعزل بن خالد بن سعد الحارث فـكان إذا أراد أن يفيض بالناس غداة جمع قال :

مهلا صاحب الاتون الجلعد اللهم اكف أبا سيارة الحسد

ثم يفيض بالناس فقال قائل :

نحن دفعنا عن أبى سياره وعن مواليه بنى فزاره
حتى أفاض محرما حماره مستقبل القبلة يدعو جاره

وكان يقال : أصح من حمار أبى سيارة . قال أبو الحسن الأشرم : قال أبو عبيد: أظنه كان سمينا .قال محمد بن الحسن:عاش حمار أبى سيارة أربعين سنة لا يصيبه فيها مرض . فيقال : أصح من عير أبى سيارة اه .

وذكر الزبير بن بكارفيما نقل عنه الفاكهى ما يستغرب فى نسب أبى سيارة وفى انتقال الاجازة من صوفة إلى عدوان لأنه قال : فأما الزبير بن أبى بكر قال : حدثنى إبراهيم بن المنذر عن عبدالعزيز بن عمران قال :أخبرنى عقال بن شبة قال : فلم تزل الاجازة إلى عقد صوفة حتى أخذتها عدوان فلم تزل فى عدوان حتى أخذتها قريش ، ثم كان الحج مختلفاً فكانت قريش تدفع بمن معها من المزدلفة وكان أبو سيارة يدفع بقيس من عرفة وأبو سيارة من بنى عبد بن معيص بن عامر بن لؤى وقيس أخواله اه . وإنما كان هذا مستغربا لأنه يقتضى أن أبا سيارة من قريش والمعروف أنه من عدوان كما ذكر الزبير فيما سبق وغيره من أهل الأخبار، ولأنه يفهم أن الإجازة صارت من صوفة إلى عدوان والمعروف أن صوفة لم يزالوا يجيزون بالناس من عرفة حتى جاء الإسلام وان آخر من أجاز منهم كرب ابن صفوان على ما ذكر ابن اسحاق وغيره . وأما ما فى هذا الخبر من أن قريشا أخذت من عدوان الإجازة فكأنه أشار بذلك إلى ما وقع لقصى من أخذ ذلك من عدوان وصوفة ، ثم ترك ذلك قصى لأنه يراه دينا .

وذكر الفاكهى من خبر أبى‌سيارة ، وخبر الإفاضة من عرفة ، ومن‌مزدلفة ، غير ماسبق، فاقتضى ذلك ذكره. لأنه قال : وحدثنى أحمد بن سليمان ، قال : حدثنا زيد بن مبارك ، قال : حدثنى أبو ثور ، عن ابن جريج ، قال: وقال مولى ابن عباس : وكانت الحمس من عدوان ، قال : وكانوايقومون بالمزدلفة حتى يدفعوهم، ومن يعرف بعرفة من المزدلفة غداة جمع ، وكان يدفع بهم أبو سيارة على حمار له ، وكان يقول : أشرق ثبير كيما نغير .

وقال أيضاً : وحدثنا حسن بن الحسين الأزدى عن أبى عبد الله بن الأعرابى عن هشام بن الكلبى عن أبيه نحوا من الأحاديث الأولى ، وزاد فيه : فكان كرب بن صفوان بن شحنة بن عطارد يأخذ بالطريق فلا يفيض أحد من عرفات حتى تغيب الشمس . وكان يلى ذلك منهم ــ يعنى الإجازة ــ كرب بن صفوان ، وكانوا يقفون ولا يعرفون الوقوف بها فيقيمون يفتخرون بآبائهم ، و بأفعالهم ، و يسألون لدنياهم ، فأنزل الله عز وجل (فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا) الآية ، فإذا غربت الشمس‌سارع نحو جمع و يسيرون خلفه ، لكل حى مجيز سوى ذلك حتى يأتوا الحمس فى جوف‌الليل فيقضوا معهم وقد أخذ الطريق لايخرج أحد قبل طلوع‌الشمس فإذا أصبحوا

قام أبو سيارة عميلة بن الأعزل بن خالد بن الحرث العدوانى فقال : أشرق ثبير كيما نغير ، اللهم إنى سالك طريقة قريش فبين لنا يا رب حقنا ، ثم يقول : اللهم أصلح بين نسائنا ، وبغض بين رعائنا ، واجعل أموالنا عند سمحائنا ، ثم يفيض من مزدلفة إلى منى على فرس له وإن حمير عرضت لأبى سيارة ذات عام فقالوا : نحن أولى بهذا منك . فقال : كذبتم فى بلدى ونسكى ، ودينى ، هذا أمر نحن شرعناه أولا وبنا اقتدت العرب فيه . وهذا ميراث لنا عن آبائنا ، والحرمة حرمتنا ، فأبوا عليه ، وتعلقوا بلجامه ، فقال : يا آل قيس فلم يكن بها كثير أحد من قيس ، فقال : يا آل مضر فثار إليه بنو أسد بن خزيمة وبنو كنانة واستنقذوه . ثم قالوا : والله لا يجيز بهم إلا على حمار . فإنهم قد استيطنوا من الخيل فحملوه على حمار ثم رفوا حوله قليلا قليلا وهم يقولون :

نحن دفعنا عن أبى سياره   وعن مواليه بنى فزاره
حتى أجاز سالما حماره   مستقبل الكعبة يدعو جاره

وقد قال ذو الإصبع العدوانى (ومنهم من يجيز الحج بالسنة والفرض) ، فإذا أتى الناس منى ، قام فيهم رجل يقال له : صوفة كان على صدقة الكعبة . وكان الذى يجيز بهم من صوفة ثور بن أصفر فإذا جاز الناس فى الأبطح اجتمعت كندة إلى بكر بن وائل فأجازوا بهم حتى يبلغ البيت وقال الشاعر :

وكندة إذ ترعى عشية حجنا   يجيز بها حجاج بكر بن وائل

قال فلم يزل أبو سيارة يجيز بالناس حتى أتاهم قصى بن كلاب اهـ . وقوله فى هذا الخبر فإن أجاز الناس فى الأبطح اجتمعت كندة إلى بكر بن وائل فأجازوا بهم حتى يبلغوا البيت ،وهذه الإجازة لم أرها مذكورة فى غير هذا الخبر ، وكذلك مافيه من أن أنسا العدوانى كان يقول مع أبى سيارة : أشرق ثبير كيما نغير ، وكذلك قصة أبى سيارة مع حمير وغير ذلك من الأمور التى لم أرها فى غيره من الأمور التى لا يبعد أن تكون وقعت .

وأما قوله فيه فلم يزل أبو سيارة يجيز بالناس حتى أتاهم قصى ففى صحته نظر لأن أبا سيارة قام فى الإسلام وهو يجيز بالناس من المزدلفة على ماذكر ابن إسحاق وغيره من أهل الأخبار وبين قيام الإسلام وعهد قصى دهر طويل[1] ، وقد ذكر الفاكهى أيضا خبرا يخالف ذلك لأنه قال : حدثنا الحسن بن عثمان عن الواقدى قال : وحدثنى عمران بن أبى أنس عن محمد بن سعيد بن المسيب عن أبيه عن حويطب بن عبد العزى قال : رأيت أبا سيارة يدفع بالناس من جمع على أتان له عقوق اهـ . وجمع هى المزدلفة ووجه مخالفة ذلك لما سبق أن حويطب بن عبد العزى من مُسلمة الفتح ويبلغ عمره مائة وعشرين سنة ستون فى الإسلام وستون فى الجاهلية ورؤيته له كانت قبل إسلامه وذلك

(١) ذكر المؤرخون فى تحديد تاريخ قصى بن كلاب أنه استولى على أمر مكة والبيت الحرام وانتزع ذلك من خزاعة سنة ٤٤٠ م فيكون بينه وبين قيام الإسلام حوالى مائة وسبعين عاما ، وهو بلاشك دهر طويل .

يقتضى تأخر أبى سيارة إلى قرب الإسلام ، وقد ذكر السهيلى فيما يتعلق بأبى سيارة مالم أره لغيره لأنه قال بعد أن ذكر ما ذكره ابن إسحاق فى اسم أبى سيارة : وقال غيره اسمه العاص قاله الخطابى ، واسمه الأعزل خالد ذكره الأصبهانى . قال : فكانت له أتان عطر خطامها ليف . ثم قال: وهو أول من جعل الدية مائة من الإبل فيما ذكر أبو اليقظان حكاه عنه حمزة بن الحسن الأصبهانى قال : وهو الذى يقول :* لا هم انى تابع تباعه * ا هـ .وفيما ذكره السهيلى من أن أبا سيارة هو القائل : *لا هم انى تابع تباعه * ، نظر لمخالفته ما ذكره ابن إسحاق فإنه ذكر أن قائل ذلك هو الغوث بن مر وقد سبق ذلك .

ومن الغريب أن السهيلى ذكر مايقتضى أن القائل ذلك هو الغوث بن مر لأنه قال : فصل ، وذكر قصة الغوث ابن مر ودفعه بالناس من عرفة ، وقال بعض نقلة الأخبار : إن ولاية الغوث بن مر كانت من قبل ملوك كندة . وقوله : إن كان آثما فعلى قضاعة . إنما خص قضاعة بهذا لأن منهم مُحِلين يستحلون الأشهر الحرم كما كانت خثعم وطيء تفعل وكذلك كانت النسأة إذا حرمت صفرا أو غيره من الأشهر بدلا من الشهر الحرام، يقول قائلهم: قد حرمت عليكم الدماء إلا دماء المحلين[1] ا هـ . فاستفدنا من ذلك فوائد:منها موافقة السهيلى على أن القائل : لا هم إنى تابع تباعه . هو الغوث لأن البيت الذى أفاد فيه السهيلى معنى تخصيص قضاعة بالذكر قائله هو القائل : * لا هم إنى تابع تباعه * .

ومنها كون ولاية العرب إلى منى للإجازة بالناس كانت من قبل ملوك كندة اهـ.قال السهيلى : وقوله :*عن مواليه : بنى فزاره يعنى بمواليه بنى عمه[2] لأنه من عدوان وعدوان وفزارة من قيس عيلان . وقوله :* مستقبل القبلة يدعو جاره *أى يدعو الله عز وجل يقول * اللهم كن لنا جارا نحن نخافه*، وذكر السهيلى أيضا فيما يتعلق بما ذكره ابن إسحاق من خبر عدوان وصوفة فوائد حسن ذكرها .

فما ذكره فيما يتعلق بعدوان قوله : وأما ذو الإصبع الذى ذكره يعنى ابن إسحاق فهو حرثان بن عمرو ويقال حرثان بن الحارث بن الحجرد بن ربيعة بن جبيرة بن ثعلبة بن حرب وحرب هو والد عامر بن الضرب الذى كان حكم العرب ، ثم قال: وكذلك كان ذو الإصبع حكما فى زمانه وعمره ثلاثمائة سنة وسمى ذو الإصبع لأن حية نهست إصبعه وجدهم ضرب هو ابن عمرو بن عباد بن يشكر بن بكر بن عدوان واسم عدوان تيم وأمه جديلة بنت أد ابن طابخة ،وكانوا أهل الطائف فكثر عددهم فيها حتى بلغوا بها سبعين ألفا ثم هلكوا فبغى بعضهم على بعض

(١) النسأة:هم الذين يؤخرون حرمة شهر إلى شهر آخر أو يؤخرون حل شهر إلى شهر آخر، وسيأتى تفصيل ذلك.

(٢) كلمة الموالى تطلق بإطلاقات كثيرة، فهى تطلق على الرب والسيد والناصر والحليف والجار والرقيق المعتق ، وتطلق على أبناء العم والعصبة كلها، ومنه قوله تعالى : (وإنى خفت الموالى من ورائى).

وكانت ثقيف وهى قسى بنت منبه صهراً لعامر بن الضرب كانت تحته زينب بنت عامر وهى أم أكثر ثقيف ، وقيل : هى أخت عامر ، ثم قال : فلما هلكت عدوان وأخرجت بقيتهم ثقيف من الطائف صارت الطائف بأثرها لثقيف إلى الآن .

وقوله : « حية الأرض » يقال : فلان حية الأرض وحية الوادى إذا كان مهيباً يذعر[1] منه ، ثم قال وقوله : *عذير الحى من عدوان *، نصب عذيراً على الفعل المتروك إظهاره كأنه يقول : هاتوا عذيره أى من يعذره . فيكون العذير بمعنى العاذر ويكون أيضا بمعنى العذر مصدرا كالحدث ونحوه .

وقال السهيلى فيما يتعلق بصوفان قال : يعنى الزبير بن بكار ، قال أبو عبيدة : وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى البيت من غير أهله أو أقام بشىء من خدمة البيت أو بشىء من أمر المناسك يقال لهم : صوفة وصوفان . قال أبو عبيدة : وإنهم بمنزلة الصوف ، فيهم القصير والطويل والأسود والأحمر ليسوا من قبيلة واحدة ، وذكر أبو عبد الله يعنى الزبير أنه حدثه أبو الحسن الأشرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى قال : إنما سمى الغوث ابن مر صوفة لأنه كان لا يعيش لأمه ولد ، فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيطاً للكعبة . ففعلت فقيل له صوفة ولولده من بعده وهو الربيط .

وحدث إبراهيم بن المنذر عبد العزيز بن عمران قال : أخبرنى عقال بن شبة قال : قالت أم تميم بن مر وولدت نسوة ، فقالت : لله علىّ نذر لئن ولدت غلاماً لأعبدنه للبيت ؛ فولدت الغوث أكبر من ولد من مر ، فلما ربطته عند البيت أصابه الحر فمرت به ، وقد سقط وروى واسترخى ، فقالت : ما صار ابنى إلا صوفة فسمى صوفة اه . ورأيت فيما نقله الفاكهى عن الزبير بن بكار ما ذكره الزبير فى تسميته صوفة عن أبى عبيدة وعن إبراهيم بن المنذر . وذكر الأزرقى فى خبر صوفة ما يستغرب لأنه قال فى باب حج الجاهلية : وانساء الشهور بعد أن ذكر خبراً طويلاً رواه عن جده عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن محمد بن إسحاق عن الكلبى قال: قال يعنى الكلبى، وكانت الإفاضة فى الجاهلية إلى صوفة ،وصوفة رجل يقال له: أخزم بن العاص بن عمرو بن مازن بن الأسد ، وكان أخزم قد تصدق بابن له على الكعبة يخدمها ، فجعل إليه حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر الخزاعى الإفاضة بالناس على الموقف ، وحبشية يومئذ يلى حجابة الكعبة وأمر مكة يصطف الناس على الموقف فيقول حبشية: أجيزى صوفة، فيقول الصوفى :أجيزوا أيها الناس، فيجوزوا[2] . و يقال إن امرأة أخزم بن العاص بن عمرو بن مازن بن الأزد كانت عاقراً فنذرت

(١) يذعر منه : أى يخاف منه .

(٢) هكذا وردت وصحتها فيجوزون .

إن ولدت غلاماً أن تتصدق به على الكعبة عبداً لها يخدمها ويقوم عليها ؛ فولدت ابن أخزم الغوث فتصدقت به عليها فكان يخدمها فى الدهر الأول مع أخواله من جرهم فولى الإجازة بالناس لمكانة من الكعبة ، وقالت أمه حين أتت نذرها وخدم الغوث بن أخزم الكعبة :

إنى جعلت من بنيه ربيطة بمكة العليه

فاقبل اللهم لاتباعه إن كان إثم فعلى قضاعه[1]

فولى الغوث بن أخزم الإجازة من عرفة وولده من بعده فى زمن جرهم وخزاعة حتى انقرضوا . ثم صارت الإفاضة فى عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر فى زمن قريش فى عهد قصى وكانت من عدوان فى آل زيد بن عدوان يتوارثونه حتى كان الذى قام عليه الإسلام أبو سيارة العدوانى وهو عمير الأعزل بن خالد بن سعيد بن الحارث بن زيد بن عدوان اه . والمستغرب فى هذا الخبر أمور : منها ما يقتضى أن صوفة من قحطان لأن مازن المذكور فى نسب أخزم المشار إليه هو جماع غسان الأزد ؛ ويقال فيه الأسد بالسين مهملة كما وقع فى الخبر أيضاً واسم الأسد دار ، ويقال : دار بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان ، هكذا نسبه الحازمى فى العجالة . ورأيتُه هكذا منسوباً فى السيرة لابن إسحاق تهذيب ابن هشام إلا أنى لم أر فيها ذكر أدد بن مالك ، وزيد بن كهلان . والمعروف فى صوفة أنهم من مضر كما ذكر ابن إسحاق وغيره . وذكر الفاكهى فى ذلك حديثاً رواه بسنده إلى عائشة رضى الله عنها ، لأنه قال : وحدثنى عبد الله ابن أبى سلمة ، قال : حدثنا عبد العزيز بن عمر الفهرى ، عن عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم ، عن عمرة ، عن عائشة ، قالت : وقد كانت فى بعض ولد مضر بن نزار من ولد إسماعيل خلال أربع لا ينكرها العرب ولا يدفعونهم عنها ، يعدون فيها ولاية جرهم الإجازة للناس بالحج من عرفة ، وكان الذى يلى ذلك من مضر الغوث ، بن مر ، بن أد ، بن طابخة ، بن خندق ، بن مضر ، بن نزار ، وولده من بعده . ويقال للغوث وولده من بعده : إن لهم صوفا ، فقالت : أجيزوا صوفة ، اه . وقال الفاكهى : حدثنا الحسن بن عثمان ، عن الواقدى ، قال : حدثنى ربيعة بن عثمان قال : سألت الزهرى هل كانت الإجازة من عرفة أو من جمع عند[2] جمرة العقبة فى أحد من اليمن فى الجاهلية ؟ فقال : لا ، هذا لا يعرف ، إن الصبيان ليعلمون

---

(١) بنية : أى ابنى ؛ ولحقت الكلمة هاء السكت ، وربيطة مفعول ثان لربيطة . العلية : الشريفة . تباعة : أى اتباعا أو تبعة وهو الأوضح . ويروى الشعر الأول من البيت الثانى هكذا :

* اللهم إنى تابع تباعة *

(٢) فى النسخة (ك) : أو عند .

أنه إنما كان فى مضر . قال الواقدى : وسألت عبد الله بن جعفر الزهرى ، هل سمعت الإجازة فى شىء من المشاعر فى الجاهلية كانت فى كنانة ؟ فقال : لا اه . ومنها أنه يفهم أن ابتداء أمر إجازة صوفة بالناس كانت فى زمن ولاية خزاعة بمكة ، والمعروف أن ذلك فى زمن جرهم ، كما فى إحدى الروايتين اللتين ذكرهما الأزرقى فى خبر صوفة ، وهو مقتضى ما ذكره ابن إسحاق وغيره من أهل الأخبار ، ومنها يفهم أن القائل :

لا هم إنى تابع تباعـــه إن كان إثم فعلى قضاعة[1]

أم الغوث ، والمعروف أن قائل ذلك الغوث ـ كما سبق بيانه ـ ومنهايفهم[2] أن الإجازة انتقلت من صوفة بعد انقراضهم إلى عدوان ، وفى ذلك نظر سبق بيانه ؛ ومما يدل لعدم صحة ذلك ما ذكره الفاكهى عن الواقدى ، قال الواقدى : وسألت ربيعة بن عثمان التيمى وعبد الله بن جعفر عن آخر المشركين دفع بالناس من عرفة ، والمزدلفة ، ومنى ، فقال ربيعة آخرهم كرب ، وقال عبـد الله بن جعفر : دفع بهم سـنة ثمان وأنسى أبو تمامة بمنى[3] اه . وكرب المشار إليه هو كرب بن صفوان ، على ما ذكر ابن إسحاق فى السيرة ، وهو من آل صفوان بن الحرث . ويقال : ابن الحباب ، بن شحنة ، بن عطارد ، بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، الذين ورثوا الإجازة بالناس من عرفة من بنى الغوث بن مر بالعقد على ما ذكر ابن إسحاق ، وقد بيّن السهيلى وجه ذلك لأنه قال : وذلك أن سعـدا هو ابن زيد منـاة بن تميم بن مر ، وكان سعدٌ أقعد بالغوث بن مر من غيره من العرب ، انتهى .



(١) إن كان ؛ أى إنى يتبع إتباعا ، فليس على الإثم إنما هو على قضاعة .
(٢) فى النسخة (ك) : ومنها أنه يفهم .
(٣) أنس المذكور هنا هو أنس أبو ثمامة المذكور بعد ذلك .

الباب الثلاثون

فى ذكر من ولى إنساء الشهور من العرب بمكة
وصفة الإنساء ، وذكر الحمس ، والحلة ، والطلس

قال الأزرقى : فيما رويناه عنه بالسند المتقدم حدثنى جدى ، قال : حدثنا سعيد بن سالم ، عن عثمان بن ساج ، عن محمد بن إسحاق عن الكلبى ، فيما رواه عن أبى صالح مولى أم هانىء ، عن ابن عباس ، فذكر شيئاً من خبر الحلة والحمس ثم قال ابن إسحاق : قال الكلبى : فكان أول من أنسأ الشهور من مضر مالك بن كنانة ، وذلك أن مالك بن كنانة نكح إلى معاوية بن ثور الكندى ، وهو يومئذ فى كندة ، وكانت النساءة قبل ذلك فى كندة لأنهم قالوا قبل ذلك ملوك العرب من ربيعة ومضر وكانت كندة من أرداف المقاول فنسىء ثعلب بن مالك ، ثم نسىء بعده الحرث بن مالك بن كنانة ، وهو القلمس ، ثم نسىء بعده القلمس سويد بن القلمس ، ثم كانت النساءة فى بنى فقيم من بنى ثعلبة ، حتى جاء الإسلام ، وكان آخر من نسىء منهم أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية ابن عبدالله بن فقيم ، وهو الذى جاء فى زمن عمر بن الخطاب إلى الركن الأسود ، فلما رأى الناس يزدحمون عليه ، قال : أيها الناس أناله جار فاخروا فخفقه عمر رضى الله عنه بالدرة ، ثم قال : أيها الجلف الجافى قد أذهب الله عزك بالإسلام فكل هؤلاء قد نسىء فى الجاهلية اهـ .

وكلام ابن إسحاق فى سيرة تهذيب ابن هشام يقتضى أن أول من أنسأ الشهور غير مالك بن كنانة . لأنه قال : كان أول من أنسأ الشهور على العرب فأحل منها ما أحل ، وحرم منها ما حرم : القلمس ، وهو حذيفة بن عبد الله ، بن فقيم ، بن عدى ، بن عامر ، بن ثعلبة ، بن الحارث ، بن مالك بن كنانة ، بن خزيمة ، ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد بن حذيفة ، ثم قام بعد عباد قلع بن عباد ، ثم قام من بعد قلع أمية بن قلع ، ثم قام بعد أمية عوف بن أمية ، ثم قام بعد عوف بن أمية أبو ثمامة جنادة بن عوف وكان آخرهم ، وعليه قام الإسلام اهـ . وذكر الفاكهى مايقتضى : أن أول من أنسأ غير مالك بن كنانة وغير القلمس ، لأنه قال ـ بعد أن روى خبراً فى المعنى عن محمد بن السائب الكلبى ويقال : إن أول من أنسأ الشهور عدى بن زيد بن عامر بن ثعلبة بن الحرث ابن مالك بن كنانة . ثم كان بعد عدى حذيفة بن عبدالله بن فقيم ، ثم كان بعده عباد بن حذيفة ، ثم كان قلع

ابن عباد ، ثم كان أمية قلع ، ثم عوف بن أمية ثم جنادة بن عوف ، وقد أدركه الإسلام فيما يقـال وكان أبعدهم ذكراً وأطولهم أمداً يقال أنه أنسأ أربعين سنة والله أعلم أكان ذلك أم لا ؟ أم أقل أم أكثر اهـ ، فهذه ثلاثة أقوال فى أول من أنسأ الشهور والله أعلم بالصواب .

ذكر صفة الإنساء

روينا عن الأزرق بسنده إلى ابن إسحاق عن الـكلبى فى الخبر الذى فيه ماسبق ذكره فى أول من أنسأ الشهور ، قال : والذى ينسىء لهم إذا أرادوا أن يحلوا المحرم قاموا بفناء مكة يوم الصدر . فقال : أيها الناس لا تحلوا حرماتكم وعظموا شعائركم ، فانى أجاب ولا أعاب ، لقول قلته فهنالك تحرمون المحرم ذلك العام. وكان أهل الجاهلية يسمون المحرم صفر الأول وصفراً صفر الآخر ويقولون : صفران ، وشهر الربيع ، وجماديان ، ورجب وشعبان ، وشهر رمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة فـكان ينسىء الإنساء سنة ويترك سنة ليحلوا الشهور المحرمة ، ويحرموا الشهور التى ليست بحرمة ، وكان ذلك من فعل إبليس ألقاه على ألسنتهم فرأوه حسناً . فإذا كانت السنة التى ينسأ فيها يقوم فيخطب بفناء الـكعبة ويجتمع الناس إليه يوم الصدر فيقول : أيها الناس قد أنسأت العام صفر الأول يعنى المحرم فيطرحونه من الشهور ولا يعتدون به ويبتدئون بالقعدة فيقولون : لصفر وشهر ربيع : صفران ، ويقولون لشهر ربيع الآخر والجمادى الأولى : شهرا ربيع ، ويقولون لجمادى الأخرى ورجب : جمادين . ويقولون لشعبان ورجب ولشهر رمضان : شعبان . ويقولون لشوال : شهر رمضان ، ولذى القعدة : شوال ، ولذى الحجة : ذو القعدة ، ولصفر الأول وهو المحرم الشهر الذى أنسأه ذو الحجة ، فيحجون تلك السنة فى المحرم ويبطل من هذه السنة شهر تنسئه ؛ ثم يخطبهم فى السنة الثانية فى وجه الـكعبة أيضا فيقول : أيها الناس لا تحلوا حرماتكم وعظموا شعائركم ، فإنى أجاب ، ولا أعاب ، ولا يعاد لى قول قلته اللهم إنى قد أحللت دماء المحلين : طىء وخثعم فى الأشهر الحرام وإنما أحل دماءهم لأنهم كانوا يعدون على الناس فى الأشهر الحرام من بين العرب فيغزونهم ويطالبون بثأرهم . ولا يعفون عن حرمات الأشهر الحرم على أحد ولو لقى أحدهم قاتل أبيه أو أخيه ولا يستاقون مالا إعظاماً للشهور الحرم إلا خثعم وطىء فإنهم كانوا يغزون فى الأشهر الحرم فهنالك يحرمون من تلك الأشهر المحرم وهو صفر الأول ثم يعدون الشهور على عدتهم التى عدوها فى العـام الأول فيحجون فى كل شهر حجتين ، ثم ينسأ فى السنة الثانية فينسأ صفر الأول فى عدتهم هـذه وهو الصفر الآخر فى العدة المستقيمة حتى يكون حجتهم فى صفر أيضـاً وكذلك الشهور كلها ، حتى يستدير الحج فى كل أربع وعشرين سنة إلى المحرم الذى ابتدأوا منه الإنساء ، يحجون فى الشهور كلها فى كل شهر حجتين ، فلما جاء الله عز وجل

بالاسلام أنزل الله فى كتابه « إنما النسىء زيادة فى الكفر » الآية[١] ، اهـ. باختصار .

وقال السهيلى: وأما نسؤهم الشهر الحرام فكان على ضربين : أحدهما ما ذكره ابن إسحاق من تأخير شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شن الغارات وطلب الثارات . والثانى تأخيرهم الحج عن وقته تحرياً منهم للسنة الشمسية فكانوا يؤخرونه فى كل عام أحد عشر يوماً أو أكثر قليلا حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة فيعود إلى وقته ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض ، وكانت حجة الوداع فى السنة التى عاد فيها الحج إلى وقته ولم يحج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة غير تلك الحجة التى تسمى حجة الوداع وذلك لإخراج الكفار الحج عن وقته ولطوافهم بالبيت عراة والله أعلم، حتى فتح الله مكة على نبيه اهـ .

ذكر الحمس والحلة

قد ذكر خبرهم غير واحد من أهل الأخبار منهم الزبير[٢] بن بكار . لأنه قال : وحدثنى إبراهيم بن المنذر عن عبد العزيز بن عمران قال : الحمس قريش ، وكنانة ، وخزاعة ، من ولدته قريش خاصة من العرب ، وبنو ربيعة ابن عامر حمس وهم ربيعة وكلاب وعامر ولدتهم محد بنت تميم بن غالب وكانوا حمساً ، وإنما سمى الحمس بالكعبة لأنها حَمْساَء حجرها أبيض يضرب إلى السواد قال : وكانت لهم سيرة كانو لا يأتقطون إقطا ، ولا يسلون سمناً ، ولا يبيعون جراراً ، ولا يقفون إلا بالمزدلفة ، ولا يطوفون بالبيت عراة، ولا يسكنون فى بيوت الشعر . وقال غيره : كانوا يعظمون الشهور من الحرم[٣] ويتعاطون الحقوق ، ويرعوون عن المظالم ، وينصفون المظلوم . وحدثنى محمد بن فضالة عن مبشر بن حفص عن مجاهد قال : الحمس قريش وبنو عامر بن صعصعة ، وثقيف ، وخزاعة ، ومدلج وعدوان ، والحرث بن عبد مناة وعضل ، أتباع قريش ، وسائر العرب الحلة . وحدثنى محمد بن حسن عن محمد بن طلحة ، عن موسى بن محمد ، عن أبيه ، قال : لم يكن الحمس بحلف ولكنه دين شرعته[٤] قريش واجتمعوا[٥] عليه . وكانت

---

(١) الآية فى سورة التوبة وهى « إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله . زين لهم سوء أعمالهم . والله لا يهدى القوم الكافرين » .

(٢) عالم أديب إخبارى توفى عام ٢٥٦ هـ .

(٣) فى النسخة (م) : الشهر من الحرم .

(٤) هذه الكلمة زيادة فى النسخة (ك) .

(٥) فى النسخة (ك) : وأجمعوا

الحلة لا تطوف فى حجها إلا فى ثياب جدد ، أو ثياب أهل الله سكان الحرم . ويكرهون أن يطوف فى ثياب عملت فيها المعاصى . فمن لم يجد طاف عريانا ومن طاف من الحلة فى ثيابه ألقاها إذا فرغ فلم ينتفع بها ولا غيره حتى تبلى . قال : وكانت الحمس تطوف فى ثيابها وكانت الحلة تخرج إلى عرفات وتراها موقفاً ومنسكاً وكان موقفها بالعشى دون الانصاب ومن آخر الليل مع الناس بعرج وكان بعض أهل الحلة لايرى الصفا والمروة [1] . و بعضهم يراها ، وكان الذين يرونها خندف وكان سائر الحلة لا يرونها . فلما جاء الله بالإسلام أمر الحمس أن يقفوا مع الحلة بعرفة . وأن يفيضوا من حيث أفاض الناس فيها مع الحلة . وأمر الحلة أن يطوفوا بين الصفا والمروة . وقال : « إن الصفا والمرْوَةَ من شعائِر الله فمن حجَّ البيتَ او اعتمرَ فلا جُنَاحَ عليه أن يطَّوَّف بهما » وذلك أن ناساً قالوا : ما كان أهل الجاهلية ممن يطوف بهما . لا يطاف إلا لإساف ونائلة ، وكان إساف على الصفا ، ونائلة على المروة ، فأعلمهم الله عزوجل أنهما مشعران [2] اه. وقدذكرفى العرب [3] غير من لم يذكره عبد العزيز بن عمران ومجاهد لأن الأزرقى قال : حدثناجدى قال : حدثنا سعيد بن سالم ، عن عثمان بن ساج ، عن محمد بن اسحاق ، عن الكلبى ، عن أبى صالح مولى أم هانئ ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال كانت العرب على دينين : حلة ، وحمس . والحمس قريش ، وكل من ولدت من العرب وكنانة وخزاعة ، والأوس ، والخزرج ، وخثعم [4] و بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وأزد شنوءة وجرم وز بيد ، و بنو ذكوان من بنى سليم وعمرو واللات وثقيف ، وغطفان ، والغوث ، وعدوان ، قضاعة . اه . وغالب المذكورين فى هـذا الخبر لم يذكروا فى الخبرين اللذين ذكرهما الزبير عن عبد العزيز بن عمران ، ومجاهد فى بيان الحمس ، وهم الأوس والخزرج وجشم وأزد شنوءة وجرم وز بيد وعمرو واللات وما عرفته أيضا ، وجشم المشار إليهم فى هذا الخبر المنسوبون [5] إلى جشم بن معاوية بن بكر ، بن هوازن ، بن منصور ، ابن عكرمة ، بن حفصة ، بن قيس عيلان ، أو إلى جشم بن سعد ، بن زيد مناة بن ، تميم ، بن مر ، الذين فيهم دريد بن الصمة [6] الشاعر والله أعلم وليسوا المنسوبين من الخزرج من الأنصار . لكون جشم بن الخزرج هم يدخلون فى الخزرج المذكورين فى هذا الخبر ، والله أعلم [7] وليس كل من ذكر فيه ممن لم يذكر فى الخبر الذى ذكره عبد العزيز ابن عمران ومجاهد فى بيان الحمس يدخل فيمن عد فى قريش ، ممن ولدته قريش . لأن قريشاً لم تلد هذه القبائل كلها

---

(١) أى لايرى وجوب الطواف والسعى بينهما .

(٢) فى النسخة (ك) : مشعر

(٣) « « « : « من الحمس » بعد كلمة العرب .

(٤) فى النسخة (ك) : وجشم (٥) فى النسخة (ك) : هم المنسوبون .

(٦) « ابن الصمة » زيادة ليست فى النسخة (ك) :

(٧) جملة والله أعلم من زيادة النسخة (ك) :

والله أعلم . وفى الخبر الذى ذكره الأزرقى فى بيان الحمس ما يقتضى أن سبب تسميتهم الحمس لشدتهم فى دينهم لأن فيه[١] : و إنما سميت الحمس حمساً للتشديد فى دينهم والأحمسى فى لغتهم المشدد فى دينه اه .وهذا يخالف ما ذكره عبد العزيز ابن عمران فى تسمية الحمس لأنه قال: فى الخبر السابق عنه من كتاب الزبير : و إنما سموا الحمس بالكعبة لأنها حمساء[٢] حجرها أبيض يضرب إلى السواد اهـ . وذكر الأزرقى فى خبر ابن جريج فيه ما يوافق الخبر السابق فى سبب تسمية الحمس ، لأن فيه : والأحمسى المشدد فى دينه وهذا الخبر ذكره الأزرقى فى الترجمة (التى ترجم عليها بقوله : « ماجاء فى فتح الكعبة ، ومن كانوا يفتحونها » وهى قبل الترجمة)[٣] التى فيها الخبر السابق فى بيان الحمس ، وسبب تسميتهم : وقيل فى سبب تسميتهم بالحمس غير ما سبق ، وهو أنهم سموا حمساً لشجاعتهم ، والحماسة الشجاعة . ذكر هذا الخبر المحب الطبرى فى القرى مع القولين السابقين فى سبب تسميتهم فى الباب الثامن عشر من « القرى لقاصد أم القرى[٤] » والله أعلم بالصواب . وفى الخبر الذى فيه بيان الحمس من حالهم غير ماذكره ابن الزبير من حالهم.

ذكر الطلس

هم طائفة من العرب تطوف بالبيت على صفة تختص بها ، ذكرهم السهيلى بعد أن ذكر شيئاً من خبر الحمس والحلة لأنه قال : ولم يذكر يعنى ابن اسحاق الطلس من العرب وهم صنف ثالث غير الحلة والحمس ، وكانوا يأتون من أقصى اليمن طلساً من الغبار فيطوفون بالبيت فى تلك الثياب الطلس فسموا بذلك . ذكره محمد ابن حبيب اه . والطلس لقب لجماعة من أعيان السلف لكونهم لا شعر فى وجوههم ، منهم أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير الأسدى. وشريح بن الحرث القاضى قاضى الكوفة ستين سنة أو أزيد .



(١) اى لأن فى كتاب الأزرقى فى بيان الحمس ما ذكر بعد ذلك .
(٢) فى النسخة م : حمس .
(٣) ما بين القوسين من زيادة النسخة ك .
(٤) اسم كتاب فى تاريخ مكة .

الباب الحادى والثلاثون

فى ذكر شىء من خبر خزاعة ولاة مكة فى الجاهلية ونسبهم ومدة ولايتهم لمكة

وأول ملوكهم لها وغير ذلك من خبرهم وشىء من خبر عمرو بن عامر ماء السماء الذى تنسب إليه خزاعة على ما قيل وشىء من خبره وغير ذلك

ذكر نسبهم

أما نسبهم فاختلف فيه فقيل : إنهم من عدنان ، من ولد قمعة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . واسم قمعة عمير ورجح ذلك ابن حزم فى الجمهرة ، واحتج له بأحاديث تقوم بهـا الحجة . يأتى ذكرها ، وقيل : من [1] ولد الصلت ، بن النضر ، بن كنانة ، ذكر هذا القول ابن قتيبة فيما نقله عنه القطب الحلبى . ونص كلامه : قال ابن قتيبة : وأما النضر بن مالك ، فهو أبو مالك ، والصلت . وأما الصلت فصار إلى اليمن ويقول قوم : إنه أبو خزاعة . ورجعت قريش إلى مالك بن النضر فهو أبوها كلها . اه . وليس كل خزاعة على هذه المقالة من ولد الصلت وإنما بعضهم من ولده لأن ابن إسحاق قال فى السيرة : والذين يعزون إلى الصلت بن النضر بن خزاعة فبنو [2] مليح بن عمرو ، رهط كثير عزة . وأنشد ابن إسحاق فى ذلك [3] شعراً ، وقيل : إنهم من قحطان . والقول الأول نسب لنسّاب مضر لأن ابن إسحاق قال فى سيرته : وأما قمعة فيزعم نساب مضر أن خزاعة من ولد عمرو بن يحيى بن قمعة بن إلياس . اه . ونقل ابن عبدالبر [4] عن ابن إسحاق قال : وخزاعة بن ربيعة ابن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث ، وخندف أمنا وإنما سميت خزاعة لأنهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر ، حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام ، فنزلوا بمر [5] الظهران فأقاموا بها اه .

---

(١) فى النسخة (ك) : انهم من .
(٢) « « « : بنو
(٣) « « « : الكثير فى ذلك .
(٤) « « م : عبدالبر بدون « ابن » وما هنا هو الصحيح .
(٥) هو وادى فاطمة كما يسميه الحجازيون اليوم .

وممن ذكر أن خزاعة من قحطان ، أبو عبيدة ، معمر بن المثنى ، لأنه قال فيما نقله عنه الزبير بن بكار : فلما لم تتناه جرهم عن بغيهم وتفرق أولاد عمرو بن عامر(من اليمن، فانخزع بنو حارثة بن عمرو بن عامر[1])، فأوطنوا تهامة[2] . وسميت خزاعة خزاعة كعب ، وفتح وسعد وعوف وعدى بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو ابن عامر ، وأسلم وملكان ابنا قصى بن حارثة بن عمرو بن عامر اه . وقال ابن الكلبى : عمرو بن لُحى هو أبو خزاعة كلها منه تفرقت وذكر أن لحيًا هو ربيعة بن حارثة ، بن عمرو ، بن عامر ، بن حارثة ، بن امرىء القيس ، بن ثعلبة ، بن مازن ، بن الأزد ، بن الغوث بن نبت ، بن مالك ، بن زيد ، بن كهلان ، بن سبأ . ابن يشجب ، بن يعرب ، بن قحطان ، وقال ابن الكلبى : قوله عمرو بن ربيعة يعنى عمرو بن لُحى كعبا بطن وملحا بطن ، وعديا بطن ، وعوفا[3] وسعداوكل من ولد ربيعة بن حارثة فهم خزاعة . وإنما قيل لهم خزاعة : لأنهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر تخلفوا عنهم وفارقوهم،وكذلك يقال أيضا : لبنى أقصى بن حارثة لأنهم تخزعوا من ولد مازن بن الأزد فى إقبالهم[4] من اليمن . ثم تفرقوا فى البلدان وفى خزاعة بطون كثيرة . وقال محمد بن عبدة بن سليمان النسابة : افترقت خزاعة على أربعة شعوب ، فالشعب الأول ربيعة بن حارثة ، بن عمرو بن عامر ، الأسنّ بن[5] ربيعة ، وهم بنو جفنة . ويقال جفينة الذين بالشام من غسان ، والشعب الثانى : أسلم بن أقصى . والشعب الثالث : ملكان . والشعب الرابع مالك بن قصى بن حارثة بن عمرو بن عامر . وقال : وإنما قيل لهم خزاعة لأنها تخزعت عن عظم الأزد والانخزاع التقاعس والتخلف ، فأقامت بمر الظهران ؛ بجنبات الحرم وولوا حجابة البيت دهراً . وما نقلناه عن أبى عبيدة وابن الكلبى نقله عنهما ابن عبد البر فى كتاب له فى الأنساب وقد ظهر بذلك وفيما ذكرناه عن أبى عبيدة وابن هشام أن خزاعة على القول بأنهم من قحطان من ولد حارثة بن عمرو بن عامر وذلك يرد ما ذكره السهيلى فى الروض الأنف ، لأنه ذكر فى غير موضع من كتابه هذا مايقتضى أن خزاعة من ولد حارثة بن ثعلبة بن عامر لأنه قال : وأسلم إخوة خزاعة ، وهم بنو حارثة بن ثعلبة ، ابن عمرو ، بن عامر ، ذكر ذلك لما تكلم على الحديث الذى احتج به على أن قحطان من عدنان . وهو قوله

---

(١) مابين القوسين من زيادات النسخة «ك» .

(٢) تهامة كل ماكان منخفضا من الأرض . ويطلق هذا الاسم على كل البلاد الحجازية الواقعة على سيف البحر وتمتد إلى سفوح جبال السراة .

(٣) فى النسخة « ك » . وعوفا بطن .

(٤) فى النسخة «م» : فى إقبالهم معهم .

(٥) فى النسخة «م»: من .

عليه السلام : « ارموا يا بنى إسماعيل ، فإن أباكم كان رامياً » حين قال ذلك لقوم من أسلم بن أقصى رآهم النبى صلى الله عليه وسلم يرمون . وقاله السهيلى أيضا : لما تكلم على حديث عمرو بن لحى ، وقد تقدم فى نسب خزاعة وأسلم أنهما ابنا حارثة بن ثعلبة اهـ . وقد وافق السهيلى على ما ذكره فى خزاعة صاحب الاكتفا الحافظ أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعى ، وقد ذكر ابن حزم[1] فى الجمهرة ما يخالف ما ذكره السهيلى فى ثعلبة لأنه قال : لما ذكر أولاد عمرو بن عامر ، وثعلبة الصيصاء بن عمرو من ولده الأوس والخزرج اهـ . وابن حزم أقعد من السهيلى بالأنساب لأنه ممن يعول عليه فيها، كيف وفى كلام غيره من أئمة النسب مايقتضى أن جد خزاعة على القول بأنهم من قحطان حارثة بن عمرو لا ثعلبة بن عمرو ،وذكر السهيلى وجهاً فى الجمع بين قول من قال : إن خزاعة من مضر و بين قول من قال : إنهم من قحطان لأنه قال : وقول النبى صلى الله عليه وسلم . ارموا يابنى إسماعيل ، فإن أباكم كان رامياً . وهو معارض بحديث أكثم بن أبى الجون فى الظاهر إلا أن بعض أهل النسب ذكر أن عمرو بن لحى كان حارثة قد خلف على أمه بعد أن تأيمت من قمعة ولحى صغير ، ولحى هو ربيعة فتبناه حارثة وانتسب إليه فيكون النسب صحيحاً بالوجهين جميعا إلى حارثة بالتبنى و إلى قمعة بالولادة ، وكذلك أسلم بن أقصى بن حارثة فانه أخو خزاعة ، والقول فيه كالقول فى خزاعة ، و قيل فى أسلم بن أقصى بن حارثة أنه من بنى أبى حارثة بن عامر أو من بنى حارثة اهـ . وهذا الجمع يتجه أنه كان المتزوج لأم لحى حارثة[2] بن عمرو بن عامر . لا حارثة بن ثعلبة بن عمرو لما سبق فى ذلك ، وقد بين ابن حزم نسب خزاعة على القول بأنهم من مضر و بين الحجة على ذلك فنذكر ماذكره لما فى ذلك من الفائدة . فأما مااحتج به ابن حزم على أن خزاعة من مضر فهو حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « رأيت عمرو بن عامر ، ابن لحى ، يجر قصبه فى النار » . وكان أول من سيب السوائب ، وحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف أبو خزاعة ، وقال ابن حزم : ليس هذا مخالفاً لما قبله إذ قد ينسبه الولد إلى جده نسبة إضافية ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : «أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب» وحديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ورأيت عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف أبا بنى كعب هؤلاء يجر قصبه فى النار » ، وحديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عرضت على النار ، فرأيت فيها عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف يجر قصبه فى النار . وهو أول من غير دين إبراهيم عليه السلام

---

(١) عالم مشهور أندلسى، توفى عام ٤٦٣ هـ .وكتابه « جمهرة أنساب العرب » مشهور

(٢) فى النسختين : ابن حارثة ، والصواب حذف « ابن » .

وأشبه من رأيت به أكثم بن أبي الجون فقال أكثم : أيضرني شبهه يارسول الله؟ قال :لا، لأنه كافر وأنت مسلم . وحديث سلمة بن الأكوع ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق . فقال : « ارموا بنى اسماعيل فإن أباكم كان رامياً » وهذه الأحاديث كلها في الصحيحين . وأخرج ابن حزم منها الأول والثاني والخامس من صحيح البخاري،وأخرج الثالث من صحيح مسلم بسنده ، وأخرج الرابع من طريق الدار قطني عن المحاملي ، وقال ابن حزم : وأما الحديث الأول ، والثالث ، والرابع ، ففي غاية الصحة والثبات . وأما الثاني ففيه ما فيه ولكن في الأحاديث حجة قاطعة ، وكفاية . ولا يجوز تعدى القول بما فيها ، فخزاعة من ولد قمعة بن مضر بلاشك وليس لأحد مع هذا الكلام [1] وأسلم أخو خزاعة بلاشك عند أحد من النسابين . وقال : فولد قمعة بن إلياس عامر بن قمعة ، وولد عامر بن قمعة قصى ربيعة،وهو لحى بن عامر بن قمعة ، وولد لحى بن عامر بن قمعة عامر بن لحى ، وولد عامر بن لحى عمرو بن عامر بن لحى . وهو عمرو بن لحى نسب إلى جده . وهو أول من غير دين إبراهيم و إسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان ، وولد عمرو بن عامر بن لحى كعباً بطن،وسليحا بطن . وعوفا بطن . أمهم أسدية . وعديا بطن،أمه أيضا أسدية ، وسعدا أمه خارجة. اه . و إذا تقرر أن خزاعة من مضر فلا يظهر تسميتها لخزاعة معنى ، و إذا كانوا من قحطان فذلك لانخزاعهم عن قومهم بمكة . والانخزاع هو المفارقة،وفي ذلك يقول عوف بن أيوب الأنصاري الخزرجي :

فلمَّا هَبَطْنَا بطن مُرٍّ تَخَزَّعَتْ * خزاعةُ منَّا في حُلُولٍ كراكر
حمتْ كلَّ وادٍ من تِهامةَ واحْتَمَتْ * بصُمِّ القَنا والمرهفـات البواترِ

هكذا ذكر ابن هشام في السيرة هذين البيتين لعوف بن أيوب الأنصاري، وقال : هذان البيتان له في قصيدة، وأنشدهما الأزرقي لحسان بن ثابت الأنصاري ، وذلك في خبر طويل رواه عن أبي صالح ذكر فيه خبرجرهم وخزاعة، وفيه قال حسان بن ثابت الأنصاري يذكر انخزاع خزاعة بمكة ومسير الأوس والخزرج الى المدينة ،وغسان إلى الشام:

فلما هبطنا بطن مُرٍّ تخزعت * خزاعة منا في حلول كراكر
حموا كل واد في تهامة واحتموا * بصُم القنا والمرهفات البواتر
فكانت لها المرباع في كل غارة * بنجد وفي كل [2] الفجاج الغوابر
ونحن ظللنا أهل اجتهاد وهجرة * وأنصارنا جند النبي المهاجر

وذكر بقيتها وهي تسعة أبيات تتضمن مدح الأنصار وغسان .

(١) هكذا وردت ، وصوابها : كلام دون ألف ولام .
(٢) كلمة « وفي كل » ساقطة من الأصل في النسخ كلها .

ذكر سبب ولاية خزاعة لمكة فى الجاهلية

قد سبق فى أخبار جرهم ابتداء ولاية خزاعة لمكة ؛ واختلاف ما ذكره ابن إسحاق والكلبى فى سبب ولايتهم لمكة فأغنى ذلك عن اعادته ونذكر ههنا غير ما سبق مما يقتضى ذلك . قال الفاكهى ، بعد أن روى فى هذا المعنى أخبارا : قال ابن أبى سلمة ، وابن إسحاق فى حديثهما : فلم يزل الأمر بجرهم ، وغبشان وبكر حتى اقتتلوا فغلبتهم بكر وغبشان وظهروا عليهم ، ووطئوهم ، ونفوهم من مكة إلى ما حولها ، وولوا عليهم البيت وما كانوا يلون بمكة من الحكم وغيره اه . وذكر الزبير وغيره من أهل الأخبار ما يقتضى أن سبب ولاية خزاعة للبيت غير ما ذكره ابن إسحاق ، وذلك أن امرأة من خزاعة يقال لها قدامة كانت متزوجة فى بنى إياد بن نزار نظرت إلى بنى إياد لما دفنوا الحجر الأسود حين خرجوا إلى العراق بعد أن تعذر عليهم حمله فإنهم لم يحملوه على شىء إلا اعجز. ففقدت مضر الركن . فعظم ذلك فى نفوسها ، ورأت المرأة الخزاعية عظم مشقة ذلك .[1] فأمرت قومها أن يأخذوا على مضر أن يولوهم حجابة البيت وتدلهم المرأة على الركن ففعلوا ذلك ، ووافقتهم عليه مضر ، ودلتهم المرأة على الحجر الأسود ، فابتحثوه من تحت الشجرة وأعيد إلى مكانه ووليت خزاعة بعد ذلك[2] . ولم يبرح فى أيديهم حتى قدم قصى ؛ هذا معنى ما ذكره الزبير والكلبى فى هذا الخبر وقد سبق قريباً ، وبان بذلك أن سبب ولاية خزاعة للبيت غير ما ذكره ابن اسحاق . والله أعلم بالصواب .

ذكر مدة ولاية خزاعة لمكة فى الجاهلية

قال الأزرقى فيما رويناه عنه بالسند المتقدم : قال : حدثنى جدى ، قال : حدثنا سعد بن سالم . عن عثمان بن ساج عن ابن جريج ، وعن أبى اسحاق يزيد أحدهما على الآخر . قال : قامت خزاعة على ما كانت عليه من ولاية البيت ، والحكم بمكة ثلاثمائة سنة ، وكان بعض التبابعة قد سار إليه وأراد هدمه وتخريبه ، فقامت دونه خزاعة فقاتلت عليه أشد القتال حتى رجع ، ثم آخر كذلك . وقال الأزرقى أيضا فيما رويناه عنه بالسند المتقدم : حدثنى جدى ، قال : حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن الكلبى عن أبى صالح فذكر خبراً طويلاً فى خبر جرهم وخزاعة ، قال فيه : فكان عمرو بن لحى على البيت وولده من بعده خمسمائة سنة ، حتى كان آخرهم جليل ابن حبشية بن سلول بن كعب فزوج إليه قصى ابنته من ابنه خليل وكانوا هم حجابه وخزانه والقوام به وولاة

(١) فى النسخة « م » : ذلك عليهم .
(٢) « « : عند ذلك البيت .

الحكم بمكة وهو عامر ولم يخرب فيه خراب ولم تبن خزاعة فيه شيئاً بعد جرهم ولم يسرق منه شيء علمناه ولا سمعنا به ، وترادفوا على تعظيمه والذب عنه، وقال فى ذلك عمرو بن الحارث بن عمرو الغبشانى :

نحن وليناه فلم نغشه وابن مضاض قائم يهشه
يأخذ ما يهدى له يعشه نترك مال الله ما نمسه

ذكر من ولى البيت من خزاعة وغير ذلك من خبر جرهم

اختلف فى أول ملوك خزاعة بمكة ، فقيل : عمرو بن لحى ، ولحى هو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر على القول بأنهم من قحطان . ويدل لذلك خبر رواه الزبير بن بكار عن أبى عبيدة فيه ذكر شىء من خبر جرهم وخزاعة ، لأن فيه : فاجتمعت خزاعة عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وأمه فهيرة بنت عمرو بنت الحرث بن مضاض الجرهمى، وليس بابن مضاض الأكبر فاقتتلوا ثم قال فيه بعد ذكره لخروج من بقى من جرهم إلى جشم من أرض جهينة : وولى البيت عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر اه . وذكر الفاكهى خبراً يقتضى أن عمرو بن لحى أول ملوك خزاعة وفيه ذكر شىء من خبره ، وخبر جرهم . لأنه قال : ويقال فى رواية أبى عمرو الشيبانى: إن حجابة البيت صارت إلى خزاعة ، لأن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة ابن مازن تزوج فهيرة بنت الحرث بن مضاض الجرهمى ، فولدت له عمرو بن ربيعة فلما شب عمرو وساد وشرف طلب حجابة البيت، فعند ذلك نشبت الحرب بينهم وبين جرهم . وذكروا : أن عمرو بن ربيعة عاش ثلاثمائة وخمساً وأربعين سنة وبلغ ولده فى حياته ألف مقاتل من ولد كعب وعدى وسعد ومليح وعوف بن عمرو ، وكانت بينهم حروب طويلة وقتال شديد ، ثم إن خزاعة غلبوا جرهماً على البيت وخرجت جرهم حتى نزلت وادى إضم[1] فهلكوا فيه وكان عمرو بن ربيعة أول من غير دين إبراهيم عليه السلام وأنه خرج إلى الشام فاستخلف على البيت رجلاً من بنى عبد بن ضخم يقال له : آكل المروة[2] وعمرو يومئذ وأهل مكة على دين إبراهيم عليه السلام . فلما قدم الشام نزل البلقاء[3] فوجد قوماً يعبدون أوثاناً فقال : ماهذه الأنصاب التى أراكم تعبدون ؟ فقالوا : أرباباً نتخذها نستنصر بها على عدونا ، فننصر ، ونستشفى بها من المرض فنشفى ، فوقع قولهم فى نفسه . فقال :

---

(١) إضم بالكسر فى أوله: واد فى الشمال الغربى من مكة يصب فى البحر .

(٢) كذا بالاصل ، وأظنها آكل المرار .

(٣) البلقاء : هى ماتسمى اليوم بشرق الاردن .

هبوا لى منها واحداً نتخذه ببلدى ، فإنى صاحب بيت الله الحرام و إلىّ وفد العرب من كل صوب ، فأعطوه صنماً يقال له : هبل ، فحمله حتى نصبه للناس بمكة . فتابعته العرب على ذلك ، وذكر بقية الخبر . وقد سبق فى القول الرابع فى سبب خروج جرهم ، وذكر الأزرقى شيئاً من خبر عمرو بن لحى وأبان فيه غير ما سبق لأنه روى خبراً طويلا فى ولاية خزاعة بعد جرهم . وفى الخبر : فتزوج لحى وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر فهيرة بنت عامر بن عمرو بن الحرث بن مضاض بن عمرو الجرهمى ؛ فولدت له عمراً وهو عمرو بن لحى ، و بلغ ـ بمكة وفى العرب ـ من الشرف ما لم يبلغ عربى قبله ولا بعده فى الجاهلية . وهو الذى قسم بين العرب فى حطمة حطموها عشرة آلاف ناقة . وقد كان عوّر عشرين فحلا ، وكان الرجل فى الجاهلية إذا ملك ألف ناقة فقأ عين فحل إبله ، فكان قد فقأ عشرين فحلا ، وكان أول من أطعم الحاج بمكة سدائف الإبل ولحمانها على الثريد ، وعمّ فى تلك السنة جميع حاج العرب بثلاثة أثواب من برود اليمن ، وكان قد ذهب شرفه فى العرب كل مذهب ، فكان قوله فيهم ديناً متبعاً ، لايخالف وهو الذى بحر البحيرة ، ووصل الوصيلة ، وحمى الحام ، وسيب السوائب ، ونصب الأصنام حول الكعبة. وجاء بهبل من هيت من أرض الجزيرة فنصبه فى بطن الكعبة ؛ فكانت قريش والعرب تستقسم عنده بالأزلام . وهو أول من غيّر الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام ، وكان أمره بمكة فى العرب مطاعا لايعصى ، وكان بمكة رجل(١) من جرهم على دين إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام وكان شاعراً ؛ فقال لعمرو بن لحى حين غيّر دينه الحنيفية :

يا عمرو لا تظلم بمكـــة إنها بلد حرام
سائل بعاد أين هم وكذاك تخترم الأنام
ومن العماليق الذيـــن لهم بها كان السوام

فزعموا أن عمرو بن لحى أخرج ذلك الجرهمى من مكة فنزل بإضم من أعراض مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال الجرهمى وتشوق إلى مكة :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة وأهلى معا بالمأزمين حلول
وهل أرين العيس تنفخ فى الثرى لها بمنى والمأزمين زميل(٢)
منازل كنا أهلها لم يحل بنا زمان بها فيها أراه يحول
مضى أوّلونا قانعين بشأنهم جميعا وغالتنا بمكة غول اهـ

وقيل : إن أول ملوك مكة من خزاعة ، لحى : وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر والد عمرو بن لحى السابق ذكره ، وهذا القول ذكره الأزرقى لأنه روى بسنده خبراً طويلاً فى خروج جرهم من مكة . وولاية خزاعة

(١) هو الحارث بن مضاض .
(٢) العيس : الإبل . الزميل : صوت الإبل فى حدائها .

لها بعدهم ، وفيه بعد[1] أن ذكر تفرق أولاد عمرو بن عامر فى البلاد : وانخزعت خزاعة بمكة فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحى فولى أمر مكة وحجابة البيت انتهى . وقيل : إن أول ملوك خزاعة بمكة عمرو ابن الحارث الغبشانى ، ويدل لهذا القول ما ذكره الزبير بن بكار عن أبى عبيدة ، لأن فى الخبر الذى ذكره فى إخراج خزاعة لجرهم من مكة بعد قوله : وولى البيت عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر . وقال أبو قصى : بل وليه عمرو بن الحارث بن عمرو أحد بنى غبشان بن سليم بن بنى ملكان بن قصى وولى البيت وهو الذى يقول :

ونحن ولينا البيت من بعد جرهم   لنعمره من كل باغ وملحد

وقال أيضا :

واد حرام طيره ووحشه   ونحن ولاته فلا نغشه

ويرى * نحن وليناه فلا نغشه * وزاد غير أبى عبيدة : * وابن مضاض قائم يهشه * [2] .

ونقل الفاكهى ما يقتضى : أن عمرو بن الحارث أول من ولى البيت لأنه قال : قال الواقدى[3] : وحدثنى حرام ابن هشام عن أبيه قال : أول من وليه من غبشان من خزاعة ، وكان الذى وليه منهم عمرو بن الحارث بن لؤى بن ملكان بن قصى ، نصب هبل صنما بمكة . فقال الحارث بن مضاض وهو يعظ عمراً :

ياعمرو لا تفجر بمكة   إنها بلد حرام

فتحصل من هذه الأخبار ثلاثة أقوال فى أول من ولى مكة من خزاعة هل هو عمرو بن لحى كما ذكر أبو عبيدة والفاكهى ؟ أو أبوه لحى كما ذكر الأزرقى ؟ أو ابن[4] الحارث الغبشانى ، كما ذكر أبو عبيدة وابن الكلبى ؟ والله أعلم .

وتحصل من هذا فيمن نصب هبل قولان : أحدهما أنه عمرو بن لحى ، وهو القول المشهور . والآخر عمرو بن الحارث الغبشانى كما نقل الواقدى عن ابن الكلبى .

ورأيت فى « المورد العذب الهنى ، فى شرح سيرة عبد الغنى » للحافظ قطب الدين الحلبى فى ذلك قولا ثالثاً ، لأنه قال : لما ذكر خزيمة جد النبى صلى الله عليه وسلم : وخزيمة هو الذى نصب هبل على الكعبة وكان يقال : هبل خزيمة هكذا ذكر ابن الأثير اهـ .

---

(١) كلمة « بعد » من زيادة النسخة (م) .   (٢) فى النسخة (م) : قائم يغشه .

(٣) هو أبو عبد الله الواقدى صاحب كتاب فتوح الشام وقد توفى نحو عام ٢١٦ هـ

(٤) فى النسخة (ك) : أو عمرو ابن .

وذكر ابن إسحاق ما يقتضي أن غبشان من خزاعة انفردت[1] بالكعبة دون بكر بن عبد مناة بن كنانة لأنه قال بعد أن ذكر إخراج بنى بكر وغبشان لجرهم من مكة : ثم إن غبشان من خزاعة وليت البيت دون بنى بكر بن عبد مناة ، وكان الذى يليه منهم عمرو بن الحرث الغبشانى ، وقريش إذ ذاك حلول و بيوتات متفرقون فى قومهم من بنى كنانة ، فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر حتى كان آخرهم حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى اهـ.

وذكر الفاكهى عن ابن إسحق ما يقتضى أن بنى بكر لم تل مع غبشان البيت ، و إنما كانت بكر عضدا لغبشان ، وأفاد فى ذلك غير ماسبق فاقتضى ذكر ماذكره ونص كلامه : حدثنا عبدالله بن عمران المخزومى قال : حدثنا سعيد بن سالم ، قال : قال عثمان يعنى ابن ساج : أخبرنى محمد بن إسحق ، وحدثنى عبد الملك بن محمد ، عن زياد ابن عبد الله ، عن ابن إسحاق ، يزيد أحدهما على صاحبه فى اللفظ ، قال : ثم إن غبشان من خزاعة وليت البيت من بعد جرهم دون بكر بن كنانة فكانت بكر لهم عضدا وناصرا ممن بغى عليهم . وقد[2] حار بتهم ، وقريش إذ ذاك حلول و اضرام[3] وهم بيوتات متفرقون فى قومهم من بنى كنانة . وكان الذى يلى البيت من غبشان عمرو بن الحارث بن لؤى بن ملكان بن قصى وهو الذى يقول :

نحن وليناه فلم نغشه   وابن مضاض قائم يهشه
يأخذ ما يهدى له يغشه   نترك مال الله لا نمسه

وقال أيضا :

نحن ولينا البيت من بعد جرهم   لنمنعه من كل باغ وظالم
ونمنعه من كل باغ يريده   فيرجع منا عنده غير سالم
ونحفظ حق الله فيه وعهدنا   ونمنعه من كل باغ وآثم
ونترك ما يهدى له لا نمسه   نخاف عقاب الله عند المحارم
وكيف نريد الظلم فيه ور بنا   بصير بأمر الظلم من كل غاشم
فوالله لا ينفك يحفظ أمره   و يعمره ماحج أهل المواسم
ونحن نفينا جرهما عن بلادها   إلى بلدة فيها صنوف المآثم

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من النسخة (م) .

(٢) فى النسخة (ك) : وحاربتهم .

(٣) « « « : فى أضرام .

قال : فوليت خزاعة البيت زمانا طويلا ، وهم أخرجوا أسافا ونائلة من الكعبة فوضعوهما على زمزم ، وذكر الفاكهى خبراً يقتضى بأن قيس بن عيلان [١] أرادوا إخراج خزاعة من مكة فلم يتم لهم أمر لأنه قال بعد أن ذكر شيئاً عن الواقدى : فلما مات عمرو بن لحى ولى البيت من بعده كعب بن عمرو فاجتمعت قيس على عامر بن الظرب العدوانى ، فسار بهم إلى مكة ليخرج خزاعة ، فقاتلتهم خزاعة فانهزمت قيس ووليت خزاعة البيت لاينازعهم أحد . اهـ . واستفدنا من هذا الخبر ولاية كعب بن عمرو بن لحى للبيت بعد أبيه عمرو .

وذكر الفاكهى لبعض عدوان شعرا نال فيه من خزاعة لأن بعض خزاعة قال شعراً تعرض فيه لعدوان فيما يظهر والله أعلم . ونص ما ذكره الفاكهى وقال حليل :

نحن بنو عمرو ولاة المشعر   نذب بالمعروف أهل المنكر

حسا ولسنا بهـذا المحصر

وقال : وأجابه نصر بن الأحت العدوانى :

إن الخنا منكم وقول المنكر   جئنا كمو بالزحف فى المسنور

بكل ماض فى اللقاء مسعر   اهـ

وذكر الفاكهى : عن حليل بن حبشية هذا شعرا آخر ، لأنه قال : وقال حليل بن حبشية :

واد حرام طيره ووحشه   وابن مضاض قائم يهشه   اهـ

وقد سبق فيما ذكره الفاكهى عن ابن إسحاق أن عمرو بن الحرث الغبشانى هو الذى يقول :

نحن وليناه فلم نغشه   وابن مضاض قائم يهشه

ولعل حليلا قال ذلك استشهاداًفينتفى التعارض والله أعلم . وحليل هذا آخر من ولى البيت وأمر مكة من خزاعة على ماذكره الفاكهى فيما رواه بسنده عن عائشة[٢] وابن إسحاق وغيره من أهل الأخبا ر .

وذكر الفاكهى خبرا يقتضى أن أبا غبشان الخزاعى كان شريك حليل فى الكعبة ، وأبو غبشان هوعلى ماذكره الزبير عن الأبرم عن أبى عبيدة : سليم بن عمرو بن لؤى بن ملكان بن أقصى[٣] بن حارثة بن عمرو بن عامر ، ونص الخبر الذى ذكره الفاكهى قال الواقدى : وسمعت ابن جريج يقول : كان حليل يفتح البيت ، فاذا اعتل أعطى ابنته المفتاح حتى تفتحه ، فإذا اعتلت أعطت زوجها قصيا يفتحه . وكان قصى يعمل فى أخذ البيت وحيازته إليه .

---

(١) فى النسخة (ك) : عيلان من مضر

(٢) فى النسخة (ك) بعد عائشة ، رضى الله عنها .

(٣) مضى ذكره على أن اسمه : قصى وهو غير قصى جد الرسول.

وذكر قطع خزاعة منه وكان شريك حليل فيه أبو غبشان وكان حليل يتنزه عن أشياء يفعلها أبو غبشان . وذكر الفاكهى خبرا يقتضى أن حليلا أوصى بولاية البيت لأبى غبشان لأنه قال : حدثنا حسن بن حسين الأزدى قال : حدثنا محمد بن حبيب ، قال : قال عيسى بن بكر الكنانى المدنى قال : قال ابن الكلبى[1] أو غيره : يقال : إن قصيا دعا أبا غبشان الملكانى فقال : هل لك أن تدع الأمر الذى أوصى به إلى حبى وعبد المدان فتخلى بينهما و بينه وتصيب عرضاً من الدنيا فطابت نفس أبى غبشان وأجابهم إلى ذلك فأعطاهم قصى أثواباً وأبعرة ولم يكن أبو غبشان وارثا لحليل ولا وليا إنما كان وصيا فجاز وصيته وصيرت حبى إلى ابنها حجابة البيت ودفعت المفاتيح إليه اه .

وذكر الزبير بن بكار خبراً يقتضى أن حليل بن حبشية جعل لأبى غبشان فتح البيت و إغلاقه ، وأن قصيا اشترى ولاية البيت من أبى غبشان بزق خمر وقعود . وسيأتى هذا الخبر فى أخبار قصى ، وهذا الخبر نقله الزبير عن الأشرم عن أبى عبيدة . وقال الزبير : قال محمد بن الضحاك : اشترى قصى مفتاح بيت الله الحرام من أبى غبشان الخزاعى بكبش وزق خمر . فقال الناس : أخسر من صفقة أبى غبشان فذهبت مثلا . اه .

فتحصل من هذه الأخبار ، فيما اشترى به قصى من أبى غبشان ما كان له فى الكعبة ، ثلاثة أقوال : هل ذلك أثواب وأبعرة ؟ أو هو زق خمر وقعود ؟ أوهو كبش وزق خمر ؟ .

وفى ذلك قول آخر رابع ، وهو زق خمر فقط . وذكر الزبير فى خبر يأتى ذكره فيما بعد فى أخبار قصى ، وفيه أن أبا غبشان كان يلى البيت وأفاد الفاكهى سبباً فى بيع أبى غبشان ما كان له فى البيت لأن فى الخبر الذى نقله الفاكهى عن الواقدى عن ابن جريج بعد قوله « وكان يتنزه عن أشياء يفعلها أبو غبشان » : وكانت البحائر تنحر عند البيت عند اساف ونائلة ، فكان أبو غبشان له من كل بحيرة رأسها والعنق ثم أنه استقل ذلك فأبى أن يرضى بذلك فقال : يزيدون الأكتاف . ففعلوا ، ثم أدب لهم : فقال : يزيدون العجز ، فأبى الناس ذلك عليه . فأتى رجل من بنى عقيل يقال له : مرة بن كثير أو كبير ببدنة له وكانت سمينة فنحرها وأبو غبشان قائم . فقال : ابدأ بالعنق ، والرأس ، والكتف ، والعجز . فقال العقيلى : فما بقى إذا لمن سيقت إليه[2] ؟ قال : الأكارع ، قال : فرفده الناس ومن حضر من قريش وغيرهم وقالوا : عبث ، كنت أولا تقول : الرأس والعنق . فكان هذا أخف من غيره ، ثم تعديت إلى الاكارع فقال : لا أقيم فى هذا البلد أبدا إلا على ذلك . فلما أبوا عليه . قال : من يشترى نصيبى من البيت بأداوة تبلغنى إلى اليمن أو بزق خمر . فاشترى نصيبه فى ذلك قصى وارتحل أبو غبشان إلى اليمن . فقال الناس : أخسر من صفقة أبى غبشان .

(١) هو هشام الكلبى المتوفى عام ٢٠٦ هـ وهو مطعون عليه .

(٢) لفظة « إليه » غير موجودة فى النسخة (م) .

قال الواقدى : وقد رأيت مشيخة خزاعة تنكر هذا . ونقل الفاكهى عن الزبير بن بكار ما يقتضى أن قصيا اشترى مفتاح البيت من أبى غبشان بالطائف ، وهذا يخالف ما فى الخبر الذى قبله ، فإنه يقتضى أن شراء قصى لذلك كان بمكة ، وسيأتى هـذا الخبر فى أخبار قصى ، ويأتى فى أخباره أيضا ما كان بينه وبين خزاعة من القتال وتوليه لما كانت خزاعة تليه من ولاية مكة وحجابة البيت وسكنى خزاعة معه بمكة فى منازلهم التى جاء الإسلام وهم عليها.

وقد ذكر ابن عبد البر فى كتاب له فى الأنساب شيئاً من فضل خزاعة يحسن ذكره هنا ، وذلك أنه قال بعد أن ذكر نسبهم نزول خزاعة الحرم ومجاورتهم قريشا . قال ابن عباس رضى الله عنهما: نزل القرآن بلغة الكعبيين : كعب بن لؤى وكعب بن عمرو بن لحى ، وذلك أن دارهم كانت واحدة ، ويقال لخزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم حلفاء بنى هاشم وقد أدخلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتاب القضية عام الحديبية حين قاضى مشركى مكة معه وأدخلت قريش بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة معهم ، فوقعت حرب بين خزاعة وبين بنى بكر فأعان مشركو قريش حلفاءهم بنى بكر ونقضوا بذلك العهد . فكان ذلك سبب فتح مكة لنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم خزاعة حلفاءه[1] . وروى عنه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ لسحابة رآها : واها هذه السحابة تستهل بنصر ابن كعب ، وأعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم منزلة لم يعطها أحدا من الناس ، أن جعلهم مهاجرين بأرضهم وكتب لهم بذلك كتابا . اهـ . ووقع فيما ذكرناه من خبر عمرو بن لحى ذكر البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، من غير بيان لذلك ، وقد بين ذلك ابن إسحاق ، أما البحيرة فهى بنت السائبة والسائبة : الناقة إذا تابعت من[2] بين عشر إناث ليس بينهن ذكر سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجزّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا الضيف ، فما أنتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذنها ثم خلى سبيلها مع أمها ، فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا الضيف كما فعل بأمها ، فهى البحيرة بنت السائبة ؛ والوصيلة : الشاة إذا أنتجت عشر إناث متتابعات فى خمسة أبطن ليس بينهن ذكر ، جعلت وصيلة . قالوا : قد وصلت فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون الإناث[3] إلى أن يموت منهـا شىء فيشركون فى أكله ذكورهم وإناثهم . قال ابن هشام[4] : ويروى ما كان ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم . قال ابن إسحاق : والحام : الفحل إذا أنتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمى ظهره فلم يركب ولم يجزّ وبره وخلى فى إبله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك . قال ابن هشام : هذا عند العرب على غير هذا إلا الحام فإنه عندهم على ما قال ابن إسحاق : فالبحيرة عندهم الناقة تشق أذنها فلا يركب ظهرها ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها إلا ضيف أو يتصدق به ويهمل

---

(١) وقد أنشد عمرو بن سالم الخزاعى فى ذلك قصيدة طويلة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكرناها فى غير هذا الموضع . فلما سمعها الرسول وعرف منها غدر قريش أقسم قائلا : « والله لأغزون قريشا » .

(٢) فى النسخة (ك) بحذف من . (٣) فى النسخة (ك) : إناثهم .

(٤) هو عبد الملك بن هشام صاحب السيرة المعروف وقدتوفى عام ٢١٣ هـ .

لآلهتهم . والسائبة التى ينذر الرجل أن يسيبها إذا برأ من مرضه ، أو أصاب أمرا يطلبه ، فإذا كان كذلك ساب من إبله ناقة أو جملا لبعض آلهتهم فسابت فصارت لا ينتفع بها ؛ والوصيلة التى تلد أمها اثنين فى كل بطن فيجعل صاحبها لآلهته الإناث منها ولنفسه الذكور فتلدها أمها ومعها ذكر فى بطنها فيقولون وصلت أخاها فيسيب أخاها معها فلا ينتفع به ، حدثنى به يونس وغيره ، وروى بعض من لم يرو بعض .

قال ابن إسحاق : فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أنزل عليه (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) وأنزل عليه(وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم)، وأنزل عليه (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون)، وأنزل عليه (ومن الضَّأن اثنين . ومن المَعزاثنين ، قل آلذكرين حَرَّم أم الأنثيين أمَّا اشتملت عليه أرحام الأنثَيين ، أم كنتم شهداء إذ وصَّاكم الله بهذا ؟ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليُضِل الناسَ بغير علم، إن الله لا يهدى القوم الظالمين) اه . وقال السهيلى : فصل ، وذكر البحيرة والسائبة، وفسر ذلك وفسره ابن هشام بتفسير آخر ، وللمفسرين فى تفسيرهما أقوال ، منها ما يقرب ومنها ما يبعد عن قولهما ، وحسبك منها ماوقع فى الكتاب لأنها أمور كانت جاهلية والله أعلم .

ذكر شىء من خبر عمرو بن عامر الذى تنسب إليه خزاعة وشىء من خبر بنيه

أما عمرو بن عامر المشار إليه فهو عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الأزدى المازنى، هكذا نسبه ابن هشام وابن حزم وابن الكلبى فيما ذكر عبد البر ، ونسبه ابن الكلبى على ما وجدت فى تاريخ الأزرقى على خلاف ذلك. وهو أنه جعل ثعلبة بن حارثة وامرئ القيس ونسبه هكذا المسعودى فى تاريخه ، وذكر غير واحد أنه يقال لعمرو هذا : مزيقيا ، ولابنه عامر ماء السماء ، ولجده حارثة الغطريف . وإنما قيل له : مزيقيا ، على ما ذكر بعضهم لأنه كان يلبس فى كل يوم حلة ثم يمزقها لئلا يلبسها أحد بعده ، وإنما قيل لابنه ماء السماء على ما ذكر السهيلى لجوده وقيامه عندهم مقام الغيث . وكان عمرو بن عامر مالك مأرب بهمزة ساكنة ، وهى بلاد سبأ باليمن التى مزق الله أهلها و باعد بين أسفارهم وأخربها سيل العرم ، كما ذكر الله عز وجل فى كتابه العزيز حيث قال: (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية ، جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم) .

واختلف فى معنى العرم ، فقيل : هو صفة السيل وهو اسم للوادى ، وقيل : اسم لسد عارم كان يقيها من السيل ويحبس الماء على أهلها فيصرفونه حيث شاءوا من بلادهم ، وهذا السد بناه سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وساق إليه سبعين واديا على ماقيل ومات قبل أن يكمله وأكمله ، بعده ملوك حمير . وقيل : بناه لقمان بن عاد الأكبر على ماذكر المسعودى ، وذكر أنه كان فرسخاً فى فرسخ وأن طول البلد أكثر من شهرين للراكب المجد ، وكذلك عرضها[1] ، والشمس لا ترى فيها لاتصال العمارة بالأشجار ، وكانت كثيرة المياه والأنهار والخصب ، طيبة الفضاء ، وكان أهلها فى غاية الكثرة حتى قيل إنهم كانوا يقبسون النار من بعضهم بعضا مسيرة ستة أشهر ، مع اجتماع الكلمة والقوة ، ثم مزقهم الله و باعد بين أسفارهم وأخربت بلادهم بسيل العرم ، كما ذكره الله عز وجل فى كتابه العزيز .

وكان سبب تمزقهم تخوفهم خراب بلادهم بالسيل ، فإن طريفة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر على ما قيل : رأت فى كهانتها أن سيل العرم يُخرب سد مأرب ، فذكرت ذلك للملكهم عمرو بن عامر وأرته لذلك علامات : منها جرد يحفر فى السد ، فلما تحقق ذلك كتمه عن قومه وعزم على الانتقال من بلاده بمكيدة دبرها ، وهو أنه قال لأصغر ولده : إذا تحدثت بحضرة الناس فجاربنى الحديث وزد على حديثى ، فأظهر الغضب عليك وألطمك فافعل بى مثل ذلك . ثم عمل عمرو وليمة عظيمة ودعا أهل مأرب ، فلما اجتمعو عنده تحدث فجاراه ولده الحديث ورد عليه فغضب أبوه ولطمه ففعل به الولد مثل ذلك . فأظهر عمرو أنه يريد قتله فلم يزل الناس به حتى لَفُّوه عنه ؛ فقال : لا أقيم ببلد يلطم فيه وجهى أصغر ولدى . وقيل : إن الذى فعل بهذلك يتيم كان فى حجره وعرض عمرو أمواله للبيع ، فقال بعض أشراف قومه : اغتنموا غضبة عمرو واشتروامنه قبل أن يرضى[2] . ففعلوا ، فلما صار الثمن إليه أخبر الناس بشأن سيل العرم وخرج من بلاده . وذكر ابن هشام أنه انتقل فى ولده وولد ولده ، قال : وقالت الأسد يعنى الأزد لانتخلف عن عمرو بن عامر ، فباعوا أموالهم وخرجوا معه فساروا حتى نزلوا بلاد عك[3] مجتازين يرتادون البلدان ، فحاربتهم عك فكانت حربهم سجالا ففى ذلك ، قال عباس بن مرداس : البيت الذى كتبناه ، يعنى قوله :

وعك بن عدنان الذين بغوا ... بغسان حتى طردوا كل مطرد

ثم ارتحلوا عنه فتفرقوا فى البلدان ، فنزل جفنة بن عمرو بن عامر الشام ، ونزلت الأوس والخزرج يثرب ، ونزلت خزاعة مرا ، ونزلت أسد السراة ، ونزلت أزد عمان اه .

---

(١) هذه الروايات فيها مبالغة ظاهرة لأن الآثار الباقية فى شبه الجزيرة العربية تدل على أن مملكة سبأ كانت جزءاً محدودا من بلاد اليمن ، كما تشير إلى ذلك الروايات التاريخية ، فى مختلف المراجع .

(٢) فى النسخة (م) : يعرض .

(٣) بلاد بين اليمن والحجاز .

وقال شارح القصيدة العبدونية : ولما خرج عمرو بن عامر من اليمن خرج لخروجه منها بشر كثير ، فنزلوا أرض عك لحاربهم عك ثم اصطلحوا وتفرقوا فيها حتى مات عمرو بن عامر فتفرقوا فى البلاد اه .

و إنما ذكرنا هذا الكلام لإفادته حال قبائل عمرو ببلاد عك ما لم يفده كلام ابن هشام ، وليس ما ذكره من إقامتهم ببلاد عك حتى مات عمرو بمقتضٍ لطول إقامتهم بها ، فيكون مخالفاً لما يفهم من كلام ابن هشام من أنهم نزلوها مرتادين . والارتياد يستلزم قصر المدة ؛ لأنه يمكن أن يكون عمرو مات فى زمن الارتياد والله أعلم ، نعم فى كلام الأزرقى ما يقتضى أنه لم يقهرهم أحد ، وذلك يخالف ما ذكره ابن هشام والشارح ، وقد رأيت أن أذكر كلامه لهذا المعنى ولإفادته أموراً أخر من حال قبائل بنى عامر بمكة وغيرها ، وخصوصا حال خزاعة وما آل إليه أمرهم بمكة فى خبر طويل ، وفيه أيضاً شىء من حال جرهم .

وهذا الخبر رواه الأزرقى فى تاريخه عن الكلبى عن أبى صالح ، قال فيه : فباع عمرو أمواله وسار هو وقومه من بلد إلى بلد لا يطأون بلداً إلا غلبوا عليه وقهروا أهله حتى يخرجوا منه ولذلك حديث طويل اختصرناه ، ثم قال : فلما قاربوا مكة ساروا ومعهم ظريفة الكاهنة ، فقالت لهم : سيروا فلن تجتمعوا أنتم ومن خلفتم أبداً فهم لكم أصل وأنتم لهم فرع ، ثم قالت : وحق ما أقول ما علمنى فيما أقول إلا الحكيم العليم المحكم ، رب جميع الناس من عرب وعجم ، فقالوا لها ، ما شأنك ياظريفة ؟ قالت : خذوا البعير الشدقم فخضّبوه بالدم ، يكون أرض جرهم ، جيران بيته المحرم ، قال : فلما انتهوا إلى مكة وأهلها جرهم قد قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بنى اسمعيل وغيرهم ، أرسل إليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر : يا قوم إنا قد خرجنا من بلادنا فلم ننزل ببلد إلا فسح أهلها لنا وتزحزحوا عنا فنقيم معهم حتى نرسل روادنا فيرتادون لنا بلدا يحملنا فافسحوا لنا فى بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح ونرسل روادنا إلى الشام و إلى المشرق فحيث ما بلغنا أنه أمثل لحقنا به وأرجو أن يكون مقامنا يسيراً فأبت جرهم ذلك إباء شديداً ، واستنكروه فى أنفسهم وقالوا : لا والله لا نحب أن ينزلوا معنا فيضيقون علينا مراتعنا ومواردنا فارحلوا عنا بحيث أحببتم فلا حاجة لنا بجواركم فأرسل إليه ثعلبة أنه لا بد لى من المقام بهذا البلد حولا حتى ترجع إلىّ رسلى التى أرسلت ، فان تركتمونى نزلت وحمدتكم وواسيتكم فى الماء والمرعى و إن أبيتم أقمت على كرهكم ثم لم ترتعوا معى إلا فضلا ولا تشربوا إلا نتناً . قال أبو الوليد الأزرقى يعنى : الكدر من الماء ، فأبت جرهم أن تتركه طوعا ، وتعبت لقتاله ، فاقتتلوا ثلاثة أيام ، وأفرغ عليهم الصبر ومنعوا النصر . ثم انهزمت جرهم فلم ينفلت منهم إلا الشريد ، ثم قال : وأقام ثعلبة بمكة وما حولها فى قومه وعساكره حولا ، فأصابتهم الحمى وكانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحمى ؛ فدعوا ظريفة فشكوا إليها الذى أصابهم فقالت لهم : قد أصابنى الذى تشكون ، وهو مفرق ما بيننا ..قالوا : فماذا تأمرين قالت : عليكم الإجابة وعلى التبيين . قالوا : فما تقولين ؟ قالت : من كان منكم

ذاهم بعيد ، وحمل شديد ، ومزاد جديد ، فليلحق بقصر عمان المشيد . فكان أزد عمان، ثم قالت : من كان منكم ذا جلد وقصر وصبر على أزمات الدهر فعليه بالأراك من بطن مُرّ فكانت خزاعة . ثم قالت : من كان منكم يريد الراسيات فى الحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخيل ، فكانت الأوس والخزرج . ثم قالت : من كان منكم يريد الخمر والخمير والملك والتأمير ، ويلبس الديباج والحرير ، فليلحق ببصرى والغوير ، وهما : من أرض شام . فكان الذين سكنوها آل جفنة من غسان . ثم قالت : من كان يريد الثياب الرقاق ، والخيل والعتاق ، وكنوز الأرزاق ، والدم المهراق ، فليلحق بأهل العراق فكان الذين سكنوها آل جذيمة الأبرش ، ومن كان بالحيرة من غسان وآل محرق، حتى جاءهم روادهم فافترقوا من مكة فرقتين توجهت إلى عمان وهم ازد عمان ، وسار ثعلبة بن عمرو بن عامر نحو الشام فنزلت الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر وهم الأنصار بالمدينة ، ومضت غسان فنزلوا الشام وانخزعت خزاعة بمكة . فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر فولى أمر مكة وحجابة الكعبة . اه باختصار .

وقد بان بما ذكرناه شيء من حال عمرو بن عامر وقومه وفيه كفاية إن شاء الله .



الباب الثاني والثلاثون

فى ذكر شىء من أخبار قريش بمكة فى الجاهلية ، وشىء من فضلهم وما وصفوا به

و بيان نسبهم وسبب تسميتهم بقريش ، وابتداء ولايتهم للكعبة وأمر مكة

ذكر شىء من فضلهم — ماجاء فى أنهم خير العرب

روينا فى الصحيح لمسلم عن واثلة بن الأسقع قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار .

ماجاء فى أن الخلافة لا تزال فى قريش

روينا عن البخارى فى صحيحه قال : حدثنا أبو الوليد ، قال : حدثنا عاصم بن محمد قال : سمعت أبى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : لا يزال هذا الأمر فى قريش مابقى منهم اثنان ، ورويناه ذلك فى صحيح البخارى عن معاوية بن أبى سفيان عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ما جاء فى عقوبة من عادى قريشا(1)

روينا عن البخارى فى صحيحه من حديث معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين . ولذكر معاوية هذا الخبر قصة مذكورة فى صحيح البخارى ، والأخبار الواردة فى فضل قريش كثيرة ، وفيما أوردناه من ذلك كفاية ولم نورده إلا للتبرك به .

---

(1) ورد قبل ذلك فى الأصل : « ما جاء فى الأمر بتقديم قريش على غيرهم » ، ثم عقب الفاسى ذلك بقوله : « روينا » ، ويلى ذلك بياض فى النسخ جميعها .

ذكر ما وصفت به بطون قريش

قال الفاكهى : حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبى سعد ، قال : حدثنا إسحاق بن البهلول . قال : حدثنى محمد بن عبد الرحمن القرشى عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عبد مناف عز قريش ، وأسد ركنها وعضدها ، وعبد الدار رئتها وأوائلها ، وعدى جناحاها ، ومخزوم ريحانتها وأراكتها ، وجمح وسهم عديدها ، وعامر ليوثها وفرسانها، والناس تبع لقريش ، وقريش تبع لولد قصى.

وحدثنا عبد الله بن أبى سلمة قال : حدثنى إبراهيم بن المنذر عن عبد العزيز بن عمران عن عبد الملك بن عبد العزى عن عمر بن عبد العزيز ، قال : عبد مناف عز قريش ، وأسد بن عبد العزى عضدها ، وزهرة الكبد ، وتيم وعدى رئتها ، ومخزوم فيها كالأراكة فى بطونها ، وجمح وسهم جناحاها ، وعامر ليوثها وفرسانها ، وكل تبع لولد قصى ، والناس تبع لقريش .

وحدثنى حسن بن حسين قال : حدثنا محمد بن أبى السرى قال : حدثنا هشام بن الكلبى ، عن سفيان بن عيينة ، عن محمد بن قيس الأسدى قال : عن ابن الكلبى عن على بن ربيعة ، عن محمد بن قيس قال : سئل على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه عن بنى هاشم فقال : أطيب الناس أنفسا عند الموت . وذكر كرائم الأخلاق ، وسئل عن بنى أمية فقال : أشدنا حجرا ، وأدركنا للامور . إذا طلبوا ، وسئل عن بنى المغيرة من بنى مخزوم فقال : أولئك ريحانة قريش التى تشمونها . وسئل عن بطن آخر كنى عنهم سفيان بن عيينة ، قال عثمان : وهم بنو تيم فذكر شيئا ، قال حسن بن حسين وأخبرنى محمد بن سهل الأزدى ، قال : سمعت هشام بن الكلبى يذكر عن أبيه ، قال : سئل على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه عن قريش فقال : أما بنو هاشم فأفصح ، وأسمح ، وأصبح ، وأما اخوتها من بنى عبد شمس فأنكر نكرا ، وأعذر وأفجر . وسئل مرة أخرى فقال : أما بنو هاشم فأصدق قريش فى النوم واليقظة . وأكرمها أحلاما وأضربها بالسيف ، وأما بنو عبد شمس فأبعدنا هما ، وامنعنا لما وراء ظهورهم . وأما بنو مخزوم فريحانة من ريحانة قريش ، يحب ويشتهى تزوج نسائهم . وقال ابن عالقة : وأخبرنى عبد الله بن عمرو بن أبى سعد حديث رجالهم ، قال : حدثنا محمد بن الحسين الشامى ، قال : حدثنا النضر بن عمرو ، قال : حدثنى بكر بن عامر المرى عن عامر بن عبد الله المسمعى قال : دخل دغفل الشيبانى على معاوية فقال له معاوية : أخبرنا عن بنى هاشم فقال : شداد ، أنجاد ، ذوو ألسنة حداد ، وهم سادة العباد ، قال : فأخبرنا عن بنى أمية ، قال : فى الواسطة من القلادة ، فى الجاهلية سادة ، وفى الإسلام ملوك وقادة ، قال : فأخبرنا عن بنى عبد المطلب ، قال : بيت مقشعرة ، أصابتها قرة ، لا يسمع لها حرة ، ولا يرى لها ذرة ، قال : فأخبرنا عن بنى نوفل ، قال : اسم ولا حسيس ، قال : فأخبرنا عن بنى أسد

قال : ذو شؤم وكد ، و بغى وحسد . قال : فأخبرنا عن بنى زهرة ،قال : جهل فاش ، وحلم الفراش ، قال : فأخبرنا عن آل تيم بن مرة . قال : كثير أوغادهم ، عبيد من سادهم [١] ولا يرى منهم قائد بقودهم . قال : فأخبرنا عن بنى مخزوم . قال : معرى مطيره ، أصابتها قشعريرة ، إلا بنى المغيرة ، فإنهم أهل التشدق فى الكلام ، ومصاهرة الكرام ، قال : فأخبرنا عن بنى جمح . قال : كلهم طلق ، إلا بنى خلف . قال : فأخبرنا عن بنى عدى بن كعب قال : قساة [٢] الأخلاق ، ولؤم أعراق ، إن استغنوا شجوا و إن انفردوا لجوا .

ذكر أهل البطاح ، والظواهر ، والعارية ، والعائدة من قريش

قال الفاكهى : حدثنا الزبير بن أبى بكر قال : حدثنا محمد بن الحسن المخزومى عن العلاء بن الحسن عن عمه أفلح بن عبد الله بن المعلى ، عن أبيه وغيره من أهل العلم ، قال : إن قريش البطاح بنو كعب بن لؤى ، و إنما سموا قريش البطاح لأن قريشاً حين اقتسموا بلادهم احتلت كعب بن لؤى الأباطح ، فكعب و بنوه قريش البطاح حيث ما كانوا ، وقريش الظواهر هم خالد بن النضر والحرث بن مالك ، وقدد بن رجا ، والحارث ومحارب ابنا فهر وعوف بن فهر ودرج . والأدرم : وهم بنو تيم بن غالب بن فهر ، وقيس بن فهر ، وقدد وعامر بن لؤى ، و إنما سموا الظواهر لأن قريشا حين اقتسموا دارهم أخذوا منهم ظواهر مكة بحيث سكنوا سكنوا بالظاهرة ، وحدثنا الزبير بن أبى بكر قال : حدثنى أبو الحسن الأشرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى قال : كانت قريش الظواهر محارب ، والحارث ابنا فهر ، ومن هناك من جيرانهم عامر بن لؤى ، والأدرم بن غالب ، يغيرون على بنى كنانة ، يغير بهم عمرو بن عبد وُدّ ، إلا أن الحارث بن فهر دخلت بعد ذلك مكة فهى من البطاح . وهم يد مع المطيبين اه .

وأما قريش العارية فإنهم ولد سامة بن لؤى ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة بن مدركة ، بن إلياس ، بن مضر ، وقد ذكر الفاكهى سبب تسميتهم بذلك لأنه قال : حدثنا الزبير بن أبى بكر قال : وأما ولد سامة بن لؤى وهم قريش العارية ، و إنما سموا العارية لأنهم عريوا عن قومهم فنسبوا إلى أمهم ناجية بنت حرام بن ريان : وهو غلاف ، وكان أول من اتخذ من الرجال الغلافية فنسب إليها فقيل : غلاف . واسم ناجية : ليلى ؛ و إنما سميت ناجية لأنها سارت فى مفازة فعطشت فاستقت سامة بن لؤى ، فقال لها : بين يديك وهو يريها السراب حتى جاءت الماء فنجت فسميت ناجية .

---

(١) فى النسخة (ك) : فسادهم .

(٢) فى النسخة (ك) : دناة .

وأما قريش العائدة : فهم بنو خزيمة بن لؤى، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك ، بن النضر. وقد ذكر الفاكهى عن الزبير سبب تسميتهم بذلك لأنه قال : وإنما قيل لخزيمة بن لؤى: عائدة، لأن عبيدة بن خزيمة تزوج عائدة بنت الخمس بن قحافة بن خثعم ، فولدت له مالكا وتيما فسموا عائدة بأمهم . قال لنا الزبير : قال على بن المغيرة عن حسن بن على العقيلى . قال : وإنما قيل عائدة قريش ، لأن عدادهم فى بنى أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان فى الجاهلية والإسلام . فقيل : عائدة قريش لئلا يضلوا . حدثنى الزبير بن أبى بكر قال : كان أهل الظواهر من قريش فى الجاهلية يفخرون على أهل الحرم فيعقد لواء فخارهم للناس . قال الزبير : وكانت العرب تنفس قريشا وتعير أهل الحرم منها بالمقام بالحرم . فأسموهم الصب اه . وفى قريش رهط يقال لهم الأحربان ذكرهم الزبير بن بكار لأنه قال: حدثنا محمد بن أبى قدامة العمرى قال : كان بنى معيص بن عامر بن لؤى و بنو محارب بن فهر متحالفين وكانا يدعيان الأحربين لما بينهما فهما الأحربان من أهل تهامة ، والأحربان من أهل نجد بنو عَبْس وذبيان اه .

ذكر بيان نسب قريش

اختلف فى نسبهم فقيل : إنهم ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، وقيل : إنهم ولد النضر بن كنانة ، والقول الأول ذكره الزبير بن بكار عن غير واحد من أهل العلم[1] . لأنه قال : حدثنى إبراهيم بن المنذر ، قال: حدثنا أبو البحترى وهب بن وهب قال : حدثنى ابن أخى ابن شهاب عن عمه قال : إن اسم فهر بن مالك الذى أسمته أمه قريشا ، كما يسمى الصبى غدارة وشملة وأشباه ذلك قال : قال : وقد اجتمع النساب من قريش وغيرهم على أن قريشا إنما تفرقت عن فهر ، والذى عليه من أدركت من نساب قريش أن ولد فهر بن مالك قريش وأن من جاور فهر بن مالك فليس من قريش . وذكر الزبير هذا القول عن هشام بن الكلبى لأنه قال : قال : ولد مالك بن النضر فهرا ، وهو جماع قريش ، وقريش اسمه ، وفهر لقب له ، فمن لم يلده فهر فليس من قريش .

وذكر الزبير القول الثانى فى نسب قريش عن الشعبى لأنه قال : قال محمد بن الحسن عن نضر بن مزاحم عن معروف بن محمد عن الشعبى قال : النضر بن كنانة هو قريش ، وإنما سمى قريشا لأنه كان يقرش رجله عن قلة الناس وحاجتهم فيسد ذلك بماله ، والتقرش هو التفتيش . وكان بنوه يقرشون أهل المواسم فيرفدونهم بما يبلغوهم . فسموا بذلك من فعلهم ، وقرشهم قريشا . ونقل الزبير هذا القول أيضا عن هشام بن الكلبى لأنه ذكر : أن أبا الحسن الأشرم حدثه عن الكلبى أن النضر بن كنانة هو قريش . ونقل ذلك الزبير عن أبى عبيدة معمر بن المثنى[2] لأنه ذكر : أن أبا الحسن الأشرم حدثه عن أبى عبيدة ، قال: منتهى من وقع عليه اسم قريش النضر بن كنانة

---

(١) من زيادات النسخة (م) .

(٢) من الرواة والعلماء توفى عام ٢٠٨ هـ وهو مؤلف كتاب « مجاز القرآن »

فولده قريش دون سائر بنى كنانة بن خزيمة بن مدركة ، وهو عامر بن إلياس بن مضر ، فأما من كان من ولد كنانة سوى النضر فلا يقال لهم ، قريش ، قال : وإنما سمى بنو النضر قريشاً لأن التقرش هو التجمع ، قال : قال بعضهم : للتجار يتقارشون أى يتجرون . والدليل على اضطراب هذا القول أن قريشاً لم يجتمعوا حتى جمعهم قصىّ بن كلاب ، فلم يجتمع إلا ولد فهر بن مالك ، لا مراءة عند أحد فى ذلك ، و بعد هذا فنحن أعلم بأمورنا وأرعى لمآثرنا وأحفظ لأسمائنا لم نعلم ، ولم ندع قريشا ولم نهمهم إلا ولد فهر بن مالك اهـ .

وذكر هذين القولين فى نسب قريش ابن هشام فى السيرة لأن فيها : وقال ابن هشام : النضر قريش فمن كان من ولده فهو قرشى ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى[1] ثم قال : ويقال فهر بن مالك قريشى ، فمن كان من ولده فهو قريشى ومن لم يكن من ولده فليس بقريشى[1] اهـ ، وليس فى كلام ابن هشام مايقتضى ترجيح أحد القولين وفى كلام الزبير ما يقتضى ترجيح القول بأن قريشا ولد فهر بن مالك . وكلام النووى يقتضى ترجيح القول بأنهم ولد النضر ، ويقال : إن أول من قيل له القرشى : قصى بن كلاب . لأن الفاكهى قال بسنده : ان عبد الملك بن مروان سأل محمد بن جبير عن ذلك فقال إن ذلك لتجمعها فى الحرم وإن عبد الملك قال له : ماسمعت بهذا . ولكن سمعت : أن قصيا كان يقال له القرشى ولم يسم قرشى قبله . ونقل الفاكهى ذلك عن أبى سلمة عن عبدالرحمن بن عوف من طريقين. ونقل الفاكهى ما يخالف ذلك لأنه قال : قال أبو بكر : وحدثنى أبو بكر بن عبد الله وابن أبى جهم قال : قال: النضر بن كنانة كان يسمى القرشى انتهى . وذكر السهيلى ما يقتضى أن قريشاً كانت تسمى قريشاً قبل مولد قصى لأنه ذكر أن كعب بن لؤى قال : إذا قريش تبغى الحق خذلانا اهـ . وقال أبو الخطاب فى تسمية قريش ومَنْ أوَّلُ من سمى به عشرون قولا ، نقل ذلك عن أبى دحية هكذا القطب الحلبى . وقال القطب الحلبى : ثم النسب إلى قريش قرشى وقريشى ، فمن قال قريشى أجراه فى النسب على أصله وتوفيته حروفه فهو القياس لأن الياء لايطرد حذفها إلا ما كانت فيه هاء التأنيث .

ذكر سبب تسمية قريش بقريش وما قيل فى ذلك

اختلف فى تسمية قريش بقريش ، فقال ابن هشام فى السيرة : وإنما سميت قريش قريشاً من التقرش والتقرش التجارة والاكتساب ، وأنشد فى ذلك شعراً لرؤبة بن العجاج ، وقال ابن إسحاق : يقال: إنما سميت قريش قريشاً لتجمعها من تفرقها ، يقال للتجمع : التقرش اهـ .

وقيل : إنما سميت بذلك لتفتيشها عن حاجة الناس وسدهم لها ؛ وهذا يروى عن الشعبى كما سبق .

(١) فى النسخة (م) : بقريشى .

وقيل : سميت بذلك لأن قريش بن بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان دليل بنى كنانة فى تجاراتهم ، فكان يقال: قدمت عير قريش . فسميت قريش به ، ذكر ذلك مصعب الزبيرى . قال : وأبوه بدر بن مخلد صاحب بدر ، الموضع الذى لقى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً . ذكر ذلك الزبير عن عمه . وقيل : إنما سموا قريشاً لأنهم يتقرشون البضاعات فيشترونها . قيل : جاء النضر بن كنانة فى ثوب له فقالوا : قد تقرش فى ثوبه كأنه جمل قريش ، أى شديد مجتمع . وقال ابن الأنبارى : وقيل : قريش من التقريش وهو التحريش . قال أبو القاسم الزجاجى : هذا الوجه ليس بمعروف لأن المعروف فى اللغة أن تقديم الراء على القاف هو التحريش لا التقريش، والتقريش تزيين الكلام وتحسينه . قال أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد : قريش مأخوذ من القرش وهو وضع الأسنة بعضها على بعض لأن قريشاً أحرب الناس بالطعان ، انتهى .

وقيل : سميت قريش قريشاً بدابة فى البحر تسمى القرش ، وهذا يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما[1] قاله لعمرو بن العاص رضى الله عنه حين سأله عن ذلك بحضرة معاوية استعجازاً له عن معرفته ، وأنشد ابن عباس قول المسرح بن عمرو الحميرى على ذلك :

وقريش هى التى سكن البحـ ـر بها سميت قريش قريشاً
تأكل الغث والسمين ولا تتـ ـرك منه لذى جناحين ريشاً

ذكر هذا الخبر الفاكهى وغيره ، وذكره القطب الحلبى، وكلامه يوهم أن ابن عباس سأل عمرو بن العاص،وذلك يخالف ما ذكره الأزرقى . ثم قال القطب:وقال المطرزى : هى ملكة الدواب وسيدة الدواب وأشدها ، فلذلك قريش سادة الناس اه . وذكر هذا القول السهيلى لأنه قال : ورأيت لغيره يعنى الزبير بن بكار أن قريشاً تصغير القرش وهو حوت فى البحر يأكل حيتان البحر سميت به القبيلة أو سمى به أبو القبيلة والله أعلم اه . هكذا ما رأيته من الأقوال فى تسمية قريش ، وفى ذلك أقوال أخر على ما يقتضيه كلام ابن دحية والله أعلم بالصواب .

ذكر ابتداء ولاية قريش الكعبة المعظمة ومكة

أول من ولى ذلك منهم قصى بن كلاب وقد ذكر خبره فى ذلك جماعة من أهل الأخبار منهم الأزرقى وذلك فيما رويناه عنه بالسند المتقدم ، قال : حدثنى جدى قال : حدثنا سعيد بن سالم بن عثمان بن ساج عن جريج وعن

(١) من زيادات النسخة (ك) .

ابن إسحاق يزيد أحدهما على صاحبه ، قالا بعد ذكر شيء من خبر خزاعة : فلبثت خزاعة على ما هي عليه وقريش إذ ذاك فى بنى كنانة متفرقة وقد قدم فى بعض الزمان حاج قضاعة فيهم ربيعة بن حزام بن ضبة بن عبد كثير بن عذرة بن سعيد بن زيد وقد هلك كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب وترك زهرة وقصيا ابنى كلاب مع فاطمة بنت عمرو بن سعد بن شبل الذى يقول فيه الشاعر وكان أشجع زمانه :

لا أرى فى الناس شخصاً واحداً فاعلموا ذاك لسعد بن شبل
فارس أضبط فيه عُسْرة فإذا ما عاين القرن نزل
فارس يستدرج الخيل كما يدرج الحر القطامى الحجل

وزهرة أكبرهما فتزوج ربيعة بن حزام أمهما. وزهرة رجل بالغ وقصى فطيم أو فى سن الفطيم . فاحتملهما ربيعة إلى بلاده من أرض عذرة إلى أشراف الشام فاحتملت معها قصيا لصغره وتخلف زهرة فى قومه فولدت فاطمة ابنة عمرو بن سعد لربيعة رزاح بن ربيعة، فكان أخا قصى بن كلاب لأمه ، ولربيعة بن حزام من امرأة أخرى ثلاثة نفر : حسن ، ومحمود ، وطهيمة ، بنو ربيعة ، فبينا قصى بن كلاب فى أرض قضاعة لا ينتمى إلى ربيعة بن حزام إذ كان بينه و بين رجل من قضاعة شيء وقصى قد بلغ ، فقال له القضاعى : ألا تلحق بنسبك وقومك فإنك لست منا ؟ فرجع قصى إلى أمه وقد وجد فى نفسه مما قال له القضاعى ، فسألها عما قال له ، فقالت له : أنت والله يا بنى خير منه وأكرم، أنت ابن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤى ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك ، بن النضر ، ابن كنانة ؛ وقومك عند البيت الحرام وما حوله . فأجمع قصى الخروج إلى قومه واللحاق بهم وكره الغربة فى أرض قضاعة ، فقالت له أمه : يابنى لاتعجل بالخروج حتى يدخل عليك الشهر الحرام فتخرج فى حاج العرب فإنى أخشى عليك فأقام قصى حتى دخل الشهر الحرام وخرج فى حاج قضاعة حتى قدم مكة فلما فرغ من الحج أقام بها ، وكان قصى رجلا جليلا حازما بارعا فخطب إلى حليل بن حبشية بن سلول الخزاعى ابنته حبى ابنة حليل فعرف حليل النسب ورغب فى الرجل فزوجه حليل وحليل يومئذ يلى الكعبة وأمر مكة فأقام قصى معه حتى ولدت حبى لقصى عبد الدار وهو أكبر ولده وعبد مناف وعبد العزى وعبد بن قصى فكان حليل يفتح البيت فإذا اعتل أعطى ابنته حبى المفتاح ففتحته فإذا اعتلت أعطت المفتاح زوجها قصياً أو بعض ولدها فيفتحه وكان قصى يعمل فى حيازته إليه وقطع ذكر خزاعة عنه . فلما حضرت حليل الوفاة نظر إلى قصى وإلى ما انتشر له من الولد من ابنته فرأى أن يجعلها فى ولد ابنته فدعا قصيا فجعل له ولاية البيت وأسلم إليه المفتاح ، وكان يكون عند حبى ، فلما هلك حليل أبت خزاعة أن تدعه وذلك ، وأخذوا المفتاح من حبى ، فمشى قصى إلى رجل من قومه من قريش وبنى كنانة فدعاهم إلى أن يقوموا معه فى ذلك وأن ينصروه ويعضدوه فأجابوه إلى نصره ، وأرسل قصى إلى أخيه لأمه رزاح بن ربيعة ، وهو

ببلاد قومه من قضاعة يدعوه إلى نصره و يعلمه ماحالت خزاعة بينه من ولاية البيت وسأله الخروج إليه بمن أجابه من قومه فقام رزاح فى قومه فأجابوه إلى ذلك ، وخرج رزاح بن ر بيعة ومعه اخوته من أبيـه : حسن ، ومحمود، وطهيمة بنو ر بيعة بن حزام فيمن معهم من قضاعة وفيمن معهم من حاج العرب مجتمعين لنصر قصى والقيام معه. فلما اجتمع الناس بمكة خرجوا إلى الحج فوقفوا بعرفة ، وبجمع ، ونزلوا منى . وقصى مجمع على ما أجمع عليه من قتالهم بمن معه من قر يش و بنى كنانة ومن قدم عليه مع أخيه رزاح من قضاعة ، فلما كانت آخر أيام منى أرسلت قضاعة إلى خزاعة يسألونهم أن يسلموا إلى قصى ماجعل له حليل وعظموا عليهم القتال فى الحرم وحذروهم الظلم والبغى بمكة. وذكروهم ما كانت فيه جرهم وما صارت إليه حين ألحدوا[1] فيه بالظلم ، فأبت خزاعة أن تسلم ذلك ، فاقتتلوا بمفضى مأزمى منى ، قال : فسمى ذلك المكان المفجر[2] لما فجر فيه وسفك فيه من الدم وانتهك من حرمته ، فاقتتلوا قتالا شديداً حتى كثرت القتلى فى الفريقين جميعاً وكثرت فيهم الجراحات، وحاج العرب جميعاً من مضر واليمن مستكفون ينظرون إلى قتالهم، ثم تداعوا إلى الصلح ، ودخلت قبائل العرب بينهم ، وعظمت على الفريقين سفك الدماء والفجور فى الحرم فاصطلحوا على أن يحكموا بينهم رجلا من العرب فحكموا يعمر بن عوف بن كعب بن مالك بن الليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وكان رجلا شريفاً ، فقال لهم: موعدكم فناء الكعبة غدا ، فاجتمع الناس ، وعدوا القتلى فكانت فى خزاعة أكثر منها فى قريش وقضاعة وكنانة وليس كل بنى كنانة قاتل مع قصى خزاعة إنما كانت مع قريش من كنانة فلال يسير ، واعتزلت عنها بكر بن عبد مناة قاطبة ، فلما اجتمع الناس بفناء الكعبة قام يعمر ابن عوف فقال : ألا إنى قد شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدمى هاتين ولا تباعد لأحد على أحد فى دم ، وإنى قد حكمت لقصى بحجابة البيت ، وولاية أمر مكة دون خزاعة لما جعل له حليل وأن يخلى بينه و بين ذلك، وأن لا تخرج خزاعة من مساكنها من مكة ، قال : فسمى يعمر ذلك اليوم الشداخ ، فسلمت ذلك خزاعة لقصى وأعظموا سفك الدماء فى الحرم وافترق الناس ، فولى قصى بن كلاب حجابة البيت وأمر مكة وجمع قومه قريشاً من منازلهم إلى مكة يستعز بهم و يملك على قومه فملكوه، وخزاعة مقيمة بمكة على ر باعهم وسكناهم لم يحركوا ولم يخرجوا منها ، فلم يزالوا على ذلك حتى الآن ، وقال قصى فى ذلك وهو يشكو لأخيه رزاح بن ر بيعة :

أنا ابن العاصمين بنى لؤى ... بمكة مولدى وبها ربيت
إلى البطحاء قد علمت معد ... ومروتها رضيت بها رضيت
رزاح ناصرى و به أسامى ... فلست أخاف ضيما ماحييت

(١) من الإلحاد وهو الميل .
(٢) ما زال اسم هذا المكان « المفجر » معروفاً حتى اليوم ، وهو قريب من منى .

فكان قصى أول رجل من كنانة أصاب ملكا وأطاع به قومه فكانت إليه الحجابة والرفادة والسقاية والندوة والعيادة ، فلما جمع قريشاً بمكة سمى مجمعا وفى ذلك يقول حذافة بن غانم الجمحى يمدحه :

أبوهم قصى كان يدعى مجمعا — به جمع الله القبائل من فهر
همو نزلوها والميـــاه قليلة — وليس بها إلا كهول بنى عمرو

يعنى خزاعة ، قال ابن إسحاق بن أحمد : وزادنى أبو جعفر محمد بن الوليد بن كعب الخزاعى :

أقمنا بهـا والنـاس فيها قلائل — وليس بها إلا كهول بنى عمرو
همو ملكوا البطحاء مجداً وسؤدداً — وهم طردوا عنها غداة بنى بكر
وهمو حفروها والميـــاه قليلة — ولم يستقوا إلا بنكد من الحفر
حليل الذى عادى كنانة كلها — ورابط بيت الله بالعسر واليسر
أحازم إما قد هلكنا فلا تزل — لهم شاكرا حتى توسد فى القبر

ويقال : بتجمع قريش إلى قصى سميت قريشاً . وذكر ابن إسحاق خبر ولاية قصى بن كلاب ، وفيه زيادة على ما فى هذا الخبر لأنه قال : ثم إن قصى بن كلاب خطب إلى حليل بن حبشية ابنته حبى ، فرغب فيه حليل فزوجه فولدت له عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبدا . فلما انتشر ولد قصى وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل ؛ فرأى قصى أنه أولى بالكعبة ، وبأمر مكة من خزاعة وبنى بكر ، وأن قريشا فرعة إسماعيل بن إبراهيم وصريح ولده ، فكلم رجالا من قريش وبنى كنانة ، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبنى بكر من مكة فأجابوه. فكان ربيعة بن حزام ، بن عزرة ، بن سعـد ، بن زيد ، بن مناة ، قد قدم مكة بعد هلك كلاب . فتزوج فاطمة بنت سعد بن شبل . وهو[1] يومئذ رجل وقصى فطيم . فاحتملها إلى بلاده فحملت قصياً معها إلى بلاده وأقام زهرة ، فولدت لربيعة : رزاحا ، فلما بلغ قصى وصار رجلا أتى مكة فأقام بها ، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه كتب إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة يدعوه إلى نصرته والقيام معه . فخرج رزاح بن ربيعة ومعه إخوته بنو ربيعة : حسن بن ربيعة، ومحمود بن ربيعة[2] وهم لغير فاطمة فيمن تبعهم من قضاعة فى حاج العرب وهم مجمعون لنصر قصى، وخزاعة تزعم أن حليل بن حبشية أوصى بذلك قصياً وأمره به حتى انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر وقال : أنت أولى بالكعبة والقيام عليها وبأمر مكة من خزاعة . فعند ذلك طلب قصى ما طلب . ولم يسمع ذلك من غيرهم ، فالله أعلم أى ذلك كان ، ثم قال بعد أن ذكر شيئا من خبر صوفة وإجازتها بالناس من عرفة ومنى . فلما كان ذلك العام فعلت صوفة كما كانت تفعل قد عرفت ذلك لها العرب هو دين فى أنفسهم فى عهد جرهم وخزاعة

(١) فى نسخة : وزهرة بدل : وهو .
(٢) هنا بياض ، وقد سبق طهيمة بن ربيعة . كما فى الروايات السابقة .

وولايتهم . فأتاهم قصى بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة ، فقال : لا ، نحن بهذا أولى منكم . فقاتلوه ، فاقتتل الناس قتالا شديدا . ثم انهزمت صوفة وغلبهم قصى على ما كان بأيديهم من ذلك وانحازت عند ذلك خزاعة ، و بنو بكر عن قصى وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة . وأنه سيحول بينهم و بين الكعبة وأمر مكة . فلما انحازوا عنه بادأهم وأجمع لحربهم . وخرجت له خزاعة و بنو بكر ، فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى فى الفريقين جميعا . ثم إنهم تداعوا للصلح و إلى أن يحكموا بينهم رجلا من العرب . فحكموا يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . فقضى بينهم بأن قصياً أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة . وأن كل دم أصابه قصى من بنى بكر وخزاعة موضوع يشدخه تحت قدميه. و إن أصابت خزاعة و بنو بكر من قريش و بنى كنانة وقضاعة ، ففيه الدية مؤداة . وأن يخلى بين قصى و بين الكعبة ومكة فسمى يعمر بن عوف يومئذ الشداخ بما شدخ من الدماء ، ووضع منها . قال ابن هشام : ويقال الشداخ . قال ابن إسحاق : وولى قصى البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم إلى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه إلا أنه قال : قد أقر العرب ما كانوا عليه وذلك أنه كان يراه دينا فى نفسه لاينبغى تغييره ، فأقر إلى صفوان وعدوان والنسأة ، ومرة بن عوف على ما كانوا عليه، حتى جاء الإسلام فهدم الدين ذلك كله . فكان قصى أول بنى كعب ابن لؤى أصاب حكما[1] أطاع له به قومه فكانت له الحجابة[2] ، والسقاية[3] ، والرفادة[4] ، والندوة[5] ، واللواء[6] ، فحاز شرف مكة كله وقطع مكة رباعا بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التى أصبحوا عليها . ويزعم بعض الناس أن قريشاً هابوا قطع شجر الحرم فى منازلهم فقطعها قصى بيده وأعوانه، فسمته قريش مجمعا لما جمع من أمرها وتيمنت قريش بأمره فما تنكح ولا يتزوج رجل من قريش ولا يتشاورون فى أمر نزل بهم ولا يعقد لواء الحرب قوم من غيرهم إلا فى داره يعقده لهم بعض ولده ، وما تدرع جارية إذا بلغت أن تدرع من قريش إلا فى داره ، فشق عليها فيها درعها ثم تدرعه ثم ينطلق بها إلى أهلها فكان أمره فى قريش فى حياته ومن بعد موته كالدين المنيع لا يعمل بغيره واتخذ لنفسه دار الندوة وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ، ففيها كانت قريش تقضى أمورها : قال ابن هشام : قال الشاعر :

قصى لعمرى كان يدعى مجمعاً به جمع الله القبائل من فهر

(١) فى النسخة (ك) : ملكا . (٢) الحجابة : سدانة الكعبة ، وفتح بابها للحجاج .

(٣) السقاية : سقيا الحجيج فى الحرم . (٤) الرفادة : ضيافة الحجاج ومدهم بالطعام .

(٥) الندوة : التشاور فى الأمر وقد بنى لها داراً سمى دار الندوة ، وهو فى المكان الذى أقيم عليه مقام الحنفى ــ الآن ــ بالمسجد الحرام . (٦) اللواء : الراية التى تنشر لقيادة الجيوش . أو لقيادة الحجاج فى مناسكهم . وتلك هى أهم وأعظم . وشخصية قصى من الشخصيات الفذة الخالدة فى تاريخ العروبة ، فهو أول من حكم، وأول من أشرك شعبه فى الحكم ، بتأسيس دار الندوة للتشاور فيها . بحيث لا يبت فى أمر إلا بعد أخذ رأى أهل الندوة .

قال ابن إسحاق: حدثنى عبدالملك بن راشد عن أبيه ، قال : سمعت النساب بن حباب صاحب المقصورة يحدث : أنه سمع رجلا يحـدث عمر بن الخطاب وهو خليفة حديث قصى بن كلاب ، وما جمع من أمر قومه ، وإخراجه خزاعة و بنى بكر من مكة وولايته البيت وأمر مكة فلم يرد ذلك عليه ولم يكره اه . وفى هذا الخبر من الفائدة فى خبر قصى غير مافى الخبر الأول ببيان ما كان من خبر قصى وصوفة وغير ذلك، وهو يقتضى أن منازعة قصى خزاعة لما كان فى نفسه من أنه أولى بالـكعبة وأمر مكة من خزاعة أو لـكون حليل جعل ذلك إليه كما تزعم خزاعة من غير أن تكون خزاعة عارضت قصيًا فى ذلك ، والخبر الأول يقتضى أن منازعة قصى خزاعة لمنعهم له مما جعله حليل من أمر البيت والله أعلم بالصواب .

وقد ذكر الزبير بن بكار[1] خبرا يدل على أن حليلا حين حضرته الوفاة ، جعل إلى قصى أمر البيت ومكة ، وذلك يوافق مازعمته خزاعة . كما ذكره فى الخبر الذى ذكره ابن إسحاق ، ونص ماذكره الزبير : حـدثنى إبراهيم بن المنذر ، عن محمد بن عمر الواقدى ، عن عبد الله بن عمر ، بن زهير ، عن عبد الله بن خراش بن أمية الـكعبى ، عن أبيه ، قال : لما تزوج قصى إلى حليل بن حبشية حبى ابنته وولدت له أوصى حليل عند موته بولاية البيت وأمر مكة إلى قصى .

قال الزبير : وحـدثنى ابراهيم عن الوقدى عن فاطمة الأسلمية ، عن فاطمة الخزاعية ، وكانت قد أدركت أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالت : وقال حليل : إنمـا ولد قصى ولدى وهم بنو ابنتى فأوصى إلى قصى بالبيت والقيام بأمر مكة . وقال : أنت أحق بها اه .

وقد قيل فى سبب ولاية قصى غير ماسبق، وقد أشرنا إلى شىء من ذلك فى خبر خزاعة ونذكره هنا لما فيه من زيادة فى إيضاح ، من ذلك ما رويناه عن الزبير بن بكار ، قال : قال محمد بن الضحاك : اشترى قصى مفتاح بيت الله الحرام من أبى غبشان الخزاعى بكبش ، وزق خمر . فقال الناس : أخسر من صفقة ابن أبى غبشان ، فذهبت مثلا. وقال أيضاً : حدثنى أبو الحسن الأشرم عن أبى عبيدة ، قال : زعم ناس من خزاعة أن قصيا تزوج حبى ابنة حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر فولدت له عبد مناف ، وعبد العزى ، وعبد الدار ، وعبد بن قصى ، وكان حليل آخر من ولى البيت من خزاعة . فلما ثقل[2] جعل ولاية

---

(١) هو العالم القرشى المؤرخ الراوية الزبير بن بكار صاحب الروايات العديدة التى تحفل بها مصادر التاريخ وأسفار الأدب ، ككتاب الأغانى وسواه ، وقد توفى عام ٢٥٦ هـ ، وله بعض مؤلفات مفقودة .

(٢) أى حضرته الوفاة .

البيت إلى ابنته حبى فقالت له : قد علمت إنى لا أقدر على فتح الباب و إغلاقه . قال : أجعل الفتح والأغلاق إلى رجل يقوم لك به . فجعل إلى أبى غبشان وهو سليم بن عمرو بن لؤى بن ملكان ، بن أقصى ، بن حارثة ، ابن عمرو ، بن عامر ، فاشترى قصى ولاية البيت منه بزق خمر وقعود . فلما رأت ذلك خزاعة كثروا على قصى فاستصرخ أخاه رزاحا فقدم بمن معه من قضاعة فقاتل خزاعة[1] حتى نفوا خزاعة قالوا : فأما الخلقىّ قال قال أبوعبيدة : وهو رجل من بنى خاف فزعم أن خزاعة أخذتها العزة حتى كادت تفنيها،فلما رأت ذلك جلت عن مكة، فنهم من وهب مسكنه ومنهم من باع ومنهم من أسكن قال : قال أبو عبيدة : وهذا باطل ليس كما قال الخلقى.

وقال الزبير : حدثنى عمر بن أبى بكر الموصلى ، عن عبد الحكيم وسفيان بن أبى نمر ، قال : كان أبوغبشان الخزاعى يلى البيت ، وكان هو وقصى بمكة ، فتحالفا على أن لا يبغى أحدهما على صاحبه ، ثم ابتاع قصى المفتاح ، فقدم مكة فقال لقومه : هذا مفتاح بيت أبيكم إسماعيل قد رده الله عليكم من غير عذر ، ولا ظلم . فلما أفاق أبو غبشان ندمه قومه وعابوا عليه ماصنع فجحد البيع . فقال : إنما رهنته عنده رهنا بحقه . فقال الناس : أخسر من صفقة أبى غبشان . فذهبت مثلا ، ووقعت الحرب بين قصى و بين أبى غبشان وفوقهما قريش وخزاعة فذلك قول الشاعر :

أبو غبشان أظلم من قصى   وأظلم من بنى فهر خزاعه
فلا تلحوا قصيًا فى شراه   ولوموا شيخكم إذ كان باعه

وذكر الفاكهى الخبر الذى رواه الزبير[2] عن الموصلى ، ووقع فى الخبر الذى ذكره الفاكهى عن الزبير فائدتان لا يفهمان من الخبر الذى نقلناه عن الزبير من كتابه .

احداهما أن اشتراء قصى من أبى غبشان لمفتاح البيت كان بالطائف .

والأخرى أنه اشترى ذلك بزق خمر . وذكره الفاكهى بسنده عن كرامة بنت المقداد بن عمرو الكندى المعروف بالمقداد الأسود عن أبيها ، وذكره الفاكهى أيضا مايقتضى أن قدوم رزاح على أخيه قصى كان بعد أن نفى خزاعة ، والمعروف أن قصيا لم يقاتل إلا بعد أن قدم أخوه رزاح .

---

(١) حذر قصى وأخوه رزاح خزاعة عاقبة الظلم والفجور والبغى بمكة ، فأبت خزاعة أن تسلم فاقتتل الفريقان بمأزمى منى ، فسمى ذلك المكان (المفجر) وكثرت القتلى من الفريقين فتداعوا إلى الصلح وحكموا بينهم يعمر بن عوف الكنانى فحكم لقصى بولاية أمر مكة وحجابة الكعبة دون خزاعة لما جعل له حليل وأن لا تخرج خزاعة من مساكنها على إحدى الروايات ، وإنما خرجت خزاعة برأيها فرارا من الذلة والهوان بعد أن كانوا حكام مكة .

(٢) هو الزبير بن بكار، وقد سبق أن ترجمنا له .

وفى الخبر الذى فيه ما ذكرناه من قدوم رزاح على أخيه بعد نفى خزاعة شىء من خبر قصى لم يسبق له ذكر، فحسن ذكره لما فى ذلك من الفائدة . ونصه على مافى كتاب الفاكهى :

حدثنا الزبير بن أبى بكر،قال : قال أبو الحسن الأشرم . قال أبو عبيدة: قال محمد بن حفص:قدم رزاح وقد نفى قصى خزاعة .وقال بعض مشيخة قريش إن مكة لم يكن بها بيت فى الحرم . إنما كانوا يكونون بها حتى إذا أمسوا خرجوا لا يستحلون أن يصيبوا فيها جنابة . ولم يكن بها بيت قائم ، فلما جمع قصى قريشاً وكان أدهى من رؤى فى العرب ، قال لهم : أرى أن تصبحوا باجمعكم فى الحرم حول البيت ، فو الله لا يستحل العرب قتالكم ،ولا يستطيعون إخراجكم منه وتسكنونه فتسودون العرب أبداً . فقالوا : أنت سيدنا ، رأينا لرأيك تبع . فجمعهم ثم اصبح بهم فى الحرم حول البيت ـ فمشت إليه أشراف كنانة ، وقالوا : ان هذا عند العرب عظيم ، ولو تركناك ما تركتك العرب . فقال : والله لا أخرج منه فثبت وحضر الحج، فقال لقريش : قد حضر الحج وقد سمعت العرب بما صنعتم وهم لكم معظمون ، ولا أعلم مكرمة عند العرب اعظم من الطعام فليخرج كل إنسان منكم من ماله خرجا ففعلوا فجمع من ذلك شيئا كثيراً ، فلما جاء أوائل الحاج نحر على كل طريق من طرق مكة جزورا ، ونحر بمكة وجعل حظيرة فجعل فيها الطعام من الخبز والثريد واللحم ، فمن مر باللحم والثريد أكل ، ومن قدم قصد الحظيرة ، فأكل وسقى الماء واللبن المحض ثم صدروا على مثل ذلك ، فصدر روادهم يقولون :

أشبعهم زيد قصى لحما ولبنا محضا وخبزا هشماً (١)

ولم يكن بنو عامر بن لؤى ترفد مع قريش شيئا انتهى . وزيد اسم قصى على ما ذكر الزبير لأنه قال : كان اسم قصى زيدا و إنما سمى قصيا لأنه يقصى عن مكة وخرجت به أمه منها الى غيرها . وذكر الزبير عن قصى أخبارا غير ما سبق وذلك انه قال فيما رويناه عنه : حدثنى أبو الحسن الأشرم ، عن أبى عبيدة . قال : كان قصى يلى الرفادة ، ويسقى الحاج اللبن والزبيب . وقال الزبير : قال أبو الحسن الأشرم : قال أبو عبيدة : حدثنا خالد ابن أبى عثمان ، قال : كان قصى أول من ثرد الثريد فأطعم بمكة وسقى اللبن بعد ثابت بن إسماعيل فقال قائل : ولم يسموا هاشما :

أشبعهم زيد قصى لحما ولبنا محضا وخبزا هشما

وقال الزبير : حدثنى عمر بن أبى بكر الموصلى عن عبد الحكيم بن سفيان بن أبى نمر قال : لما ولد أول ولد سماه عبد مناة ، ثم نظر فإذا هو موافق لاسم أبى مناة بن كنانة فأحاله إلى عبد مناف (٢) بن كنانة و إنما سمى عبد الدار

(١) قبله كما فى النسختين بيت ناقص نصه : ان الحجيج طاعمين دسما * عن الحسا مستحقبين ...

(٢) كان عبد مناف قد شرف فى زمان أبيه وذهب شرفه كل مذهب ولم يبلغ أحد من أولاد قصى ما بلغ عبدمناف من الذكر والشرف والعز .

لأنه حين هدم الكعبة وأراد بناءها حضر الحج قبل بنيتها وهى مهدومة فأحاط عليها دارا من خشب ور بطها بالحبال لتدور الناس من وراء الدار، فولد له عبد الدار فسماه عبد الدار، وأما عبد بن قصى فانه أسماه عبد قصى فكان بذلك يدعى ثم أحال اسمه فقيل له عبد بن قصى: قال الزبير: وقال غير الموصلى : قال قصى : ولد لى فسميت اثنين بآلهة يعنى عبد مناف وعبد العزى وسميت الثالث بدارى يعنى عبد الدار [1] ، وسميت الرابع بنفسى يعنى عبداً .فكان يقال لعبد بن قصى: عبد قصى بن قصى، وقال الزبير : حدثنى محمد بن حسن قال : إنما سمى عبد مناف لأن أمه أخدمته صنما يقال له : عبد مناف ، و يقال إن أباه خدمه ذلك الصنم ، وقال الزبير : وروى أن قصيا قال للأكابر من ولده : من عظم لئيما شركه فى لؤمه . ومن استحسن مستقبحاً شرك فيه . ومن لم تصلحه كرامة كبر فدعوه بهوانه .

وروى الزبير بسنده عن محمد بن جبير بن مطعم أن قصى بن كلاب كان يعشر من دخل مكة من غير أهلها [2] وقال الزبير : وحدثنى ابراهيم بن المنذر عن الواقدى قال مات قصى بمكة فدفن بالحجون . فتدافن النـاس بعده بالحجون اهـ .

وذكر الفاكهى خبرا يقتضى أن قصىّ بن كلاب أظهر للنـاس الحجر الأسود بعد دفن جرهم له ، لأنه قال : حدثنا عبد الله بن أبى سلمة ، قال : حدثنا عبد الله بن يزيد ، قال : حدثنا ابن لهيعة عن محمد بن عبد الرحمن أبى الأسود : أن يعقوب بن عبد الله بن وهب حدثه عن أبيه أن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وهى جدته قالت : قدم قصى بن كلاب ، يعنى مكة فقطع غيضة كانت ، ثم ابتنى حول البيت دارا ، ونكح حبى بنت حليل الخزاعى . فولدت له عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى بن قصى ، ثم قال : فقال قصى لامرأته : قولى لأمك تدل بنيك على الحجر الأسود فإنما هم يلون البيت ، فلم تزل بها : يا أمه دليني عليه فإنما هم بنوك، ولم تزل بها حتى قالت : فإنى أفعل إنهم حين خرجوا إلى اليمن سرقوه فنزلوا منزلا وهو معهم فبرك الجمل الذى عليه الحجر فضربوه ، فقام ثم ساروا فبرك فضربوه ، فقام ثم ساروا الثالثة فقالوا : ما يبرك إلا من أجل الحجر فدفنوه ، وذلك فى أسفل مكة ، و إنى لأعرف حيث برك . فخرجوا بالحديد ، وخرجوا بها فأرتهم حيث برك أول الشأن ، ولا شيء .

---

(١) كان عبد الدار بكر قصى وأكبر ولده ، وكان قصى وحبى ابنة حليل يحبان عبد الدار ويرقان عليه لما يريان من شرف عبد مناف وهو أصغر منه ، فقالت له حبى : لا ، والله لا أرضى حتى تخص عبد الدار بشيء تلحقه بأخيه ، فقال قصى : والله لألحقنه به ولأحبونه بذروة الشرف حتى لايدخل أحد من قريش ولا من غيرها الكعبة إلا بإذنه ، ولا يقضون أمرا ويعقدون لواء إلا عنده ، وكان قصى ينظر فى العواقب .

(٢) أى يجبى منه العشر .

ثم المكان الثانى ، فلا شىء . ثم الثالث فقالت : احفروا ههنا ، لحفروا حتى آيسوا منه ، ثم ضربوا فأصابوه فأخرجوه فأتى به قصى فوضعه موضعه فى الأرض فكانوا يتمسحون به وهو فى الأرض حتى بنت قريش الكعبة ثم روى الفاكهى بسنده عن أم سلمة أنها قالت : منزل الجمل الأول عند الجزارين ، ثم دلتهم على المنزل الثانى عند سوق البقر ، وذكر هذا الخبر محمد بن عايد فى مغازيه . وفيه نظر ، لما فيه أن الحجر الأسود لم يزل مدفونا إلى عهد قصى ، وقد بينا ذلك فى أخبار الحجر الأسود ، فأغنى ذلك عن إعادته . وقصى بن كلاب أحدث وقود[١] الناس بالمزدلفة ليراها من دفع من عرفة على ما ذكر القطب الحلبى. وكلامه يوهم أن أبا محمد عبدالله بن محمد العلاطى صاحب الاشتمال نقل ذلك عن أبى عبيدة والله أعلم . وفى العقد لابن عبد ربه أن قصى بن كلاب بنى قزح[٢] موضع الوقوف بالمزدلفة ، والله أعلم .



(١) لعلها : وقوف كما يتبين مما يأتى بعد ذلك .

(٢) سبق تفصيل الحديث عنه فى الجزء الأول من هذا الكتاب ، وقزح هو الموضع الذى يستحب فيه للحاج أن يقف عنده غداة يوم النحر ، وهو مكان مشهور بالمزدلفة ، وهو الموضع الذى يسمونه المشعر الحرام .

الباب الثالث والثلاثون

فى ذكر شىء من خبر بنى قصى بن كلاب وتوليتهم لما كان بيده

من الحجابة ، والسقاية ، والرفادة ، والندوة ، واللواء ، والقيادة ؛ وتفسير ذلك

قال ابن إسحاق : فلما كبر قصى ورق عظمه ، وكان عبد الدار بكره ، وكان عبد مناف قد شرف فى زمان أبيه ، ونصب[1] كل مذهب ومنصب ، وعبد العزى ، وعبد قصى . قال قصى لعبد الدار : أما والله يابنى لألحقنك بالقوم ، وإن كانوا قد شرفوا عليك ، لايدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها لهم ، ولا يعقد لقريشى لحربها إلا أنت بيدك ، ولا يشرب رجل بمكة إلا من سقايتك ، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاما إلا من طعامك ، ولا يقطع قريشى أمراً من أمورها إلا فى دارك . فأعطاه دار الندوة التى لا تقضى قريش أمراً إلا فيها ، وأعطاه أيضا : الحجابة ، واللواء ، والسقاية ، والرفادة[٢] .

وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش فى كل موسم من أموالها إلى قصى بن كلاب ، فيصنع به طعاما للحاج ، فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد . وذلك أن قصيا فرضه على قريش ، فقال لهم حين أمرهم به : يا معشر قريش إنكم جيران الله، وأهل بيته ، وأهل الحرم، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الموسم والحج حتى يصدروا عنكم . ففعلوا ، وكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجا فيدفعون إليه فيصنعه طعاماً للناس أيام منى فجرى ذلك من أمره فى الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام . ثم جرى فى الإسلام إلى يومنا هذا، فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضى الحاج . قال ابن إسحاق: حدثنى بهذا من أمر قصى بن كلاب، وما قال لعبد الدار فيما دفعه إليه مما كان بيده أبو إسحاق بن يسار عن الحسن ابن محمد بن على بن أبى طالب ، قال : سمعته يقول ذلك لرجل من بنى عبد الدار يقال له نبيه بن وهب بن عامر بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . قال الحسن : فجعل إليه قصى كل ما كان بيده من أمر قومه ، وكان قصى لا يخالف ولا يرد عليه شىء صنعه .

---

(١) فى النسخة (ك) : وذهب ، والمعنى ذهب شرفه كل مذهب .

(٢) يروى أن السقاية والرفادة والقيادة لم تزل لعبد مناف بن قصى يقوم بها حتى توفى، فولى بعده هاشم بن عبد مناف السقاية والرفادة ، وولى عبد شمس القيادة .

قال ابن إسحاق : ثم إن قصى بن كلاب هلك[1] . فأقام أمره فى قومه من بعده بنوه فاختطوا مكة رباعا بعد الذى كان قطع لقومه بها فكانوا يعطونها فى قومه وفى غيرهم من حلفائهم ويبيعونها فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ثم إن بنى عبد مناف بن قصى و بنى عبدشمس وهاشما والمطلب ونوفلا أجمعوا على مافى أيدى عبد الدار بن قصى مما كان قصى جعل إلى عبد الدار من الحجابة ، واللواء ، والسقاية ، والرفادة . ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم فى قومهم . وتفرقت عند ذلك قريش فكانت طائفة من بنى عبد مناف على رأيهم يرون أنهم أحق به من بنى عبد الدار لمكانهم فى قومهم، وكانت طائفة مع بنى عبدالدار يرون أن لاينزع منهم ما كان قصى جعل إليهم .فكان صاحب أمر بنى عبدمناف عبدشمس بن عبدمناف وذلك أنه أسن بنى عبد مناف وكان صاحب أمر بنى عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وكان بنو أسد بن العزى بن قصى ، و بنو زهرة بن كلاب ، و بنو تيم بن مرة بن كعب ، و بنو الحرث بن فهر بن مالك بن النضر ، مع بنى عبد مناف. وكان بنو مخزوم بن يقظة بن مرة، و بنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب ، و بنو جمح بن عمرو ابن هصيص، و بنو عدى بن كعب مع بنى عبدالدار . وخرجت عامر بن لؤى ومحارب بن فهر فلم يكونوا مع واحد من الفريقين فعقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً مابل بحر صوفة[2] فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فيزعمون أن بعض نساء بنى عبد مناف أخرجتها لهم فوضعوها لأحلافهم فى المسجد عند الكعبة ، ثم غمس القوم أيديهم فيها فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم فسموا المطيبين وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفا موكدا على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً فسموا الأحلاف ، ثم سوى بين القبائل ولز بعضها ببعض فعنت بنو عبد مناف لبنى سهم ، وعنت بنو أسد لبنى عبد الدار ، وعنت زهرة لبنى جمح ، وعنت تيم لبنى مخزوم ، وعنت بنو الحرث ابن فهر لبنى عدى بن كعب ، ثم قالوا : لتقض[3] كل قبيلة فيما أسند إليها .

فبينما الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا للصلح ، على أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة . وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار ، ففعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك وتحاجز الناس عن الحرب وثبت كل قوم مع من حالفوا . فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله بالإسلام .. فقال رسول الله صلى الله

---

(١) لا يخفى علينا أن حكومة قصى فى مكة كانت أول حكومة حجازية عربية ديموقراطية صميمة ، وأن قصيا يعد مهدا للنضج السياسى الذى بلغته العرب فى عهد النبوة ، وبشارة ببعث نبى السلام والرحمة ؛ وقصى يعد مفخرة من مفاخر العرب وبيت النبى صلى الله عليه وسلم لاتضارعها مفخرة ، وكفى صنيعه بمكة ، وتنظيمه السياسى البارع لشئون الحكم فيها . (٢) من عادة قريش إذا أبرمت عهداً أن تقول : « ما أقام ثبير وما بل بحر صوفة » .

(٣) فى النسخة (ك) : لتعن كل قبيلة بما أسند إليها .

عليه وسلم : ما كان من حلف فى الجاهلية فإن الإسلام لم يزده إلا شدة . ثم قال ابن إسحاق : فولى السقاية والرفادة هاشم بن عبد مناف[١] ، وذلك أن عبد شمس كان رجلا سفارا قلّ ما يقيم بمكة وكان مُقِلاً ذا ولد وكان هاشم موسراً وكان فيما يزعمون إذا حضر الحج قام فى قريش ، فقال : يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته ، وإنه يأتيكم فى هذا الموسم زوار الله وحجاج بيته ، وهم ضيف الله وأحق الضيف بالكرامة ضيفه ، فاجمعوا له ما تصنعون لهم به طعاماً أيامهم هذه التى لا بد لهم من الإقامة بها ، فإنه والله لو كان مالى يسع ذلك ما كلفتموه ؛ فيخرجون لذلك خرجا من أموالهم كل امرئ بقدر ما عنده فيصنع به للحاج طعاماً حتى يصدروا منها . وكان هاشم فيما يزعمون أول من سن رحلتين لقريش رحلة الشتاء ورحلة الصيف، وأول من أطعم الثريد بمكة ، و إنما كان اسمه عمرا فما سمى هاشما إلا لهشمه الخبز بمكة لقومه ، وقال شاعر من قريش أو من بعض العرب :

عمرو العلا هشم الثريد لقومه قوم بمكة مسنتين عجاف
سنت إليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الأضياف

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز قوله : قوم بمكة مسنتين عجاف .

قال ابن هشام : قال ابن إسحاق : ثم هلك هاشم بن عبد مناف بغزة من أرض الشام تاجرا ، فولى السقاية والرفادة من بعده المطلب بن عبد مناف ، وكان أصغر من عبد شمس وهاشم وكان ذا شرف فى القوم وفضل ، وكانت قريش إنما تسميه الفيض لسماحته وفضله . ثم قال ابن إسحاق : ثم هلك المطلب بردمان[٢] من أرض اليمن ، فقال رجل من العرب يبكيه :

قد ضمن الحجيج بعبد المطلب بعد الجفان والشراب المنتصب
ليت قريشاً بعده على نصب

وقال مطرد[٣] بن كعب الخزاعى يبكى المطلب و بنى عبد مناف جميعا حين أتاه نعى نوفل بن عبد مناف وكان نوفل آخرهم هلكا فذكر أبياتا[٤] .

---

(١) جمع هاشم مجد آبائه وأجداده ، إلى عبقرية السياسى الناضج الحصيف ، وكان خير وارث لتراث قصى وعبدمناف.

(٢) ردمان : مكان باليمن كما قال ياقوت . ولم يزد ياقوت شيئا على ذلك . غير أنه أورد أبياتا تدل على أن موت المطلب بن عبد مناف كان بها .

(٣) فى معجم ياقوت : مطرود بن كعب الخزاعى (٤) أورد ياقوت هذه الأبيات الثلاثة :

أخلصهم عبد مناف فهم من لوم من لام بمنجاة
قبر بردمان ، وقبر بسلمان ، وقبر عند غزات
وميت مات قريبا من الـ حجون من شرق البنيات

ثم قال ابن إسحاق : وكان أول بنى عبد مناف هلـكا هاشما بغزة من أرض الشام ثم عبد شمس بمكة ، ثم المطلب بردمان من أرض اليمن . ثم نوفل بسلمان من ناحية العراق . فقيل لمطرود فيها يزعمون لقد قلت ما حسن ولو كان أخل مما هو لـكان أحسن فقال : أنظرونى ليالى فـمكث أياماً . ثم قال :

عصيت ربى باختيـار　　أم بحكم الإله فينا
فبسط اليدين إلى القفـا　　خـير فخر السابقينا

وهذا قوله السابق ذكره :

ياعينى جودى أو اذرى الدمع وانهمرى　　وابكى على السر من كعب المغيرات
وابكى على كل فياض أخى ثقة　　ضخم الدسيعة وهاب الجزيلات
سبط اليدين لا نكس ولا وكل　　ماضى العزيمة متلاف الـكرامات
ثم أندى للفيض والفياض مطلبا　　واستحرصى بعد فيضات بجمسات
أمسى بردمان عنا اليوم مغتربا　　يالهف نفسى عليه بين أموات
وهاشم فى ضريح وسط بلقعة　　تسفى الرياح عليه بين غزات
ونوفل كان دون القوم امـ　　ـسى بسلمان فى رمس بموماة
لم ألق مثلهم عجما ولا عرباً　　إذا استقلت بهم أدم المطيـات
أمست ديارهم منهم معطـــلة　　وقد يـكونون نورا فى الملمات

ثم قال :

ياعين وابكى أبا الشعث السجيات　　تبكيه حسرا مثـــل البليات
تبكين أكرم من يمشى على قدم　　بعولته بدموع بعد عبرات

ومنها :

تبكين عمرو العلا إذ حان مصرعه　　سمح السجية بسام العشيات

ومنها :

ما فى القروم لهم عدل ولا خطر　　ولا لمن تركوا سروا بقيعات

= ثم قال : فالذى بردمان المطلب بن عبد مناف : والذى بسلمان نوفل بن عبد مناف ،والقبرالذى عند غزة لهاشم ابن عبد مناف . والذى بقرب الحجون عبد شمس بن عبد مناف .

والأبيات فى النسختين محذوفة وقد اثبتناها فى الهامش نقلا عن ياقوت .

ومنها :

أما البيوت التي حلوا مسا كنها فأصبحت منهم وحشا خليات

أقول والعـين لا ترقا مدامعها لا يبعد الله أصحاب الرزيات

ثم قال ابن اسحاق : ثم ولى عبد المطلب بن هاشم السقاية ، والرفادة ، بعد عمه المطلب فأقامها للناس وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم ، وشرف في قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبه قومه ، وعظم خطره فيهم انتهى .

وذكر الفاكهي أخبارا تتعلق ببنى قصى بن كلاب ، و بنى عبد مناف بن قصى ، و بنى عبد الدار بن قصى وأفاد في ذلك غير ما سبق، فاقتضى ذلك ذكر ما ذكر من ذلك ، لما فيه من الفائدة ، قال الفاكهي : حدثنا عبد الملك بن محمد بن زياد بن عبد الله عن ابن اسحاق ، قال : ثم ان بنى عبد مناف ، وعبد شمس ، وهاشم ، والمطلب اختلفوا ، ثم إن بنى عبد مناف اجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدى بنى عبد الدار بن قصى من الحجابة ، والسقاية ، والرفادة . فتفرقت عند ذلك قريش فكانت طائفة مع بنى عند مناف في رأيهم يرون أنهم أحق بذلك من بنى عبد الدار . وكانت طائفة مع بنى عبد الدار لا يرون أن يغير عنهم ما كان قصى جعل إليهم. وذكر نحو ماسبق إلا أنه قال بعد أن ذكر تعاقد كل من الفريقين : فأخرجت عاتكة بنت عبدالمطلب طيباً فوضعته لأحلافهم ، ثم غمس القوم فيه حين تعاقدوا وتعاهدوا ، ثم مسحوا بها الكعبة فسموا حلف المطيبين . وفي هذا الخبر من الفائدة غير ما سبق : كونُ عاتكة بنت عبد المطلب هى المخرجة [1] لقومها جفنة الطيب : وفي ذلك نظر لتأخر زمنها عن زمن عم أبيها عبد شمس القائم بأمر بنى عبد مناف في هـذه القضية ، وكذلك في كون عامر ابن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار القائم بأمر بنىعبد الدار حين نازعهم بنوعبد مناف نظر لتأخر زمن عامر بن هاشم عن زمن عبد شمس، انتهى والله أعلم .

وقال الفاكهي : وحدثنا الزبير بن أبي بكر قال : حدثنى محمد بن فضالة ، عن عبـد الله بن زياد بن سمعان ، قال : حدثنى ابن شهاب ، قال : كانت السقاية في بنى المطلب . وكانت الرئاسة في بنى عبد مناف كلهم ، وكانت الرفادة في بنى أسد بن عبد العزى ، واللواء والحجابة في بنى عبد الدار ،فجاءوا إلى سهم فحالفوهم وقالوا لهم:امنعونا من بنى عبد مناف . فلما رأت ذلك البيضاء التي يقال لها : أم حكيم [1] بنت عبد المطلب . أخذت جفنة فملأتها

(١) في الأصل : المخزومية ، وهذا من أشد التحريف ، وما أكثر ما حرفت نسخ الكتاب المخطوطة الباقية ، ولو كانت هناك نسخ عديدة مختلفة لأمكن الاستقصاء والاستفادة من تعددها .

خلوفا ، ثم وضعتها فى الحجر . فقالت : من تطيب بهذا الطيب فهو منا . فتطيب بنو عبد مناف ، وأسد ، وزهرة ، و بنو تيم ، و بنو الحرث بن فهر ، فسموا المطيبين . فلما سمعت بذلك بنو سهم نحروا جزورا ، وقالوا : من أدخل يده فى دمها فلعق منها فهو منا . فأدخلت أيديها بنو سهم ، و بنو عبد الدار ، و بنو جمح ، و بنو عدى ، و بنو مخزوم ، فلما فعلوا ذلك وقع الشر بينهم . فتراجعوا وقالوا:والله لئن اقتتلنا لتدخلن العرب علينا ، فأقروهم على حالهم فسمى هؤلاء المطيبين ، وهؤلاء الأحلاف . فقال أبو طلحة عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار :

أتانى أن عمرو بنى هصيص أقام وأننى لهم حليف
وأنهم إذا حدثوا لأمر فلانَكِلٌ أكون ولاضعيف

وفى هذا الخبر من الفائدة على ما سبق بيان من جاء بالجفنة التى فيها الطيب، وهى أنها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب . وفيها[٢] من النظر ماسبق فى أختها والله أعلم .وفى هذا الخبر ما يشعر بأن القائم بأمر بنى عبد الدار حين نازعهم بنو عبد مناف أبو طلحة عبد العزى بن عثمان بن عبدالدار . و يتأيد ذلك بما فى الخبر الآنى ذكره، قال الفاكهى : حدثنا حسن بن الحسين الأزدى . قال : حدثنا محمد بن حبيب عن الكلبى قال : ثم إن بنى عبد مناف لما زاد شرفهم وكثرتهم أرادوا أخذ البيت من بنى عبد الدار فأرسلوا إلى أبى طلحة وهو عبد الله بن عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار : أن أرسل الينا بمفتاح الكعبة . وكانت أم بنى سهم عاطرة بنت زهرة ، وأم عدى بن سعد هند بنت عبدالدار بن قصى فعدادهم من بنى عبدمناف ، وذكر نحو حديث ابن شهاب . إلا أنه قال : لما غمسوا أيديهم قالوا : والله لا يسلم أحد منا أحدا ، وخلطوا نعالهم بفناء الكعبة فسموا الاحلاف بخلطهم نعالهم ، وتحالفهم فى البيت اه . ثم قال : وقال أبو طلحة عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار شعراً ذكره ، وهماالبيتان فى حديث ابن شهاب فقال :

بنو سهم نحن نكفيهم إن قاتلوا قتلنا
وإن رفدوا رفدنا وإن فعلوا فعلنا انتهى

فصرح فى هذا الخبر بما يقتضى أن القائم بأمر عبدالدار أبو طلحة وذلك يخالف الخبر الذى ذكره الفاكهى عن ابن اسحاق فإنه يقتضى أن القائم بأمر بنى عبدالدارحفيد عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار

---

(١) سبق أن ذكر أنها هى عاتكة هذا وقد أعطى قصى السدانة لعبد الدار وهى الحجابة ، ودار الندوة واللواء ، وأعطى عبدمناف السقاية والرفادة والقيادة .

(٢) أى فى هذه الرواية .

والله أعلم . وقال الفاكهى : وحدثنا عبد الله بن أبى سلمة ، قال : حدثنا ابراهيم بن المنذر ، قال : حدثنا عمرو ابن أبى بكر الموصلى من بنى عدى بن كعب ، قال : حدثنى الضحاك بن عثمان الحرامى ، قال : حدثنى ابن عروة ابن الزبير عن أبيه عن عروة عن ابن حكيم بن حرام ، قال : لما حضر عبد الدار الموت جعل الندوة ، واللواء ، والرفادة ، إلى ابنه عثمان بن عبد الدار ، فقال أمية بن عبد شمس لعثمان بن عبد الدار : لتخرج لى عن طيب نفس عن واحدة من هذه الثلاث ، فأبى ، فقال : إذاً لا أدعك فاستخرج عثمان بن عبد الدار قريشا ، فقالت له بنو مخزوم وجمح وسهم وعدى : نحن معك ، ويقع لك هذه الخصال ، ونحالفك . قال : نعم فتحالفوا فمنعوها له اه . وفى هذا الخبر من الفائدة أن القائم بأمر بنى عبد الدار حينئذ عثمان بن عبد الدار وأن القائم بأمر بنى عبد مناف حينئذ أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وقال الفاكهى : وحدثنى عبد الله بن أبى سلمة قال : حدثنا عبد الله بن يزيد ، قال : حدثنى ابن لهيعة ، قال : حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن الأسود ، قال : فذكر أنه لما توفى عبد بن قصى ، وكان اللواء بيده ، أخذه عبد الدار ، لأنه أكبر اخوته فحسده إخوته ، فذهب مخالف بنى مخزوم ، وعدى اه . وهذا يقتضى أن التنازع وقع بين عبد الدار وإخوته ، وهذا لا يفهم مما سبق والله أعلم .

ويتحصل من مجموع هذه الاخبار فى القائم بامر عبد الدار حين نازعهم بنو عبد مناف ثلاثة أقوال :

أولها أنه عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى .

وثانيها انه أبو طلحة بن عبد العزى بن عبد الدار بن قصى .

وثالثها أنه عثمان بن عبد الدار .

ويتحصل فى القائم بامر بنى عبد مناف حين نازعوا بنى عبد الدار قولان :

أحدهما انه عبد شمس بن عبد مناف .

والآخر أنه أمية بن عبد شمس .

ويتحصل فى التى أخرجت الجفنة التى فيها الطيب لقومها وحلفائهم قولان :

أحدهما أنها عاتكة بنت عبد المطلب .

والآخر أنها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب والله أعلم .

قال الفاكهى : وحدثنى عبد الملك بن محمد عن زياد بن عبد الله ، عن ابن إسحاق[1] قال : ثم هلكت أعيان بنى عبد مناف فاقام عبد شمس بن عبد مناف على ما كان بيد عبد مناف ، وكان أكبر ولده فاقام أمر بنى

(١) هو صاحب السيرة المشهورة وقد رواها عنه عبد الملك بن هشام المتوفى عام ٢١٣ هـ

عبد مناف فلما انتشرت قريش سكان مكة قلت عليهم المياه ، واشتدت عليهم المؤونة اه .

وهذا يفهم أن عبد شمس بن عبد مناف ، ولى شيئا من مآثر قصى . وفيما سبق ذكره عن ابن إسحاق فى سيرته مايشعر بانه لم يل شيئاً والله أعلم . ولعل الصواب: فاقام هاشم بن عبد مناف فتصحف فى كتاب الفاكهى بعبد شمس ، و بذلك يتفق مانقله الفاكهى عن ابن إسحاق على مانقلناه عن ابن إسحاق من سيرته والله أعلم .

وقال الفاكهى : وحدثنا الزبير بن أبى بكر ، قال : حدثنى عمر بن أبى بكر الموصلى عن زكريا بن عيسى عن ابن شهاب انهما كانا حلفين اثنين : فأما حلف قريش الأول فإن بنى كلاب تكاثروا على بطون بنى كعب ابن لؤى فتحالفت عليهم تلك الأحلاف مخزوم ، وعدى ، وسهم ، وجُمَح ، فانطلق المطيبون ، وكان حلفهم أن جعلوا جفنة من طيب فتطيبوا بها فسموا المطيبين بذلك الطيب فى الجفنة ، وسميت الأحلاف بتحالفهم عليه أن جعلوا جفنة فيها دم فغمسوا أيديهم فيها، زاد الزبير بن أبى بكر فى حديثه: وأن الأحلاف عبوا لكل قبيلة قبيلة وانكروا شأن بنى عبد الدار وولايتهم الكعبة ، واللواء ، والندوة . فقالوا: ماشأن هؤلاء إخواننا يلون علينا هذا وهم قليل[1] ؟ لننزعنه من أيديهم . و إنهم عمدوا إلى مفتاح الكعبة فاخذوه من عثمان بن عبد الدار و بنيه، و إن بنى عبد الدار أضافوا إلى الأحلاف لخالفوهم فشدوا الحلف بينهم وأن الأحلاف لكل قبيلة فعبت بنو سهم لبنى عبد مناف. اه باختصار .

وفى هـذا الخبر من الفائدة ماسبق أن الحلف الذى يقال له حلف المطيبين كان قبل منازعة بنى عبد مناف لبنى عبد الدار فيما كان بيد عبد الدار والله أعلم .

قال الفاكهى : وحدثنى عبد الله بن أبى سلمة ، قال: حدثنى عبد الجبار بن سعيد المساحقى ، قال : حدثنى محمد ابن فضالة النمرى ، قال: حدثنى محمد بن إسحاق عن عمر بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، قال : كانت الرفادة إلى عبد العزى بن قصى ، وكانت الحجابة ، واللواء والندوة إلى عبد الدار بن قصى. وولد عبد مناف بن قصى خمسة نفر : عمر ، وهاشما . وعبد شمس ، والمطلب ، ونوفل اه . وهـذا الخبر يقتضى أن عبد العزى بن قصى ولى الرفادة وما ذكرناه عن ابن إسحاق فى سيرته يقتضى خلاف ذلك والله أعلم .

---

(١) وكان بنو عثمان بن الدار يلون الحجابة دون ولد عبد الدار ، ثم وليها عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ،ثم وليها أبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، ثم وليها ولده من بعده حتى كان فتح مكة .

وقال الفاكهي : وحدثني عبد الملك بن محمد عن زياد بن عبد الله عن ابن إسحاق قال : فلما هلك قصي أقام عبد مناف على أمر قريش ، وهو أقام أمرهم بعده . واختط بمكة رباعاً بعد الذي كان قصي قطع لقومه : فكان يعطيها في قريش وفي غيرهم . وهو عقد حلف الأحابيش . والأحابيش : عضل ، والقارة ، ودوس ، ورعل رهط سفيان ابن عوف ، والحليس بن زيد ، وخالد بن عبيد بن أبي قايض[1] بن خالد . انتهى . وهذا الخبر يشعر بأن عبدمناف بن قصي ولي مآثر أبيه ، وما ذكرناه عن ابن إسحاق وهذا الخبر يشعر بخلاف ذلك والله أعلم .

وقال الفاكهي : وحدثني عبد الله بن أبي سلمة ، قال : حدثنا عبد الله بن زيد ، قال : حدثني ابن لهيعة ، قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن أبو الأسود ، قال : يذكر أنه لما توفي عبد بن قصي وكان اللواء بيده أخذه عبد الدار لأنه أكبر اخوته فحسده اخوته ، فذهب لحالف بني مخزوم ، وعدي : وتوفي عبدمناف ، فأخذ السقاية هاشم لأنه كان أكبر ولده . وتوفي أسد فأخذ الندوة المطلب لأنه أكبر ولده فلم يزل في أيديهم حتى باعها زمعة بن الأسود لمعاوية فلذلك يقول الشاعر :

وبعتم مجدكم وسناكم ولم تبقوا بمكة داراً اه

وهذا الخبر يشعر بأن عبد بن قصي كان إليه الندوة ، وان عبد مناف بن قصي كانت إليه السقاية ، وذلك يخالف ماذكرناه عن ابن إسحاق من سيرته والله أعلم .

وقال الفاكهي : حدثنا عبد الله بن أبي سلمة ، قال : حدثنا عبد الله بن يزيد قال : حدثنا بن لهيعة عن محمد بن عبد الرحمن بن الأسود أن يعقوب بن عبد الله بن وهب حدثه عن أبيه عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهي جدته حدثته فقالت : فقدم قصي بن كلاب يعني مكة فقطع غيضة كانت ثم ، وابتنى حول البيت دارا ، ونكح حبي بنت حليل الخزاعي ، فولدت له عبدالدار ، وعبدمناف ، وعبدالعزى بن قصي فأول ماولد له سماه عبدالدار بداره تلك ثم سمى عبدمناف بمناف ، ثم سمى عبد العزى بالعزى ، وكانت أم حبي الخزاعية جرهمية عجوزا قديمة فقال لها : إنما يلي البيت بنوك ، وجعل الحجابة الى عبدالدار لأنه أكبرهم ، والسقاية لعبدمناف ، واللواء لعبد بن قصي ، والرفادة وهي دار الندوة لعبد العزى اه باختصار . وهذا صريح في أن قصي بن كلاب قسم مآثره بين بنيه الأربعة وذلك يخالف ما ذكره ابن إسحاق في سيرته والله أعلم .

وقال الفاكهي : وحدثنا حسن بن حسين الأزدي ، قال : حدثنا محمد بن حبيب ، قال : كانت الرياسة أيام بني عبد مناف إلى عبد مناف بن قصي ، وكان القائم بأمور قريش والمنظور اليه فيها ، ثم أفضى ذلك الى هاشم ابنه فرب ذلك بحسن القيام فلم يكن له نظير من قريش ولا مساو . ثم صارت الرياسة لعبد المطلب وفي كل قريش

(١) في النسخة (ك) : حامض .

رؤوس غير أنهم كانوا يعرفون لعبد المطلب فضله وتقدمه ، وشرفه ، فلما مات عبد المطلب صارت الرياسة لحرب بن أمية، فلما مات حرب بن أمية تفرقت الرياسة والشرف ببنى عبدمناف وغيرهم من قريش .

وقال الفاكهى : قال حدثنا الزبير قال محمد بن الحسن : كان هؤلاء الأربعة من بنى عبد مناف ، وهاشم ، والمطلب ، وعبد شمس ، ونوفل أول من رفع الله بهم قريشاً إنما كانت تتجر بمكة . وتبضع مع من يخرج من الأعاجم ، فركب هاشم فأخذ له خيلا من قيصر فتجروا إلى الشام ، وركب المطلب فأخذ له خيلا من ملوك اليمن فتجروا إلى اليمن بذلك الخيل ، وركب نوفل فأخذ لهم خيلا من النجاشى فتجروا بذلك الخيل إلى أرض الحبشة ،

وقال الفاكهى : قال حدثنا الزبير؛ وحدثنا محمد بن الحسن عن العلاء بن حسين عن أفلح بن عبدالله بن العلى عن أبيه وغيره من أهل العلم قالوا : هاشم ، وعبد شمس، والمطلب ، ونوفل ، هم : الزنبور ، و بنو هاشم يد ، و بنو المطلب يد ، فإن دهمهم غيرهم صاروا يدا واحدة . على ذلك كانوا فى الجاهلية دون بنى عبد مناف ، و بنو عبد مناف يدان : هاشم والمطلب البدران ، وعبد شمس ونوفل يد وهم الأبهران ؛ قال : وكانت العرب تسمى هاشما والمطلب وعبد شمس ونوفلا أقداح النظار ، فإن دهمهم غيرهم اجتمعوا فصاروايدا واحدة[1] . وقال الفاكهى : وحدثنا الزبير بن أبى بكر قال : وحدثنى أبو الحسن الأشرم عن أبى عبيدة ، قال : كان يقال لهاشم وعبد شمس والمطلب بنى عبد مناف: المجرون، وقال الفاكهى : وحدثنى الزبير بن أبى بكر ، قال : حدثنى محمد بن الحسن قال : كان هاشم رئيس بنى عبدمناف وعبدشمس رئيس بنى أمية .قال الزبير : وذلك النسب عندنا . قال آدم بن عبد العزى بن عمرو بن عبد العزى :

اللهم إنى قائل قو ل ذى دين و بر وحسب
عبد شمس لا تهنها إنما عبد شمس عم عبد المطلب
عبد شمس كان يتلو هاشما وهما بعدُ لأم ولأب

وقال الفاكهى : وحدثنا حسن بن الحسين ، قال : حدثنا أبو جعفر بن حبيب عن ابن الكلبى ، قال : فلما مات هاشم خرج المطلب بن عبد مناف إلى اليمن فأخذ من ملوكهم عهدا لمن نفر قبلهم من قريش قبل أن يأخذ الإيلاف ممن مرّ به من العرب حتى على مثل ما كان هاشم أخذ ، وكان المطلب أكبر ولد عبد مناف اه . وهذا الخبر يخالف الذى قبله إلا أن يكون قوله فى حق المطلب وكان المطلب أكبر ، والله أعلم . وقد طال الكلام فى أخبار بنى عبد مناف ، وأخبار عبد المطلب ، وهاشم بن عبد مناف ، مما له تعلق فيما ذكره ابن إسحاق من خبر

---

(١) هذه هى العصبية القبلية التى كانت سائدة فى العصر الجاهلى فكان العرب يجتمعون الأقرب فالأقرب ضد الأبعد فالأبعد . على حد المثل المعروف : « أنا وأخى على ابن عمى ، وأنا وابن عمى على الغريب »،وقد جاء الإسلام فسما بهذه العصبية القبلية وأقام مكانها العصبية الإسلامية التى تجعل المسلمين جميعا قبيلة واحدة مهما اختلفت أجناسهم والتى تتمثل فى قول الشاعر المسلم :

أبى الإسلام لا أب لى سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

المشار إليهم ، ومما ليس له تعلق بذلك . وفيما ذكرناه كفاية .

وتتبع ذلك بفوائد ذكرها هو وغيره تتعلق بما ذكرناه من خبر المشار إليهم :

منها : أن الفاكهى لما ذكر أخبار بنى قصى بن كلاب ترجم عليها بما نصه : (ذكر تولية قصى بن كلاب بنيه أمر مكة ، وقسمته إياها بينهم وقيامهم بذلك بعده) .

ومنها أنه قال : لما ذكر أخبار بنى عبد مناف (ذكر ولاية المطلب بن عبد مناف أمر مكة بعد أخيه وتفسير ذلك) وذلك إشارة إلى أن المشار إليهم كانوا ولاة مكة . ومنها : أنه قال — لما ذكر ولاية عبد المطلب — : حدثنا عبد الملك بن محمد عن زياد بن عبد الله عن ابن إسحاق ،قال: ولى السقاية ، والرفادة بعد المطلب بن عبد مناف ، عبد المطلب بن هاشم ، وتزعم بنو أسد أن الحويرث بن أسد قد ولى الرفادة فى بعض الزمان . وقد كانت بنو أسد تقول ذلك ولم يسمع ذلك بتاتاً اه . وفى هذا ما يشعر بأن الحويرث بن أسد ولى الرفادة فى زمن عبد المطلب على ما قيل ، وذلك لا يفهم من الأخبار السابقة عن ابن إسحاق ، والله أعلم بصحة ذلك .

ومنها : أن صاحب «المورد الهنى» ، نقل عن الرساطى خبراً فى خروج هاشم بن عبد مناف إلى الشام ، وأخذه من قيصر الإيلاف لقريش . ثم قال : وخرج عبد شمس إلى النجاشى بالحبشة وأخذ كذلك. وخرج نوفل إلى الأكاسرة بالعراق وأخذ كذلك . وخرج المطلب إلى حمير وأخذ لهم كذلك اه. وفى هذا الخبر من الفائدة على ما سبق كون عبد شمس خرج إلى النجاشى بالحبشة وأخذ منه لقومه الإيلاف ، وذلك يخالف ما سبق من أن نوفل بن عبد مناف هو الذى أخذ لقومه الإيلاف من النجاشى ، والله أعلم .

ومنها : أن هاشما وعبد شمس توأمان على ما قيل . ذكر ذلك صاحب «مورد العذب الهنى» ، لأنه قال : وقيل : إن هاشما وعبد شمس توأمان ، وإن أحدهما ولد قبل الآخر . قيل : إن الأول هاشم وإن إصبع أحدهما ملتصقة بجبهة صاحبه فنحيت فسال دم ، فقيل : يكون بينهما دم .

ومنها : أنه اختلف فى سن هاشم حين مات فقيل : عشرون سنة ، وقيل : خمس وعشرون سنة ، ذكر هذه الفائدة صاحب « المورد » .

ومنها : أنه اختلف فى سن عبد المطلب حين مات ؛ فقال ابن حبيب : إن عمر عبد المطلب خمسة وتسعون سنة ، وأنه توفى سنة تسع من عام الفيل . وقال السهيلى : إن عبد المطلب مات وعمره مائة وعشرون سنة اه. وقيل : مائة وعشر سنين . وقيل : مائة وأربعون سنة . وقيل : اثنان وثمانون سنة . ذكر هذه الأقوال الثلاثة : الحافظ مغلطاى فى سيرته . ودفن عبد المطلب على ما ذكره ابن عساكر بالحجون[1] .

(١) هذا القول هو الذى يتلاءم مع المعروف لأهل مكة حتى عصرنا الحاضر .

قال السهيلي : وظاهر حـديث أبي طالب في قول النبي صلى الله عليه وسلم:«قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها».فـكان آخر كلامه : على ملة عبد المطلب يقتضى أن عبد المطلب مات على الشرك . ووجدت فى بعض كتب المسعودى اختلافاً فى عبد المطلب وأنه قد قيل فيه مات مسلماً لما رأى من الدلالات على نبوة سيدنا محمد صـلى الله عليـه وسلم . وعلم أنه لايبعث إلا بالتوحيد(١) والله أعلم . غير أنه فى مسند البزار ، وفى كتاب النسائى من حديث عبد الله ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة وقد عزّت قوما من الأنصار:«اعلك بلغت معهم الـكدى»، قال : ويروى الـكرى بالراء يعنى القبور ، فقالت : لا . فقال :«لو بلغت معهم ذلك ما رأيت الجنة ، حتى يراها جدأبيك».وقال السهيلي : إنه أول من خضب بالسواد من العرب اه . وقال ابن الأثير :وهو أول من تحنث بحراء ، وكان إذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين، وقال ابن قتيبة : وكان يرفع من مائدة عبـد المطلب للطير والوحوش فى رؤوس الجبال فيقال له : الفياض لجوده ، ومطعم طير السماء اه . وكان مجاب الدعوة ، يقال : أصاب الناس سنة فاستسقى عبـد المطلب على جبل أبى قبيس ، فسقى،والنبى صـلى الله عليـه وسلم يومئذ غلام بين يدى عبـد المطلب و ببركته صلى الله عليه وسلم سقوا (٢) ذكر هذا الخـبر هشام بن الـكلبي وأبو عبيدة معمر بن المثنى وغيرهما ، وذكر ابن قتيبة أن عبد المطلب عمى قبل موته . وقيل : إن قصى بن كلاب قسم هـذه الأمور بين أولاده كلهم ، ذكره الزبير بن بكار لأنه قال : حـدثنى محمد بن عبد الرحمن المروانى قال : قسم قصى مكارمه بين ولده فأعطى عبد مناف واسمه المغيرة السقاية ، والندوة ، وفيه النبوة والثروة ، وأعطى عبد الدار واسمه عبد الرحمن الحجابة واللواء ، وأعطى عبد العزى الرفادة وأيام منى . قال : والرفادة الضيافة ، وأيام منى: كان الناس لا يجوزون إلا بأمره ولم أسمع أيام منى إلا منه . قال : وأعطى عبد قصى جهتى الوادى ولم أسمع فى جهتى الوادى شيئا انتهى . وقيل : إن قصيا أعطى عبـد مناف السقاية ، والرفادة ، والقيادة ، وأعطى عبد الدار السدانة وهى الحجابة ، ودار الندوة ، واللواء . ذكر ذلك الأزرقى فى الخبر الطويل الذى رواه عن ابن جريج وابن اسحق فى ولاية(٣) قصى الـكعبة وأمر مكة وفيه شىء من خبر هذه الأمور ولنذكر ذلك للفائدة :

روينا عن الأزرقى عن ابن جريج ، وابن اسحق ، يزيد أحدهما على صاحبه قالا بعـد ذكر ماسبق من خبر قصى بن كلاب : فحاز قصى شرف مكة وابتنى دار النـدوة ، وفيهـا كانت قريش تقضى بعض أمورها . ولم يكن

---

(١) هذا تـكلف لا مبرر له، فإن الروايات التاريخية الثابتة تقطع بأن عبدالمطلب مات فى عهد الفترة ، فهو ناج

(٢) هذه الـكلمة وهى « وببركته صلى الله عليه وسلم سقوا » تنقض ما قبلها من أن السقيا كانت إجابةلدعوة عبد المطلب .

(٣) فى النسخة (م) : رواية .

يدخلها من قريش من غير ولد قصي إلا أنا أربعين سنة للشورى، وكان يدخلها ولد قصي كلهم أجمعون وحلفاؤهم، فلما كبر قصي ورق [١] وكان عبد الدار أكبر ولده وبكره، وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه وذهب شرفه كل مذهب، وعبد الدار، وعبد العزى، وعبد بن قصي بها . لم يبلغوا ولا أحد من قومهم من قريش ما بلغ عبد مناف من الذكر والشرف والعز، وكان قصي وحبي ابنة حليل يحبان عبد الدار ويرأفان عليه لما يريان عليه من شرف عبد مناف عليه وهو أصغر منه، وقالت حبي : والله لا أرضى حتى تختص عبد الدار بشي تلحقه بأخيه . فقال قصي : والله لألحقنه به ولأحبونه بذروة الشرف حتى لا يدخل أحد من قريش ولا غيرها الكعبة إلا بإذنه ولا يقضون أمراً ولا يعقدون لواء إلا عنده . وكان ينظر في العواقب فأجمع قصي على أن يقسم أمور مكة الستة التي فيها الذكر والشرف والعز بين ابنيه فأعطى عبد الدار السدانة وهي الحجابة، ودار الندوة، واللواء، وأعطى عبد مناف السقاية، والرفادة، والقيادة .

أما السقاية فهي [٢] حياض من أدم كانت توضع بفناء الكعبة ويستقى فيها الماء العذب من الآبار على الإبل ويسقى الحاج .

وأما الرفادة فخرج كانت قريش تخرجه من أقواتها [٣] في كل موسم فتدفعه إلى قصي يصنع به طعاماً للحاج يأكله من لم يكن معه سعة ولا زاد، فلما هلك قصي أقيم أمره في قومه بعد وفاته على ما كان عليه في حياته وولي عبد الدار حجابة البيت وولاية دار الندوة واللواء . فلم يزل يليه حتى هلك وجعل عبد الدار الحجابة بعده إلى ابنه عثمان بن عبد الدار وجعل دار الندوة إلى ابنه عبدمناف بن عبدالدار فلم يزل بنو عبدمناف بن عبدالدار يلون دار الندوة دون ولد عبدالدار، فكانت قريش إذا أرادت أن تتشاور في أمر فتحها لهم عامر بن هاشم بن عبدمناف بن عبدالدار أو بعض ولده أو ولد أخيه وكانت الجارية إذا حاضت أدخلت دار الندوة ثم شق عليها بعض ولد عبد مناف بن عبد الدار درعها ثم درعها إياه . وانقلب بها أهلها فحجبوها . فكان عامر بن هاشم بن عبدمناف بن عبدالدار يسمى محيضاً، وإنما سميت دار الندوة لإجتماع النداة [٤] فيها فيجلسون فيها لإبرام أمرهم وتشاورهم، ولم يزل بنو عثمان بن عبد الدار ملوك الحجابة دون ولد عبدالدار، ثم وليها عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار، ثم وليها ولده أبو طلحة عبدالله بن عبدالعزى بن عثمان بن عبد الدار، ثم وليها ولده من بعده حتى كان فتح مكة فقبضها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أيديهم وفتح الكعبة [٥] ودخلها ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة مشتملا على المفتاح فقال له العباس بن

---

(١) أي لان عظمه من أثر الهرم
(٢) في النسخة (ك) : فحياض
(٣) في النسخة (ك) : من أموالها
(٤) في النسخة (ك) : للاجتماع بندوتها .
(٥) » » » : مكة .

عبدالمطلب [١] : بأبى أنت وأمى يارسول الله ، أعطنا الحجابة مع السقاية . فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ يأمركم أنْ تُؤدوا الأماناتِ إلى أهلها » قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : فما سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل تلك الساعة فتلاها . ثم دعى عثمان بن طلحة فدفع إليه المفتاح وقال غيبوه ، ثم قال : خذوها يابنى أبى طلحة بأمانة الله سبحانه وتعالى فاعملوا فيها بالمعروف خالدة تالدة ولا ينزعها منكم أو من أيديكم إلا ظالم ، فخرج عثمان بن أبى طلحة إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأقام ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبى طلحة مقامه، فلم يزل يحجب هو وولده وولد أخيه وهب بن عثمان حتى قدم ولد عثمان بن طلحة بن أبى طلحة وولده مسافع بن طلحة بن أبى طلحة من المدينة وكانوا بها دهراً طويلا فلما قدموا حجبوا مع بنى عمهم ، فولد أبى طلحة جميعاً يحجبون .

وأما اللواء فكان فى أيدى بنى عبد الدار كلهم يليه منهم ذو السِّن والشرف فى الجاهلية حتى كان يوم أحد فقتل عليه من قتل منهم .

وأما السقاية والرفادة والقيادة فلم تزل لعبد [٢] مناف بن قصى يقوم بها حتى توفى فولى بعده ابنه هاشم بن عبد مناف السقاية ، والرفادة ، وولى عبد شمس بن عبد مناف القيادة ، فكان هاشم بن عبد مناف يطعم الناس فى كل موسم ما يجتمع عنده من ترافد قريش ، كان يشترى بما يجتمع عنده دقيقاً ويأخذ من كل ذبيحة أو بقرة شيئا ـ فخذها أو غيره ـ فيجتمع ذلك كله ثم تحزر [٣] به الدقيق ويطعمه الحاج فلم يزل على ذلك من أمره حتى أصاب الناس فى سنة جدب شديد فخرج هاشم بن عبد مناف إلى الشام فاشترى بما اجتمع عنده من ماله دقيقا وكعكا فقدم به مكة فى الموسم فهشم ذلك الكعك ونحر الجزور وطبخها وجعله ثريداً وأطعم الناس وكانوا فى مجاعة شديدة حتى أشبعهم فسمى بذلك هاشماً وكان اسمه عمرو ، وفى [٤] ذلك يقول ابن الزبعرى السهمى :

كانت قريش بيضة فتفلقت — فالمخ خالصها لعبد مناف
الرائشين وليس يوجد رائش — والقائلين هلمّ للأضياف

---

(١) فى النسخة (ك) : رضى الله عنه ، وقد ذكر ابن هشام فى كتابه السيرة النبوية أن على بن أبى طالب رضى الله عنه هو الذى قدم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة فى يده فقال : يا رسول الله ، اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين عثمان بن طلحة ؟ فدعى له فقال : هاك مفتاحك ياعثمان ، اليوم يوم بر ووفاء .

(٢) فى النسخة (ك) لعبد وكلاهما خطأ والصحيح فلم يزل عبد مناف .

(٣) « « « يحزر .

(٤) فى النسخة (ك) : ففى

والخالطين غنيهم بفقرهم حتى يعود فقيرهم كالـكافى
والضار بين الـكبش يبرق بيضه واللازمين البيض بالأسياف
عمرو العلا هشم الثريد لمعشر كانوا بمكة مسنتين عجاف

يعنى بعمرو العلا : هاشما .

فلم يزل هاشم على ذلك حتى توفى، فـكان عبد المطلب يفعل ذلك . فلما توفى عبد المطلب قام بذلك أبو طالب فى كل موسم حتى جاء الاسلام وهو على ذلك ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد أرسل بمال يعمل به الطعام مع أبى بكر رضى الله عنه حين حج أبو بكر بالناس سنة تسع ، ثم عمل فى حجة النبى صلى الله عليه وسلم ، فى[١] حجة الوداع . ثم أقامه أبو بكر رضى الله عنه فى خلافته . ثم عمر رضى الله عنه فى خلافته . ثم الخلفاء هلم جرا إلى[٢] الآن . وهو طعام الموسم الذى تطعم[٣] الخلفاء اليوم فى أيام الحج بمكة ، ومنى ، حتى تنقضى أيام الموسم .

وأما السقاية فلم تزل بيد عبدمناف فكان يسقى الناس الماء من بئر رم و بئر خم[٤] على الإبل فى المزاد[٥] والقرب ، ثم يسكب ذلك الماء فى حياض من أدم بفناء الـكعبة فيرده الحاج حتى يتفرقوا . فـكان يستعذب ذلك الماء . وقد كان قصى حفر بمـكة آبارا وكان الماء بمـكة غزيرا إنمـا يشرب الناس من آبار خارجة من الحرم فأول ما حفر قصى بمـكة حفر بئرا يقال لها : الضحول ، وكان موضعها فى دار أم هانئ ابنة أبى طالب بالحزورة[٦] وكانت العرب إذا قدمت مكة يردونها فيستقون منها و يتزاحمون عليها فقال قائل فيها :

أروى من الضحول لمن انطلق * إن قصياً قد وفى وقد صدق

وحفر قصى أيضا بئرا عند الردم الأعلى عند دار أبان بن عثمان التى كانت لآل جحش بن رياد ثم دثرت ، وجاء[٧] جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف وأحياها ثم حفر هاشم بن عبد مناف بئر بدر ، وقال : حين حفرها : لأجعلنها للناس بلاغاً . وهى البئر التى فى حق « القوم » ابن عبدالمطلب فى ظهر دار « الطلوب » مولاة زبيدة[٨] بالبطحاء فى أصل المسور وهى التى يقول فيها بعض ولد هاشم :

(١) فى النسخة (م) : أى . (٢) فى النسخة (ك) : حتى . (٣) يطعمه .
(٤) خم : بئر فى ضواحى مكة وكذلك رم : بئران حفرهما عبد شمس بن عبد مناف « ياقوت »
(٥) إسم جنس مفرده مزادة ، وهى : الجلود التى يضم بعضها إلى بعض ويوضع فيها الماء .
(٦) الحزورة تقدم موضعها وهى عند الباب الذى يسمى الآن باب الوداع أحد أبواب الحرم المكى .
(٧) هذه الـكلمة من زيادتنا لتتميم المعنى ، ومكانها فى النسختين بياض .
(٨) هى السيدة زبيدة بنت المنصور وزوج الرشيد ، توفيت عام ٢١٦ هـ

نحن حفرنا بذرا بجانب المسور[١] نسقى بمائهـا الحجيج الأكبر[٢]

وحفر أيضا هاشم سجلة وهى البئر التى يقال لها بئر جبير بن مطعم دخلت فى دار القوارير فكانت سجلة لهاشم بن عبد مناف فلم يزل لولده حتى وهبها أسد بن هاشم لمطعم بن عدى حين حفر عبد المطلب زمزم واستغنوا عنها. ويقال: وهبها له عبدالمطلب حين حفر زمزم واستغنى عنها، وسأله المطعم بن عدى أن يضع حوضاً من أدم إلى جنب زمزم يسقى فيه من ماء بئره . فأذن له فى ذلك فكان يفعل فلم يزل هاشم بن عبدمناف يسقى الحاج حتى توفى، فقام بأمر السقاية بعده عبدالمطلب بن هاشم فلم يزل على ذلك حتى حفر زمزم فعقب على آبار مكة فكان منها مشرب الحاج قال : وكانت لبعد المطلب إبل كثيرة فإذا جاء الموسم جمعها ثم يسقى لبنها بالعسل فى حوض من أدم عند زمزم ويشترى الزبيب فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحاج لأنه يكسر غلظ ماء زمزم . وكانت إذ ذاك غليظة جداً . وكان الناس إذ ذاك لهم فى بيوتهم أسقية فيها الماء من هذه الآبار ثم ينبذون فيها القبضات من الزبيب والتمر، لأنه يكسر عنهم من غلظ ماء آبار مكة . وكان الماء العذب بمكة عزيزاً لا يوجد إلا لإنسان يستعذب له من بئر ميمون فى خارج مكة[٣] فلبث عبد المطلب يسقى النـاس حتى توفى . فقام بأمر السقاية بعده العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فلم يزل فى يده ، وكان للعباس كرم بالطائف وكان يحمل زبيبه إليها ، وكان يداين أهل الطايف ويقتضى منهم الزبيب فينبذ ذلك كله ويسقيه الحاج فى أيام الموسم حتى تنقضى فى الجاهلية ، وصدر الإسلام ، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح فقبض السقاية من العباس بن عبد المطلب والحجابة من عثمان بن طلحة فقام العباس بن عبد المطلب فبسط يده وقال : يارسول الله بأبى أنت وأمى اجمع لى الحجابة والسقاية . فقام النبى[٤] صلى الله عليه وسلم بين عضادتى الباب أى باب الكعبة فقال : «ألا إن كل دم أو مال أو مأثرة كانت فى الجاهليـة فهى تحت قدمى هاتين ، إلا سقاية الحاج وسدانة الكعبة فإنى قد أمضيتها لأهلها على ما كانت عليه فى الجاهلية»، فقبضها العباس رضى الله عنه فكانت فى يده[٥] . حتى توفى فوليها بعده عبدالله ابن العباس[٦] وكان يفعل فيها كفعله دون بنى عبد المطلب ، وكان محمد بن الحنفية رضى الله عنه قد كلم فيها ابن عباس . فقال له ابن عباس : رضى الله عنه[٧] مالك ولها[٨] نحن أولى بها فى الجاهلية والإسلام[٩] . قد كان أبوك تكلم فيها فأقمت البينة وشهدلى بن طلحة عبدالله ، وعامر بن ربيعة، وأزهر بن عبد عوف ومخزمة[١٠] بن نوفل ،

(١) فى النسخة (م) : المستند (٢) هكذا ورد البيت فى النسختين، وهو غير مستقيم الوزن .
(٣) فى النسخة(ك): من مكة (٤) فى النسخة (ك):رسول الله
(٥) يعنى السقاية لأن سدانة الكعبة أعادها صلى الله عليه وسلم لبنى عبد الدار .
(٦) فى النسخه (ك): رضى الله عنهماوهو الصحيح لأنهما صحابيان . وتوفى عبدالله بالطائف عام ٦٨ هـ
(٧) فى النسخة (ك): عنهما (٨) فى النسخة (م): خلفها، ويروى : حقها
(٩) » » (م) : وقد (١٠) » » » ومخرمة

وأن العباس بن عبدالمطلب كان يليها فى الجاهلية بعد عبدالمطلب وجدك أبو طالب فى إبله فى باديته بعرفة . وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها العباس يوم الفتح دون بنى عبد المطلب فعرف ذلك من حضر . فكانت بيد عبد الله بن عباس[١] بعد أبيه لا ينازعه فيها منازع ، ولا يتكلم فيها متكلم حتى توفى . فكانت فى يد على ابن عبد الله بن عباس[٢] يفعل بها كفعل أبيه وجده[٣] يأتيه الزبيب من ماله بالطائف وينبذه حتى توفى فكانت بيد ولده حتى الآن .

وأما القيادة فوليها عبد[٤] شمس بن عبد مناف ، ثم وليها من بعده أمية بن عبد شمس ، ثم من بعده حرب بن أمية فقاد بالناس[٥] عكاظ فى حرب قريش وقيس بن عيلان . وفى الفجارين : الفجار الأول ، والفجار الثانى . وقاد الناس قبل ذلك فى حرب قريش ، و بنى بكر بن عبدمناف بن كنانة ، والأحابيش يومئذ مع بنى بكر تحالفوا على جبل يقال له : الحبش ، على قريش فسموا الأحابيش بذلك ، ثم كان أبو سفيان بن حرب يقود قريشا بعد أبيه حتى كان يوم بدر فقاد الناس عتبة بن ربيعة بن عبد شمس . وكان أبو سفيان بن حرب فى العير يقود الناس ، فلما أن كان يوم أُحُد قاد الناس أبو سفيان بن حرب . وقاد الناس يوم الأحزاب ، وكانت آخر وقعة لقريش[٦] حتى جاء الله تعالى بالإسلام وفتح مكة انتهى ، والله أعلم .



(١) فى النسخة (م) : رضى الله عنهما

(٢) هو جد الخلفاء العباسين ، توفى نحو عام ١١٨ هـ .

(٣) فى النسخة (م) : عنهم

(٤) فى النسخة (م) : من بنى عبد

(٥) فى النسخة (م) : يوم عكاظ

(٦) فى النسخة (ك) : بعد قريش : وحرب .

الباب الرابع والثلاثون

فى ذكر شىء من خبر الفجار والأحابيش

رويناً فى السيرة لابن إسحاق تهذيب ابن هشام وروايته عن البكائى عنه قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة فيما حدثنى أبو عبيدة النحوى عن أبى عمرو بن العلاء: هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة . و بنى قيس بن عيلان ، وكان الذى هاجها أن عروة الرحال بن عتبة ابن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن أجار لطيمة للنعمان بن المنذر فقال له البرّاض بن قيس أحد بن ضَمْرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة : أتجيزها على كنانة ؟ قال : نعم ، وعلى الخلق كلهم [١] . فخرج عروة الرحال ، وخرج البرّاض يطلب [٢] غفلته حتى إذا كان بتيمن ذى ظلال [٣] بالعالية غفل عروة ، فوثب عليه البرّاض فقتله فى الشهر الحرام ، فلذلك سمى الفجار ، وقال البرّاض فى ذلك :

وداهية تهم الناس قبلى ... شددت لها بنى بكر ضلوعى

هدمت بها بيوت بنى كلاب ... وأرضعت الموالى بالضروع

رفعت له بذى ظلال كفى ... فخر يميد كالجذع الصريع

وقال لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب :

فأبلغ [٤] إن عرضت بنى كلاب ... وعامر والخطوب لها موالى

وبلّغ إن عرضت بنى نمير [٥] ... وأخوال القتيل بنى هلال

بأن الوافد الرحال أمسى ... مقيما عند تيمن ذى ظلال

وهذه الأبيات من أبيات له فيما ذكر ابن هشام فأتى البيت [٦] آت [٧] فقال : إن البرّاض قد قتل عروة وهو فى الشهر الحرام بعكاظ فارتحلوا وهوازن لا يشعر ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم فاقتتلوا حتى

---

(١) كلهم ليست بالنسخة (ك) (٢) فى النسخة (ك) : فطلب

(٣) ذو ظلال : من أودية الحجاز ، قريب من الرندة .

(٤) فى النسخة (ك): أبلغ . (٥) فى النسخة : (ك) :كلاب

(٦) « « « ليس فيها « بيتا » . (٧) « « : « قريشا .

جاء الليل . ودخلوا الحرم . فأمسكت عنهم هوازن بعد . ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما والقوم (يتناشدون) (١) على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم ، وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: (٢) « كنت أنبل على أعمامى » أى أرد عنهم نبل عدوهم إذا رموهم بها، قال ابن اسحق : (هاجت) حرب للفجار ورسول اللهصلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة و إنما سمى حرب الفجار بمااستحل هذان الحيان كنانة وقيس عَيْلان فيهمن المحارم بينهم، وكانقائد قريش وكنانةحرب بن أمية بن عبدشمس، فكان الظفرفىأول النهارلقيس على كنانة.حتىإذا كانوسط النهار كان الظفر لـكنانة علىقيس انتهى . وذكر الفاكهى خبر الفجار وذكر فيه غير ماذكره ابن اسحق وابن هشام فنذكر شيئاًمن ذلك لمافيه من الفائدة ، لأنه قال : وحدثنى عبد الملك بن محمدعن زياد ابن عبد الله ، عن ابن اسحق ، قال : (٣) كان الفجار الآخر بعدالفيل بعشرين سنة . فلم يكن فى العرب يوم أعظم ولا أذهب ذكرفىالناس منه بين قريش ومن حالفهامن كنانةو بنىقيس بنىعيلان فالتقوافيها بعكاظ (٤) و إنماسمى يوم الفجار بما استحل هذان الحيان كنانةوقيس فيهمن المحارم ، وقدكان قبله يوم بين بنى جبلةوتميم، وروى أشعارا كثيرة اختصرناها مخافة التطويل ولذلك موضع غير هـذا . وحدثنى حسن بن حسين الأزدى قال : حدثنا محمد بن حبيب عن أبى عبيدة أن فجار البرّاض بين كنانة و بين قيس أربعة أيام فى كل سنة يوم ، وكان أوله شطيمة (٥) من عكاظ وعلى الفريقين الرؤساء من قريش غير أبى براء وكانت هوازن من وراء المسيل ، وقريش دون المسيل و بنو كنانة فى بطن الوادى . وقال لهم حرب بن أمية : إن أبيحت (٦) فلا تبرحوا مكانـكم وعبأت هوازن فأخذوا (٧) مصافهم ، وعبأت قريش فـكان على إحدى المجبنتين ابن جدعان وعلى الأخرى كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وحرب بن أمية فى القلب فـكانت الدائرة أول النهار (٨) لـكنانة على هوازن ، حتى إذا كان آخر النهار وصبرت فاشتجر القتل فى قريش، فلما رأى ذلك الذين فى الوادى من كنانة مالوا إلى قريش وتركوا مكانهم فلما فعلوا ذلك استحر القتل بهم فقتل تحت رايتهم ثمانون رجلا . وقال آخرون : لمارأت ذلك بنو بكر بن عبد مناة نجابهم رئيسهم استبقاء لقومه فاعتزل بهم إلى جبل يقال له : رخم . وقال : ادعوهم ، ولوددت أنه لم يفلت منهم أحد (٩) فـكان يوم

(١) فى سطر ١٣ فى النسخة (ك) : يتشانون .

(٢) يبدو هنا سقطة لعدم ترابط الـكلام ، ولعل صحة الـكلام : وشهد رسول الله ﷺ حرب الفجار فقال .

(٣) فى النسخة (ك): قال ثم كان .

(٤) عكاظ: سوق العرب المشهورة فى الجاهلية وموضعه بالسيل الصغير فى طريق الطائف على أكثر الأقوال . وما جاء بعده فى هـذا الـكتاب من أن قريشا كانت دون السيل وهوازن وراء المسيل يؤيد أقوال من يقول : إن عكاظ السيل الصغير .

(٥) فى النسخة (ك) : وكان أوله يوم شيطمة .

(٦) أن أبيحت قريش فى النسخة (ك)

(٧) فى النسخة (ك) : وأخذوا

(٨) فى النسخة (ك) :أول النهار على هوازن لـكنانة .

(٩) فى النسخة (م): لم يفلت منهم .

شطيبة[1] لهوازن على كنانة ، ولم يقتل من قريش أحد يذكر . وزالت[2] آخر النهار من بنى بكر .

ذكر يوم العبلاء

حدثنى الأزدى قال : حدثنى محمد عن أبى عبيدة قال : وجمع هؤلاء وأولائك فالتقوا بالعبلاء وهو الجبل إلى جنب عكاظ ورؤساؤهم الذين كانوا يوم الشطيمة[3] بأعيانهم فكانت الدائرة أيضا فيه لهوازن على كنانة .

ذكر يوم سرب

حدثنى الأزدى قال : حدثنى محمد عن أبى عبيدة قال : ثم جمع الفريقان على قرن الحيول فى اليوم الثانى من عكاظ فالتقوا فيه بسرب من عكاظ وعليهم رؤساؤهم الذين كانوا قبلاً ولم يكن يوم أعظم منه فحمل يومئذ ابن جدعان ألفا على ألف بعير فالتقوا ، وقد كان لهوازن على كنانة يومان متواليان يوم شطيمة و يوم العبلاء فخشوا مثلها وحافظوا يومئذ وقيدت بنو أمية فيه أنفسهم ، وحافظت مخزوم فصبرت و بنو عبد مناة بن كنانة ليعفى على صنيعها يوم شطيمة ، وصبرت نصر وثقيف ، وذلك أن عكاظا بلد لهم به نخل وأموال فلم يعبوا شيئاً ، فقاتلوا حتى أمسوا وانهزموا ، وذكر شعراً لابن الزبعرى يمدح به نفرا من قريش ثم قال : وحدثنى الزبير بن أبى بكر قال : وحدثنى محمد بن الضحاك عن أبيه قال : العنابس حرب وأبو حرب ، وأبو سفيان بنو أمية و إنما سموا العنابس لأنهم عقلوا أنفسهم يوم عكاظ وقاتلوا قتالا شديدا فشبهوا بالأسد ، والأسد يقال له : العنبس . ثم قال : وحدثنا الزبير بن أبى بكر قال : حدثنى مصعب بن عثمان ومحمد بن الضحاك الحزامى أن خويلد بن أسد[4] يوم عكاظ على ابن أسد بن عبدالعزى .

ذكر يوم الحزيرة

حدثنى الأزدى حسن بن حسين قال : حدثنى محمد بن حبيب الهاشمى عن أبى عبيدة ، قال : كانت فيه الدائرة لهوازن على كنانة وهو آخر أيامهم ، وحزيرة إلى جنب عكاظ مما يلى مهب جنوبها لمن يقبل يريد مكة من مهب شمالها[5] حتى تقطع دوين قرن . فكان رؤساؤهم الذين كانوا قبلا إلا قيساً فانه مات وكان بعده الرئيس عليهم ختار

---

(١) فى النسخة (ك) : الشطيمة . (٢) فى النسخة ك : وزالت قريش .

(٣) فى النسخة (ك) : الشيطحة . (٤) فى النسخة (ك) : كان يوم (٥) فى النسخة (ك) : صبابها .

ابن قيس ، وقتل يومئذ أبو سفيان بن أمية . ومن كنانة ثلاثة رهط قتلهم عثمان بن أسيد بن مالك بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وقتل ورقاء بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن عمرو بن عامر أبا مكنف وعمرو وابن أيوب وقد ذكرهم خداش بن زهير في شعره ،فهذه أيام الفجار الخمسة التي تراجفوا فيها . في أربع سنين : أولهن يوم نخلة حين تبعتهم هوازن فكان كفاءا لاعلى هؤلاء ولا على هؤلائك . ثم يوم شطيمة فكان لهوازن على كنانة،ثم يوم عكاظ الأول وهو يوم العبلاء فكان لهوازن على كنانة ، ويوم عكاظ الثاني وهو يوم سرب كان لبني كنانة على هوازن . ولم يكن بينهم يوم أعظم منه، ثم يوم الحزيرة . وهو آخر أيامهم . قال : ثم كان الرجل يلقى الرجل والرجلين أو أكثر من ذلك أو أقل فيقتتلون فربما قتل بعضهم بعضا . فلقي ابن محمية أخو بني الدئل بن بكر أخا خداش بن زهير بالصفاح[1] فقال أخو زهير بن خداش جئت معتمراً ، فقال لا يلقى الدَّيْنَ أن قلت معتمرا فقتله ثم ندم فقال :

اللهم إن العامرى المعتمر لم آت فيه عذر المعتذر

ثم إن الناس تداعوا الى السلم على أن يُرَى الفضل من القتلى التي فيهم أي الفريقين أفضل على الآخر فتواعدوا عكاظاً ليتعادُّوا القتلى وتعاقدوا وتواثقوا أن يتموا على ذلك وجعلوا بينهما موعداً يلتقون فيه لذلك ، فأبى[2] وهب بن متعب ، وحالف على قومه وجعل لايرضى بذلك حتى يدركوا ثأرهم فقال :في ذلك أمية بن جدعان بن الأشكر :

المرء وهب وهب آل متعبة مل الغواة وإن يماطل يملل

يسعى يعوذها بجزل وقودها وإذا تعايَى صالح قومك فاعمل

وهي في شعره،واندس وهب حتى مكرت هوازن بكنانة وهم على رأس الصلح فبعثت خيلا عليها سلمة بن شعل البكائي وخالد بن هوذة فيهم ناس من بني هلال ورئيسهم ربيعة بن أبي طبان وناس من بني نصر عليهم مالك بن عوف فاغاروا على بني ليث بصحراء الغميم وهم غازون فقاتلوهم وجعل مالك يقاتل ويرتجز وهو امرد يومئذ يقول :

أمرد يبدى حلة شيب اللحا

---

(١) «الصفاح» موضع بين حنين وأنصاب الحرم على يسار الداخل إلى مكة من مشاش ، ومشاش جبل في وسط عرفات متصل بجبال تصل إلى مكة : ياقوت .

(٢) فأبى ذلك .

وهو أول يوم ذكر فيه مالك بن عوف فقتلت بنو مدلج يومئذ عبيد بن عوف البكائى وسبيع بن أبى المؤمل من بنى محارب ثم انهزمت بنو ليث فاستحرّ القتل ببنى الملوح بن يعمر فقتلوا منهم ثلاثين رجلا وساقوا نعما ثم اقبلوا فعرضت لهم خزاعة وطمعوا فيهم فقاتلوهم فلما رأوا أنه لابد لهم منهم قالوا عرضونا من غنيمتكم عراضة فأبوا فخلوا سبيلهم .

ثم إن الناس تداعوا إلى الصلح ورهنوا رهانا بوفاء[1] بديات من كان له الفضل فى القتلى . وتم الصلح ووضعت الحرب أوزارها انتهى .

وكان آخر أمر الفجار ما ذكره الزبير بن بكار لأنه قال : حدثنى محمد بن حسن عن حماد بن موسى عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال : حدثنى حكيم بن حزام قال لما توافت كنانة ، وقيس ، من العام القابل ، بعكاظ بعد العام الأول الذى كانوا التقوا فيه ، ورأس الناس حرب ، خرج معه عتبة بن ربيعة وهو يومئذ فى حجر حرب ، قال حكيم بن حزام : فنزلنا عكاظاً ونزلت هوازن بجمع كثير فلما أصبحنا قالت هوازن : وماذا يعرض . قال : أعرض أن أعطى دية من أصيب ، قالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس . قالوا : قد قبلنا فاصطلح الناس ، ورضوا . قال عتبة : واعطوهم أربعين رجلا من فتيان قريش وكنت فيهم فلما رأت بنو عامر أن الرهن قد صار فى أيديهم رغبوا فى العفو فأطلقوهم . قال الزبير وسمعت عبد الرحمن بن عبد الله يقول : لم يسد مملق[2] من قريش إلا عتبة بن ربيعة وأبو طالب بن عبد المطلب ، فانهما سادا بغير مال انتهى . وكلام مغلطاى يقتضى أن أيام هذه الفجار ستة ، لأنه قال : فى سيرته على ماأخبرت به عنه : وأيام الفجار أربعة قاله السهيلى ، والصواب أنها ستة انتهى . ووقع فى كلام الفاكهى مايقتضى أنه كان قبل الفجار الذى آثاره البراض فجار آخر . وذكر الفاكهى شيئاً من خبره فنذكر ذلك لما فيه من الفائدة ونص ماذكره الفاكهى .

ذكر الفجار الأول وما كان فيه بين قريش وقيس عيلان وسبب ذلك

حدثنا عبد الملك بن محمد عن زياد بن عبد الله ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثم هاج يوم الفجار الأول بين قريش ومن كان إلفها من كنانة كلها ، وبين قيس عيلان وسببه أن رجلا من بنى كنانة كان عليه دين لرجل من بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن فواعده به الكنانى ، فوافاه النصرى (بسوق عكاظ يقرد معه فوقفه بالسيوف فقال : من يبيعنى مثل هذا بما لى على فلان بن فلان الكنانى ، وإنما أراد ذلك النصرى[2])

(١) المقصود : ورهنوا أرهاناً للوفاء . (٢) مابين القوسين من زيادة النسخة (ك).

الكنانى وقومه ، فمر به رجل من كنانة فضربه بالسيف فقتله انفاعاً ، فصرخ النصرى فى قيس والكنانى فى بنى كنانة فتحاوز الناس حتى كادوا أن يكون بينهم قتال . ثم تداعوا بمنى للصلح وسرى الخطب من أنفسهم ، فتراجع الناس وكف بعضهم عن بعض ولم يكن بينهم إلا ذلك . ويقال : بل قعد فتية من العرب من قريش غدية إلى امرأة من بنى عامر ذات هيبة عليها برقع وهى فى درع فضل وكذلك نساء العرب يفعلن ، فأعجبهم ما رأوه من حسن هيئتها فقالوا لها : ياأمة الله اسفرى لنا وجهك ننظر إليك ، فأبت عليهم ، فقام غلام منهم فشك درعها إلى ظهرها بشوكة والمرأة لا تدرى ، فلما قامت انكشف الدرع عن دبرها ، فضحكوا وقالوا منعتنا أن ننظر إلى وجهك فقد نظرنا إلى دبرك ، فصاحت المرأة فى بنى عامر فضجت فتحاوز الناس ثم ترادوا ، ورأوا أن الأمر دون . ويقال بل قعد رجل من بنى غفار بن خليل بن حمزة يقال له : أبو معشر، كان عارفاً متصنعاً فى نفسه بسوق عكاظ ومد رجله وقال : أنا مدركة بن خندف ، أنا والله أعز العرب ، فمن زعم أنه أكرم منى فليضربها بالسيف . فضربه رجل من قيس فخدشها خدشاً غير كبير فتحاور الناس عند ذلك . حتى كاد أن يكون بينهم . قال : ثم تراجع الناس ورأوا أن لم يكن بينهم شىء كبير فكل هذا الحديث يقال فى يوم الفجار . والله أعلم أى ذلك كان ؟ قال عبد الملك قال زياد قال ابن إسحاق ، وقد قال : بعض الشعراء شعرا قد ذكر فيه عكاظ وما أصابوا من بنى كنانة وضرب رجل أبى معشر فقال :

عمرك الله سائلى أىّ قوم — معشرى فى سوالف الأعصار
نحن كنا الملوك من أهل نجد — زمن جزناه بميل الدمار
ومنعنا الحجاز : من كل حى — وقمعنا الفجار يوم الفجار
وضربنا به كنانة ضرباً — حالفوا بعده سنىّ العسار

قال زياد فى حديثه هذا : وقال ابن إسحاق فأجابه أمية بن الأسكر بشعر .

ذكر شىء من خبر الأحابيش ومحالفتهم لقريش

ذكر الزبير بن بكار فى كتاب « النسب » شيئاً من خبر الأحابيش ومحالفتهم مع قريش لأنه قال : وحدثنى محمد بن الحسن قال : تحالفت قريش والأحابيش الأحلاف فصاروا حلفاء لقريش دون بنى كنانة ، والذين عقدوا معهم من قريش بنو عبد مناف بن قصى ، والأحابيش بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة والحيا والمصطلق من خزاعة والقاره بنو الهون بن خزيمة ، فكانت قريش والأحابيش أحلافاً متعاقدين

والأحابيش على بنى بكر بن عبـد مناة وبنى مدلج ، فإن دهمهم أمر اجتمعوا فصاروا يداً واحدة ، وكانت هـذيل مع قريش والأحابيش وكانت خزاعة كلهـا إلا الحيا والمصطلق مع بنى مدلج قال : وكان تحالف قريش والأحابيش على الركن يقوم رجلان أحـدهما من قريش والآخر من الأحابيش فيضعان أيديهما على الركن فيحلفان بالله القائل بحرمة هذا البيت ، والمقام ، والركن ، والشهر الحرام ، على النصر على الخلق جميعاً حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وعلى التعاقل والتعاون وعلى من عاداهم من الناس جميعاً . ما بل بحر صوفة وما قام حراء وثبير وما طلعت الشمس من مشرقها ، وما غربت من مغربهـا ، إلى يوم القيامة ؛ فسموا عنـد ذلك الأحابيش لاجتماعهم انتهى . والله أعلم .



الباب الخامس والثلاثون

فى حلف الفضول وخبر ابن جدعان الذى كان هذا الحلف فى داره

وذكر أجواد قريش وحكامهم فى الجاهلية وتملك عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبدالعزى بن قصى عليهم وشىء من خبره

ذكر شىء من خبر حلف الفضول

روينا فى « السيرة لابن إسحاق تهذيب ابن هشام » وروايته عن زيادالبكائى شيئا من خبره ونص ذلك على مافى السيرة قال ابن هشام : وأما حلف الفضول فحدثنى زياد بن عبد الله عن محمد بن إسحاق قال : تداعت قبائل من قريش إلى حلف الفضول فاجتمعوا له فى دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى لشرفه وسنه ، فكان حلفهم عنده بنو هاشم وبنو المصطلق ، وأسد بن عبدالعزى ، وزهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة ، فتعاقدوا ، وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم . ممن دخلها من سائر الناس ، إلا قاموا معه وكانوا على من ظلم حتى تدفع عنه مظلمته ، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول . قال أبو إسحاق فحدثنا محمد بن زيد عن المهاجر بن قنفذ التيمى أنه سمع طعمة بن عبدالله بن عوف الزهرى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به بهم حمر النعم ولو أدعى به فى الإسلام لاجبت »[1] انتهى وقد ذكر الزبير بن بكار أشياء من خبر حلف الفضول وأفاد فى ذلك غير ماسبق لأنه قال فيما رويناه عنه : حدثنى أبو الحسن الأثرم عن أبى عبيدة ، قال : كان سبب حلف الفضول أن رجلا من من أهل اليمن قدم مكة ببضاعة فاشتراها رجل من بنى سهم فلوى الرجل عنقه فسأله ماله فأبى عليه فسأله متاعه فأبى عليه فقام على الحجر وقال :

يال فهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائى الدار والنفر

---

(١) كان حلف الفضول مفخرة لقريش فى الجاهلية ، فلم يكن يصد السادة من قريش أحد ، ولم يكونوا يتناهون عن ظلم الناس ، فجاء حلف الفضول ــ للدفاع عن المظلوم والانتصاف له ممن ظلمه ــ خير عمل لقريش قبيل البعثة ، وهذا الحلف كأنه إرهاص بنزول شريعة العدل والأمن ، والسلام ، شريعة الإسلام الكريم .

ومحرم أشعث لم يقض حرمته بين الإله و بين الحجر والحجر
أقائم من بنى سهم بذمتهم أم ذاهب فى ضلالٍ مال معتمر

ثم ذكر الزبير خبرا يقتضى أن الرجل الذى باع سلعته من السهمى كان من زبيد[١] ، ولا منافاة بين كونه من اليمن وكونه من زبيد لجواز كون نسبته إلى اليمن باعتبار سكناه به والله أعلم . وفى الخبر الذى فيه أن البائع من زبيد فوائد ليست فى الخبر الذى فيه أن البائع من اليمن فاقتضى ذلك ذكرنا له ونص ذلك على مافى كتاب الزبير حدثنى محمد بن فضالة عن عبد الله بن زياد بن سمعان عن ابن شهاب قال : كان شأن حلف الفضول ، أن رجلا من بنى زبيد قدم مكة معتمراً فى الجاهلية ، ومعه تجارة له ، فاشتراها منه رجل من بنى سهم فأواها إلى بيته ثم تغيب ، فابتغى متاعه الزبيدىُّ فلم يقدر عليه فجاء إلى بنى سهم يستعديهم عليه ، فأغلظوا عليه فعرف أن لا سبيل إلى ماله فطوف فى قبائل قريش يستعين بهم فتخاذلت القبائل عنه فلما رأى ذلك أشرف على أبى قبيس حين أخذت قريش مجالسها ثم قال بأعلى صوته :

يالفهرٍ لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائى الأهل والوطن
ومحرم أشعث لم يقض عمرته يال فهر و بين الحجر والحجر
هل محضر من بنى سهم بحضرتهم فعادل ، أم ضلال مال معتمر

فلما نزل من الجبل أعظمت ذلك قريش ، فتكالموا فيه . وقال المطيبون: والله لئن قمنا فى هذا لنغضبن الأحلاف وقال الأحلاف : والله لئن تكلمنا فى هذا لنغضبن المطيبين فقال ناس من قريش تعالوا فلنكرر حلف الفضول دون المطيبين ودون الأحلاف فاجتمعوا فى دار عبد الله بن جدعان وصنع لهم يومئذ طعاماً كثيرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ معهم قبل أن يوحى إليه ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، فاجتمعت بنو هاشم ، واسد ، وزهرة ، وتيم ، وكان الذى تعاقد عليه القوم وتحالفوا أن لا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد ، إلا كانوا معه حتى يأخذوا له بحقه ، ويردوا إليه مظلمته من أنفسهم ، ومن غيرهم ، ثم عمدوا إلى ماء زمزم فجعلوه فى جفنة ثم بعثوا به إلى البيت فغسلت به أركانه ثم أتوا به فشربوه فحدث هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لقد «شهدت فى دار عبد الله بن جدعان ، من حلف الفضول مالو دعيت إليه لأجبت وما أحب أن لى به حمر النعم » قال الزبير: حدثنى عبد العزيز ابن عمر العنبسى أن الذى اشترى من الزبيدى المتاع العاص بن وائل السهمى ، وقال : حلف الفضول بنو هاشم و بنو المطلب ، و بنو أسد بن عبد العزى ، و بنو زهرة ، و بنو تيم ، تحالفوا بينهم بالله لا يظلم أحد

(١) زبيد بفتح الزاى : مدينة فى اليمن مشهورة بهذا الاسم إلى الآن . ومنها: الزبيدى المحدث المشهور.

بمكة إلا كنا جميعاً مع المظلوم على الظالم حتى نأخذ له مظلمته ممن ظلمه شريفا أو وضيعا منا ، أو من غيرنا . ثم انطلقوا إلى العاص بن وائل ،فقالوا : والله لا نفارقك حتى تؤدى إليه حقه ، فأعطى الرجل حقه فمكثوا كذلك لا يظلم أحد حقه بمكة إلا أخذوه له فكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول : لو أن رجلا وحده خرج من قومه لخرجت من بنى شمس حتى أدخل فى حلف الفضول ، وليست عبد شمس فى حلف الفضول . وحدثنى محمد بن حسن عن محمد بن طلحة عن موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه وعن محمد بن فضالة ، عن هشام ، بن عروة ، وعن إبراهيم بن محمد ، عن يزيد بن عبد الله بن الهادى أن بنى هاشم و بنى المطلب وأسد بن عبد العزى ، وتيم بن مرة ، تحالفوا على أن لا يدعوا بمكة كلها ، ولا فى الأحابيش مظلوماً يدعوهم إلى نصرته إلا أنجدوه ، حتى يردوا إليه مظلمته أو يبلغوا فى ذلك عذراً وعلى أن لا يتركوا لأحد عند أحد فضلاً إلا أخذوه وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، و بذلك سمى حلف الفضول بالله على الظالم حتى نأخذ للمظلوم حقه ما بلّ بحر صوفة ، وعلى الناس فى المعاش(١)

وذكر الزبير ما يوهم أن سبب حلف الفضول غير ما سبق لأنه قال : وقال بعض العلماء ان قيس السلمى باع متاعا من أبى بن خلف فلواه وذهب بحقه ، فاستجار برجل من بنى جمح فلم يقم بجواره ؛ فقال قيس :

يا ل قصى كيف هذا فى الحرم   وحرمة البيت وأخلاق الكرم

أظلم لا يمنع منى من ظلم

و بلغ الخبر عباس بن مرداس فقال :

إن كان جارك لم تنفعك ذمته   وقد شربت بكأس الذل أنفاسا

فأت البيوت وكن من أهلها صددا   ولا تبديهم فحشاً ولا باسا

وثم كن بيناء البيت معتصما   يبغى ابن حرب و يبغى المرء عباسا

ساق الحجيج وهذا ياسر فلح   والمجد يورث أسداسا وأخماسا(٢)

وقام العباس وأبو سفيان حتى رداعليه متاعه . واجتمعت بطون قريش فتحالفوا على رد الظلم بمكة .وأن لا يظلم أحد إلا منعوه وأخذوا له بحقه . وكان حلفهم فى دار ابن جدعان ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شهدت حلفا

(١) هكذا فى الأصل وهنا بياض بالأصل مقدار سطرين فى النسختين .

(٢) فى النسخة (ك) : أخماساً وأسداساً .

فى دار ابن جُدْعان[(١)] ، ما أحب أن لى به حمر النعم ، ولو دعيت به لأجبت » فقال قوم من قريش : هذا والله فضل من الحلف فسمى حلف الفضول . قال : وقال الآخرون : فحالفوا على مثال حلف تحالفت عليه قوم من جرهم فى هذا الأمر ألا يلغوا ظلماً ببطن مكة إلا غيروه، وأسماهم: الفضل بن شراعة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن قضاعة . والله أعلم أى ذلك كان ؟ وذكر الزبير خبرا يقتضي أن البائع من أبى بن خلف رجل من ثمالة لأنه قال : حدثنى على بن صالح عن جدى عبد الله بن مصعب عن أبيه فذكر قصته ، ثم قال : فبلغ ذلك معاوية ، وعنده جبير بن مطعم ، فقال له معاوية : يا أبا محمد كنّا فى حلف الفضول ؟ قال له جبير بن مطعم : لا ، وقد مرّ رجل من ثمالة فباع سلعة له من أبى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح فظلمه وكان سيِّ المخالطة ، فأتى الثمالى أهل حلف الفضول فأخبرهم ، فقالوا : اذهب فأخبره بأنك قد أتيتنا فإن أعطاك حقك وإلا فارجع إلينا . فأتاه فأخبره ما قال له هل حلف الفضول ، وقال له: فما تقول ؟ فأخرج إليه حقه ، فأعطاه إياه . فقال :

أتلحونى ببطن مكة ظالمـا　　وإنى ولا قومى لدى ولا صحبى
وناديت قومى بارقا لتجيبنى　　وكم دون قومى من فياف ومن شهب؟
ويأبى لـكم حلف الفضول ظلامتى　　بنى جمح والحق يؤخذ بالغصب

وذكر الزبير خبرا يوهم أن سبب حلف الفضول غير ما سبق لأنه قال : حدثنى غير واحد من قريش منهم عبد العزيز بن عمر العنبسى عن مضاض بن عبد الله بن عتبة :أن رجلا من خثعم قدم مكة تاجرا ومعه ابنة له يقال لها القبول أوضأ نساء العالمين . فعلقها نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم ، فلم يبرح حتى نقلها إليه ، وغلب أباها عليها ، فقيل لأبيها: عليك بحلف الفضول ، فأتاهم وشكا ذلك إليهم ، فأتوا نبيه بن الحجاج وقالوا : أخرج ابنة هذا الرجل وهو يومئذ بناحية مكة وهى معه وإلا فإنا من قد عرفت ، فقال : ياقوم متعونى بها الليلة، فقالوا : قبحك الله ما أجهلك ، لا والله ولا شخت لقحة. فأخرجها إليهم فأعطوها أباها وركب معهم الخثعمى ؛ فلذلك يقول نبيه بن الحجاج :

راح صحبى ولم أحى القبولا　　لم أودعهم وداعا جميلا

وذكر بقية الأبيات . وقال نبيه فى ذلك أبياتا أخر . وذكر الفاكهى من خبر حلف الفضول عن الزبير بن بكار جميع ما ذكرناه عن الزبير .

---

(١) كان عبد الله بن جدعان من أشراف قريش وساداتها وأثريائها ، وهو الذى مدحه أمية بن أبى الصلت فى شعره ، وفيه يقول قصيدته المشهورة :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى　　حياؤك إن شيمتك الحيـــاء

وذكر الفاكهى فى ذلك غير ما سبق فاقتضى ذلك ذكرنا له لما فيه من الفائدة ، ونص ما ذكر الفاكهى : ذكر حلف الفضول ، وسببه ، وتفسيره ، وغيره من الحلف ، ثم إن قريشا تداعت إلى الفضول وذلك بعد رجوعهم من عكاظ ، ويقال : بعد فراغهم من بنيان الكعبة ، وكان حلفا جميلا على قريش ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حالف فيه فاجتمعوا فى ذلك فى دار ابن جدعان لشرفه وموضعه فى قومه ، وكانت له أسباب سأذكرها إن شاء الله تعالى . حدثنى عبد الله بن شبيب الربعى مولى بنى قيس بن ثعلبة قال : حدثنى أبو بكر بن شيبة عن عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبة الخزاعى ، قال : حدثنى عمرو بن أبى بكر العدوى ، قال : حدثنا عثمان بن الضحاك عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : سمعت جدى حكيم بن حزام يقول : انصرفت قريش من الفجار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة ، وكان حلف الفضول ، فى شوال ، وكان أشرف حلف وأعظم بركة ، وذلك أن الرجل من العرب أو غيرها من العجم كان يقدم مكة بسلعة فربما ظلم ثمنها ، وكان آخر من ظلم بها رجل من بنى زبيد فقدم مكة بسلعة له فباعها من العاص بن وائل فظلمه ثمنها ، فطاف فى الأحلاف : عبد الدار ، وجمح ، وسهم ومخزوم ، فسألهم أن يعينوه على العاص بن وائل ، فزجروه وتجهموه ، وأبوا أن يغابوه على العاص ؛ فلما نظر إلى سلعته قد حيل دونها رقى على جبل أبى قبيس عند طلوع الشمس وقريش فى أنديتها ، فصاح بأعلى صوته :

يا لفهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائى الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته ... يال الرجال و بين الحجر والحجر
هل قائم من بنى سهم بخفرته ... وعادل أم ضلال مال معتمر

فقال الزبير بن عبد المطلب : إن هذا الأمر ما ينبغى لنا أن نمسك عنه فطاف فى بنى هاشم ، وزهرة ، وأسد ، وتيم ، فاجتمعوا فى دار عبد الله بن جدعان وتحالفوا بالله القائل لنكونن يداً للمظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقه ما بل بحر صوفة ، وما رسا حراء وثبير فى مكانهما ، وعلى الناس فى المعاش . ثم نهضوا إلى العاص بن وائل فنزعوا سلعة الزبيدى ودفعوها إليه فقالت قريش : إنه قد دخل هؤلاء فى فضل من الأمر ، فسمى حلف الفضول فقال الزبير بن عبد المطلب :

حلفت لنعقدن حلفا عليهم ... وإن كنا جميعاً أهل دار
نسميه الفضول إذا عقدنا ... مقربة الغريب لذى الجوار
ويعلم من حوالى البيت أنا ... أباة الضيم نمنع كل عار

قال أبو بكر بن شيبة : حدثنى عمرو بن أبى بكر قال كان يقال : كان فى جرهم مثل هذا الحلف فمشى فيه

رجال،منهم فضل وفضال وفضالة فسموه حلف الفضول ، وقال : الزبير بن عبدالمطلب :

ان الفضول تحالفوا وتعاقدوا أن لا يقيم ببطن مكة ظالم

أمر عليه تعاقدوا وتواثقوا فالجار المظلوم فيهم سالم

وقد بان بما ذكرناه من هذه الأخبار المتعلقة بحلف الفضول فوائد كثيرة تتعلق بذلك،و إنما سبب تسميته بحلف الفضول كون اللذين تحالفوا عليه قدسبقوابحلف مثله سبق إليهجماعة من جرهم ، يقال لكل منهم : الفضل ، أو ما يقرب من معناه،وأشار السهيلي إلى أن سبب تسميته بحلف الفضول لكون الذين تحالفوا عليه تحالفوا على أن يردوا الفضول على أهلها ، لأنه قال ، بعد أن حكى عن ابن قتيبة : إن سبب تسميته أن جماعة من جرهم يقال لأحدهم الفضل بن فضالة ، والثاني الفضل بن وداعة ، والثالث فضيل بن الحرث ، ومن تبعهم سبقوا قريشاً إلى مثل هذا الحلف . والذي قاله ابن قتيبة حسن ولكن في الحديث ما هو أقوى منه وأولى . روى الجندى عن سفيان عن عبدالله عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا لو دعيت به فيالاسلام لأجبت ، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وأن لا يعين ظالم مظلوماً »، ورواه في مسنده الحارث بن عبد الله بن أبي أسامة التميمي فقد بين هذا الحديث لم سمي حلف الفضول ؟ وكان حلف الفضول بعد الفجار . وذلك أن حرب الفجار كانت في شعبان وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب والفضول جمع فضل ،انتهى .

ذكر شيء من خبر ابن جدعان الذي كان في داره حلف الفضول

هو عبد الله بن جدعان ، بن عمرو ، بن كعب ، بن سعد ، بن تيم ، بن مرة ، بن كعب بن لؤي ، بن غالب، القرشي التميمي المكي،يكنى أبا زهير من رهط أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان من رؤساء قريش وأجوادهم ، وله في الجود أخبار شهيرة منها أنه كانت له جفنة للأضياف يستظل بظلها في الهاجرة . لان في غريب الحديث لابن قتيبة أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان بمكة في الهاجرة، قال ابن قتيبة كانت جفنته يأكل منها الراكب على البعير ، وسقط فيها صبي فغرق أي مات . ومنها على ما قال هشام ابن الكلبي كان له مناديان يناديان أحدهما بأسفل مكة والآخر بأعلى مكة ، وكان المناديان سفيان بن عبد الأسد، وأبو عبد قحافة وكان أحدهما ينادي : ألا من أراد اللحم ، والشحم ، فليأت دار ابن جدعان . وهو أول من أطعم الفالوذج بمكة؛ذكر هذا الخبر عن ابن الكلبي الفاكهي في «أخبار مكة».

ومنها أن أمية بن أبي الصلت[١] قبل أن يمدح ابن جدعان كان قد أتى بنى الديان من بنى الحرث بن كعب فرأى طعام بنى عبد الديان منهم لباب البر والشهد والسمن وكان ابن جدعان يطعم التمر والسويق ويسقى اللبن فقال أمية :

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم   فرأيت أكرمهم بنى الديان
البرّ يُلبك بالشهاد طعامهم   لا ما يعللنا بنو جدعان

فبلغ شعره عبد الله بن جدعان فأرسل ألفى بعير إلى الشام تحمل إليه البر والشهد والسمن وأمر مناديا ينادى على الكعبة : ألا هلموا إلى جفنة عبدالله بن جدعان فقال أمية عند ذلك :

له داع بمكة مشمعل   وآخر فوق كعبتها ينادى
إلى ردح من الشيزى عليها   لباب البر يلبك بالشهاد[٢]

وكان ابن جدعان فى بدء أمره صعلوكا ترب اليدين ، وكان مع ذلك شريرا فاتكا لا يزال يجنى الجنايات فيعقل عنه أبوه وقومه حتى أبغضته عشيرته ، ونفاه أبوه وحلف أن لا يأويه أبدا لما أثقل به من الغرم . وحمله من الديات ، فخرج فى شعبان من مكة حائرًا بأبى قبيس لعل الموت ينزل به فرأى شقا فى الجبل فظن فيه حية فتعرض للشق يرجو أن يكون فيه ما يقتله فيستريح . فلم ير شيئا فدخل فيه فإذا فيه ثعبان عظيم له عينان مستديرتان ينظران نحو بيت فخطى خطوة فصفر به الثعبان وأقبل عليه كالسهم فأفرج له فانساب عنه قدما لا ينظر إليه فوقع فى نفسه أنه مصنوع ، فأمسكه بيده فإذا هو مصنوع من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره وأخذ عينيه ودخل البيت فإذا جثث على سرر طوال لم ير مثله طولا وعظما وعند رءوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم وإذا هم رجال من ملوك جرهم وآخرهم موتا الحرث بن مضاض صاحب الغربة الطويلة ، وإذا عليهم ثياب لا يمس منها شىء إلا انتثر كالهباء من طول الزمن وشعر مكتوب فى اللوح فيه عظات آخر بيت منه :

صاح هل رأيت أو سمعت براع   رد فى الضرع ماقرى فى الحلاب

وقال ابن هشام: كان اللوح من رخام وكان فيه : أنا ثعلبة بن عبد المدان بن خشرم بن عبد ياليل بن جرهم ابن قحطان بن هود نبىّ الله عشت خمسمائة عام وقطعت غور الأرض باطنها وظاهرها فى طلب الثروة ، والجد ، والملك ، فلم يكن ذلك ينجينى من الموت وتحته مكتوب :

---

(١) شاعر جاهلى متدين ، طلب النبوة ، وكان يحدث فى شعره بأحاديث خلق الكون وقصص الأنبياء ، ولما بعث الرسول حسده أمية لهذا الشرف ولم يسلم به ، ورثى قتلى بدر ، وتوفى عام ٩ من الهجرة .

(٢) مشمعل : بعيد الصوت أو سريع ، الردح جمع رداح ، وهى الجفان الكبيرة ، الشيزى : نوع من الخشب تتخذ منه القصاع . اللباب : خالص الشىء . البر : القمح . يلبك : يخلط أو يعجن . الشهاد : نوع من العسل وهو عسل النحل .

قد قطعت البلاد فى الثر وة والمجد خالص الأثواب
وسريت البلاد قفراً لقفر بضمانى وقوتى واكتسابى
فاصاب الردى بيات فؤادى بسهام من المنايا صياب

وإنه فى وسط البيت كوم عظيم من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة فأخذ منه ماأخذ ثم علم على الشق بعلامة وأغلق بابه بالحجارة وأرسل إلى أبيه بالمال الذى خرج به يسترضيه ويستعطفه ووصل عشيرته كلهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف ، وذكر حديث كنز ابن جدعان موصولا بحديث الحرث بن مضاض بن هشام فى غير هذا الكتاب ووقع أيضا فى كتاب « رى العاطش وأنس الواحش » لأحمد ابن عمار أن ابن جدعان حرم الخمر فى الجاهلية بعد أن كان مغرى وذلك أنه سكر فتناول القمر ليأخذه فأخبر بذلك حين صحا فحلف لا يشتريها أبداً ولما كبر وهرم أراد بنو تيم أن يمنعوه من تبذير ماله ولاموه فى العطاء فكان يدعو الرجل فإذا دنا منه لطمه لطمة خفيفة ثم قال قم فانشد لطمتك ، واطلب ديتها، فإذا فعل ذلك أعطته بنو تيم من مال ابن جدعان حتى يرضى [1] انتهى ، من كتاب السهيلى . وجميع ماذكرناه من خبره عن ابن الكلبى ، وفى مسلم أن عائشة رضى الله عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ، ويقرى الضيف ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : لا ، إنه لم يقل يوما : رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين اه .

وذكر الفاكهى فى وفاة ابن جدعان هذا خبرا غريبا لأنه قال فى الترجمة التى ترجم عليها ما نصه : ذكر موت أهل الشرف من قريش بمكة ومراثيهم . ثم هلك عبد الله بن جدعان بن عمرو التيمى ، فبكته الجن والإنس فأما بكاء الجن فحدثنى إبراهيم بن يوسف المكى ، قال : حدثنا إسماعيل بن زياد عن ابن جريج أن عبدالله ابن عباس رضى الله عنهما كان يحدث أن النباش بن وزارة التميمى وكان حليفا لقريش قال : خرجنا إلى الشام تجاراً فى الجاهلية وعبد الله بن جدعان صبى حين خرجنا ، فلما سرنا نحوا من خمس عشرة ليلة نزلنا ذات ليلة واشتهينا أن نصبح بذلك المكان . قال : فقام أصحابى وأصابنى أرق شديد فإذا هاتف يهتف يقول :

---

(١) يروى أن أمية بن أبى الصلت دخل على ابن جدعان وعنده قينتان تغنيانه ، فقال له ابن جدعان : أمر ما أتى بك ؟ قال أمية : كلاب غرماء نبحتنى ونهشتنى ، فقال : قدمت على وأنا عليل من حقوق لزمتنى فانظر قليلا وقد ضمنت عنك قضاء دينك ولا أسأل عن مبلغه فأقام أمية أياما ثم أتى فأنشده :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى حياؤك إن شيمتك الحياء

فلما سمع ابن جدعان القصيدة وهبه القينتين .

ألا هلك المـــلوك غيث بن فهر وذو العز والجد «المؤثل والفخر»[1]

قال : فأجبته فقلت :

ألا أيها الناعى أبا الجد والذكر من المرء تنعاه لنا من بنى فهر؟

فأجابه الهاتف فقال :

مغيث ابن جدعان بن عمرو أخا الندى وذا الحسب المعدود والمنصب الوفر

قال : فأجبته فقلت :

لعمرى لقد نوهت بالسيد الذى له الفضل معلوم على ولد النضر

فاخبر وأخبر إن علمت وفاته فإنك قد أخبرت جلا من الأمر

فأجابه الهاتف فقال :

مررت بنسوان تخمش أوجها عليه صياحا بين زمزم والحجر

قال فأجبته فقلت :

متى إنمــا عهدى به منـذ جمعة وستة أيام لغرة ذا الشهر

قال : فأجابه الهاتف فقال :

ثوى منذ أيام ثلاث كوامل مع الصبح أو فى الصبح فى وضح الفجر

قال : فاستيقظت الرفقة وهى تتراجع بنعى ابن جدعان ، وقالوا : إن كان أحد نعى لعز وشرف فقد نعى ابن جدعان ؛ فقال الجنى :

أرى الأيام لا تبقى عزيزا لعزته ولا تبقى ذليـــــلا

فأجبته فقلت :

ولا تبقى من الثقلين حيا ولا تبقى الجبـال ولا السهولا

فقال الجنى : صدقت . انتهى[2] . وذكر الفاكهى شيئاً من رثاء الإنس لابن جدعان

ذكر شئ من خبر أجواد قريش فى الجاهلية

كان فى قريش فى الجاهلية أجواد أخر مع ابن جدعان ، لهم فى الجود أخبار مشهورة ؛ ويقال لبعضهم : أزواد

(١) ما بين القوسين زيادة ناقصة فى الأصل. (٢) هذا من أحاديث الأدب الموضوعة .

الركب ، لكفايتهم من معهم المؤنة على ماذكر ابن الكلبى وغيره . فيما نقل الفاكهى وغيره . ونص ما ذكر الفاكهى: (ذكر أزواد الركب من قريش) .

حدثنا حسن بن حسين الأزدى . قال : حدثنا أبو جعفر عن هشام بن الكلبى ، قال : وكانوا إذا سافروا لم يختبز معهم أحد ، ولم يطبخ إلا الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى ومسافر بن أبى عمرو وابن أممية بن عبدشمس وأبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم،وزمعة بن عبدالمطلب بن أسد ،انتهى .

ذكر الحكام من قريش بمكة فى الجاهلية

هؤلاء الحكام ذكرهم الفاكهى لأنه قال : ذكر الحكام من قريش بمكة: حدثنا محمد بن على النجار الصنعانى قال : حدثنا عبد الرزاق عن ابن جريج قال : أخبرنى بشير بن تميم بن الحرث بن عبيد بن عمرو بن مخزوم : كان حكم قريش فى الجاهلية وكان أول من حكم قريشا فى الجاهلية بالقسامة والدية حكم بالقسامة فى رجل وبمائة من الإبل فى رجل وكان عقل أهل الجاهلية الغنم،وحدثنى الحسن بن حسين الأزدى قال:حدثنا محمد أبو جعفر عن الكلبى فى الحكام من قريش قال : فمن بنى هاشم: عبد المطلب بن هاشم ، والزبير ، وأبو طالب ابنا عبد المطلب ،ومن بنى أمية:حرب بن أمية ، وأبو سفيان بن حرب . ومن بنى زهرة:العلاء بن الحارثة الثقفى ، حليف بنى زهرة . ومن بنى مخزوم:العدل وهو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . ومن بنى سهم قيس بن عدى بن سعد بن سهم، والعاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم . ومن بنى عدى بن كعب بن نفيل بن عبدالعزى ، بن رزاح انتهى . ولم يكن من هولاء ممتلكا على بقيةقريش و إنما ذلك بتراض من قريش لما فيه من حسم مواد الشر ، و يؤيد ذلك ما يأتى ذكره قريباً .

ذكر تملك عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبدالعزى بن قصى بن كلاب القرشى الأسدى على قريش بمكة وشىء من خبره

قال:الزبير بن بكار فيما رويناه عنه : حدثناعلى بن صالح ، عن عامر بن صالح ،عن هشام بن عروة ،عن عروة بن الزبير ، قال : خرج عثمان بن الحويرث وكان يطمع أن يملك قريشا . وكان من أظرف قريش وأعقلها ، حتى قدم على قيصر وقد رأى موضع حاجتهم إليه ومتجرهم من بلاده ، فذكر له مكة ورغّبه فيها.وقال : تكون زيادة فى ملكك كما ملك كسرى صنعاء فملكه عليهم وكتب له إليهم ، فلما قدم عليهم قال : ياقوم إن قيصر من قد علمتم أموالكم ببلاده وما تصيبون من التجارة فى كنفه . وقد ملكنى عليكم وإنما أنا ابن عمكم وأحدكم

وإنما آخذ منكم الجراب من القرظ والعُكَّة من السمن والأوهاب فاجمع ذلك ثم ابعث به إليه ، وأنا أخاف إن أبيتم ذلك أن يمنع منكم الشام فلا تتجروا به ويقطع مرفقكم منه . فلما قال لهم ذلك خافوا قيصر ، وأخذ بقلوبهم ماذكر من متجرهم فاجتمعوا على أن يعقدوا على رأسه التاج عشية وفارقوه له على ذلك : فلما طافوا عشية بعث الله عليه ابن عمه أبا زمعة الأسود بن المطلب بن أسد ، فصاح على أحفل ما كانت قريش فى الطواف وقال : عباد الله ملك بتهامة فانحاشوا انحياش حمر الوحش ثم قالوا : صدقت ، واللات والعزى ما كان بتهامة ملك قط . فانتقضت قريش عما كانت قالت له ، ولحق بقيصر يعلمه . وقال الزبير : حدثنى محمد بن الضحاك بن عثمان الحزامى عن أبيه قال : قال : الأسود بن عبد المطلب حين أرادت قريش أن تملك عثمان بن الحويرث عليها : إن قريشا لقاح لا تملك انتهى باختصار . ثم روى الزبير بسنده أن قيصر حمل عثمان على بغلة عليها سرج عليه الذهب حين ملكه قال الزبير : قال عمى : وكان عثمان بن الحويرث حين قدم مكة بكتاب قيصر مختوم فى أسفله بالذهب انتهى .

وذكر الزبير خبرا فيما انتهى إليه أمر عثمان بن الحويرث، وملخص ذلك: أنه خرج إلى قيصر بالشام فسأل تجار قريش بالشام عمرو بن جفنة الغسانى أن يفسد على عثمان عند قيصر فسأل عمرو فى ذلك ترجمان قيصر عن عثمان حين حضر عثمان وترجم عليه بأن عثمان يشتم الملك فأمر قيصر بإخراج عثمان ثم تحيل عليه عثمان حتى عرف من أين أتى ؟ ودخل على قيصر وعرفه مايقتضى أن الترجمان كذب عليه . فكتب قيصر إلى عمرو بن جفنة يأمره أن يحبس لعثمان من أراد حبسه من تجار قريش بالشام ففعل ذلك عمرو،ثم سم عثمان فمات بالشام وذكرنا هذا الخبر بنصه فى أصل هذا الكتاب والله أعلم .



الباب السادس والثلاثون

فى ذكر شىء من خبر فتح مكة وفوائد تتعلق به

قال ابن إسحق : فى سيرته تهذيب ابن هشام وروايته عن زياد البكائى عنه فى أخبار سنة ثمان من الهجرة قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بعثه إلى مؤتة جمادى الآخرة ، ورجب . ثم إن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوتيروكان الذى هاج مابين بنى بكر وخزاعة أن رجلا من بنى الحضرمى واسمه مالك بن عباد ، خرج تاجرا فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه ، وأخذوا ماله فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بنى الأسود بن رزن الدئلى وهم متجربنى كنانة وأشرافهم : سلمى ، وكلثوم ، وذؤيب ، فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم قال أبو إسحاق : وحدثنى رجل من بنى الدئل ، قال : كان بنو الأسود ابن رزن يدون فى الجاهلية ديتين ديتين و ندى دية دية لفضلهم فينا قال ابن إسحاق : فبينا بنو بكر ، وخزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام وتشاغل الناس به فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين قريش كان فيما شرطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنى الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ، ومروان بن الحكم ، وغيرهم من علمائنا : أنه من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدها فليدخل فيه . فدخلت بنو بكر فى عقد قريش ،ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن اسحاق : فلما كانت الهدنة . اغتنمها بنو الدئل من بنى بكر من خزاعة وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم من بنى الأسد بن رزن ، فخرج نوفل ابن معاوية الدئلى فى بنى الدئل وهو يومئذ قائدهم وليس كل بنى بكر تابعه حتى أتى [1] خزاعة وهم على الوتير ماء لهم فأصابوا رجلا منهم وتحاوزوا واقتتلوا ورفدت قريش بنى بكر بالسلاح . وقاتل معهم من قريش من قاتل حتى جازوا خزاعة إلى الحرم فلما انتهوا إلى [2] الحرم قالت بنو بكر يا نوفل : إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك فقال كلمة عظيمة لا إله له اليوم يا بنى بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمرى إنكم لتسرفون فى الحرم ، أفلا

---

(١) فى النسخة (م) : أتى وفى النسخة (ك) : بدت .

(٢) فى النسخة (م): إلى الحرم وفى النسخة (ك): إليه .

تصيبون ثأركم فيه ؟ وقد أصابوا منهم ليلة بيوتهم بالوتير رجلا يقال له منبه وكان منبه رجلا معوزا خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد فقال منبه : يا تميم انج بنفسك . فأما أنا فوالله إنى لميت قتلونى ، أو تركونى . لقد انبت فؤادى، فانطلق تميم فأفلت وأدركوا منبها فقتلوه،فلما دخلت خزاعة مكة لجئوا إلى دار بديل بن ورقاء ، ودار مولى لهم يقال له : رافع، فقال تميم بن أسد يعتذر من فوره عن منبه فذكر أبياتا له أولها :

لما رأته بنى نفاثة أقبلوا يغشون كل وتيرة وحجاب الأبيات ،

وذكر أيضا أبياتا للأضرر بن معيطر الدئلى وأبياتا لبديل بن عباد ويقال له بديل بن حزم و بيتين لحسان بن ثابت ثم قال ابن اسحاق : فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا ما كان بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا فى عقده وعهده ، خرج عمرو ابن سالم الخزاعى ثم أخذ بنى كعب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان فى ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهرى الناس فقال :

يارب إنى ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
وانصر هداك الله نصرا عبده وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا إن كان شر وجهه تربدا
فى فيلق كالبحر يجرى سرمدا إن قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا وجعلوا لى فى كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا وقتلونا ركعا وسجدا

يقول : قتلنا وقد أسلمنا

قال ابن هشام : ويروى:*فانصر هداك الله نصرا أبدا * قال ابن هشام : ويروى * نحن ولدناك فكنت ولدا * .

قال ابن اسحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نصرت ياعمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان فى السماء فقال : إن هذه السحابة لتنهل بنصر [1] بنى كعب . ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بنى بكر

(١) فى النسخة (م) : تنهر ، وهو تحريف .

عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنكم بأبى سفيان وقد جاءكم ليشد العقد ويزيد فى المدة . ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان بن حرب بعسفان وقد بعثته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشد العقد ويزيد فى المدة وقد رهبوا الذى صنعوا ، فلما لقى أبو سفيان بديل بن ورقاء قال : من أين أقبلت يابديل ؟ وظن أنه قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال سرت فى خزاعة فى هذا الساحل وفى بطن هذا الوادى قال : أو ماجئت محمدا ؟ قال : لا . فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان : لئن كان جاء بديل المدينة لقد علف بها النوى فأتى مبرك راحلته فاخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال : احلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان . فلما ذهب يجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه . فقال : يابنية ما أدرى ؟ يابنية [١] أرغبت فىَّ عن هذا الفراش ، أو رغبت به عنى ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : والله يابنية [٢] لقد أصابك بعدى شر . ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئاً . ثم ذهب إلى أبى بكر رضى الله عنه فكلمه أن يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فكلمه فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله لولم أجد إلا الذر لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها حسن بن على غلام يدب بين يديها فقال : يا على إنك أمسُّ القوم بى رحما وانى قد جئت فى حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً فاشفع لى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما يستطيع أحد [٣] أن يكلم فيه . فالتفت إلى فاطمة رضى الله عنها فقال : يا بنت محمد هل لك أن تأمرى بنيك هذا أن [٤] يجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر . قالت : والله مابلغ بنى ذاك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا أبا الحسن إنى أرى الأمور قد اشتدت على فانصحنى . قال : والله ما أعلم شيئاً يغنى منك [٥] شيئاً ولكنك سيد بنى كنانة فقم فاجز بين الناس ثم الحق بأرضك . قال : أو ما ترى [٦] ذلك مغنياً عنى شيئاً ؟ قال : لا ، والله ما أظنه ، ولكنى لا أجد لك غير ذلك وقام [٧] أبو سفيان فى المسجد وقال [٨] : أيها الناس إنى قد أجزت بين الناس ثم ركب

---

(١) فى النسخة (ك) : يابنية.قبل ـ ماأدرى ؟ ـ وبعدها.
(٢) فى النسخة (م) : تقديم يابنية على « لقد أصابك »
(٣) فى النسخة (ك) : لا توجد كلمة أحد
(٤) فى النسخة (ك):فيجير
(٥) فى النسخة (ك) : عنك
(٦) فى النسخة (ك):أو ترى بدون ما .
(٧) فى النسخة (ك) : فقام .
(٨) فى النسخة (ك) : فقال :

بعيره ، فانطلق فلما قدم على قريش قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت[١] ابن الخطاب فوجدته أدنى[٢] العدو . ثم قال ابن هشام : أعدى العدو ، وقال ابن اسحق : قال : ثم أتيت عليا فوجدته ألين القوم . وقد أشار على بشيء صنعته فوالله ما أدرى هل يغنى شيئاً أم لا ؟ قالوا وبم أمرك ؟ قال : أمرنى أن أجيز بين الناس ، ففعلت . قالوا : فهل أجاز ذلك لك محمد ؟ قال : لا ، قالوا : ويلك ، والله إن زاد الرجل على أن لعب بك ، فما يغنى عنك ماقلت . قال : لا والله ما وجدت غير ذلك . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه فدخل أبو بكر على ابنته عائشة، رضى الله عنها ، وهى تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أى بنية أأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه ؟ قالت : نعم فتجهز . قال : فأين ترينه يريد ؟ قالت : لا والله ما أدرى . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالتهيؤ[٣] والجد . وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها فتجهز الناس . فقال[٤] حسان بن ثابت رضى الله عنه يحرض الناس ويذكر مصاب رجال خزاعة :

عنانى ولم أشهد ببطحاء مكة ... رجال بنى كعب تُحَزّ رقابها
بأيدى رجال لم يَسُلُّوا سيوفهم ... وقتلى كثير لم تجن ثيابها
ألا ليت شعرى هل تنالن نصرتى ... سهيل بن عمرو حَرُّها وعِقابها
ولا تأمننا يابن أم مجالد ... إذا أقبلت[٥] صرفا وأعصل نابها
ولا تجزعوا منا[٦] فإن سيوفنا ... لها وقعة بالموت يفتح بابها[٧]

قال ابن هشام : قول حسان : * بأيدى رجال لم يسلوا سيوفهم * : يعنى قريشا، وابن أم مجالد عكرمة بن أبى جهل قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قال : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى مكة كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر فى السير إليهم، ثم أعطاه امرأة يزعم محمد بن جعفر أنها من مزينة، وزعم لى غيره : أنها سارة مولاة لبنى عبد المطلب . وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشا . فجعلته فى رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم

(١) فى الكلام هنا سقط عما فى ابن هشام ونص ماجاء فيه : جئت محمداً فكلمته فوالله ما رد علىّ شيئاً ، ثم جئت ابن أبى قحافة فلم أجد فيه خيراً ، ثم جئت ... (١٣ — ٤ سيرة ابن هشام طبعة التجارية).

(٢) فى النسخة (م) : أدى .

(٣) فى النسخة (ك) : كل من الكلمتين مكان الأخرى .

(٤) فى النخسة (ك) : فقال .

(٥) فى النسخة (ك) : احتلبت

(٦) فى النسخة (ك) منها .

(٧) كان حسان شاعر النبوة فى الاسلام ، وشعره يحتوى على تاريخ مفصل للاسلام بعد الهجرة وقد ولد حسان قبل الإسلام بستين عاما ، وعاش فى الإسلام مثلها.

خرجت به وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب . فبعث على بن أبى طالب والزبير ابن العوام رضى الله عنهما فقال : أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بكتاب إلى قريش يحذرها [١] ما قد أجمعنا له فى أمرهم فخرجا حتى أدركاها بالخليقة خليقة بنى أبى أحمد فاستنزلاها بالخليقة فالتمسا فى رحلها فلم يجدا شيئاً فقال لها على بن أبى طالب رضى الله عنه : إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا كذبنا ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك . فلما رأت الجد منه قالت : أعرض عنى فأعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال : يا حاطب ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يارسول الله دعنى فلأضرب عنقه فإن الرجل قد نافق . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يدريك ياعمر لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر [٢] فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم . فأنزل الله تعالى فى حاطب ﴿ يا أيها الذينَ آمنوا لا تتخذوا عدوِّى وعدُوكم أولياء تُلقونَ إليهمْ بالموَدَّةِ ﴾ إلى قوله ﴿ قد كانت لكم أُسوةٌ حسنةٌ فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهمْ إنا برآء منكم ومما نعبدونَ منْ دونِ اللهِ كفرْنَا بكم و بدَا بيننَا و بينكُمُ العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا باللهِ وحده [٣] ﴾ إلى آخر القصة قال ابن اسحاق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة ابا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى . وخرج لعشر مضين من شهر رمضان [٤] . فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى إذا كانوا بالكديد بين عسفان وأمج أفطر . ثم مضى حتى نزل مر الظهران [٥] فى عشرة آلاف من المسلمين فصحت معهم و بعضهم يقول ألفت سليم وألفت مزينة وفى كل القبائل عددوإسلام وأوعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرالظهران وقد عميت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول لله صلى الله عليه وسلم . ولا يدرون ماهو فاعل؟ وخرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام ، و بديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار و ينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به ؟ وقد كان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق قال :

---

(١) فى النسخة (ك) : يحذرهم (٢) فى النسخة (ك) : يوم بدر . (٣) ٦٠ : ١ . . .

(٤) كان ذلك سنة ٨ هـ — أول يناير سنة ٦٣٠ م.

(٥) مر الظهران هو الوادى المسمى وادى فاطمة اليوم ويعرفه بهذا الاسم كل الحجازيين .

ابن هشام لقيه بالجحفة مهاجراً وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فيما ذكره ابن شهاب الزهرى . ثم قال ابن إسحاق : بعد أن ذكر خبر إسلام أبى سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة المخزومى وشعرا لأبى سفيان فى إسلامه ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه : فقلت واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر قال : فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك[1] فقلت لعلى أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى عليه وسلم ليخرجوا إليه ليستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة . قال : فوالله إنى لأسير عليها وألتمس ماخرجت له إذ سمعت كلام أبى سفيان و بديل بن ورقاء وهما يتراجعان . وأبو سفيان يقول : مارأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا . قال: يقول بديل : هذه والله خزاعة حمشتها الحرب قال : يقول أبو سفيان خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها قال : فعرفت صوته فقلت ياأبا حنظلة فعرف صوتى فقال : أبوالفضل ؟ فقلت نعم قال : مالك فداك أبى وأمى ؟قال:قلت : ويحك أبا سفيان هذا رسول الله صلى عليه وسلم فى الناس . واصباح قريش والله قال : فما الحيلة فداك أبى وأمى ؟ قال : قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى عليه وسلم فأستأمنه لك فركب خلفى ورجع صاحباه . قال : فجئت به كلما مررت بنيران[2] من نيران المسلمين قالوا : من هذا ! فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته حتى مررت بنار عمر بن الخطاب . فقال : من هذا ؟ وقام إلى ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله الحمد الله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد . ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته بما سبق الدابة البطيئة الرجل البطىء فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر رضى الله عنه . فقال يارسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعنى فلأضرب عنقه قال : فقلت يارسول الله إنى قد أجرته ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه فقلت والله لا يناجيه الليلة رجل دونى . قال : فلما أكثر عمر رضى الله عنه فى شأنه قلت مهلاً ياعمر فوالله لو كان من رجال بنى عدى بن كعب ماقلت له هذا . ولكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبدمناف فقال : مهلا ياعباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم وما بى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب قال : فقال رسول الله صلى عليه وسلم : اذهب به ياعباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتنى

(١) الأراك: واد باسفل مكة من جهة الجنوب ، وكلمة الأراك غير موجودة فى النسخة (ك) .

(١) فى النسخة (ك) : بنار .

به فذهبت به إلى رحلى فبات عندى . فلما أصبح غدوت به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ويحك ياأبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ماأحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئاً بعد. قال : ويحك ياأبا سفيان ، ألم يأن[1] أن تعلم أنى رسول الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، أما هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئاً[2] . فقال له العباس : ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق واسلم . قال العباس رضى الله عنه : قلت : يارسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً . قال : نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن . ومن دخل المسجد فهو آمن . فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه : ياعباس احبسه بمضيق الوادى عند خَطْم الجبل[3] حتى تمر به جنود الله تعالى فيراها . قال فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادى حيث أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه قال : ومرت القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال : ياعباس من هذه ؟ فاقول : سليم . فيقول : مالى ولسليم . ثم تمر القبيلة فيقول : ياعباس من هؤلاء ؟ فاقول : مزينة ، فيقول مالى ولمزينة ،حتى نفذت القبائل، وما تمر قبيلة إلا سألنى عنها فإذا أخبرته بهم قال : مالى ولبنى فلان . حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء. قال ابن هشام : وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها . قال ابن إسحاق : فيها المهاجرون ، والأنصار . لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد . قال : سبحان الله ياعباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار . قال : مالأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة والله ياأبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما . قال قلت : ياأبا سفيان إنها النبوة . قال : فنعم إذاً . قال: قلت : النجاء إلى قومك حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لاقبل لكم به فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن . فقامت إليه هند ابنة عتبة فأخذت بشار به ، فقالت : اقتلوا الحميت الدسم ، الأحمس ، قبح من طليعة قوم . قال : ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به . فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن . قالوا : قاتلك الله ؛ وما يغنى عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد . قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله ابن أبى بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذى طَوًى[4] وقف على راحلته معتجراً بشقة برد حبرة حمراء ، وإن رسول الله ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى إن عثنونه ليكاد يمس

(١) ـ فى النسخة (ك) : يأن لك. (٢) ـ فى النسخة (ك) : بياض مكان كلة شىء .

(٣) الخطم : أنف الجبل وهو شىء يخرج منه يضيق به الطريق .

(٤) ذو طوى بئر بأسفل مكة من ناحية الشمال، وهو بمحلة جرول معروف إلى الآن يغتسل عنده حاج المغرب، وبعض الحجاج الذين على مذهب مالك عند دخولهم مكة .

واسطة الرحل . ثم قال بعد أن ذكر شيئاً من خبر أبى قحافة و إسلامه : وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بتغيير شيبه ومناشدة أبى بكر رضى الله عنه الناس فى طوق أخته . وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرق جيشه من ذى طوى أمر الزبير بن العوام رضى الله عنه أن يدخل فى بعض الناس من كُدًى(١) وكان الزبير رضى الله عنه على المجنبة اليسرى . وأمر سعد بن عبادة رضى الله عنه أن يدخل فى بعض الناس من كَدَاء . قال ابن إسحاق : فزعم بعض أهل العلم أن سعدا حين وجه داخلا قال : اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة ، فسمعها رجل من المهاجرين ، قال ابن هشام : هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فقال : يا رسول الله، اسمع ما قال سعد بن عبادة ما نأمن(٢) أن تكون له فى قريش صولة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه : أدركه فخذ الراية فكن أنت الذى تدخل بها . قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح فى حديثه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد رضى الله عنه فدخل من الليط أسفل مكة فى بعض الناس وكان خالد على المجنبة اليمنى ، وفيها أسلم ، وسليم ، وغفار ، ومزينة ، وجهينة ، وقبائل من العرب . وأقبل أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ودخل النبى صلى الله عليه وسلم من أذاخر(٣) حتى نزل بأعلى مكة وضربت له هناك قبة . قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح وعبد الله بن أبى بكر : أن صفوان بن(٤) أمية ، وعكرمة بن أبى جهل ، وسهيل بن عمرو ، كانوا قد جمعوا أناسا بالخندمة(٥) ليقاتلوا ؛ وقد كان حماس بن قيس بن خالد أخو بنى بكر يعد سلاحا قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم و يصلح منه ، فقالت امرأته : لماذا تعد ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه . قالت : والله ما أرى أنه يقوم لمحمد وأصحابه شىء . قال : والله إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم . ثم قال :

إن يقبلوا اليوم فمالى علة * هذا سلاح كامل وأله * وذو غرارين سريع السلة... ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل وعكرمة، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئا من قتال فقتل(٦) كرز بن جابر أحد بنى محارب بن فهر وخنيس ابن خالد بن ربيعة بن أصرم حليف بنى منقذ وكانا فى خيل(٧) خالد بن الوليد فشذا عنه فسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعا قتل خنيس بن خالد قبل كرز بن جابر فجعله كرز بن جابر بين رجليه ، ثم قاتل عنه حتى قتل وهو يرتجز و يقول :

---

(١) كدى تقدم شرحه .

(٢) مكان هذه فى النسخة (ك) : بياض . (٣) جبل أذاخر : هو الجبل المشرف على المابدة من ناحية الشمال .

(٤) فى (م) : ابن أبى أمية . (٥) جبل الخندمة : هو الجبل المشرف على سوق الليل، والمتصل بجبل أبى قبيس .

(٦) فى (ك) : فقيل . (٧) فى (ك) : فقيل خالد فقط .

لقد علمت صفواء من بنى فَهِرْ نقية الوجـــه نقية الصدرْ
لأضربن اليوم عن أبى صخرْ

قال ابن هشام: وكان خنيس بن خالد من خزاعة قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح وعبد الله بن أبى بكر قالا : وكان الخنيس(١) يكنى بأبى صخر ، وأصيب من جهينة سلمة بن الميلاء من حيل خالد(٢) بن الوليد ، وأصيب من المشركين ناس قريب من اثنى عشر رجلا أو ثلاثة عشر ، ثم انهزموا فخرج حماس منهزما حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلقى علىّ بابى ، قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إنك لو شهدت يوم الخندمه إذ فر صفوان وفر عكرمه
وأبو يزيد قائم كالمؤتمه واستقبلتهم بالسيوف المسلمة
يقطعن كل ساعد وجمجمه ضرباً فلا يسمع إلا غمغمه
لهم نهيتٌ حولنا وهمهمه لم تنطق فى اللـــوم أدنى كلمه

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قوله : كالمؤتمة . وتروى للرعاش الهذلى هذه الأبيات ، وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ، وحنين ، والطائف شعار المهاجرين : يا بنى عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يا بنى عبد الله ، وشعار الأوس : يا بنى عبيد الله . قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم . إلا أنه قد عهد فى نفر سماهم ، أمر بقتلهم ، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، منهم ابن سعد أخو بنى عامر بن لؤى . وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لأنه كان أسلم وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحى فارتد مشركا راجعا إلى قريش، ففر(٣) إلى عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه(٤) حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن اطمأن الناس وأهل مكة فاستأمن له فزعموا أن رسول الله ﷺ صمت طويلا ثم قال : نعم ؛ فلما انصرف عنه عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله من أصحابه : لقد صمتُّ ليقوم بعضكم فيضرب عنقه ؛ فقال رجل من الأنصار : فهلا أومأت إلى ؟ قال : لا ، إن النبى لا يقتل بالإشارة . قال ابن هشام : ثم أسلم بعد فولاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعض (أعماله، ثم ولاه عثمان رضى الله عنه)(٥) بعد عمر . قال ابن اسحق : وعبد الله بن خطل(٦) رجل من بنى تيم بن غالب ،

---

(١) فى النسخة (ك) : وقيل كان خنيس . (٢) فى النسخة (ك) : خالد فقط .
(٣) » » (م): حضر . (٤) فى النسخة (م): فغيبهم .
(٥) ما بين القوسين من زيادة النسخة (ك) . (٦) فى نسخة : عبد الله بن حنظل .

وإنما أمر بقتله أنه كان مسلما فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا و بعث معـه رجلا من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمر المولى أن يذبح له تيساً فيصنع له طعاماً فنام فاستيقظ ولم يصنع له شيئا فعدا عليه فقتله . ثم ارتد مشركا ،وكانت له قينتان : فَرْتنى وصاحبتها وكانتا تغنيان . فهجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر رسول الله صلى عليـه وسلم بقتلهما معه . والحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد قصى [١] وكان ممن يؤذيه بمكة ، قال ابن هشام : وكان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه حمل فاطمة ، وأم كلثوم ، بنتى رسول الله صـلى الله عليـه وسلم[٢] يريد بهما المدينة فنخس بهما الحويرث بن نقيذ فرمى بهمـا إلى الأرض قال ابن اسحاق : ومِقْيس بن صُبابة [٣] و إنما أمر رسول الله صـلى الله عليـه وسلم بقتله لقتله الأنصارى الذى كان قتل أخاه خطأً ورجوعه إلى قريش مشركا . وسارة مولاة لبنى عبد المطلب ، وعكرمة بن أبى جهل ، وكانت سارة ممن تؤذيه بمكة . وأما عكرمة فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحرث بن هشام فاستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فخرجت فى طلبه حتى أتت به رسول الله صـلى عليه وسلم . وأما عبد الله بن خَطَل فقتله سعيد بن حريث المخزومى وأبو برزة[٤] الأسلمى اشتركا فى دمه ، وأما مِقْيَسُ بن صبابة [٥] فقتله نُمَيلة [٦] بن عبد الله رجل من قومه فقالت ابنة [٧] مقيس فى قتله :

لعمرى قد أخزى نميـلة رهطه وفجع أضيـاف الشتا بمقيس

فلله عينا من رأى مثل مقيس إذا النفساء أصبحت لم تخرس

وأما قينتا ابن خطل فقتلت إحداهما وهربت الأخرى حتى استؤمن لها [٨] رسول الله صـلى الله عليـه وسلم بعـد فأمنها . وأما سارة فاستؤمن لها فأمنها . ثم بقيت حتى أوطاها رجل من الناس فرسا [٩] فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالأبطح ، فقتلها . وأما الحويرث بن نقيذ فقتله على بن أبى طالب رضى الله عنـه . قال ابن اسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى هند عن ابن مرة [١٠] مولى عقيل بن أبى طالب أن أم هانئ بنت[١١] أبى طالب

---

(١) فى (ك) : ابن عبد بن قصى .

(٢) فى (ك) : من مكة يريد .

(٣) فى (ك):ضبابة

(٤) » » زرة .

(٥) » » ضبابة

(٦) » (م) غيلة

(٧) » » أخت

(٨) فى النسخة (ك) من

(٩) فى النسخة (م) : فرشا .

(١٠) فى النسخة (م) : مروة

(١١) فى النسخة (ك) : ابنة

رضى الله عنها قالت : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة توارى [١] رجلان من أحمائى من بنى مخزوم ، وكانت عند هبيرة بن أبى وهب المخزومى . قالت : فدخل علىّ بن أبى طالب [٢] أخى فقال والله لأقتلنهما فاغلقت عليهما باب بيتى ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من [٣] جفنة وإن فيها لأثرا لعجن وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه وتوشح [٤] به . ثم صلى ثمان ركعات فى الضحى ، ثم انصرف إلى ، فقال : مرحبا وأهلا بأم هانئ ، ما جاء بك ؟ فأخبرته خبر الرجلين ، وخبر على رضى الله عنه . فقال صلى الله عليه وسلم : قد أجرنا من أجرت ، وأمنا من أمنت ، فلا يقتلهما . وقال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله بن أبى ثور عن صفية بنت شيبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة ، واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت ، فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن فى يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له فدخلها ، فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ، ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس فى المسجد قال ابن اسحق : فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام [٥] على باب الكعبة فقال : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة ، أو دم ، أو مال ، يدعى به ، فهو تحت قدمى [٦] ، إلا سدانة البيت ، وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ مشبه [٧] العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل ، أربعون منها فى بطونها أولادها ، يامعشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب . ثم تلا هذه الآية : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى » الآية كلها . ثم قال : يامعشر قريش ماترون أنى فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فقام إليه على بن أبى طالب رضى الله عنه ومفتاح الكعبة فى يده ، فقال : يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ، اجمع لنا الحجابة مع السقاية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين عثمان بن أبى طلحة : فدعى له فقال : هاك مفتاحك يا عثمان ، إن اليوم يوم بر ووفاء ، قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم فرأى إبراهيم مصوراً فى يده الأزلام يستقسم بها ، فقال: قاتلهم الله قد جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام . ما شأن إبراهيم ، والأزلام ؟ (ما كان إبراهيم يهوديا ، ولا نصرانيا ، ولكن كان

(١) فى النسخة (ك) : فرّ إلىّ
(٢) فى النسخة (ك) : رضى الله عنه .
(٣) فى النسخة (ك) : فى
(٤) فى النسخة(ك) : فتوشح
(٥) « (م) قام مكررة .
(٦) فى النسخة (ك) : قدمى هاتين
(٧) « (ك): شبه .

حنيفا مسلما . وما كان من المشركين) . ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست . قال ابن هشام : وحدثنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة ومعه بلال ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخلف بلال ، فدخل عبدالله بن عمر على بلال فسأله أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ولم يسأله كم صلى . فكان ابن عمر رضى الله عنهما إذا دخل البيت مشى قبل وجهه وجعل الباب قبل ظهره ، حتى يكون بينه و بين الجدار ثلاثة أذرع ثم يصلى بنواحى الموضع الذى قال له بلال . وحدثنى [1] رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال فأمره أن يؤذن؛ وأبو سفيان بن حرب ، وعتاب بن أسيد ، والحرث بن هشام ، جلوس بفناء الكعبة . فقال عتاب بن أسيد : لقد أكرم الله أسيدا ألا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه . وقال الحرث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محق لا تبعته . فقال أبو سفيان : لا أقول شيئا لئن تكلمت [2] لأخبرت عن هذه الحصاة فخرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال : قد علمت الذى قلتم . ثم ذكر ذلك لهم فقال الحرث وعتاب : نشهد أنك رسول الله . والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك . قال ابن اسحاق : وحدثنى سعيد ابن [3] سندر الأسلمى عن رجل من قومه قال : كان معنا رجل يقال له : أحمر باسا ، وكان رجلا شجاعا . إذا نام غط غطيطا منكرا لا يخفى مكانه ، وكان إذا بات فى حيه بات معتنزا . فإذا انتبه الحى صرخوا يا أحمر فيثور مثل الأسد لا يقوم لسبيله [4] شىء فأقبل غزىٌّ من هذيل يريدون حاضره حتى إذا دنوا من الحاضر قال ابن الأثوع الهذلى : لا تعجلوا على حتى أنظر فإن كان فى الحاضرة أحمر فلا سبيل إليهم فإن له غطيطا لا يخفى قال : فاستمع فلما سمع غطيطه مشى إليه حتى وضع السيف فى صدره . ثم تحامل عليه حتى قتله ثم أغاروا على الحاضر . فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم ، فلما كان عام الفتح وكان الغد من يوم الفتح أتى ابن الأثوع الهذلى [5] حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس . وهو على شركه ، فرأته خزاعة فعرفوه فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جدر مكة ، يقولون : أأنت قاتل أحمر قال : نعم ، أنا قاتل أحمر فمه [6] قال : إذ أقبل خراش بن أمية مشتملا على السيف فقال : هكذا عن الرجل ، والله ما نظنه إلا أنه يريد أن يفرج الناس عنه فلما انفرجنا عنه حمل عليه فطعنه بالسيف فى بطنه فوالله لكأنى انظر إليه وحشوته [7] تسيل من بطنه و إن عينيه لَتَرَنَّقَا فى رأسه وهو يقول : قد فعلتموها يامعشر خزاعة حتى انجعف فوقع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتلى [8] إن نفع لقد قتلتم قتيلا لأدينه [9] قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن حرمله الأسلمى عن سعيد بن المسيب قال :

---

(١) فى النسخة (م) : وحدثنى أن رسول الله .

(٢) فى النسخة (ك) : لو تكلمت

(٣) فى النسخة (ك) : ابن أبى سعد .

(٤) فى النسخة (م) : لسبيل

(٥) فى النسخة (م) : الهذيلى .

(٦) فى النسخة (م) : بعينه

(٧) فى النسخة (م) : وحش

(٨) فى النسخة (ك) : كثر القتل .

(٩) فى النسخة (م) : لادية .

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماصنع خراش بن أمية قال: إن خراشا لقتال يعيبه بذلك . قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى شريح الخزاعى قال : لما قدم عمرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله ابن الزبير جئته فقلت له : ياهذا إنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة فلما كان الغد من من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل ، فقتلوه وهو مشرك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا فقال :« يا أيها الناس أن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهى حرام من حرام إلى يوم القيامة فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ولا يعضد فيها شجرا . لم تحلل لأحد كان قبلى ولا تحل لأحد يكون بعدى ولم تحل[1] لى إلا هذه الساعة غضبا على أهلها ألا ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل فيها فقولوا إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لكم ، يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر[2] إن نفع لقد قتلتم قتيلا لأدينه فمن قتل بعد مقامى هذا فأهله بخير النظرين : إن شاءوا فدم قاتله و إن شاؤا فعقله » ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذى قتلته خزاعة . فقال عمرو لابى شريح : انصرف أيها الشيخ فنحن أعلم بحرمتها منك ، إنها لا تمنع سافك دم ولا خالع طاعة ولا مانع جزية . قال أبو شريح : إنى كنت شاهدا وكنت غائبا وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ شاهدنا غائبنا . وقد أبلغتك فأنت وشأنك . قال ابن هشام : و بلغنى أن أول قتيل وداه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح جنيدب بن الاكوع قتلته بنو كعب فوداه مائة ناقة . قال ابن هشام : و بلغنى عن يحيى بن سعيد أن النبى صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو ، وقد أحدقت به الأنصار . فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ فتح الله عليه أرضه و بلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لا شىء يارسول الله . فلم يزل بهم حتى أخبروه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم :« معاذ الله المحيا محياكم ، والممات مماتكم » ، وحدثنى من أثق به من أهل الرواية فى إسناد له عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : فدخل[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته ، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص . فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام . و يقول : « جاء الحق ، وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا » . فما أشار صلى الله عليه وسلم إلى صنم منها فى وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار لقفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقى منها صنم إلا وقع . فقال تميم بن أسد الخزاعى :

(١) فى النسخة (ك) : ولا تحلل لى . (٢) فى النسخة (ك) : كره القتل.
(٣) فى النسخة (ك) : دخل .

وفى الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقابا

قال ابن هشام : وحدثنى أن[1] فضالة بن عمير بن الملوح الليثى أراد قتل النبى صلى الله عليه وسلم، وهو يطوف بالبيت عام الفتح فلما دنى منه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضالة ؟ قال : نعم ، فضالة يارسول الله . قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شئ ، أذكر الله . فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : استغفر[2] الله ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده من صدرى حتى مامن خلق الله شئ أحب إلى منه . قال فضالة : فرجعت إلى أهلى فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت : هلم إلى الحديث فقلت : لا . وانبعث فضالة يقول :

قالت : هلم إلى الحديث ، فقلت : لا يأبى علىّ الله والإسلام
لوما رأيت محمداً وقبيله بالفتح يوم تُكَسَّرُ الأصنام
لرأيت[3] دين الله أصبح بَيِّنَاً والشرك يغشى وجهه الإظلام

ثم قال ابن اسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف، من بنى سليم سبعمائة . ويقول بعضهم : ألف ، ومن بنى غفار أربعمائة . ومن أسلم أربعمائة ، ومن مزينة ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قريش[4] والأنصار ، وحلفائهم ، وطوائف العرب ، من بنى تميم ، وقيس ، وأسد ، ثم قال ابن اسحق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة . قال ابن اسحق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان[5] انتهى باختصار لمواضع من أنباء خبر فتح مكة المشار إليه ، ومن شعر تميم بن أسد ، فى اعتذاره من فراره عن منبه وشعر الأخزر بن لعيط الديلى ، وما كان بين كنانة وخزاعة فى تلك الحرب ، وشعر لبديل بن عبدمناة ، ويقال : له بديل ابن أم صرم أجاب به الأخزر بن لعيط وشعر حسان بن ثابت رضى الله عنه فى المعنى وخبر إسلام أبى سفيان بن الحرث فى إسلامه وخبر أبى قحافة والد أبى بكر الصديق رضى الله عنهما يوم الفتح وإسلامه وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بتغيير شيبته ومناشدة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى طوق أخته كما سبق بيانه ، وغير ذلك من الأشعار التى

---

(١) فى النسخة (م) : حدثنى ابن فضالة . (٢) فى النسخة (م) : استغفرن الله

(٣) فى النسخة (م) : ورأيت .

(٤) كان فتح مكة أعظم انتصار ناله الإسلام على الوثنية ، وتجميعا لقوى العرب ، وتمهيدا لبدء نشر الإسلام فى العالم، وكان له من الآثار الجليلة ما يشهد بعبقرية رسولنا العظيم وإلهامه، وأنه مؤيد من الله، وفى مواقف الرسول فى فتح مكة مايرشدنا إلى الخلق النبوى الشريف المصطفى .

(٥) المرجح أن الفتح كان لعشر مضين من رمضان عام ٨ هـ ـ أول يناير ٦٣٠ م .

استشهد بها ابن هشام على بعض ما فسره من الشعر ، واختصرنا أيضا من خبر الفتح،وماقيل من الأشعار فى الفتح وغير ذلك .

ذكر فوائد تتعلق بخبر فتح مكة

هذه الفوائد بعضها يخالف ما ذكرناه عن ابن اسحاق وابن هشام من خبر الفتح، و بعضها يوضح بعض ما أبهمه ابن اسحاق ، وابن هشام ، فى ذلك .

منها ، أن موسى بن عقبة ذكر فى مغازيه ما يقتضى أن إغارة بنى كنانة على خزاعة التى هى السبب[١] فى فتح مكة كانت بعرفة ، لأنه قال فيما رويناه عنه فى مغازيه فتح مكة ثم إن بنى نفاثة من بنى الديل أغاروا على بنى كعب وهم بعرفة انتهى . وهذا يخالف ما ذكره ابن إسحاق لأنه قال : ثم إن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة وهم على مائهم بأسفل مكة يقال له : الوتير[٢] انتهى . و إذا كان الوتير بأسفل مكة كما هو مقتضى هذا الخبر فهو غير عرفة والله أعلم بالصواب .

وأفاد السهيلى سبب تسميته الوتير لأنه قال : والوتير فى اللغة الورد الأبيض ، وقد يكون منه برى ، فيحتمل أن يكون هذا الماء سمى به انتهى . ولا منافاة بين قول ابن عقبة، ثم إن بنى نفاثة من بنى الديل أغاروا على بنى كعب و بين قول ابن إسحاق ، ثم إن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة لأن بنى الديل[٣] الذى منه بنو نفاثة هو الدول بن بكر بن كنانة على ما ذكر ابن البطاح عن أبى اليقظان كما حكى عنه الحازمى ؛ و يدل لذلك قول ابن إسحاق فيما بعد : فخرج نوفل بن معاوية الديلى فى بنى الديل انتهى . وذكر ابن إسحاق ما يوافق ما ذكره ابن عقبة من نسبة هذه الإغارة إلى بنى نفاثة لأنه أنشد أبياتا لتميم بن أسد أولها :

لما رأيت بنى[٤] نفاثة أقبلوا ... يغشون كل وتيرة وحجاب

ومنها أن ابن عقبة بين البيت من خزاعة لأنه قال فيما رويناه عنه : فأغارت بنو الديل على بنى عمرو وعامتهم فيما زعموا نساء وصبيانا وضعفة الرجال فبيتوهم وقتلوا منهم حتى أدخلوهم دار بديل بن ورقاء بمكة انتهى . و بنو عمرو وهؤلاء من بنى كعب لأن ابن عقبة قال فيما سبق : ثم إن بنى نفاثة من بنى الديل أغاروا على بنى كعب انتهى . و بنو كعب هم أحد بطون خزاعة من ولد عمرو بن لحى كما سبق بيانه فى نسبهم ، وليس من كلام ابن إسحاق ما يبين أنهم المبيتون من خزاعة لأنه قال : فخرج نوفل بن معاوية الديلى فى بنى الديل وهو يومئذ قائدهم ، وليس

(١) فى النسخة (ك) : التى هى سبب فتح
(٢) الوتير ، ويقال الوتين: اسم ماء بأسفل مكة . غير معروف الآن.
(٣) فى النسخة (ك) : لأن الدئل
(٤) فى النسخة (م) من بنى وهو تحريف .

كل بنى بكر تابعة له فى تبييت [١] خزاعة انتهى ... ومنها أن ابن إسحاق لم يبين من رفد كنانة من قريش وقاتل معهم لأنه قال: ورفدت قريش بنى بكر بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا انتهى . وقد بين ذلك ابن عقبة لأنه قال : ويذكر أن ممن أعانهم من قريش صفوان بن أمية ، وشيبة بن عثمان ، وسهيل بن عمرو انتهى . وبين ذلك ابن سعد أيضا ، وأفاد فى ذلك ما لم يفده ابن عقبة لأنا روينا عن الحافظ أبى الفتح بن سيد الناس فى سيرته بعد ذكره لقول ابن إسحاق : ورفدت بنى بكر قريشاً بالسلاح ، ذكر ابن سعد منهم صفوان بن أمية ، وحويطب بن عبد العزى ، ومكرز بن حفص بن الأحنف انتهى . ولا منافاة بين ما ذكره ابن عقبة وابن سعد فيمن اعان من قريش بنى بكر لإمكان أن يكون الذين ذكرهم ابن عقبة وابن سعد أعانوا بنى بكر وذكر ابن عقبة بعضهم وابن سعد بعضهم ، ويكون المعين لبنى بكر من قريش خمسة نفر على مقتضى ما ذكر ابن عقبة وابن سعد والله أعلم .

ومنها أن قريشا رفدت بنى كنانة بدقيق أفاد ذلك ابن عقبة لأنه قال : وأعانتهم قريش بالسلاح والدقيق انتهى . وهذا لا يفهم مما ذكره ابن إسحاق . ومنها أن الفاكهى ذكر خبرا يوهم أن سبب فتح مكة غير ماسبق لأنه قال : حدثنا سعيد بن عبد الرحمن ، حدثنا عبد المجيد بن أبى رواد عن ابن جريج ، قال : قال عطاء : وكانت خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابت بنو بكر منهم قتيلا ، فقالت بنو بكر لقريش لا تسلموا بنى عمكم ، فركب بديل إلى رسول صلى الله عليه وسلم فلم يصدقه وأرسل معه رسول الله صلى الله عليه وسلم طليعة يستطلعهم قال : فجاء به بديل بن ورقاء فجعل يقف به على قريش ويكلمهم ، فقالوا : قد عرفنا إنما أنت مستطلع ، فوالله لا نسلمهم . فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فأنشا حينئذ يتجهز لنصر حلفائه .

ومنها أن ابن [٢] سعد ذكر أنه خرج مع عمرو [٣] بن سالم الخزاعى لإعلام النبى الله صلى الله عليه وسلم بفعل كنانة فيهم أربعون راكبا، وذلك لا يفهم من كلام ابن إسحاق ، لأنه قال : فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق ، بما استحلوا من خزاعة ، وكانوا فى عقده وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخزاعى ، أحد بنى كعب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انتهى . وكلام ابن سعد رويناه فى السيرة لابن سيد الناس لأنه قال : بعد أن ذكر كلام ابن إسحاق هذا بعد قوله: خرج عمرو بن سالم الخزاعى قال ابن سعد : فى أربعين راكبا قال ابن سيد الناس بعد ذكره لقول ابن إسحاق فيما بعد : ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من بنى خزاعة حتى قدموا على رسول الله

---

(١) فى النسخة (ك): حتى يبيت خزاعة .   (٢) فى النسخة (م): أسعد ، وستأتى فى هذه النسخة بلفظة سعد .
(٣) فى النسخة (م) : عمر – وفى نفس (م) : بعد هذا عمرو .

صلى الله عليـه وسلم فأخبروه بما أصيب منهم و بمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ، قلت : لعل الأربعين راكبا الذين ذكر ابن سعد قدومهم من خزاعة مع عمرو بن سالم هم هؤلاء اه .

ومنها : أن ابن عقبة ذكر فى جواب أبى بكر الصديق[١] رضى الله عنه ، وعمر بن الخطاب ، لأبى سفيان ابن حرب ، رضى الله عنهم ؛ حين سألها أن يكلما له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء له ، غير ما ذكره ابن إسحاق ، لأنه ـ أعنى ابن عقبة ـ قال : فخرج يعنى أبو سفيان من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى أبا بكر رضى الله عنه ، فقال : جدد العقد ، وزدنا فى المدة . فقال أبو بكر رضى الله عنـه : جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم . ثم خرج فأتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكلمه فقال عمر[٢] ما كان من حلفنا جديدا فأخلقه الله ، وما كان منه متينا فقطعه الله . وما كان منه مقطوعا فلا وصله الله . فقال أبو سفيان : جزاك الله من ذى رحم شرا انتهى . و إنما كان هذا مخالفا لما ذكره ابن إسحاق من جواب أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، لأبى سفيان لأنه قال : ثم خرج ـ يعنى أبو سفيان ـ حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه فلم يرد عليه شيئاً ثم ذهب إلى أبى بكر رضى الله عنـه فكلمه فى أن يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكلمه فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ؟ فوالله لولم أجد إلا أن[٣] ربى هدا كم به ، اه . ومخالفة هذا لما ذكره ابن عقبة جعل جواب أبى بكر جواب عمر الذى ذكره[٤] و إن اختلف لفظهما فالمعنى واحـد . وجعل جواب عمر غير ما ذكره ابن إسحاق والله أعلم بالصواب . وذكر الفاكهى خبراً فيه ما يدل لما ذكره ابن عقبة من جواب عمر لأبى سفيان .

ومنها : أن كلام ابن إسحاق يقتضى أن أبا سفيان بعد جواب عمر له لما ذكره سأل عليا بن أبى طالب رضى الله عنه أن يجير بين الناس وأن عليا رضى الله عنه أجابه بعدم الاستطاعة وأن أبا سفيان سأل بعد ذلك فاطمة الزهراء ابنة النبى صلى الله عليه وسلم أن تأمر ابنها الحسن بن على أن يجير بين الناس ، وان فاطمة رضى الله عنها أجابته أن ابنها ما بلغ أن يجير بين الناس ، وما أحد يجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك يخالف ماذكره ابن عقبة لأنه قال بعد ذكره لجواب عمر بما سبق ، ثم دخل على عثمان رضى الله عنه ، فقال عثمان رضى الله عنه جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتبع أشراف قريش والأنصار فكلمهم فكل يقول : عقدنا فى عقد رسول الله

(١) فى النسخة (ك) : أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، لأبى سفيان بن حرب رضى الله عنه .
(٢) فى النسخة (ك) : رضى الله عنه
(٣) فى النسخة (ك) : (إلا الذر لجاهدتكم به انتهى).
(٤) هى فى النسخة (ك) : ابن إسحاق .

صلى الله عليه وسلم فلما أيس مما عندهم دخل على فاطمة ابنة رسول صلى الله عليه وسلم فكلمها ، فقالت : إنما أنا امرأة ، و إنما ذلك إلى رسول صلى الله عليه وسلم قال : فأمرى أحد ابنيك ، فقالت : إنهما صبيان ليس مثلهما يجير . قال : فكلمى عليا ، قالت : أنت تكلمه ، فكلم عليا ، فقال : ياأ با سفيان ، إنه ليس أحد من أصحاب رسول الله يفتات على رسول صلى الله عليه وسلم بجوار . انتهى ووجه مخالفة هذا لما ذكره ابن إسحاق أنه يقتضى أن أبا سفيان كلم عثمان ثم أشراف قريش ، والأنصار ، ثم فاطمة[١] ، أن يجيروا قبل أن يكلم عليا فى ذلك ، وكلام ابن إسحاق يقتضى خلافه والله أعلم . وذكر الفاكهى خبراً فيه ما يدل لما ذكره ابن عقبة من سؤال أبى سفيان لفاطمة[٢] فيما يصلح به الإصلاح بين الناس . . ومنها أن الفاكهى ذكر خبراً يوهم أن أبا سفيان لم يسأل النبى صلى الله عليه وسلم فيما جاء له من تجديد الحلف والإصلاح بين الناس لأنه قال : حدثنا محمد بن إدريس بن عمر من كتابه قال : حدثنا سليمان بن حرب قال: حدثنا حماد ، عن أيوب ، عن عكرمة ، فذكر خبراً يقتضى موادعة النبى صلى الله عليه وسلم أهل مكة ، ودخول خزاعة فى صلح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخول بنى بكر فى صلح قريش ، وما كان بين خزاعة و بنى بكر بعد ذلك من القتال ، وإعانة قريش لهم بالسلاح ، والطعام . وتخوف قريش أن يكونوا قد نقضوا ، و إرسالهم أبا سفيان بن حرب إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليجدد الحلف ، و يصلح بين الناس ، وقدوم أبى سفيان إلى المدينة ، ثم قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد جاءكم أبو سفيان فيرجع راجياً[٣] بغير حاجة . قال : فأتى أبا بكر رضى الله عنه فقال : ياأبا بكر ، جدد الحلف والصلح[٤] ، بين الناس أو قال : بين قومك فقال أبو بكر رضى الله عنه : الأمر إلى الله[٥] ، وقد قال له فيما قال : إن أعان قوم[٦] على قوم ، وأمدوهم بسلاح وطعام ما إن يكونوا نقضوا ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : الأمر إلى الله و إلى رسول الله انتهى .

ومنها : أن الفاكهى ذكر مايوهم أن قدوم أبى سفيان بن حرب المدينة لتجديد الحلف والإصلاح بين الناس ، كان قبل قدوم وافد خزاعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، لإعلامه بما كان من قتال بنى بكر ، لهم ، ومعاونة قريش عليهم . لأن فى الخبر السابق بعد[٧] إتيان أبى سفيان لعمر ، وقوله له نحوا مما قال لأبى بكر وجواب عمر[٨] لأبى سفيان بنحو من جوابه الذى أجابه على نحو ماذكره ابن عقبة و إتيانه لفاطمة ، وسؤاله لها فى

---

(١) فى النسخة (ك) : رضى الله عنها
(٢) فى النسخة (ك) : رضى الله عنها
(٣) فى النسخة (ك) : راضيا بغير حاجته .
(٤) فى النسخة (ك) : وأصلح .
(٥) فى النسخة (ك) : وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
(٦) كذا فى النسختين .
(٧) فى النسخة (ك) : بعد ذكر إتيان .
(٨) فى النسخة (ك) : رضى الله عنه .

تجديد الحلف والإصلاح بين الناس، وقولها له : ليس الأمر إلىّ، وإتيانه عليا ، وقوله له نحواً مما قال لأبى بكر ، و إشارة على[1] له بالجيرة ، بين الناس : ثم انطلق — يعنى أبو سفيان — حين[2] قدم مكة فاخبرهم بالذى صنع فقالوا : مارأينا كاليوم وافد عشيرة ، والله ماأتيتنا اليوم بحرب فنحذر ، ولا أتيتنا اليوم بصلح فنأمن · ارجع ، قال : وقدم وافد خزاعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بالذى صنع القوم ، ودعاه إلى النصر ، وأنشد فى ذلك شعراً ، انتهى .

ومنها أن ابن عقبة ذكر ما يوهم أن بين خروج أبى سفيان إلى المدينة وتجهيز النبى صلى الله عليه وسلم إلى مكة مدة طويلة . لأنه قال بعد أن ذكر خروج أبى سفيان إلى مكة ووصوله إليها وحلقه رأسه عند الصنمين اللذين عند الكعبة ليرى الناس أنه على الدين الذى كان عليه ، لأن الناس تحدثوا حين طال مكثه أنه قد أسلم فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يمكث ، بعد ما خرج من عنده أبو سفيان ثم اعتد[3] للجهاد ، اه . وهذا لا يفهم من كلام ابن اسحاق والله أعلم بالصواب .

ومنها : أن ابن إسحاق ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث مع على الزبير بن العوام رضى الله عنهما فى إحضار كتاب حاطب بن[4] بلتعة إلى المشركين بمكة يخبرهم فيه بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم . وذكر الحافظ عبد الغنى بن سعيد المصرى فى المهمات خبر كتاب حاطب ، وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث لطلب الكتاب عمر بن الخطاب ، وعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وفى الخبر الذى ذكره الحافظ عبد الغنى أمور لا تفهم من الخبر، الذى ذكره ابن إسحاق فى ذلك ، فنذكره لما فيه من الفائدة . قال الحافظ عبد الغنى بعد أن ذكر حديثا ليس فيه بيان ما تعرف به المرأة التى حملت كتاب حاطب : هذه المرأة الحاملة لكتاب حاطب بن أبى بلتعة هى سارة ، مولاة لقريش ، والحجة فى ذلك ما حدثنا به يعقوب بن المبارك أن محمد بن جعفر بن أعين حدثهم ، قال حدثنا الحسن بن بشر بن سلم الكوفى سنة عشرين قال : أخبرنا الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة عن أنس رضى الله عنه . قال : أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس[5] يوم فتح مكة إلا أربعة من الناس : عبدالله ابن خطل ، ومقيس بن صبابة[6] الكنانى ، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وسارة ، ثم قال بعد أن ذكر خبر ابن خطل ، وابن أبى سرح ، ومقيس بن صبابة : وأما سارة فإنها كانت مولاة لقريش فأتت رسول

(١) فى النسخة (ك) : رضى الله عنه .
(٢) كذا فى النسختين، والظاهر أنه حتى .
(٣) فى النسخة (ك) : اعتد فى الجهاد .
(٤) فى النسخة (ك) : ابن أبى بلتعة
(٥) فى النسخة (م) : يوم دون الناس.
(٦) فى النسخة (ك) : ضبابة .

الله صلى الله عليه وسلم، فشكت إليه الجارية [١] ، فأعطاها شيئا ثم أتاها رجل فدفع إليها كتابا لأهل مكة،يتقرب بذلك إليهم ليحفظ فى عياله ، وكان له بها عيال فأخبر جبريل عليه الصلاة والسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . فبعث فى أثرها عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، رضى الله عنهما فلحقاها ففتشاها فلم يعثرا على شئ معها فأقبلا راجعين فقال أحدهما لصاحبه: والله ما كُذِبْنَا ولا كَذَبْنَا ارجع بنا إليها فرجعا إليها فسلاّ سيفيهما وقالا : والله لنذيقنك الموت أولتدفعن إلينا الكتاب ، فأنكرت . ثم قالت : أدفعه إليكما ، على أن لا تردانى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلا ذلك منها ، فحلت عقاص رأسها فأخرجت الكتاب من قرن من قرونها فرجعته [٢] إليهما ، فرجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفعاه إليه. انتهى باختصار .

ومنها :أن كلام ابن إسحاق لايفهم منه أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث فى طلب كتاب حاطب مع علىّ غير الزبير بن العوام لقوله [٣] : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بْن أبى طالب والزبير بن العوّام رضى الله عنهما انتهى . وذكر البخارى ما يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث مع على والزبير رضى الله عنهما أبا مرشد [٤] ذكر ذلك فى كتاب « استتابة المرتدين » فى باب ماجاء فى المتأولين . لأنه روى فيه بسنده إلى أبى عبد الرحمن السلمى ، عن على بن أبى طالب ، أنه قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والزبير وأبا مرشد [٥] . وكلنا فارس . قال : انطلقوا حتى تأتوا روضة [٦] خاخ . وذكر البخارى أيضا ما يفهم منه غير ما ذكر فى هذا الباب لأنه روى بسنده عن عبيد الله بن أبى رافع قال : سمعت [٧] عليا رضى الله عنه يقول : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ، والزبير ، والمقداد ، فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ . فذكر القصة . وهذا الحديث أخرجه فى باب غزوة الفتح [٨] من كتاب المغازى .

ومنها : أن كلام ابن إسحاق يقتضى أن المرأة التى معها كتاب حاطب بن أبى بلتعة أخرجته لعلى ومن معه من قرون رأسها، لقوله فلما رأت الجد منه قالت : أعرض ، فأعرض عنها فحلت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه انتهى . وذكر [٩] ابن إسحاق قبل ذلك مايدل له، وذكر ابن عقبة ما يوافق ما ذكره ابن

---

(١) فى النسخة (ك) : الحاجة، وهو المعقول . (٢) فى النسخة (ك) : فدفعته
(٣) فى النسخة(م): لقومه (٤) فى النسخة (ك) : مرثد
(٥) فى النسخة (ك) : أبا مرثد
(٦) روضة خاخ: موضع بين الحرمين بقرب حمراء الأسد ـ ياقوت ـ ولعلها قرب الموضع المسمى بالحمراء فى طريق المدينة ـ مكة .
(٧) فى النسخة (ك) : بعد رافع: سمعت
(٨) فى النسخة (ك): الفتح (٩) فى النسخة (م) : إسحاق

إسحاق . وذكر البخارى أيضا ما يوافق ذلك، لأن فى الحديث الذى رواه عن عبيد الله بن أبى رافع عن على رضى الله عنه ، فأخرجته من عقاصها، وذكر البخارى أنها أخرجته من حجزتها . لأن فى الحديث الذى رواه فى كتاب «استتابة المرتدين » الذى فيه ذكر أبى مرشد[١]: فأهوت إلى حجزتها وهى محتجزة بكساء . فأخرجت الصحيفة ، وذكر مثل ذلك فى الحديث الذى أخرجه فى باب « فضل من شهد بدراً» من رواية أبى عبد الرحمن السلمى عن على رضى الله عنه وفيه ذكر أبى مرشد. وقوله فى هذين الحديثين أخرجته من حجزتها وهى محتجزة بكساء يقتضى أنها أخرجته من وسطها لأن الكساء لا يحتجز به فى الرأس لكبره و إنما يحتجز به من[٢] الجسد لستره البدن، وذلك مخالف لما[٣] ذكره ابن إسحاق من أنها أخرجته من قرون رأسها، و يخالف أيضاً ما ذكره البخارى من حديث عبيد الله ابن أبى رافع عن على رضى الله عنه .

ومنها : أن ابن إسحاق ذكر أن اسم المرأة التى حملت كتاب حاطب : سارة ، وزعم لى غيره إنها سارة مولاة لبعض بنى عبد المطلب انتهى. وقد سبق فى الحديث الذى سبق ذكره عن الحافظ عبد الغنى بن أبى سعيد[٤] المصرى أن حاملة كتاب حاطب أم سارة ، مولاة لقريش . وقد سبق ذكر ذلك قريبا .

ومنها : أن[٥] ابن إسحاق لم يبين اسم المرأة المزنية التى قيل إنها حملت كتاب حاطب، لقوله : ثم أعطاه امرأة ، يزعم محمد بن جعفر أنها من مزينة اه . وقد بين ذلك الحافظ مغلطاى فى سيرته ، لأنه قال : فيما اخبرت به عنه : فكتب حاطب كتابا وأرسله مع أم سارة المزنية حاملة كتاب حاطب ،وفى هذا ما يفهم منه خلاف ما فى الصحيحين

ومنها أن ابن إسحاق ذكر فى الموضع الذى أدركت فيه المرأة حاملة كتاب حاطب ما يفهم منه خلاف ما فى صحيح البخارى لأن ابن[٦] إسحاق قال : فخرجا يعنى عليا والزبير حتى أدركاها بالخليقة خليقة[٧] بنى أحمد اه . والذى فى البخارى عن على رضى الله عنه قال[٨] : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير والمقداد فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة معها كتاب . قال : فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة . فإذا نحن بالظعينة اه باختصار وذكر البقية من القصة . أخرج هذا الحديث فى غزوة الغم[٩]، وأخرج مثله فى تفسير سورة الممتحنة وفى باب[١٠] فضل من شهد بدراً . إلا أن فى الحديث الذى أخرجه فى هذا الباب : أبا مرشد بدل المقداد وأخرج مثله فى هذا الباب فى باب ماجاء فى المتأولين فى كتاب استتابة المرتدين ، إلا أن أبا عوانة روى الحديث الذى أخرجه فى باب ماجاء فى المتأولين قال : حاج ، بدل خاخ . ثم قال البخارى بعد تمام الحديث: خاخ أصح . ولكن

---

(١) فى النسخة (ك) : أبى مرثد
(٢) فى النسخة (ك) : فى
(٣) فى النسخة (ك) : ما
(٤) فى النسخة (ك) : عبد الغنى بن سعيد
(٥) فى النسخة (م) : أن إسحاق .
(٦) فى النسخة (م) : لابن .
(٧) الخليقة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال، كما فى ياقوت .
(٨) فى النسخة (ك) : رضى الله عنه بعثنى .
(٩) فى النسخة (ك) : الفتح .
(١٠) فى النسخة (م) :باب من .

كذا قال أبو عوانة: خاج وخاخ تصحيف، وهو موضع. وابن هشام يقول : خاخ اه. وخاخ الذى أشار إليه البخارى أنه أصح بخاءين معجمتين ، وخاج الذى أشار إلى أنها تصحيف بخاء مهملة وألف وجيم ذكر ذلك الحافظ أبو ذر الهروى لأنه قال : فى أثناء حديث أبى عوانة : حاج بحاء مهملة وجيم كذا الرواية هنا والصواب بخاءين معجمتين هكذا وجدته منقولاً بخط بعض المحدثين عن أبى ذر، وذكر ابن عقبة : أن عليا والزبير رضى الله عنهما أدركا المرأة حاملة كتاب حاطب ببطن ريم[١] لأنه قال : فانطلقا حتى أدركا المرأة ببطن ريم انتهى . وذكر القاضى عياض فى « المشارق» أن ريم على أربعة بُرُد من المدينة على ماقال مالك : وقيل ثلاثين ميلا ، كما فى مصنف عبد الرزاق وأن روضة خاخ موضع بحمراء الأسد من المدينة وحكى العابدى أنه موضع قريب من مكة، والأول أصح اه[٢] .

ومنها : أن ابن إسحاق لم يذكر مافى كتاب حاطب من اللفظ الذى عبر به عن المعنى الذى أخبر به أهل مكة ، وقد ذكر السهيلى شيئا فى بيان ذلك لأنه قال : فصل فى ذكر كتاب حاطب إلى قريش . ثم قال : وقد قيل : إنه كان فى الكتاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل ، وأقسم بالله لو صار إليكم وحده لنصره الله عليكم ، فإنه منجز له ماوعده . وفى تفسير ابن سلام[٣] أنه كان فى الكتاب الذى كتبه حاطب أن محمدا قد نفر إما إليكم ، وإما إلى غيركم ، فعليكم الحذر ، انتهى .

ومنها: أن ابن اسحاق لم يبين اسم اليوم الذى خرج فيه النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة لقوله[٤] : لعشر مضين من شهر رمضان انتهى . وبين ذلك الحاكم النيسابورى فيما نقله عنه الحافظ مغلطاى فى سيرته لأنه قال : وخرج من المدينة فى عشرة آلاف رجل ، وقال الحاكم : فى اثنى عشر، يوم الأربعاء ، بعد العصر لعشر مضين من رمضان انتهى . وذكر الأزرقى عن الواقدى ما يوافق ما ذكره الحاكم ، وسيأتى ذلك فيما بعد عند طواف النبى صلى الله عليه وسلم بالكعبة .

ومنها : أن ابن إسحاق ذكر : أن النبى صلى الله عليه وسلم . صام فى خروجه إلى مكة حتى بلغ الكديد[٥] لقوله فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه[٦] حتى إذا كان بالكديد بين عسفان وامج أفطر انتهى .

---

(١) ريم : واد قرب المدينة .
(٢) فى النسخة (ك) : أصح، انتهى بالمعنى .
(٣) فى النسخة(ك) : اسلام .
(٤) فى النسخة (ك) : لقوله وخرج لعشر .
(٥) الكديد ، والقديد : ماء فى طريق مكة ـ المدينة . بعد عسفان ، وهى مرحلة من مراحل الطريق بين مكة والمدينة ، مشهورة بهذا الاسم حتى الآن.
(٦) فى النسخة (م) : معه إذا

وذ كر الفا كهى خبر بن يقتضيان[١] خلاف ذلك ، لأنه قال : حدثنا أبو بشر بكر بن خلف ، قال : حدثنا ابن أبى[٢] عباس ، قال : حدثنا شعبة عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس[٣] ، قال : صام رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح حتى بلغ عسفان ، وقال أيضا : حدثنا هارون بن موسى االمرزوى[٤] قال : حدثنى إبراهيم ، وحدثنا محمد بن يحيى الرمان[٥] ، وحسين بن حسن المروزى ، قالا حدثنا عبد الوهاب الثقفى جميعا ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله ، رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى مكة عام الفتح ، فصام حتى بلغ كراع[٦] الغميم ، فقيل له : إن النـاس قد شق عليهم الصيام فدعا بقدح من ماء بين الصلاتين فشر به ، والناس ينظرون إليه ، فأفطر بعض الناس ، وصام بعضهم . فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أناسا صاموا ، فقال صلى الله عليه وسلم : أولئك العصاة ثلاث مرات انتهى .

ومنها : أن ابن إسحاق لم يبين الوقت الذى نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه مر الظهران[٧] وقد بين ذلك ابن سعد[٨] مع أمرين آخرين لا يفهمهما كلام ابن اسحاق لأن الحافظ أبا الفتح بن سيد الناس قال فى سيرته فيما أخبرت به عنه : فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران ، وقال ابن سعد : نزله عشاء ، فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار . وجعل على الحرس عمر بن الخطاب رضى الله عنه انتهى .

ومنها أن كلام ابن اسحاق يقتضى أن بديل بن ورقاء هو القائل لأبى سفيان : لا تعجبن، لما رآه[٩] من النيران والعسكر بمرّ الظهران : هذه والله خزاعة حمشتها الحرب ، وكلام ابن عقبة يقتضى أن أبا سفيان ، وحكيم بن حزام ، و بديل بن ورقاء ، قالوا ذلك . وأنهم قالوا غيره[١٠] . وذلك أيضا لا يفهم من كلام ابن إسحاق لأن ابن عقبة قال : و بعثت قريش أبا سفيان بن حرب وحكيم بن حزام ، وخرج معهما بديل بن ورقاء فاطلعوا على مرّ االظهران حتى بلغوا لأراك . وذلك عشاء ، و إذا[١١] النيران والفساطيط ، والعسكر ، وسمعوا صهيل الخيل فرعبهم[١٢] ذلك ، وفزعوا ، فقالوا : هذه بنو كعب حمشتها الحرب . ثم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا : هؤلاء أكثر من بنى كعب ، ثم قالوا : فلعلهم هوازن انتجعوا أرضنا ، ولا والله ما يعرف هذا أيضا انتهى . وذ كر الفا كهى

(١) فى النسخة (م) : يقضيان .

(٢) فى النسخة (ك) : ابن أبى عدى

(٣) فى النسخة (ك) : رضى الله عنهما .

(٤) فى النسخة (ك) : الغزوى

(٥) فى النسخة (ك) : يحى الرمانى .

(٦) كراع الغميم : موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة (ياقوت) ويقال له اليوم: كراع فقط، وهو موضع مشهور حتى الآن بهذ الاسم، وهو فى طريق مكة ـ المدينة .

(٧) مر الظهران ، هو المسمى الآن : وادى فاطمة .

(٨) هو صاحب الطبقات المشهور وقد توفى عام ٢٣٠ هـ

(٩) فى النسخة (ك) : لما تعجبه بما رآه

(١٠) فى النسخة (ك) : فى ذلك غيره .

(١١) فى النسخة (ك) : فإذا

(١٢) فى النسة (ك) : فراعهم

فى الخبر الذى رواه عن محمد بن إدريس بن عمر المشار إليه ما يقتضى أن أبا سفيان لما سأل عن العسكر، والنيران، قيل له فى ذلك : غير ما سبق، لأنه قال : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالرحيل ، فارتحلوا ، فسار حتى نزلوا مرّ ، وجاء أبو سفيان ليلا ، فرأى العسكر والنيران ، فقال : ما هؤلاء ؟ قالوا : هذه تميم ، أمحلت بلادها،وانتجعت بلادكم ، قال : هؤلاء والله أكثر من أهل منى ، أو قال مثل أهل منى اه . ومعنى قوله فى هذا الخبر : هؤلاء والله أكثر من أهل منى شبههم فى الكثرة بالحجاج الذين ينزلون منى ، وليس المراد من ذلك أهل منى الذين هم سكانها دائما ، لقلتهم والله أعلم . وفى البخارى ما يقتضى أن أبا سفيان شبه مارآه من النيران بمر الظهران بنيران عرفة ، وسيأتى ذلك قريباً ومراد أبى سفيان بنيران عرفة النيران التى يوقدها الحجاج بعرفة لكثرتهم والله أعلم .

ومنها : أن كلام ابن إسحاق يقتضى أن أبا سفيان لم يعلم بخبر ما رأى بمر الظهران من العسكر ، إلا من العباس رضى الله عنه . لأنه قال بعد أن ذكر خروج العباس عن العسكر رجاء أن يجد من يبعثه إلى أهل مكة ليعلمهم الخبر حتى يخرجوا فيستأمنوا لأنفسهم ومحاورة أبى سفيان ، و بديل ، فيما رأيا من النيران ، والعسكر ، قال : فعرفت صوته ـ يعنى أبا سفيان ـ فقلت : ياأبا حنظلة ، فعرف صوتى، فقال : أبو الفضل ، قلت : نعم ، قال : مالك فداك أبى وأمى ؟ قال : قلت : و يحك ياأبا سفيان ، وذلك يقتضى أنه علم الخبر من غير العباس لأنه قال: بعد قوله « وقال : مثل أهل منى » قال . فعلم أنه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه تنكر ، وقال : دلونى على العباس : فأتى العباس فأخبره العباس الخبر انتهى .

ومنها: أن كلام ابن إسحاق يقتضى أن أبا سفيان لما علم من العباس بما رآه وتعجب منه من العسكر والنيران استشار العباس فيما يصنع ؟ فأشار إليه العباس بأن يذهب معه إلى النبى صلى الله عليه وسلم و يستأمن[1] منه له ، ففعل أبو سفيان ذلك . وكلام ابن عقبة يقتضى أن أبا سفيان ومن معه أخذوا قهراً وذهب بهم إلى العسكر فلقيهم العباس وأجارهم ، لأنه قال : بعد أن ذكر قول أبى سفيان ، وحكيم و بديل فيما رأوه من العسكر والنيران بمر الظهران : فبينما هم كذلك لم يشعروا حتى أخذهم[2] نفر كان بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقال أبو سفيان : هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزلوا على أكباد قوم لم يعلموا بهم ؟ فلما دخل بهم إلى العسكر لقيهم العباس فأجارهم ، فقال : ياأبا حنظلة ثكلتك أمك وعشيرتك ؛ هذا محمد[3] صلى الله عليه وسلم وجميع المؤمنين . فادخلوا وأسلموا[4] انتهى . وفى هذا موافقة لما فى الخبر الذى ذكره الفاكهى من أن أبا سفيان علم خبر النبى صلى الله عليه وسلم من غير العباس، وذكر البخارى ما يوافق ما ذكره ابن عقبة من أخذ حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) فى النسخة(ك) : ليستأمنه له . (٢) فى النسخة(ك) : أخذ .
(٣) فى النسخة(ك) : محمد رسول الله وجميع . (٤) فى النسخة(ك) : فأسلموا .

لأبى سفيان ، وحكيم ، و بديل . لأنه قال : (باب أين ركز النبى صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح ؟) : حدثنى عبيد بن إسماعيل قال : حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه قال : لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغ ذلك قريشا، خرج أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، و بديل بن ورقاء ، يلتمسون الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مرّ الظهران ، فإذاهم بنيران كأنها نيران عرفة ؛ فقال أبو سفيان : ما هذه لكأنها نيران عرفة ؟ فقال بديل بن ورقاء : نيران بنى عمرو . فقال أبو سفيان : عمرو : أقل من ذلك ، فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدركوهم ، فأخذوهم ، فأتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . انتهى باختصار .

ومنها : أن كلام ابن اسحاق يوهم أن حكيم بن حزام ، و بديل بن ورقاء ، لم يحضرا مع أبى سفيان عند النبى صلى الله عليه وسلم بمر الظهران ، لقوله بعد ذكر ركوب[1] أبى سفيان خلف العباس[2]: ورجع صاحباه، وكلام ابن عقبة يقتضى أنهما حضرا مع أبى سفيان عند النبى صلى الله عليه وسلم بمر الظهران ، لأنه قال تلو قوله «فادخلوا ، فأسلموا ، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكثوا عنده عامة الليل يحادثهم ، و يسألهم ، ثم دعاهم إلى الإسلام . فقال : اشهدوا أن لا إله إلا الله ، فشهدوا ، ثم قال : اشهدوا أنى محمد رسول الله فشهد حكيم و بديل ، وقال أبو سفيان : ما أعلم ذلك ، فخرج أبو سفيان مع العباس رضى الله عنه انتهى». وذكر ابن عقبة فى هذا الخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم أمن من دخل دار حكيم بن حزام ، قال : ودار حكيم بأسفل مكة انتهى . ولعلها بالموضع المعروف بالخرامية بقرب الحزورة والله أعلم .

ومنها : أن كلام ابن اسحاق يقتضى أن أبا سفيان ، إنما أسلم فى صبيحة الليلة التى حضر فيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه قال : فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ إلى أن قال: فشهد شهادة الحق وأسلم انتهى . وذكر ابن عقبة ما يوافق ذلك لأنه قال: فلما نودى للصلاة تبادر الناس ففزع أبو سفيان . فقال للعباس: ما تريدون ؟ قال : الصلاة . ورأى الناس يتلقون وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : مارأيت ملكا قط كالليلة ، ولا ملك كسرى ، ولا ملك قيصر ، ولا بنى الأصفر[3] ، فسأل العباس أن يدخله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدخله فقال : يا محمد قداستنصرتُ إلٰهى ، واستنصرتَ إلٰهك، فوالله ما لقيتك من مرة إلا ظهرت على . فلوكان إلٰهى محقا ، و إلٰهك مبطلا لقد غلبتك . فشهد أن محمداً رسول الله. وذكر الفاكهى ما يقتضى أن

---

(١) مكان كلمة «ركوب» بياض فى النسخة : (م) . (٢) فى النسخة (ك) : رضى الله عنه .

(٣) بنو الأصفر : هم الروم، وملكهم هو القيصر ، ففى العبارة بعض الشىء .

أبا سفيان أسلم ليلاً ، لأنه قال فى الخبر الذى رواه عن ابن إدريس تلو قوله : فأخبره العباس الخبر وانطلق به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا سفيان أسلم تسلم ، قال : فكيف أصنع باللات والعزى ؟ قال أيوب : فحدثنى أبو الخليل عن سعيد بن جبير ، قال : فقال له عمر وهو خارج من القبة فى عنقه السيف : أحز عليها، أما والله لو كنت خارجا من القبة ما قلتها أبدا . فقال أبو سفيان: من هذا ؟ قالوا : عمر، ثم رجع إلى حديث أيوب عن عكرمة ، قال : فأسلم أبو سفيان وانطلق به العباس إلى منزله ، فلما أصبحوا ثار الناس لظهورهم فقال أبو سفيان : يا أبا الفضل أو أسر الناس فى بشئ ؟ قال : لا ، ولكنهم قاموا إلى الصلاة انتهى باختصار .

ومنها : أن كلام ابن إسحاق لا يفهم السبب الذى لأجله أمر النبى صلى الله عليه وسلم العباس أن يحبس أبا سفيان بمضيق الوادى عند خطم الخيل حتى تمر به جنود الله ، وقد ذكر الفاكهى شيئاً يدل على بيان سبب ذلك لأنه قال: حدثنى الحسين بن عبدالمؤمن : حدثنا على بن عاصم، عن حصين عن عبيد الله بن عبدالله، قال : فلما جعل أبو سفيان يساير العباس بن عبد المطلب[1] رأى من الناس انتشاراً ، والناس فى حوائجهم ليسوا بحضرة عدوه . قال : فبهؤلاء يريد أن يغلبنى ويقتلنى محمد . قال ياعباس أنبئنى من خلق السماء ؟ قال : الله ، قال : فأنبئنى من خلق الأرض ؟ قال : الله . وجعل يسأله عن أشياء نحوها ؛ فعرف أن الإسلام لم يدخل قلبه فتخلف عنه[2] ؛ ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال صلى الله عليه وسلم:ثم أدع إلى خالد بن الوليد فدعى له وهو على مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : يا خالد ، قال : لبيك يا رسول الله ، قال : أضم إليك الخيل . قال : نعم ، ولم تكن بحضرة عدوك يا رسول الله ، قال :أضم إليك الخيل ، قال : نعم ؛ فضم إليه الخيل . قال : ادع لى أبا عبيدة ابن الجراح . فدعى له ؛ فقال : يا أبا عبيدة ،أضم إليك الناس . قال : نعم . قال : فضم إليه الناس ، قال : وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فى الضعفاء ، وفى المشاة ، وفى الردافى ؛ فقال للعباس : انطلق به ، فقف به من مكان كذا ، وكذا . قال : فذهب العباس فوقف بأبى سفيان فى المكان الذى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو يحدثه إذ أقبل خالد بن الوليد رضى الله عنه فى الخيل ، فلما رآهم أبو سفيان فى الخيل قال ياعباس : فى هؤلاء محمد ؟ قال: لا هذا خالد بن الوليد ، هذا سيف الله قال : فمضى خالد فى الخيل . ثم أقبل أبوعبيدة بالناس[3] ، فلما رآهم قال : ياعباس أفى هؤلاء محمد ؟ قال : لا ؛ هذا أبو عبيدة بن الجراح ، هذا أمين الله على الناس . قال : مضى[4] أبو عبيدة فى الناس[5]،ثم أقبل النبى صلى الله عليه وسلم فى الردافى ، والمشاة ، وضعفاء

(١) فى النسخة (ك) : رضى الله عنه .
(٢) كان أبو سفيان زعيم الشرك والوثنية ، ولم يسلم رغبة، بل رهبة وفزعا ، وكان إسلامه معناه تحطيم الوثنية فى جزيرة العرب ، وبدء حياة جديدة للعرب وللمسلمين كافة .
(٣) فى النسخة (ك): فى الناس (٤) فى النسخة (ك) : فمضى . (٥) هذه الكلمة محذوفة .

الناس» ، فلما رآهم عرف أن النبى صلى الله عليه وسلم فيهم . فقال : يا عباس،هذا محمد ؟ قال : نعم،هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : يا عباس،لا تفلح قريش بعد اليوم[١] أبداً . خذ لى من محمد الأمان . فأتى العباس النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن الله قد أرعبه و إنه يسأل الأمان . قال : نعم ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن .انتهى. وذكر ابن عقبة ما يدل لسبب حبس أبى سفيان حتى تمر عليه جنود الله . وأفاد فيما ذكره بيان الموضع الذى حبس فيه وذلك لا يفهم من كلام ابن إسحاق، لأنه قال : فلما توجهوا ـ يعنى أبا سفيان ، وحكيم ابن حزام ، و بديل بن ورقاء ـ ذاهبين . قال ابن عباس : إنى لا آمن أبا سفيان أن يرجع عن الإسلام فيكفر فأروحه[٢] ، حتى تفقه ويرى من جنود الله معك . فأدركه العباس فحبسه . فقال أبو سفيان:أغدراً يابنى هاشم ؛ قال : ستعلم أنا لسنا نغدر . ولكن لى إليك حاجة . فأصبح حتى تنظر إلى جنود الله ، و إلى ما أعد الله للمشركين فحبسهم بالغميم دون الأراك إلى مكة . حتى أصبحوا وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا فنادى لتصبح كل قبيلة قد ارتحلت ووقفت مع صاحبها عند رايته وتظهر ما معها من العدة فأصبح الناس على ظهر . وقدم النبى صلى الله عليه وسلم بين يديه الكتائب فمرت كتيبة على أبى سفيان فقال ياعباس أفى هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا ، قال : فمن هؤلاء ؟ قال : قضاعة ، ثم مرت القبائل على راياتها فرأى أمرا عظيما رعبه الله به انتهى . وهذا يقتضى أن يكون الغميم دون مر الظهران إلى مكة لأن أبا سفيان حبس بالغميم ليرى ما أعز الله به الإسلام من الجنود ، والجنود مرت عليه بالغميم ؛ بعد توجهها من مر الظهران إلى مكة فيكون الغميم بين مر الظهران ومكة . و إنما ذكرنا ذلك لأن كلام النووى يقتضى أن يكون بين مر الظهران وعسفان،لأنه قال : كراع الغميم هو بضم الكاف ، والغميم بفتح الغين وكسر الميم وهو واد بين مكة والمدينة بينه و بين مكة مرحلتين وهو أمام عسفان بثمانية أميال، يضاف إليه هذا الكراع وهو جبل أسود بطرف الحرة (يمتد إليه)[٣] ونقل عن صاحب المطالع أنه بضم الغين وفتح الميم ثم قال : قلت هذا تصحيف. انتهى.

ومنها أن ابن إسحاق ذكر ما يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بأبى سفيان فى كتيبته الخضراء،فيها المهاجرون والأنصار.لأنه قال : بعد قوله فيقول : مالى ولبنى فلان حتى مر به رسول صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار،وذلك يخالف مافى صحيح البخارى،لأن فيه أن كتيبة الأنصار جاءت مع سعد بن عبادة ومعه الراية ، قال : ولم ير مثلها،ثم جاءت كتيبة أخرى هى أقل الكتائب ، فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

---

(١) صدق أبو سفيان،فإن قريشا لم تفلح بعد ذلك إلا بعد أن أسلمت ودخلت فى دين الله أفواجا ، ولقد انكسرت رايتها وهى تقاوم الرسول ، وسقط جنودها صرعى فى الميدان أمام الإسلام ورسوله الكريم .

(٢) فى النسخه (ك) : فأردده .

(٣) ما بين القوسين :من زيادة النسخة (ك) .

وراية النبي صلى الله عليه وسلم مع الرسم ، كذا وقع عند جميع الرواة ، وروى الحميدى فى كتابه : هى أصل[١] الكتائب وهى الأظهر . كما قال الحافظ أبو الفتح بن سيد الناس على ما أخبرت به عنه فى سيرته ومنها نقلت ما ذكره[٢] عن البخارى والحميدى ، وقوله فى البخارى: ثم جاءت كتيبة ، وهى أقل الكتائب، فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، أخرج البخارى ذلك فى الباب الذى ترجم عليه بقوله: (باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح ؟) وذكر ابن عقبة ما يقتضى أن كتيبة الأنصار حيث[٣] مروا بأبى سفيان كانت مع سعد بن عبادة . لأنه قال : ومرت الكتائب تتلو بعضها بعضا . على أبى سفيان وحكيم و بديل ، لا تمر عليهم كتيبة إلا سألوا عنها ، حتى مرت كتيبة الأنصار ، فيهم سعد بن عبادة اه . ووقع فى نسختى من مغازى ابن عقبة: وابن حكيم ، والصواب وحكيم بإسقاط ابن لأن الكلام لا يستقيم إلا باسقاط ابن . والله أعلم .

ومنها : أن كلام ابن إسحاق يقتضى أن المهاجرين كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم حين مر بأبى سفيان، وكلام ابن عقبة يقتضى خلاف ذلك ، لأنه قال بعد قوله السابق : رعبه الله به ، و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام على المهاجرين ، وخيلهم . انتهى .

ومنها : أن كلام ابن إسحاق يقتضى أن أبا سفيان بعد أن أطلقه العباس أبلغ أهل مكة تأمين النبى صلى الله عليه وسلم لمن دخل دار أبى سفيان ، ومن أغلق عليه بابه ، ومن دخل المسجد[٤] ، وذكر الفاكهى مايقتضى أن العباس بن عبد المطلب هو الذى أبلغ ذلك قريشا لأن فى الخبر الذى رواه عن ابن عباس : فقال العباس رضى الله عنه : يارسول الله لو أذنت لى فأتيت أهل مكة فدعوتهم وأمنتهم وجعلت لأبى سفيان شيئا يذكر به[٥] قال :فانطلق العباس رضى الله عنه حتى ركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء ، ثم انطلق ، حتى قدم على أهل مكة فقال: ياأهل مكة أسلموا ، تسلموا ؛ قد استبطنتم بأشهب بازل . قال : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الزبير من قبل أعلى مكة ، و بعث خالد بن الوليد من قبل أسفل مكة ، فقال لهم العباس : هذا الزبير من قبل أعلى مكة

---

(١) فى النسخة (ك) : أقل (٢) فى النسخة (ك) : ماذكرناه

(٣) فى النسخة (ك) : حين

(٤) كان ذلك إبقاء من الرسول العظيم على مجد زعيم ألقى السلاح . وهى حكمة جليلة ، ودليل تسامح مابعده من تسامح ، وهذه هى شريعة الإسلام ، فأين منها مايصنعه الغرب من إعدام القواد المستسلمين ومحاكمتهم والقضاء عليهم بلا هوادة ولا رحمة ، ولقد أبقى الرسول على أبى سفيان وأبقى له ظلا ظليلا يلوذ به أتباعه وجنوده .

(٥) فى النسخة (م) : يذكر .

وخالد بن الوليد من قبل أسفل مكة ، وخزاعة المخزعة الأنوف ، قال : ثم قال : من ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، قال : جاء[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم فتراموا بشيء من النبل . انتهى باختصار .

ومنها : أن ابن إسحاق ذكر مايقتضى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على رأسه يوم فتح مكة عمامة حمراء لأنه قال : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذى طوى[٢] وقف على راحلته محتجزاً[٣] بشقة برد حبرة حمراء ، انتهى . وذكر الفاكهى مايقتضى خلاف ذلك لأنه قال : حدثنى أحمد ابن عبيد[٤] عن عاصم بن مضرس[٥] الأنصارى ، قال : أخبرنى أبو بكر عمرو الضبى ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة معتجرا[٦] بعمامة سوداء ، والعباس بن عبد المطلب كذلك . انتهى باختصار . وقال : الفاكهى أيضاً : وحدثنا محمد بن يحيى بن أبى عمر قال : حدثنا سفيان عن مساور الوراق ، قال : أخبرنى جعفر بن عمر بن حريب عن أبيه ، قال : رأيت على النبى ، صلى الله عليه وسلم عمامة سوداء يوم فتح مكة . قال الفاكهى : حدثنا ابن[٧] أبى عمر حدثنا بشير بن السرى ، حدثنا حماد بن سلمة عن أبى الزبير ، عن جابر رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء انتهى . ولا يعارض ذلك حديث أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر لإمكان أن تكون العمامة السوداء أو الشقة الحمراء المشار إليها هنا من فوق المغفر والله أعلم .

ومنها : أن كلام ابن اسحاق موهم فى بيان الموضع الذى أمر النبى صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام أن يدخل منه إلى مكة يوم فتحها ، لأنه قال : وحدثنى ابن أبى نجيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرق جيشه من ذى طوى أمر الزبير بن العوام[٨] أن يدخل فى بعض الناس من كدا[٩] انتهى. ووجه الإبهام فى كلام ابن اسحاق أن[١٠] لم يقل فى كدا التى أمر الزبير بالدخول منها بأعلى مكة ولا بأسفلها ، ولم يقل مثل[١١] ذلك فى

(١) فى النسخة (ك) : ثم جاء .
(٢) قد سبق بيان موضعه .
(٣) فى النسخة (ك) : معتجراً
(٤) فى النسخة (ك) : حميد .
(٥) فى النسخة (ك): مغرس .
(٦) من زيادة النسخة (ك) .
(٧) فى النسخة (م) : أبى .
(٨) فى النسخة (ك) : رضى الله عنه .
(٩) وكان الزبير على المجنبة اليسرى، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل فى بعض الناس من كداء — وكداء : جبل بأعلى مكة .
(١٠) فى النسخة (ك):أنه .
(١١) فىالنسخة (م) : من .

كدى التى أمر سعد بالدخول منها ، فإن كان مراده بكدا التى أمر الزبير بالدخول منها : كُدى التى بأعلى مكة فكلامه لايفهم ذلك ، وإن أراد بكدى التى أمر الزبير بالدخول منها التى بأسفل مكة ، فهو مخالف لما ذكره ابن عقبة ، لأنه قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم، وأمره أن يدخل من كُدى من أعلى مكة وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم رايته وأمره أن يغرزها بالحجون ولا يبرح حيث أمره أن يغرزها حتى يأتيه انتهى .

ومنها : أن ابن هشام ذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع سعد بن عبادة حين قال :

اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة

وأن عمر رضى الله عنه أخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم وقال : ما نأمن [١] أن يكون له فى قريش صولة ، وذكر الأموى مايخالف ذلك لأن الحافظ أباالفتح بن سيد الناس قال فيما أخبرت به عنه : وقال الأموى : وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بيد سعد بن عبادة فلما مر بها على أبى سفيان وكان قد أسلم أبو سفيان فقال سعد إذ نظر إليه :

اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة

اليوم أذل الله قريشا * فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبة الأنصار حتى إذا حاذى أبا سفيان نادى [٢] : يارسول الله ، أمرت بقتل قومك فانه زعم سعد ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا ، أنشدك الله فى قومك ، فأنت أبر الناس وأرحمهم ، وأوصلهم ، وقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف [٣] : ما نأمن سعداً أن يكون منه فى قريش صولة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا سفيان :

اليوم يوم المرحمة [٤] * اليوم أعز الله فيه قريشا انتهى. وهذا مخالف لما ذكره ابن هشام من وجهين :

أحدهما : أن أبا سفيان أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بمقالة سعد ، والآخر أن عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن هما القائلان : ما نأمن أن يكون من سعد فى قريش صولة . ووقوع ذلك منهما [٥] أقرب من وقوعه من عمر لشدته فى دين الله . والله أعلم . وذكر ابن عقبة مايوافق ماذكره الأموى من أن أبا سفيان سمع مقالة سعد وأخبر بها النبى صلى الله عليه وسلم واستعطفه على قريش ، وسيأتى ذلك قريبا ، وفى صحيح البخارى مثل ذلك ، لأن فى حديث فتح مكة الذى ترجم عليه بقوله (باب أين ركز النبى صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح ؟): فلما مر

---

(١) من زيادة النسخة (ك) . (٢) فى النسخة (ك) : ناداه .

(٣) فى النسخة (ك) : بزيادة يا رسول الله والله

(٤) هذا شعار الرسول الكريم طول حياته ، المرحمة والعطف والشفقة بكل إنسان، حتى ولو كان العدو المحارب ، والوثنى المشرك كأبى سفيان . (٥) منهما من زيادة النسخة (م) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان ، قال : ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ اه . ومنها أن كلام ابن اسحاق يقتضي أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يأخذ الراية من سعد وأن يدخل علي بها لأنه قال بعد ذكر ما نسبه لعمر من الكلام السابق في حق سعد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب : أدركه فخذ الراية، فكن أنت الذي تدخل بها . وهذا مخالف لما ذكر الأموي لأنه قال بعد ذكره لما سبق ولشعرٍ قاله [١] ضرار بن الخطاب الفهري في يوم فتح مكة ليستعطف به النبي صلى الله عليه وسلم على قريش ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد ابن عبادة فنزع اللواء من يده وجعله بيد قيس ابنه، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اللواء لم يخرج عنه إذ صار إلى ابنه قيس انتهى . وذكر الفاكهي ما يوافق ماذكره الأموي لأنه قال : حدثني الحسين بن عبد المؤمن قال : حدثنا علي بن عاصم ، عن عطاء بن السائب ، قال : حدثني طاووس ، وعامر ، قالا : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم خالد بن الوليد ، فذكر شيئا من خبره ، يأتي ذكره ، ثم قال : ألا إن راية الأنصار في يد سعد بن عبادة ، وقد مات سعد بن معاذ ، وصار سعد بن عبادة سيد القوم، الراية في يده، فبينما هو واقف ، والأنصار حوله إذ نظر فلم ير حوله إلا الأنصار فقال :

اليوم يوم الملحمة   اليوم تستحل الحرمة

ودخل معهم من المهاجرين من لا يفطن له فاشتد وهم لا يعلمون، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما سمع من سعد بن عبادة . فقال له : أنت سمعته يقول هذا ؟ قال : نعم ، قال: من ههنا أدعو إلى قيس بن سعد بن عبادة فجاء الرسول وهو واقف مع أبيه والراية في يد أبيه وقال يا قيس يدعوك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه، فقال: يا قيس ، قال : لبيك يارسول الله ، فقال [٢] : اذهب فخذ الراية من سعد ، قال: نعم يارسول الله، قال : فجاءه الأنصار [٣] حوله فقال : أعطني الراية قال : لا ، لا أم لك . قال: أعطنيها ولا تحمق نفسك . قال لا : إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بهذا [٤] : قال : أمرني بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فسمعاً وطاعة ، ودفع الراية إلى قيس ابنه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، والراية مع قيس بن عبادة انتهى . وذكر الفاكهي أيضا ما يخالف ما ذكرناه عنه ، لأنه قال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن أبي ميسرة ، قال : حدثنا محمد بن الحسن ، قال : حدثتني أم عروة ، عن أمها عن جدها ، الزبير بن العوام [٥] . قال : أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة لواء سعد بن عبادة . ودخل مكة بلواءين اه . ونقل [٦] ابن عقبة ما يوافق الخبر الذي رواه الفاكهي عن ابن أبي ميسرة . لأنه قال : بعد أن ذكر مرور سعد بن عبادة ، في كتيبة الأنصار على أبي سفيان فنادى: أي سعد أبا سفيان فقال :

---

(١) في النسخة (م) : قال.
(٢) في النسخة (ك) قال .
(٣) في النسخة (ك) : والأنصار .
(٤) في النسخة (ك) : بذاك .
(٥) في النسخة (ك) : رضي الله عنه .
(٦) في النسخة (ك) : وذكر.

اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة

فلما جاز به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار ، قال أبو سفيان أمرت بقومك[١] أن يقتلوا ، فإن سعد بن عبادة ومن معه حين مروا بى نادونى :

اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة

و إنى أنشدك الله فى قومك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد فعزله[٢] وجعل الزبير مكانه على الأنصار مع المهاجرين ، فسار الزبير بالناس حتى وقف بالحجون وغرز راية رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى . فتحصل من هذه الأخبار فيمن أعطاه النبى صلى الله عليه وسلم الراية بعد أخذها من سعد بن عبادة ثلاثة أقوال ، أولها أنه على بن أبى طالب رضى الله عنه ، على مقتضى ما ذكره ابن اسحاق ، وثانيها أنه قيس بن سعد على ما ذكره الأموى والفاكهى . وثالثها أنه الزبير بن العوام على ما ذكره الفاكهى أيضا وابن عقبة .

ومنها : أن ابن عقبة ذكر ما يقتضى أن سعداً كان قد أعطى رايته قبل أخذها لابنه قيس . لأنه قال: وبعث سعد بن عبادة فى كتيبة الأنصار فى مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفع سعد رايته إلى قيس بن سعد انتهى. وهذا لا يفهم من كلام ابن إسحاق .

ومنها: أن ابن اسحاق لم يبين صفة راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ، وقد بين ذلك الفاكهى لأنه قال : حدثنا الحسن بن على الحلوانى ، قال حدثنا يحيى بن آدم ، قال حدثنا شريك بن عبد الله النخعى عن عمار الذهبى ، عن ابن الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ولواؤه أبيض ، قال الحسن بن على : يعنى يوم الفتح انتهى .

ومنها : أن كلام ابن إسحاق يفهم أن أبا عبيدة بن الجراح كان يوم فتح مكة على المشاة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . لأنه قال : وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بصف[٣] من المسلمين ينصب لمكة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم اهـ. و يتأيد ذلك بما رويناه فى صحيح مسلم من أن أبا عبيدة كان على البيادقة يعنى الرجالة ؛ وقد سبق ضبط البيادق[٤] فى الباب الأول فأغنى عن إعادته ، وذكر الفاكهى ما يقتضى أن أبا عبيدة لم يكن يوم الفتح أى فتح مكة على الرجالة إلا فى الخبر الذى سبق ذكره عنه فى بيان سبب حبس أبى سفيان حتى مرت عليه جنود

---

(١) فى النسخة (م) : بقومك .

(٢) يؤخذ من هذا أن أركان حرب القائد لا يصح لهم أن يخالفوا قائدهم فى رسم سياسة المعركة ، وأن القائد حر فى تنفيذ ما يشاء من الخطط المؤدية فى المعركة لبلوغ أهدافه .

(٣) فى النسخة (ك) : بالصف. (٤) فى النسخة (ك) : البيادقة .

الله . قال : ادعوا إلىّ أبا عبيدة بن الجراح ، فدعى له ، قال : يا أبا عبيدة ضم إليك الناس . قال : نعم ، وضم إليه الناس ، قال : و بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضعفاء ، وفى المشاة ، وفى الردافى اهـ. ويتأيد ذلك من حيث المعنى بأن المقصود إرهاب أبى سفيان ، و إرهابه بمرور أبى عبيدة عليه ومعه غير المشاة أقوى من إرهابه بمرور أبى عبيدة عليه، والمشاة مع أبى عبيدة والله أعلم .

ومنها : أن كلام ابن إسحاق يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم فتحها من أذاخر[١] لأنه قال : ودخل النبى صلى الله عليه وسلم من أذاخر حتى نزل بأعلى مكة ، وضربت هنالك قبته انتهى . وذكر ابن عقبة ما يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل من ثنية كداء بأعلى مكة . لأنه قال : ولما علا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنية كداء نظر إلى البارقة على الجبال ، ثم[٢] فضض المشركين ، فقال : ما هذا ؟ وقد نهيت عن القتال . فقال المهاجرون : نظن أن خالداً قوتل و بدئ بالقتال فلم يكن له بد من أن يقاتل من قاتله ، وما كان[٣] ليعصيك ولا ليخالف أمرك فهبط رسول الله[٤] من الثنية ، فأجاز على الحجون انتهى . وذكر الفاكهى ما يوافق ما ذكره ابن عقبة لأنه قال : حدثنى عبد الله بن شبيب قال : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، قال : حدثنى معن بن عيسى عن عبد الله بن عمر عن حفص عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر، فقال : كيف ؟ قال حسان بن ثابت : يا أبا بكر ؟ فأنشده أبو بكر رضى الله عنه :

عدمت ثنيتى إن لم يروها ... تثير النقع من كتفى كداء[٥]
ينازعن الأعنة مشعفات[٦] ... يلطمهن بالخمر النساء

(١) أذاخر : جبل مشرف على المعابدة فى الشمال الغربى لمكة .

(٢) فى النسخة (ك) : مع . (٣) فى النسخة (ك) : يا رسول الله .

(٤) فى النسخة (ك) : صلى الله عليه وسلم .

(٥) النقع : الغبار . وضمير « يروها » للخيل ، ويروى البيت : عدمنا خيلنا إن لم تروها .

(٦) فى النسخة (ك) : مشعفات . ورواية الديوان : مصعدات .

ورواية هذا الشعر كما فى الديوان :

عدمنا خيلنا إن لم تروها ... تثير النقع موعدها كداء
يبارين الأعنة مصعدات ... على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات ... تلطمهن بالخمر النساء

النقع : الغبار الساطع المرتفع . كداء : جبل بمكة . يبارين : يسابقن. الأسل : الرماح . الظماء السمر . متمطرات: مسرعات يسبق بعضهم بعضا . تلطمهن : تضرب خد الخيل أو صفحة جسدها بالكف مفتوحة .

فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادخلوا من حيث قال حسان : فدخل رسول الله صلى الله عليــه وسلم من كداء أعلى مكة انتهى .

ومنها : أن كلام ابن عقبة يقتضى أن القصة التى ذكرها ابن إسحاق لحماش وقعت لغيره لأن ابن عقبة قال : فدخل رجل من هذيل حين هزمت بنو بكر على امرأته فلامته وعجزته وعيرته بالفرار فقال :

وأنت لورأيت يوم الخندق　　　اذ فر صفوان وفر عـكرمة
ولحقتنـا بالسيوف المسلمـة　　　يقطعن كل ساعد وجمجمة
لم تنطق فى اللوم أدنى كلمة

قال : وقال ابن شهاب : قالها حماش أخو بنى سعد بن ليث انتهى. وذكر ابن إسحاق ما يقتضى أن هـذه الأبيات لبعض هذيل لأنه قال : ويروى لخراش الهذلى،فاستفدنا من هذا الخلاف فى صاحب هذه القصة هل هو خراش أو غيره[(١)] ؟ والله أعلم بالصواب اه .

ومنها : أن ابن إسحاق خوالف فيما ذكره من عدد من قتل من المشركين يوم فتح مكة،لأنه قال : وأصيب من المشركين ناس قريب من اثنى عشر أو ثلاثة عشر ثم انهزموا انتهى. وقال ابن عقبة : واندفع خالد بن الوليد حين دخل من أسفل مكة فلقيته بنو بكر فقاتلوا فهزموا ، وقتل من بنى بكر قريباً من عشرين ومن هذيل ثلاثة أو أربعة وانهزموا وقتلوا بالحزورة ، حتى بلغ قتلهم باب المسجد اه . وقال ابن سعد قتل أربعة وعشرون رجلا من قريش . وأربعة من هذيل ذكر ذلك عن ابن سعد هكذا:الحافظ أبو الفتح اليعمرى فى سيرته بعد ذكره لـكلام ابن إسحاق فى ذلك فيما أخبرنى به بعض مشايخنا عن الحافظ أبى الفتح،وذكر الفاكهى خبرا فيه مايقتضى أن المقتولين من المشركين يوم فتح مكة سبعون رجلا ، وذكر لذلك سببا فاقتضى الحال ذكر ذلك لما فيه من الفائدة، لأنه قال : حدثنى الحسين[(٢)] بن عبد المؤمن قال : حدثنا على بن عاصم عن عطاء بن السائب قال: حدثنى طاووس ، وعامر ، قالا : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم[(٣)] خالد بن الوليد رضى الله عنه فأنالهم شيئا من قتل[(٤)].فجاء رجل من قريش فقال : يارسول الله هذا خالد بن الوليد قد أسرع فى القتل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لرجل من الأنصار عنده : يا فلان،قال: لبيك ياسول الله قال : ائت خالد بن الوليد ، فقل له:إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن لا تقتل بمكة أحداً فجاء الأنصارى ، فقال : ياخالد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك (أن لا تقتل)[(٥)] من لقيت من الناس .

---

(١) ويروى للمرعاش الهذلى ،　　(٢) فى المنتخبات : الحسن
(٣) فى النسخة (م) : لا توجد هذه الـكلمة　　(٤) فى النسخة (ك) : من القل .
(٥) فى النسخة (ك) : أن تقتل وهوالصواب .

فاندفع خالد فقتل سبعين رجلا بمكة ، قال فجاء النبى صلى الله عليه وسلم رجل من قريش فقال : يارسول الله هلكت قريش ، لا قريش بعداليوم ، قال : ولم ؟ قال : هذا خالد لا يلقى أحدا من الناس إلا قتله . قال : ادع لى خالداً فدعى له قال : ياخالد ألم أرسل إليك أن لا تقتل أحداً ؟ قال : بل أرسلت إلى أن أقتل من قدرت عليه . قال : ادع لى الأنصارى ، فدعى له فقال : ألم آمرك أن تأمر خالداً أن لا يقتل أحداً ؟ قال : بلى ، ولكنك أمرت وأراد الله غيره ، فكان ما أراد الله . قال : يا خالد ، قال : لبيك يارسول الله . قال : لا تقتل أحداً ، ولم يقل للأنصارى شيئا اه . ومنها أن كلام ابن إسحاق يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر أن لا يقتل يوم فتح مكة إلا من قاتل من المشركين ، لأنه قال : وكان رسول الله صلى عليه وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم إلا أنه قد عهد فى نفر سماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة اه . وذكر ابن عقبة ما يوافق ذلك لأنه قال : وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكفوا أيديهم ، ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم وأمرهم بقتل أربعة نفر اه . وروينا فى مسند ابن حنبل ما يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بقتل غير من استثناه ، لأنه قال : حدثنا يحيى عن حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : لما فتحت مكة على رسول‌الله صلى الله عليه وسلم . قال : كفوا السلاح إلا خزاعة عن بنى بكر ، فأذن‌لهم‌حتى صلى العصر . ثم قال : كفوا السلاح ، الحديث بطوله ، وذكر الفاكهى أنه قال : حدثنا حسن بن حسين أن ابن أبى عدى قال : حدثنا حسين المعلم ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ،عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة ، قال : كفوا السلاح إلا خزاعة عن بنى بكر (فأذن لهم حتى صلوا العصر ثم أمرهم أن يكفوا السلاح حتى إذا كان الغد لقى رجل من خزاعة رجلا من بنى بكر)[1] بالمزدلفة فقتله ، فلما بلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم قام خطيبا وظهره إلى الكعبة ، فقال : إن أعتى الناس على الله من عدا فى الحرم ، ومن قتل غير قاتله ، ومن قتل بذحول الجاهلية انتهى باختصار .

ومنها : أن ابن سعد أحد بنى عامر بن لؤى الذى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله يوم فتح مكة ، هو ابن أبى سرح وذلك لا يفهم من كلام ابن إسحاق ، ووقع فى بعض نسخ سيرته تسميته بعبد الله وذلك لا يفهم أيضا أنه ابن أبى سرح وقد ذكره ابن عقبة بأوضح مما ذكره ابن اسحاق لأنه قال : وأمرهم بقتل أربعة نفر عبدالله ابن سعد بن أبى سرح انتهى .

ومنها : أن ابن إسحاق لم يذكر فى سبب أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل ابن أبى سرح سوى ارتداده إلى الشرك بعد الإسلام وكتابته الوحى للنبى صلى الله عليه وسلم بأمره صلى الله عليه وسلم قبل الفتح وهاجر وكان

(١) مابين القوسين من زيادة النسخة (ك) .

يكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ارتد مشركا إلى قريش بمكة فقال لهم : إنى كنت أصرف محمداً حيث أريد ، كان يملى[1] عزيز حكيم فأقول أو عليم حكيم فيقول نعم كل صواب[2] انتهى .

ومنها أن ابن اسحاق لم يبين أخوة الرضاع التى بين أبى سرح ، وعثمان بن عفان ، و بين ذلك ابن عبد البر لأنه قال : تلو قوله كل صواب . فلما كان يوم الفتح أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ، وقتل عبد الله بن خطل ، ومقيس بن ضباعة ، ولو وجدوا تحت ستار الكعبة . ففر عبد الله بن أبى سرح إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه وكان أخاه من الرضاعة أرضعته أم عثمان رضى الله عنه انتهى .

ومنها : أن كلام ابن اسحاق لا يفهم أن النبى صلى الله عليه وسلم فهم عنه أحد من الحاضرين عنده لما جاء ابن أبى سرح أنه يريد قتل ابن أبى سرح لأنه قال : بعد أن ذكر مجىء عثمان إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فزعموا أن رسول الله صبر طويلا ثم قال : نعم فلما انصرف عثمان رضى الله عنه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه : لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه انتهى . وفى الخبر الذى سبق ذكره عن الحافظ عبد الغنى بن أبى سعيد المصرى ، ما يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم ، فهم عنه بعض الحاضرين عنده لما جاء ابن أبى سرح أنه يريد قتل ابن أبى سرح ، لأن فى الخبر المذكور ، ونذر رجل من الأنصار أن يقتل عبد الله ابن أبى سرح[3] ، إذا رآه . وكان أخا عثمان من الرضاعة ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم يستشفع له ، فلم يجده ووجده فى حلقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهاب قتله ، فجعل يبرر ، ويكره أن يقدم عليه ، لأنه فى حلقة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبسط رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فبايعه . ثم قال للأنصارى : قد انتظرتك أن توفى نذرك . قال : يا رسول الله هبتك أفلا أو مأت إلى ، قال : إنه ليس لنبى أن يومىء انتهى . وكان ابن أبى سرح فارس بنى عامر بن لؤى معدودا فيهم وهو أجل النجباء العقلاء الكرماء من قريش وكان مجاب الدعوة وله فى ذلك خبر غريب يروى أن محمد بن حذيفة بن عقبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى العبشمى فرض ولاية ابن أبى سرح هذا لما توجه ابن أبى سرح إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه بالمدينة فمضى إلى عسقلان[4] وقيل إلى الرملة[5] ودعى به أن يجعل خاصة عمله صلاة الصبح فتوضأ ثم صلى قرأ فى الركعة الأولى بأم القرآن والعاديات

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى النسخة (م) .

(٢) كذب ابن أبى سرح وافترى على الرسول الكريم أشد الافتراء ، فما كان ليكذب محمد بن عبد الله على ربه ، أو ليحرف الكلم عن موضعه ، إنما قال ذلك ابن أبى سرح بغيا وحسدا .

(٣) فى النسختين بن سعيد : سرح .

(٤) عسقلان: اسم لبلدة فى الشام ، وكان يقال لدمشق: عسقلان أيضا. وعسقلان اسم قرية فى بلخ أو محلة من محالها راجع معجم البلدان .

(٥) الرملة : بلدة فى فلسطين . والرملة : محلة من محال بغداد أيضا والرملة قرية فى البحرين ، والرملة : محلة فى نجد ، والرملة : قرية فى فارس أيضا .

وفى الثانيــة بأم القرآن وسورة ثم سلم عن يمينــه وذهب ليسلم عن يساره فقبض الله روحه على ما ذكر يزيد بن أبى حبيب وغيره فيما حكاه عنه ابن عبد البر فى الاستيعاب ومنه لخصت ماذكرت من حاله ، وذكر ابن عبد البر أنه لم يبايع لعلى ولا معاوية رضى الله عنهما فانه توفى سنة ست أو سبع وثلاثين وقيل سنة ست وثلاثين (١)

ومنها : أن ابن اسحاق سمى ابن خطل الذى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله عبد الله لأنه قال وعبد الله بن خطل رجل من بنى تميم بن غالب انتهى . وقد اختلف فى اسمه فقيل عبد الله كما قال ابن اسحق وقيل اسمه هلال ذكره الفاكهى فى خبر يأتى ذكره وذكره السهيلى لأنه قال : وقد قيل فى اسمه هلال قال وقد قيل : هلال كان أخاه ويقال لهما : الخطلان وهما من تميم بن غالب بن فهر انتهى ، وقال ابن بشكوال فى « المهمات» لما تكلم على حديث قتل ابن خطل : اختلف فى اسمه فقيل عبد الله وقيل عبد العزى وقيل هلال ذكر ذلك كله الدار قطنى فى سننه ، وذكر ابن عقبة ما يقتضى أن اسمه قيس لأنه قال : وأمر بقتل قيس بن خطل يوم الفتح رسول الله صـلى الله عليهوسلم انتهى، وذكر الفاكهى ما يقتضى أن اسمه عبد العزيز لأنه قال : حدثنا سعيد بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا هشام بن سليمان المخزومى عن ابن جريج ، قال : بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم أمن الناس يوم الفتح إلا أربعة نفر عبد العزيز بن خطل انتهى . ولعل عبد العزيز كما فى هذا الخبر تصحيف من الناسخ فان عبد العزى شبهه فى الصورة عبد العزيز ، والله أعلم .

ومنهـا أن ابن اسحاق ذكر أن الذى قتل ابن خطل سعيد بن حريث المخزومى وأبو برزة الأسلمى ، اشتركا فى قتله ، وذكر الفاكهى ما يخالف ذلك لأنه قال : حدثنا زيد بن حباب ، ثنا عمر بن عثمان بن عبـد الرحمن بن سعيد ، حدثنى جدى عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة : أربعة لا أؤمنهم فى حل ولا فى حرم ، الحارث بن نقيد ، ومقيس بن صبابة ، وعبـــد الله بن أبى سرح ، وهلال بن خطل ، قال : فقتل على رضى الله عنــه الحارث بن نقيد ، وقتل مقيس ابن عم له ، وقتل هلال بن خطل الزبير بن العوام رضى الله عنه اھ .

ومنها : أن ابن اسحاق لم يبين الموضع الذى قتل به ابن خطل و بين ذلك ابن جريج فى الخبر الذى سبق ذكره قريبا من كتاب الفاكهى . وأن فيــــه قتل ابن خطل وهو آخذ بثياب الكعبة يتعوذ بها اھ . وفى الصحيحين وغيرهما ما يشهد لما ذكره ابن جريج وروينا مثل هـذا فى مبهمات الحافظ عبد الغنى بن سعيد لأن فى الحديث الذى سبق فى بيان حاملة كتاب حاطب ، فأما عبـــد العزى فإنه قتل وهو آخذ بأستار الكعبة ، انتهى .

---

(١) وقد تولى معاوية الخلافة عام ٤١ ھ بعد تنازل الحسن بن على عليه السلام له عنها .

ومنها : أن ابن اسحاق ذكر أن الذى قتل مقيس بن صبابة : نميلة بن عبد الله رجل من قومه . وذكر الفاكهى فى الخبر الذى سبق ذكره قريبا عن ابن جريج خلاف ذلك ، لأن فيه : وقتل مقيس بن صبابة سعيد بن حريث ، أو عمر بن حريث ، وأفادنى هذا الخبر موضع قتله لأنه قال : وأما مقيس فقتل عند الردم انتهى . والمراد والله أعلم بالردم : ردم بنى جمح الذى قيل : ان النبى صلى الله عليه وسلم ولد فيه كما سبق فى باب ذكر الموضع الذى وضع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى الباب الحادى والعشرين من هذا الكتاب . وليس المراد بالردم الردم الذى بأعلى مكة لأنه لم يكن إلا فى خلافة عمر بن الخطاب عمل صونا للمسجد حين ذهب بالمقام عن موضعه .

ومنها ، أن كلام ابن اسحاق يقتضى أن الرجل الذى قتله مقيس بن صبابة وارتد بعد قتله من الأنصار ، لأنه قال — لما ذكر الذين أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتلهم لقتله الأنصارى الذى كان قتل أخاه خطأ ورجوعه إلى قريش مشركا — وذكر الحافظ عبد الغنى بن سعيد ما يخالف كلام ابن اسحاق هذا ، لأنه قال فى الخبر الذى سبق ذكره : وأما مقيس بن ضباعة فانه كان له أخ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل خطأ . فبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى فهر ليأخذ له عقله من الفهرى فلما جمع له العقل رجع القهقرى ، فوثب مقيس وأخذ حجراً فجلد به رأسه فقتله [1] انتهى . وفيما ذكره الحافظ عبد الغنى من خبر مقيس ما لا يفهم مما ذكره ابن اسحاق .

ومنها : أن الحافظ أبا الفتح بن سيد الناس ذكر هبار بن الأسود بن المطلب فيمن أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتلهم وأنهم وجدوا تحت أستار الكعبة هبارا هذا ، وهو هبار بن الأسود المطلب بن أسد بن عبد العزى ابن قصى بن كلاب القرشى الأسدى . ولعل أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله لما صنع بزينب ابنة النبى صلى صلى الله عليه وسلم حين بعث بها زوجها أبو السامر بن الربيع إلى المدينة . وذلك أن هباراً نفر فى سفهاء قريش فأهوى هبار إليها ونخس دابتها فسقطت عن دابتها وألقت مافى بطنها فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن وجدتم هبارا ، فأحرقوه بالنار ، ثم اقتلوه فإنه لايعذب بالنار إلا رب النار فلم يوجد ، ثم أسلم هبار وحسن إسلامه ، وصحب النبى صلى الله عليه وسلم . وذكر ابن سيد الناس فى سبب قتل هبار ماذكرناه بالمعنى ، لأنه قال: وأما هبار ابن الأسود فهو الذى عرض لزينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم ، وذكر ما سبق بالمعنى .

ومنها : أن الحافظ علاء الدين مغلطاى ذكر ما يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم استثنى من أمانه يوم الفتح جماعة غير الذين ذكرهم ابن اسحاق ، لأنه قال : فيما أخبرت به عنه ، ونادى مناديه عليه السلام : من

(١) هنا أبيات مكسورة الوزن ، مختلة الأسلوب ، لم نشأ ذكرها لذلك .

دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، الا المستثنين ، وهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح أسلم ، وابن خطل قتله أبو برزة ، وقينتان ، فربما أسلمتا ، وسارة ويقال كانت مولاة عمرو بن صيفي ، وهاشم وأرنب وقريبه . فقلت : وعكرمة بن أبي جهل أسلم، والحويرث بن نقيذ قتله علي، ومقيس ابن صبابة قتله نميلة الليثي، وهبار بن الأسود أسلم وكعب بن زهير أسلم ، وهند بنت عقبة أسلمت، ووحشي بن حرب أسلم اه . وقد سبق التعريف بشيء من هؤلاء المستثنين إلا كعب بن زهير فإنه ابن أبي سلمى المزني الشاعر المشهور صاحب :

* بانت سعاد فقلبي اليوم متبُول [1] * القصيدة المشهورة التي مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وهند بنت عتبة وهي امرأة أبي سفيان أم معاوية بن أبي سفيان ، ووحشي هو قاتل سيدنا حمزة بن عبد المطلب . ولعل الأمر بقتل وحشي وهند لما فعلا بحمزة بن عبد المطلب . فإن وحشيا قتله ، وهند بنت عتبة نقرت عن كبد حمزة فلا كتها فلم تستطع أن تستسيغها فلفظتها ، وكانت هي ونسوة معها يجدعن الآذان ، والأنوف من قتلى المسلمين يوم أحد انتهى . والله أعلم .

ومنها : أن ابن إسحاق لم يبين اسم قينتي ابن خطل وإنما بين اسم إحداهما وأنه فرتنى وبين ذلك ابن سيد الناس في غير موضع ، لأنه قال : وأما قينتا ابن خطل فرتنى وقريبة فقتلت إحداهما واستؤمن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأخرى فأمنها ، فعاشت مدة ثم ماتت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم . وقال أيضا بعد ذكره مقتل ابن خطل : وكان له قينتان فرتنى وقريبة انتهى . أخبرني بذلك عن سيد الناس غير واحد من أشياخي، وذكر السهيلي أن اسم قينتي بن خطل فرتنى . وسارة ، وهذا يخالف ما ذكره ابن سيد الناس من أن اسم إحداهما قريبة والأخرى فرتنى والله أعلم بالصواب وسيأتي ذكر كلام السهيلي .

ومنها : أن كلام ابن إسحاق أن إحدى قينتي ابن خطل قتلت والأخرى لم تقتل ، لأنه قال : وأما قينتا ابن خطل فقتلت أحداهما وهر بت الأخرى، حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فأمنها، انتهى. وذكر السهيلي ما يقتضي أنهما لم يقتلا وأنهما أمنتا . وسيأتي كلامه قريبا .

ومنها أن كلام ابن إسحاق يقتضي أن سارة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلها غير قينة ابن خطل لأنه قال فيمن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم الفتح : وسارة مولاة لبعض بني عبد المطلب ، ثم قال — بعد ماذكره قينتي ابن خطل — وأما سارة ، فاستؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمنها ثم بقيت حتى أوطأها

(١) تتمة البيت : * متيم إثرها لم يفد مكبول * ، والمتبول من تبله أي تيمه الحب وأسقمه . والمكبول : المقيد . وكان كعب بن زهير شاعرا مجيدا ، ورث الشعر عن أبيه وقومه ، ومات عام ٢٤ من الهجرة . وهو أن زهير الشاعر الجاهلي المشهور المعدود من أصحاب المعلقات

رجل من الناس فرساً فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالأبطح فقتلها انتهى . وذكر السهيلى مايقتضى أن سارة هـذه هى إحدى قينتى ابن خطل لأنه قال : وأما القينتان اللتان أمر بقتلهما وهما سارة ، وفرتنى فقد أسلمت فرتنى وأمّنت سارة ، وعاشت إلى زمن عمر بن الخطاب ثم وطئها فرس فقتلها ، انتهى . وهـذا هو كلام السهيلى الذى أشرنا إلى أنه يخالف ماذكره ابن سيد الناس فى قتل إحـدى قينتى ابن خطل وتأمين الأخرى ويخالف ماذكره ابن إسحاق أيضاً فى أن سارة إحـدى قينتى ابن خطل ، وأنهـا التى أمر النبى صلى الله عليه بقتلها ، ولا أعلم له سلفاً فيما ذكره والله أعلم .

ومنها: أن ابن إسحاق لم يبين قينة ابن خطل التى استؤمن لها رسول الله ، وقد بين ذلك الحافظ مغلطاى لأنه قال فيما أخبرت به عنه فى ذكر المستثنين من الأمان يوم الفتح : وابن خطل قتله أبو برزة الأسلمى ، وقينته فرتنا أسلمت ، ثم قال : وقريبة قتلت انتهى .

ومنها: أن ابن إسحاق ذكر سارة فيمن أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله يوم الفتح . وذكر الفاكهى : عن ابن جريج مايقتضى أنها أم سارة ، وذكر الحافظ عبدالغنى بن سعيد المصرى فى مبهماته مايوافق ما ذكره الفاكهى عن ابن جريج كما سبق ، وسيأتى ذكر ماذكره الفاكهى فى ذلك .

ومنها: أن كلام ابن إسحاق يقتضى أن سارة لم تقتل فى زمن الفتـح ، وذكر الفاكهى عن ابن جريج : أن أم سارة قتلت فى الفتح ، فإن كانت أم سارة التى ذكرها ابن جريج هى سارة التى ذكرها ابن إسحاق فقد حور ابن إسحاق فى اسمها وحياتها فى زمن الفتح . وإن كانت أم سارة التى ذكرها ابن جريج غير سارة التى ذكرها ابن إسحاق فيكون ابن إسحاق ترك بعض من أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله يوم فتح مكة ، ويستفاد ذلك من كلام ابن جريج لا من كلام ابن إسحاق والأول هو الظاهر والله أعلم . وإذا كان كذلك فيستفاد من الخبر الذى ذكره الفاكهى عن ابن جريج فائدة لا تفهم من كلام ابن إسحاق، وهى سبب أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل أم سارة ، ويظهر ذلك مع ما أشرنا إليه أولاً بذكر الخبر الذى ذكره الفاكهى لأنه قال : حـدثنا سعيد بن عبد الرحمن ، حدثنا هشام بن سليمان المخزومى ، عن ابن جريج ، قال : بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم أمن الناس يوم فتح مكة ؛ إلا أربعة : عبـد العزيز بن خطل ، ومقيس بن صبابة ، وعبـد الله بن أبى سرح ، وأم سارة قينة لبنى هاشم كانت تدعو على النبى صلى الله عليه وسلم حين يصبح ، وحين يمسى ، فأما أم سارة فقتلت انتهى باختصار . وذكر الحافظ عبد الغنى بن سعيد أن سبب قتل أم سارة حملها كتاب حاطب بن أبى بلتعة للمشركين بمكة تخبرهم فيه بمسير النبى صلى الله عليه وسلم إليهم ، كما هو مقتضى الخبر الذى سبق ذكرنا له عنه ، لأن فيه : أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس يوم فتح مكة إلا أربعة فذكرهم ، منهم أم سارة . ثم

قال : وأما أم سارة فانها كانت مولاة لقريش . فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت إليه الحاجة فأعطاها شيئاً ، ثم أتاها رجل يدفع إليها كتابا إلى أهل مكة يتقرب بذلك إليهم ليحفظ فى عياله ، وكان له بهـا عيال فأخبر جبريل النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ، فذكر بقية الخبر السابق ، وهذا يخالف ماذكره ابن جريج فى سبب قتل أم سارة والله أعلم بالصواب .

ومنها : أن ابن إسحاق لم يبين سبب أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل الحويرث بن نقيذ سوى أنه كان يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ـ لقوله بعد ذكره للحويرث ـ : وكان ممن يؤذيه بمكة ، وذكر السهيلى مايقتضى أن أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل الحويرث له سبب آخر لأنه قال : وأما الحويرث بن نقيذ الذى أمر بقتله مع أبى خطل فهو الذى نخس بزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أدركها هو وهبار بن الأسود فسقطت عن دابتها وألقت جنينها انتهى. وذكر ابن هشام مايقتضى أن سبب أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل الحويرث كونه نخس بفاطمة وأم كلثوم ابنتى النبى صلى الله عليه وسلم ورمى بهما إلى الأرض لما بعثهما العباس من مكة إلى المدينة ، لأنه ذكر كلاما معناه هذا بعد قول ابن إسحاق فى شأن الحويرث بن نقيذ ، وكان ممن يؤذيه بمكة والمعروف أن المشركين عرضوا لزينب بنت النبى صلى الله عليـه وسلم لا لأختيها فاطمة وأم كلثوم . فيكون الحويرث نخس بزينب لا بفاطمة وأم كلثوم والله أعلم بالصواب .

ومنها أن كلام ابن إسحاق يقتضى أن الثمانى ركعات التى صلاها النبى صلى الله عليه وسلم فى يوم فتح مكة على ما ذكرت أم هانئ من الضحى . وذكر السهيلى ما يقتضى أنها صلاة الفتح ، لأنه قال : فصل وذكر صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى بيت أم هانئ ، وهى صلاة الفتح ، يعرف ذلك عند أهل العلم وكان الأمراء يصلونها إذا افتتحوا بلداً قال الطبرى : صلى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، حين افتتح المدائن ودخل إيوان كسرى قال فصلى فيه صلاة الفتح . قال وهى ثمان ركعات ، لا يفصل بينها ، ولا تصلى بإمام . فبين الطبرى سنة هذه الصلاة وصفتها . ومن سننها أيضا أن لا يجهر فيها بالقراءة والأصل ما تقدم فى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أم هانئ وذلك ضحى اه .

ومنها : أن ابن إسحاق لم يبين ما كان من حال فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم مع أم هانئ وقد بين ذلك الفاكهى فى خبر ذكره لأنه قال : حدثنا محمد بن عمر قال حدثنا سفيان عن ابن عجلان ، عن المقبرى ، عن أبى مرة ، مولى عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه قال : سمعت أم هانى بنت أبى طالب تقول : مما كان يوم الفتح، أتانى حموان لى فأمنتهما فجاء على بن أبى طالب رضى الله عنه يريدأن يقتلهما فذهبت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فوجدت فاطمة ، وكانت أشد على من على بن أبى طالب رضى الله عنه فقالت : لم تؤمنين المشركين وتجيرينهم ؟

فبينما أنا عندها إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وجهه رهجة الغبار ، فقلت : يارسول الله إنى أمنت حموين لى ، وإن ابن أمى على بن أبى طالب يريد قتلهما . فقال : ما كان ذلك له قد أجرنا من أجرت ،وأمنا من أمنت انتهى باختصار .

ومنها أن ابن هشام ، قال فى تفسير الرجلين اللذين أجارتهما أم هانئ يوم الفتح : هما الحارث بن هشام ، وزهير بن أمية بن المغيرة انتهى . ونقل ذلك عن ابن بشكوال فى مبهماته ، عن ابن إسحاق ، وقال الخطيب البغدادى فى مبهماته : هما الحارث بن هشام وعبد الله بن أبى ربيعة انتهى . وقد تقدم قول بأن الذى أجارته أم هانئ هو جعدة بن هبيرة ، حكاه السهيلى وغيره ، وفيه بعد. لقولها فى السيرة: وفر إلى رجلان من أحماى من بنى مخزوم، ومرادها بقولها : أحماى بسط العذر لها فى إجارتها لهما ، ولو كان المجار ابنها لقالت ابنى فإنه أولى فى بسط العذر لها فى ذلك ولا يعارضه قول ابن عبد البر . وفى حديث مالك وغيره أن الذى أجارته بعض بنى زوجها هبيرة بن أبى وهب لإمكان أن يكون ابن زوجها الذى أجارته من غيرها والله أعلم . وممن ذكر أن أحد الرجلين اللذين أجارتهما أم هانئ الحرث بن هشام : الزبير بن بكار وغيره .

ومنها أن ابن إسحاق لم يبين اسم اليوم الذى طاف فيه النبى صلى الله عليه وسلم بالكعبة بعد أن فتح الله عليه مكة، وذكر الأزرقى عن الواقدى ما يبين ذلك لأنه قال حدثنى جدى عن محمد بن إدريس عن الواقدى عن عبد الله ابن يزيد عن سعيد بن عمرو الهذلى قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الجمعة لعشر ليال بقين من شهر رمضان فبث السرايا فى كل وجه انتهى . وإذا كان قدوم النبى صلى الله عليه وسلم إلى مكة فى اليوم المشار إليه فهو اليوم الذى طاف فيه بالكعبة لأن النبى صلى الله عليه وسلم طاف بالكعبة يوم دخل مكة فى الفتح على ما هو مقتضى الأخبار الواردة فى ذلك ، وصرح مغلطاى فى سيرته بأن النبى صلى الله عليه وسلم طاف بالكعبة يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان لأنه قال فيما أخبرت به عنه : وطاف النبى صلى الله عليه وسلم بالبيت يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان اه .

ومنها أن ابن إسحاق روى بسنده إلى صفية بنت شيبة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما نزل مكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت ، فطاف به سبعا على راحلته ، وهذا ليس فيه بيان ما تعرف به الراحلة التى طاف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة لأن للنبى صلى الله عليه وسلم عدة رواحل وهى : العضباء ، والقصواء ، والجدعاء ، وإن كان قيل فى جميعهن إنهن واحدة ، وقد بين ذلك ابن عمر رضى الله عنه فى حديثه فى دخول النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة يوم فتح مكة وصلاته فيها على ما رويناه عنه فى الصحيحين وغيرهما ؛ وفى لفظ البخارى عنه : حدثنا شريح بن النعمان قال : حدثنا فليح عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أقبل النبى

صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف أسامة على القصواء ومعه بلال وعثمان بن طلحة حتى أناخ عند البيت ، ثم قال لعثمان : ائتنا بالمفتاح ؛ فجاءه بالمفتاح ، ففتح له الباب ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسامة ، و بلال ، وعثمان ، ثم أغلقوا عليهم الباب فمكث نهاراً طويلا انتهى باختصار .

ومنها أن ما ذكره ابن إسحاق فى طواف النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح يقتضى أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف على راحلته لقوله فيه : فطاف به سبعا على راحلته . وقد روينا فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما ما يخالف ذلك فى صحيح مسلم وغيره . ولفظ مسلم : أخبرنا سفيان عن أيوب السجستانى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح[1] ، على ناقة لأسامة بن زيد حتى أناخ بفناء البيت[1] ، ثم دعا عثمان بن طلحة ، فقال : ائتنى بالمفتاح ، فذهب إلى أمه فأبت أن تعطيه ، فقال : والله لتعطينه ، أو ليخرجن هذا السيف من صلبي . فأعطته إياه ، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه إليه ففتح الباب ، قال : ثم ذكر مثل حديث حماد بن زيد اهـ . وفى حديث ابن عمر السابق قريبا من صحيح البخارى ما يقتضى أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته وذلك يوافق ما ذكره ابن إسحاق والله أعلم بالصواب . وحديث أيوب عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما السابق من صحيح مسلم أخرجه الأزرقى فى تاريخه عن جده عن سفيان بن عيينة عن أيوب من غير إحالة فى نفسه على خلاف ما صنع مسلم .

ومنها أن ابن إسحاق ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عثمان بن طلحة بسبب المفتاح أى مفتاح الكعبة وليس فى كلامه ما يبين هل هذا الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم أو برسول إلى عثمان لقول ابن إسحاق : فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة اهـ . وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما السابق من صحيح البخارى ما يدل على أنه دعاه بنفسه لقوله فيه ، ثم قال لعثمان : ائتنا بالمفتاح ، وذكر الأزرقى خبراً يقتضى أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل فى ذلك إلى عثمان بلالا ، ثم أبا بكر ، وعمر ، لما أبطأ عثمان ، لأنه قال : حدثنى جدى عن محمد بن إدريس عن الواقدى عن أشياخه قالوا : انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بعد ما طاف على راحلته ، فجلس ناحية من المسجد والناس حوله ، ثم أرسل بلالا إلى عثمان بن طلحة فقال صلى الله عليه وسلم : قل له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تأتيه بمفتاح الكعبة ، فجاء بلال إلى عثمان فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تأتيه بمفتاح الكعبة . فقال عثمان : نعم ، فخرج إلى أمه سلافة بنت سعد بن شهيد الأنصارية ، ورجع

---

(١) فى النسخة (ك) : عام الفتح .

(١) فى النسخة (ك) : الكعبة .

بلال إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه قال : نعم ، ثم جلس بلال مع الناس ؛ فقال عثمان لأمه والمفتاح يومئذ عندها : يا أمه أعطينى المفتاح ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلىّ وأمرنى أن آتى به إليه . فقالت له : أعيذك بالله أن تكون الذى تذهب مأثرة قومك على يديك . قال : والله لتدفعنّه أو ليأتينك غيرى فيأخذه منك . فأدخلته فى حجرها وقالت: أى رجل يدخل يده ههنا ؟ فبينما هما كذلك إذ سمعت صوت أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى الدار ، وعمر رافع صوته حين رأى عثمان أبطأ : يا عثمان اخرج ، فقالت أمه : يا بنى خذ المفتاح فلأن تأخذه أنت أحب إلىّ من أن تأخذه تيم أو عدى ، فأخذه عثمان فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فناوله إياه . فلما ناوله إياه فتح الكعبة اهـ باختصار . وذكر الواحدى فى تفسيره الوسيط وكتابه «أسباب النزول» مايقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه إلى عثمان بن طلحة ليأخذ منه مفتاح الكعبة فى يوم فتح مكة، ولكن كلام الواحدى يقتضى أن عثمان لم يكن حين أخذ ذلك منه مسلما ، وهو يخالف ما ذكره العلماء بهذا الشأن من أنه كان مسلماً . وفى حديث ابن عمر رضى الله عنه السابق من صحيح البخارى ما يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم طلب بنفسه المفتاح من عثمان والله أعلم .

ومنها : أن ما ذكره ابن إسحق يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يفتح الكعبة يوم فتح مكة وإنما فتحت له ، لقوله : فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة ، فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها . وفى حديث ابن [1] عمر السابق من صحيح مسلم ما يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم دفعه إليه ففتح الباب . وفى الخبر السابق من تاريخ الأزرقى عن الواقدى ما يوافق ذلك لقوله فيه : فلما ناوله إياه فتح الكعبة . وبوّب المحب الطبرى فى القرى على حديث ابن عمر رضى الله عنه المشار إليه بقوله «ما جاء أن النبى صلى الله عليه وسلم فتح البيت بنفسه» اهـ . ولكن فى حديث ابن عمر [2] السابق فى صحيح البخارى ما يقتضى خلاف ذلك لأن فيه قال لعثمان : ائتنا بالمفتاح، فجاءه بالمفتاح ، ففتح له فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم اهـ . وهـذا يوافق ما ذكره ابن إسحاق والله أعلم بالصواب .

ومنها : أن ابن إسحاق ذكر دخول النبى صلى الله عليه وسلم البيت يوم الفتح ، وليس فيما ذكره مايبين هل طال مكثه صلى الله عليه وسلم أو قصر ولا هل كان البيت مغلقا أو مفتوحا ولا هل كان على الباب أحد يذب الناس أم لا، فأما طول مكثه صلى الله عليه وسلم فى البيت و إغلاق بابه فى يوم الفتح ؟ ففى حديث ابن عمر رضى الله عنهما السابق من صحيح البخارى ما يقتضى ذلك لقوله فيه : ثم أغلقوا عليهم الباب ، فمكث نهاراً طويلاً . وفى مسلم وغيره من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ما يدل على طول مكث النبى صلى الله عليه وسلم فى البيت ، وعلى إغلاق

(١) فى النسخة (ك) : بعد ابن عمر : رضى الله عنه . (٢) فى النسخة (ك) : بعد ابن عمر : رضى الله عنهما .

الباب لما كان فيه . وفى حديث أسامة بن زيد رضى الله عنه أيضا ما يدل لإغلاق الباب لأن فى سنن النسائى من حديثه ، أنه دخل هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بلالاً فأجاف الباب . اه باختصار . وحديث أسامة هذا يقتضى أن بلالاً هو الذى أجاف البــاب ؛ وفى صحيح مسلم ما يخالف ذلك لأنه قال : وحــدثنى جميل [١] بن مسعدة ، قال : حدثنا خالد يعنى ابن الحرث ، قال: حدثنا عبد الله بن عون ، عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أنه انتهى إلى الـكعبة وقد دخلها النبى صـلى الله عليه وسلم ، و بلال ، وأسامة ، وأجاف عليهم عثمان بن طلحة الباب قال : فمــكثوا فيه مليا اه باختصار . وقد سبق بكماله فى «الباب التاسع [٢]» من هذا الـكتاب وهذا الحديث و إن تــكلم الدار قطنى فى رواية مسلم له فإنما ذلك لأن فيه مايقتضى أن ابن عمر رضى الله عنه سأل بلالاً وأسامة ، وعثمان ، عن موضع صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الـكعبة ، قالوا : هٰهنا ، وذلك يقتضى إثبات أسامة لصلاة النبى صلى الله عليه وسلم ، فى الـكعبة يوم فتح مكة ، وفى الصحيح عنه ما يخالف ذلك . والوهم فى ذلك من ابن عون والله أعلم . وقد أخرج النسائى حديث ابن عون عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد بن الحرث عن ابن عون : وأما وقوف أحد على الباب أى على باب البيت والنبى صلى الله عليه وسلم داخلها يوم الفتح لذب الناس عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكر الواقدى ما يقتضيه لأن فى الخبر الذى سبق ذكره عنه فى تاريخ الأزرقى بعدذكر دخول النبى صلى الله عليه وسلم البيت وصلاته فيه، قالوا : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمفتاح فى يده ، ووقف على الباب خالد بن الوليد رضى الله عنه يذب الناس عن الباب حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اه .

ومنها : أن كلام ابن اسحاق ليس فيه بيان الموضع الذى جلس فيــه النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بعد طوافه بالبيت . ودخوله إليه ، وخروجه منه ، وخطبته على بابه ، لأنه قال بعد ذكره لذلك : ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد اه . وهذا يقتضى أن يكون جلس فى مؤخر المسجد أو فى مقدمه، وقد أفاد فى ذلك ابن عقبة مالم يفده كلام ابن إسحاق مع أمور أخرى صنعها النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد فى هذا اليوم لم يذكرها ابن إسحاق، فنذكر كلام ابن عقبة لما فيه من الفائدة ، ونص كلامه قال : فلما قضى صلى الله عليه وسلم طوافه ، وأخرجت الراحلة سجد سجدتين ، ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها ، وقال : لولا أن يغلب بنو عبد المطلب على سقايتهم لنزعت منها بيدى . ثم انصرف فى ناحية المسجد قريبا من مقام إبراهيم ، وكان زعموا المقــام لاصقا بالبيت بالـكعبة فأخره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكانه هذا . ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسجل من زمزم فشرب وتوضأ والمسلمون يتبادرون وضوءه يصبون على وجوههم ، والمشركون ينظرون إليهم و يتعجبون و يقولون : مارأينا ملــكا قط بلغ هذا ولاشبيها به اه .

---

(١) فى النسخة (ك) : حميد .

(٢) راجع صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الـكعبة حين الفتح، فى الباب التاسع من هذا الـكتاب ص ١٣٨ – ١٥٧ ج ١، وراجع ذلك أيضا فى الأزرقى ص ١٧٩ ج ١ .

ومنها : أن كلام ابن اسحاق يقتضى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يجمع لبنى هاشم الحجابة، والسقاية ، لأنه قال : فقام إليه على بن أبى طالب رضى الله عنه ومفتاح الكعبة فى يده ، فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة ، مع السقاية صلى الله عليك وسلم اه . وذكر الواقدى ما يخالف ذلك لأن الأزرقى قال : وحدثنى جدى عن محمد بن إدريس عن الواقدى عن أشياخه قالوا : فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المفتاح تنحى ناحية من المسجد فجلس وكان قد قبض السقاية من العباس رضى الله عنه وقبض المفتاح من عثمان بن طلحة ، فلما جلس بسط العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه يده فقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، اجمع لنا الحجابة ، والسقاية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطيكم ما ترزؤون فيه ولا أعطيكم ما ترزؤون منه اه باختصار . من أول الخبر وآخره وقد روينا عن ابن إسحاق فى تاريخ الأزرقى ما يوافق ما ذكره الواقدى وقد سبق ذلك فى خبر ولاية قصى .

ومنها : أن ابن إسحاق لم يذكر سببا لرد النبى صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة ولا لأخذه منه ، وقد ذكر الأزرقى ما يدل للأمرين ، لأنه قال[1] : وأخبرنى جدى عن سعيد بن سالم عن ابن جريج، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) قال : نزلت فى عثمان بن طلحة ابن أبى طلحة ، حين قبض النبى صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة ودخل به الكعبة يوم الفتح ، فخرج صلى الله عليه وسلم وهو يتلو هذه الآية فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح فقال : صلى الله عليه وسلم : خذوها يابنى أبى طلحة بأمانة الله لا ينتزعها منكم إلا ظالم اه باختصار . فهذا يبين سبب دفع المفتاح إلى عثمان وأما سبب أخذه فقال : الأزرقى فيه[2] : وحدثنى جدى عن محمد بن إدريس عن الواقدى عن أشياخه فذكر خبرا فيه ما سبق من خروج النبى صلى الله عليه وسلم من البيت يوم الفتح والمفتاح فى يده ، وقول العباس للنبى صلى الله عليه وسلم : اجمع لنا بين الحجابة ، والسقاية . وقوله للعباس : أعطيكم ما ترزؤون فيه ولا أعطيكم ما ترزؤون منه . قال : صلى الله عليه وسلم : ادع لى عثمان ، فقام عثمان بن عفان رضى الله عنه . فقال : ادع لى عثمان . فقام عثمان بن طلحة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لعثمان بن طلحة يوما وهو بمكة يدعوه إلى الإسلام ومع عثمان المفتاح فقال : صلى الله عليه وسلم : لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدى أضعه حيث شئت . فقال عثمان : لقد هلكت قريش إذاً وذلت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل عمرت وعزت يومئذ ياعثمان . فقال عثمان : فدعانى رسول الله صلى عليه وسلم بعد أخذه المفتاح ، فذكرت قوله صلى الله عليه وسلم ، وما كان قال لى ، فأقبلت فاستقبلته ببشر واستقبلنى ببشر اه باختصار . فبان بهذا سبب رد النبى صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة

---

(١) راجع ذلك فى الأزرقى : ص ١٧٧ جـ ١ . (٢) راجع ذلك فى الأزرقى : ص ١٧٩ جـ ١ .

وأخذه منه فى يوم الفتح . وذكر محمد بن سعد كاتب الواقدى سبب أخذ المفتاح من عثمان وفيه مايقتضى أن الذى وقع بين النبى صلى الله عليه وسلم وعثمان من المقال كان عند إرادة النبى صلى الله عليه وسلم دخول البيت فى الجاهلية ، وفيه فائدة أخرى ليست فى الخبر الذى ذكره الواقدى ، وهذا الخبر رويناه فى السيرة للحافظ أبى الفتح ابن سيد الناس اليعمرى فيما أخبرنى به غير واحد من أشياخى عنه ولفظه فى السيرة المذكورة : وروينا عن عثمان ابن طلحة من طريق ابن سعد قال : كنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الاثنين والخميس ، فأقبل النبى صلى الله عليه وسلم يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فغلظت عليه ، ونلت منه، وحلم عنى ، ثم قال : ياعثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدى أضعه حيث شئت ، فقلت : لقد هلكت قريش يومئذ وذلت . فقال : بل عمرت ، وعزت يومئذ [١] . ودخل الكعبة فوقعت كلمته منى موقعا ظننت أن الأمر سيصير إلى ما قال . وفيه أنه عليه الصلاة والسلام يوم الفتح قال : ياعثمان ائتنى بالمفتاح فأتيته به فأخذه منى ، ثم دفعه إلىّ وقال : خذوها تالدة خالدة ولا ينزعها منكم إلا ظالم ، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته ، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف . قال عثمان : فلما وليت نادانى ، فرجعت إليه فقال : ألم يكن الذى قلته لك ؟ قال : فذكرت قوله لى بمكة قبل الهجرة ، لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت . فقلت : بلى أشهد أنك رسول الله .

ومنها : أن ابن هشام ذكر ما يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح وفيه الصور ، لأنه قال : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم إلى آخر كلامه السابق ، ورويناه من حديث ابن عباس رضى الله عنه ما يقتضى خلاف ذلك لأن البخارى قال فيما رويناه عنه : حدثنى إسحاق قال : حدثنا عبد الصمد قال : حدثنى أبى قال : حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت وأخرجت صورة إبراهيم و إسماعيل وفى أيديهما الأزلام فقال : قاتلهم الله لقد علموا أنهما ما استقسما بها قط . ثم دخل فكبر فى نواحى البيت وخرج ولم يصل ، تابعه معمر عن أيوب قال وهب : حدثنى أيوب عن عكرمة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ومنها : أن ابن هشام ذكر ما يقتضى دخول النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة ، وأنه صلى فيها على ما روى ابن عمر عن بلال رضى الله عنهم ، وقد روى من حديث أسامة بن زيد ، والفضل بن العباس ، وأخيه عبد الله بن العباس رضى الله عنهم ما يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يصل فيها لما دخلها يوم الفتح ، وقد سبق ذلك فى الباب التاسع من هذا الكتاب مع ما قيل من ترجيح رواية بلال على رواية من خالفه لكونه أثبت مالم يثبته غيره .

(١) تتمة الرواية : فخشيت قومى فقدمت المدينة وأسلمت ، وأقمت معه حتى خرج فى غزوة الفتح ، فلما دخل مكة .

وقد قيل من الجمع بين هذا الاختلاف ما فيه كفاية ، فأغنى عن إعادته هنا والله أعلم .

ومنها أن كلام ابن هشام يقتضى أن أبا سفيان بن حرب ، وعتاب بن أسيد، والحارث بن هشام ،حين أذن بلال يوم الفتح كانوا جلوسا بفناء الكعبة لقوله : وأبو سفيان بن حرب ، وعتاب بن أسيد ،والحارث بن هشام ، جلوس بفناء الكعبة .

ومنها : أن كلام ابن هشام يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج على أبى سفيان بن حرب ، وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام فأخبرهم بما قالوا حين سمعوا أذان بلال على الكعبة . لأن فى خبر ابن هشام : فخرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم وقال : قد علمت الذى قلتم ثم ذكر ذلك لهم ، وذكر الفاكهى خبرا يقتضى أن أبا سفيان بن حرب ، وعتاب بن أسيد ، وصفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو حين أذن بلال فوق الكعبة يوم الفتح كانوا جلوسا فى الحجر ويقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم أعلمه الله بقولهم وهو بالصفا ، وأنه بعث إليهم واستدعاهم إليه فلما حضروا إليه أخبرهم بما قالوا : وذلك يخالف ماذكره ابن هشام فى موضع جلوس من سمع أذان بلال ومجيء النبى صلى الله عليه وسلم إليهم، ونص الخبر الذى ذكره الفاكهى : حدثنا عبد الله بن أبى سلمة ، حدثنا أحمد بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن ابن شهاب عن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عبد الله بن عباس ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح ثم خرج يسعى بين الصفا والمروة ، وأبو سفيان بن حرب، وعتاب بن أسيد ، وصفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو مختبئون فى الحجر فرقى بلال على ظهر الكعبة فأذن بالصلاة ، ففزع الصبيان ، وخرج النساء ، وسمعوا شيئا هالهم . فقال صفوان بن أمية : لو أن لهذا العبد أحدا . وقال عتاب بن أسيد : الحمد لله الذى أكرم أسيدا أن لا يرى هذا اليوم ، ومات أسيد قبل ذلك بيسير ، قال : وقال سهيل بن عمرو : إن كان هذا لغير الله فسيغير ، وإن كان من الله ليمضينه . قال : وقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً لو تكلمت لظننت هذا الحصى ستخبر عنى . قال : فأوحى الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقولهم ، وهو على الصفا يدعو، فقال صلى الله عليه وسلم : علىّ بالرهط فلانا ، وفلانا ، وفلانا ، وهم فى الحجر ، قال ذلك لرجل من الأنصار ، فقال الأنصارى : أنا لا أعرفهم يارسول الله ، فابعث معنا من يعرفهم من المهاجرين فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان يذكر العهد الذى كان له ويخاف العذاب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصفوان قلت كذا وكذا الكلام الذى قاله ، وقال لعتاب : قلت كذا وكذا ، وقلت ياسهيل بن عمرو : كذا وكذا ، وقلت ياأبا سفيان كذا وكذا ، قال : فعرفهم بالذى قالوا . فحسن إسلام عتاب بن أسيد ، وصفوان ابن أمية ، وسهيل بن عمرو ، وفزع أبو سفيان وكاد أن يقع فقال أبو سفيان : أما أنا فأسلمت يومئذ فحسن إسلامه انتهى . وهذا الخبر يقتضى أن صفوان بن أمية كان جالسا بالحجر يوم فتح مكة وسمع أذان بلال على ظهر

الـكعبة يوم الفتح ، وهـذا لا يصح لأن صفوان فر إلى جدة ليركب منها البحر ، ولم يرجع إلى مكة إلا بعد أن استأمن له عمير بن وهب ابن عمه ، وذهاب عمير إليه بأمان النبى صلى الله عليه وسلم له ، ورجوعه مع عمير إلى مكة لايكون فى يوم واحد . وفى مغازى ابن عقبة مايقتضى أن صفوان سأل عميراً حين جاءه ، أو أخبره بتأمين النبى صلى الله عليه وسلم : أن يرجع إلى النبى صلى عليه وسلم و بتأمينه من النبى صلى الله عليه وسلم بشىء يعرفه ، وأن عميرا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسـلم فأخـبره بقول صفوان فأعطاه النبى صلى الله عليـه وسلم برد حبرة كان معتجزا به حين دخل مكة ، فذهب عمير إلى صفوان فاطمأنت نفسه وأقبل مع عمير حتى دخل المسجد على رسول صلى الله عليه وسلم اه بالمعنى . ومثل هـذا لا يـكون فى يوم ولا فى نصف يوم فإن مقتضى الخبر الذى ذكره الفاكهى على تقدير صحة كون صفوان فى الحجر حين سمع أذان بلال على الـكعبة أن يكون ذهاب عمير إلى صفوان ومجيئه معه فى نصف يوم ، لأن صفوان لم يقل ما قال إلا حين سمع الأذان ، أى أذان بلال للظهر على الـكعبة . وذكر الأزرقى خبر أذان بلال على ظهر الـكعبة فى يوم الفتح . وفيه ما يخالف بعض ما ذكره الفاكهى فيه . وفيه ما يخالف ما ذكره ابن هشام فى كون عتاب بن أسيد قال شيئا فى آذان بلال على الـكعبة . وفيه ما يوافق ما ذكره ابن هشام فى كون النبى صلى الله عليه وسلم جاء إلى أبى سفيان ، ومن معه فأخبرهم بقولهم فى أذان بلال، وذلك يخالف ما ذكره الفاكهى من أن النبى صلى الله عليـه وسلم استدعاهم إلى الصفا وأخبرهم بما قالوا . وفى الخبر الذى ذكره الأزرقى فى أذان بلال غير ما فى الخبر الذى ذكره الفاكهى فنذكره لما فى ذلك من الفائدة ولفظه : وأخبرنى جدى عن محمد بن إدريس الشافعى عن الواقدى عن أشياخه قال : وحانت الظهر يوم الفتح فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا أن يؤذن بالظهر فوق ظهر الـكعبة وقريش فوق رؤوس الجبال ، وقد اصفرت وجوههم وتغيبوا خوفا من أن يقتلوا ، ومنهم من يطلب الأمان ، ومنهم من قد أمن . وأذن بلال ورفع صوته كأشد ما يكون ؛ فلما قال : أشهد أن محمداً رسول الله ، تقول جويرة بنت أبى جهل : قد لعمرى رفع لك ذكرك ، أما الصلاة فسنصلى، ووالله ما نحب من قتل الأحبة أبدا ، ولقد جاء إلى أبى الذى كان جاء إلى محمد من النبوة فردها ولم يرد خلاف قومه ، وقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذى أكرم أبى فلم يسمع بهذا اليوم. وكان أسيد مات قبـل الفتح بيوم . وقال الحـارث بن هشام : واثـكلاه ليتنى مت قبل أن أسمع بلالاً ينهق فوق الـكعبة ، وقال الحـكم بن أبى العاص : هذا والله الحدث الجلل أن يصبح عبد بنى جمح ينهق على بيت أبى طلحة ، وقال سهيل بن عمرو : إن كان هذا سخطا لله فسيغيره الله تعالى . وقال: أبو سفيان بن حرب : أما أنا فلا أقول شيئا ؛ لو قلت شيئا لأخبرته هذه الحصى . فأتى جبريل عليه الصلاة والسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرهم فأقبل صلى الله عليـه وسلم حتى وقف عليهم فقال : أما أنت يا فلان فقلت : كذا ، وأما أنت يا فلان

فقلت : كذا ، وأما أنت يافلان فقلت : كذا ، فقال أبو سفيان : أما أنا يارسول الله فما قلت شيئا ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم اه باختصار .

وفى هذا الخبر من المخالفة لما ذكره الفاكهى وابن هشام ما فيه من أن خالد بن أسيد هو القائل لما سمع أذان بلال على الكعبة الحمدلله الذى أكرم أبى فلم يسمع بهذا اليوم . والخبر الذى ذكره ابن هشام والفاكهى يقتضى أن قائل ذلك عتاب بن أسيد أخو خالد بن أسيد وهو الذى أسلم عام الفتح ، على ما ذكره ابن عبد البر وهو معدود فى المؤلفة قلوبهم ، وذكر فى ترجمة أخيه عتاب ما يخالف ذلك لأنه قال : وأما خالد بن أسيد فذكر محمد بن إسحاق السراج ، قال : سمعت عبد العزيز بن معاوية ،من ولد عتاب بن أسيد ، ونسبه إلى عتاب بن أسيد يقول : مات خالد بن أسيد وهو أخو عتاب بن أسيد لأبيه يوم فتح مكة قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة اه .

ومنها : أن كلام ابن إسحاق يقتضى أن أبا شريح الخزاعى ذكر خطبة النبى صلى الله عليه وسلم بمكة يوم الفتح لعمرو بن الزبير بن العوام لما قدم لقتال أخيه عبد الله بمكة لأنه قال : حدثنى سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى شريح الخزاعى قال : لما قدم عمرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جئته اه ، وهذا وهم من ابن هشام على ما ذكر السهيلى . قال : وصوابه عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية وهو الأشدق ثم قال بعد استدلاله على ذلك : فالصواب إذا عمرو بن سعيد لا عمرو بن الزبير ، وكذا رواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق وهكذا وقع فى الصحيحين ، ذكر هذا التنبيه على ابن هشام أبو عمرو رحمه الله فى كتاب « الأجوبة ، عن المسائل المستغربة» وهى مسائل من كتاب« الجامع» للبخارى تكلم عليها فى ذلك الكتاب ، وإنما دخل الوهم على ابن هشام أو على البكائى فى روايته من أجل أن عمرو بن الزبير كان معاديا لأخيه عبد الله ، ومعينا لبنى أمية عليه فى تلك الفتنة والله أعلم .

ومنها : أن كلام ابن هشام يقتضى أن فضالة بن عمير الليثى هو القائل للأبيات التى أولها :

قالت :هلم إلى الحديث ، فقلت : لا يأبى على الله ، والإسلام

وذكر الفاكهى خبرا يقتضى أن قائل ذلك غير فضالة ، لأنه قال : حدثنى حسن بن حسين قال : حدثنا محمد بن أبى السوى ، عن هشام بن الكلبى، عن عوانة ، قال : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، أشار إلى الأصنام فخرت لوجهها ، فقال : فى ذلك أبياتا رجل يقال له : راشد، قال أبو سعيد : هو راشد بن عبد ربه السلمى:

قالت : هلم إلى الحديث ، فقلت : لا يأبى على الله ، والإسلام
لو ما شهدت محمداً ، وقبيله بالفتح يوم تكسر الأصنام

لرأيت دين الله أضحى ساطعاً والشرك يغشى وجهه الإظلام . انتهى

وذكر الفاكهى فى موضع آخر قبل هـذا بيسير، ما يقتضى أن هـذه الأبيات لفضالة الليثى ، كما هو مقتضى كلام ابن إسحاق ، ونص ماذكره الفاكهى فى ذلك : وقال فضالة ابن عمير بن الملوح الليثى يذكر كسر الأصنام يومئذ :

لو ما رأيت محمداً وجنوده بالفتح يوم تكسر الأصنام

لرأيت دين الله أصبح بَيِّناً والشرك يغشى وجهه الإظلام

ومنها : أن ابن اسحاق ذكر أن عدد من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف وتكرر ذلك منه فى موطنين، وأفاد فى الموطن الثانى مالم يفده فى الأول من بيان عدد بعض القبائل التى كانت مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ولفظه فى هذا الموطن : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف ثم فَصَّلهم ، وذكر موسى ابن عقبة ما يخالف ما ذكره ابن إسحاق فى عدد المسلمين يوم الفتح ، لأنه قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقال : فى اثنى عشر الفا ، ونقل مغلطاى فى سيرته عن الحاكم ما يوافق ماذكره ابن عقبة جزماً ، لأنه قال فيما أخبرت به عنه : وخرج من المدينة ومعه عشرة آلاف رجل ، وقال الحاكم اثنى عشر ، انتهى . وذكر الفاكهى عن سعيد بن المسيب ما يوافق ما ذكره ابن عقبة فى عدد من كان مع النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج لفتح مكة ، وسيأتى هذا الخبر قريباً فى محل يناسبه إن شاء الله .

ومنها : أن ابن إسحاق ذكر فى عدد من كان مع النبى صلى الله عليه وسلم من مزينة فى فتح مكة ، أنهم ألف وثلاثة نفر ، وذكر ابن عقبة ما يخالف ذلك لأنه قال : ويقال : كان معه يوم حنين من مزينة ألف رجل وثمانية نفر انتهى . ويبعد أن يقال: يحمل كلام ابن اسحاق على من كان مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الفتح ، وكلام ابن عقبة على من كان معه فى حنين لأن الذين كانوا فى حنين هم الذين كانوا فى الفتح والله أعلم . ولعل الثمانية فى قول ابن عقبة مصحفة بدل ثلاثة ، فإن ذلك متقارب فى الشبه والله أعلم .

ومنها : أن ابن إسحاق لم يذكر جهينة فى القبائل الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فتح مكة وذكرهم ابن عقبة فيهم ، لأنه قال بعد قوله : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقال فى اثنى عشر ألفا من المهاجرين والأنصار ومن طوائف العرب ، من أسلم ، وغفار ، ومزينة ، وجهينة ، ومن بنى سليم ، وقادوا الخيل .. ومنها أن كلام ابن إسحاق ليس فيه بيان لعدد من كان مع النبى ﷺ من المهاجرين فى فتح مكة، وذكر الفاكهى خبرا يبين ذلك لأنه قال فى «أخبار مكة» : حدثنا حسين ، حدثنا الثقفى قال : سمعت يحيى بن سعيد يقول : سمعت ابن المسيب يقول : خرج النبى

صلى الله عليه وسلم من أهل المدينة بثمانية آلاف أو عشرة آلاف ومن أهل مكة بألفين ، انتهى . وهذا هو الخبر الذى أشرنا آنفا أن الفاكهى ذكره والله أعلم بصحة ذلك .

ومنها: أن ابن إسحاق ذكر فى مقدار مقام النبى صلى الله عليه وسلم بمكة قدرا خولف فيه ، لأنه قال : وحدثنى ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ، انتهى . وقد حدث الحافظ علاء الدين مغلطاى فى سيرته عن الخلاف فى مدة مقام النبى صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها مالم أر مثله مجموعا فى غير سيرته فنذكر ذلك لما فيه من الفائدة لأنه قال فيما أخبرت به عنه بعد أن ذكر خبر فتح مكة قال : قال البخارى : وأقام بها خمس عشرة ليلة ، وفى رواية تسع عشرة ، وفى أبى داود سبع عشرة ، وفى الترمذى ثمان عشرة ، وفى الإكليل أصحها بضع عشرة ، يصلى ركعتين ، انتهى . ورأيت أنا فى ذلك غير ماذكره ابن إسحاق ومغلطاى وذلك فى كتاب الفاكهى ونذكر ذلك لما فيه من الفائدة ، ونص ما ذكره الفاكهى : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الطبرى قال : حدثنا إسماعيل بن علية عن يحيى بن أبى إسحاق قال : سألت أنس بن مالك رضى الله عنه عن قصر الصلاة فقال : سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة ، فصلى بنا ركعتين حتى وصلنا ؛ فسألته كم أقام ؟ قال : نعم أقمنا بمكة عشرا ، يعنى زمان الفتح انتهى ، والذى نقله مغلطاى عن الإكليل هو فى مغازى موسى بن عقبة لأنه قال : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بضع عشر ليلة انتهى .

* * *

وقد أتينا فيما يتعلق بخبر الفتح الذى ذكره ابن إسحاق ، وابن هشام ، بفوائد كثيرة لا توجد مجموعها فى كتاب. ويتعلق بخبر الفتح المشار إليه مسائل كثيرة من الفقه واللغة العربية تركنا ذكرها لكونها غير مقصودة بالذكر فى هذا التأليف وخيفة من التطويل ، ونسأل الله تعالى أن يهدينا إلى سواء السبيل .



الباب السابع والثلاثون

فى ذكر شىء من ولاة مكة المشرفة فى الإسلام

لما فتح الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة استخلف عليها عتاب بن أسيد ، بفتح الهمزة ابن أبى العيص ، بن أمية ، بن عبد شمس ، بن عبد مناف ، بن قصى ، بن كلاب ، القرشى ، عند مخرجه إلى حنين [1] فى العشر الأول من شوال سنة ثمان من الهجرة لأن ابن إسحاق قال : لما ذكر غزوة حنين : واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، على مكة أميرا على من تخلف عنه من الناس ،انتهى . وذكر ابن عقبة ما يوهم خلاف ما ذكره ابن إسحاق فى تأميره عتابا لأنه قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى حنين استخلف معاذ بن جبل الأنصارى ، ثم السلمى ، على أهل مكة، وأمره أن يعلم الناس القرآن ، ويفقههم فى الدين ثم قال : ثم صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عائدا إلى المدينة ، وخلف معاذ بن جبل فى أهل مكة ، انتهى . وذكر أبو عمر بن عبد البر عن الطبرى ما يوهم خلاف ذلك أيضا لأنه قال : هبيرة بن شِبْل بن العجلان بن عتاب الثقفى هو أول من صلى بمكة جماعة بعد الفتح أمره النبى صلى الله عليه وسلم بذلك . وكان إسلامه بالحديبية واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة إذ سار إلى الطائف فيما ذكر الطبرى ، انتهى . وذكر ابن ما كولا نحو ما ذكره ابن عبد البر وعزاه إلى ابن الكلبى ، وذكر ابن عبد البر ما يوافق ماذكره ابن إسحاق فى ترجمة عتاب .

وما ذكره ابن إسحاق ، فى تأمير النبى صلى الله عليه وسلم لعتاب على مكة هو المعروف لكون جماعة من أهل الأخبار ذكروا ذلك وسيأتى ذلك عن بعضهم . وسبق مايدل لذلك فى باب فضل أهل مكة وهو الباب السادس [2] ، وذكر مغلطاى ما يوضح تأخير تأميره صلى الله عليه وسلم لعتاب على مكة أكثر مما سبق لأنه قال فى سيرته : ثم خرج لست ليال خلون من شوال ، ويقال : لليلتين بقيتا من رمضان إلى حنين ، انتهى .

وأفاد السهيلى شيئا يستغرب فى سبب تولية النبى صلى الله عليه وسلم لعتاب على مكة لأنه قال : وقال أهل

---

(١) حنين: واد قريب من مكة معروف إلى الآن بهذا الاسم، ومن وادى حنين تأتى عين زبيدة إلى مكة لأن المياه تجتمع فيه لا نخفاضه وإحاطة الجبال به .

(٢) راجع ص ٨٤ وما بعدها من الجزء الأول من هذا الكتاب .

التعبير : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام أسيد بن أبى العيص والياعلى مكة مسلماً فمات على الكفر ، وكانت الرؤيا لولده عتاب حين أسلم ، فولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وهو ابن أحد وعشرين سنة ، انتهى .
وذكر الأزرقى ما يوهم أن لتولية النبى صلى الله عليه وسلم عتاباً على مكة سببا غير السبب الذى ذكره السهيلى لأنه قال : حدثنى جدى قال : حدثنا عبد الجبار بن الورد المكى قال : سمعت ابن أبى مليكة يقول : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لقد رأيت أسيدا فى الجنة وأنى يدخل أسيد الجنة فعرض له عتاب بن أسيد فقال : هذا الذى رأيت، ادعوه لى فدعى لها فاستعمله يومئذ على مكة ثم قال لعتاب : أتدرى على من استعملتك ؟ استعملتك على أهل الله ، فاستوص بهم خيرا يقولها ثلاثاً ، انتهى ؛ ويمكن أن يجمع بين ما قال ابن إسحاق وغيره من تأمير النبى صلى الله عليه وسلم لعتاب على مكة و بين ما ذكره ابن عقبة والطبرى بأن يكون النبى صلى الله عليه وسلم جعل عتابا أميرا بمكة ومعاذا إماما بها ومفقها لمن فيها واشترك مع معاذ رضى الله عنه فى الإمامة هبيرة المذكور ولا يعارض ذلك ما قيل فى ترجمة هبيرة من أنه أول من صلى بمكة جماعة بعد الفتح لإمكان أن يكون حان وقت الصلاة وهبيرة حاضر فى الناس ومعاذ غير حاضر لشغل عرض له فبادر هبيرة فصلى بالناس لتحصيل فضيلة أول الوقت والله أعلم .
ويحتمل أن هبيرة كان يصلى بالناس قبل معاذ ثم يصلى معاذ بمن لم يدرك الصلاة خلف هبيرة والله أعلم، وهذا أولى من جعل الأخبار متعارضة فى ولاية عتاب . وكان من أمره فى ولاية مكة ما ذكره الزبير بن بكار لأنه قال : استعمل النبى صلى الله عليه وسلم عتابا على مكة ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعتاب عامله على مكة انتهى . وذكر ابن عبد البر ما ذكره الزبير وزاد عليه فى مدة ولايته لأنه قال : أسلم يوم فتح مكة واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على مكة يوم الفتح فى حين خروجه إلى حنين ، فأقام للناس الحج فى تلك السنة ، وهى سنة ثمان. وحج المشركون على ما كانوا عليه . ثم قال: فلم يزل عتاب أميرا على مكة حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقره أبو بكر رضى الله عنه فلم يزل عليها إلى أن مات ، وكانت وفاته فيما ذكر الواقدى يوم مات أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وقال : ماتا فى يوم واحد ، وكذلك يقول ولد عتاب ، وقال محمد بن سلام وغيره : جاء نعى أبى بكر الصديق إلى مكة يوم دفن عتاب بن أسيد رضى الله عنه بها ، انتهى .

وذكر ابن عبد البر ما يخالف ماذكره فى ولاية عتاب على مكة فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، لأنه قال فى ترجمة الحرث بن نوفل ، بن الحرث ، بن عبد المطلب ، بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب القرشى الهاشمى، بعد أن ذكر شيئا من حاله عن مصعب الزبيرى(١) والواقدى ، وقال غيرهما : ولى أبو بكر الصديق رضى الله عنه الحرث بن نوفل مكة ، ثم انتقل إلى البصرة من المدينة ، انتهى باختصار . ورأيت فى مختصر تاريخ بن جرير أن عتاب بن أسيد كان على مكة فى سنة أربع عشرة ، وخمس عشرة ، وست عشرة وسبع عشرة ، وثمان عشرة ،

(١) كان مصعب من رواة الأخبار واللغة والأدب ، وتوفى عام ٢٣٦ هـ

وتسع عشرة، وكل ذلك وهم ذكرناه للتنبيه عليه والله أعلم[١] (ورأيت فى تاريخ ابن الأثير ما يقتضى أنه كان على مكة فى سنة أربع عشرة ، وخمس عشرة ، وكل ذلك وهم ذكرناه)[٢] .

وممن ولى مكة فى خلافة الصديق رضى الله عنه: المحرز بن حارثة ، بن ربيعة ، بن عبد العزى ، بن عبد شمس ابن عبد مناف القرشى ، فى سفرة سافرها عتاب على ماذكر ابن عبد البر رحمه الله .

ثم وليها المحرز المذكور لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أول ولاية عمر على ما ذكر ابن عبد البر أيضا، وذكر ابن حزم ولايته لمكة لعمر رضى الله عنه . وذكر الزبير بن بكار ولايته على مكة عن عتاب .

ثم ولى مكة فى خلافة عمر رضى الله عنه : قنفذ بن عمير بن جدعان التيمى بعد عزل المحرز على ما ذكر ابن عبد البر .

ثم وليها نافع بن عبد الحارث[٣] الخزاعى بعد عزل قنفذ على ماذكر ابن عبد البر أيضا .

ورأيت فى الكامل لابن الأثير ما يقتضى أن نافع بن عبد الحارث كان على مكة فى سنة ثلاث وعشرين، ولا أدرى هل هذه السنة أول ولايته بمكة ؟ ولا متى انقضت ولايته عنها والله أعلم .

ثم وليها لعمر : أحمد بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومى ، بعد عزل نافع .

وممن ولى مكة فى خلافة عمر رضى الله عنه: طارق بن المرتفع[٤] بن الحارث، بن عبد مناة على ماذكره الفاكهى ؛ وعبد الرحمن بن أبزى الخزاعى مولى خزاعة نيابة عن مولاه نافع بن عبد الحارث ، لما لقى نافع عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعسفان[٥] وأنكر عمر على نافع استخلافه عبد الرحمن على مكة لعظم قدر أهلها ، وغضب عمر فى ذلك ، حتى قام فى الغرزة ، وقال نافع لعمر : إنه قارىء لكتاب الله عالم بالفرائض ، وفى رواية أن نافعاً قال لعمر : لما أنكر عليه استخلافه ابن أبزى هذا على أهل مكة إنى وجدته أقرأهم لكتاب الله ، وأعلمهم بدين الله تعالى ، ولذلك سكن غيظ عمر رضى الله عنه على نافع ، وخبر توليته لابن أبزى وما كان بينه و بين عمر من المقال المشار إليه مذكور فى تاريخ الأزرقى وغيره .

وممن ولى مكة لعمر رضى الله عنه على ماقيل: الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب الهاشمى المقدم ذكره، لأن

---

(١) من قوله : وكل ذلك ـ من زيادة النسخة (ك) . (٢) ما بين القوسين من زيادة النسخة (م) .

(٣) « عبد » موجودة فى النسختين ، وإن كان بعض المؤرخين لا يثبتها ـ راجع مرآة الحرمين ، والرحلة الحجازية ص ٨٢ .

(٤) يجعل المؤرخون قبله : أحمد بن خالد بن العاص ـ ٨٢ الرحلة الحجازية ، وكما ذكر هنا

(٥) عسفان: ماء فى طريق مكة المدينة، بعد مر الظهران ، ويعرف بهذا الاسم إلى الآن .

الزبير، قال فى ترجمته : وذكر أن أبا بكر أوعمر رضى الله عنهما استعمله على مكة ، انتهى. ورأيت فى تاريخ الإسلام للذهبى مايقتضى الجزم بولاية الحرث هـذا على مكة ، لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما لأنه قال فى ترجمته : له صحبة ، واستعمله النبى صلى الله عليـه وسلم على بعض صدقات مكة و بعض أعمـال مكة ، ثم استعمله أبو بكر ، وعمر، وعثمان ، رضى الله عنهم على مكة ، انتهى ، والله أعلم بالصواب .

ثم ولى مكة على بن عدى بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى العبشمى ، ولاه عليهـا عثمان بن عفان رضى الله عنه حين ولى الخلافة على ماذكر ابن عبد البر وذكر ابن حزم ولايته على مكة لعثمان ، ولم يقل كما قال ابن عبد البر إنه ولاه مكة حين ولى الخلافة ثم ولى مكة أحمد بن خالد بن العاص المخزومى المقدم ذكره لعثمان أيضا على ماذكره ابن عبد البر وذكر مايقتضى أنه أقام على ولاية مكة إلى أن عزله على بن أبى طالب رضى الله عنه . وسيأتى هذا قريبا .

وممن ولى مكة لعثمان رضى الله عنه : الحرث بن نوفل السابق ذكره كما ذكره الذهبى ، وممن ولى مكة لعثمان رضى الله عنه فيما ذكر الفاكهى : عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس القرشى بن أخى عتاب بن أسيد المقدم ذكره .

وممن ولى مكة لعثمان رضى الله عنه : عبد الله بن عامر الحضرمى على ماذكره ابن الأثير، وذكر أنه كان عامل عثمان على مكة فى سنة خمس وثلاثين . وذكر فى أخبار هـذه السنة مايشعر أنه كان على مكة وقت قتل عثمان . لأنه ذكر أن عائشة رضى الله عنها لمـا توجهت من مكة بعد الحج فى هذه السنة بلغها بنفسها قتل عثمان رضى الله عنه فرجعت إلى مكة وحرضت على الطلب بدمه ، فقال لها عبد الله بن عامر العامرى الحضرمى وكان عامل عثمان على مكة : ها أنذا أول طالب ، فـكان أول مجيب ، وتبعه بنو أمية على ذلك انتهى بالمعنى ، وهـذا يشعر بخلاف ماذكره ابن عبد البر من أن خالد بن العاص لم يزل على مكة إلى أن عزله على رضى الله عنه فى أول خلافته .

وممن ولى مكة لعثمان رضى الله عنه على ماقيل : نافع بن عبد الحرث الخزاعى السابق ذكره لأن ابن الزبير ذكر أنه كان على مكة فى سنة ثلاث وعشرين عاملاً لعمر ، وأن عمر رضى الله عنه لما طعن فى هذه السنة أوصى أن تقر عماله سنة . فأقر عثمان رضى الله عنه عمال عمر سنة على ماقيل ، فعلى هذا يكون نافع عاملا على مكة لعثمان رضى الله عنه ، والله أعلم.

ثم ولى مكة فى خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه أبو قتادة الأنصارى فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحارث بن ربعى ، وقيل النعمان ابن ربعى ، وقيل غير ذلك .

ثم قثم بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشى الهاشمى ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ، بعد عزل أبى قتادة الأنصارى على ما ذكر ابن عبـد البر . لأنه قال فى ترجمة : قثم هذا وكان قثم بن العبـاس والياً لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه على مكة، ذلك أن على بن أبى طالب رضى الله عنه لمـا ولى الخلافة عزل

أحمد بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومى عن مكة ، وولاها أبا قتادة الأنصارى ثم عزله وولى قثم بن العباس ، فلم يزل والياً عليها حتى قتل على بن أبى طالب رضى الله عنه ، هذا قول خليفة ، انتهى . وذكر ابن الأثير مايوافق ما ذكره خليفة فى ولاية قثم لمكة فى مدة خلافة على رضى الله عنه، وذكر مايقتضى أن ولايته فى سنة ست وثلاثين، وأنه ولى مع مكة الطائف وما اتصل بمكة .

وممن ولى مكة لعلى رضى الله عنه على ماقيل : معبد بن العباس بن عبد المطلب أخو قثم السابق ، ذكر ذلك ابن حزم فى الجمهرة ، لأنه قال لما ذكر أولاد العباس : ومعبد ولى مكة لعلى رضى الله عنه وقال قبل ذلك : وقثم ولى المدينة لعلى ؛ وما ذكره ابن حزم فى بيان معبد يخالف ماذكره خليفة . وأما ماذكره فى شأن قثم فلا، لإمكان أن يكون على جمع لقثم بين ولاية المدينة ومكة . ويصح تعريفه بأنه ولى المدينة والله أعلم . ورأيت فى نسخة من الثقات لابن حبان ماصورته : قتادة بن ربعى له صحبة كان عامل على رضى الله عنه بمكة ،انتهى ، وهذا والله أعلم أبو قتادة السابق ذكره ، وسقط فى النسخة التى رأيتها من الثقات ، وإنما ذكرنا ذلك لأن أبا قتادة ولى مكة لعلى رضى الله عنه كما سبق . ولم أر فى الصحابة من اسمه قتادة بن ربعى، والله أعلم ؛ ورأيت فى الكامل لابن الأثير فى أخبار سنة ست وثلاثين ذكر وفاة المحرز بن حارثة السابق ثم قال : واستعمله على رضى الله عنه على مكة ثم عزله. انتهى ، وعلى تصحيف لأن عمر رضى عنه الذى ولاه وعزله كما سبق والله أعلم .

ثم ولى مكة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه جماعة لا أعرف من أولهم فى الولاية ، منهم أخوه عتبة بن أبى سفيان بن حرب الأموى ، وولايته على مكة لمعاوية ذكرها الفاكهى .

ومنهم : أحمد بن خالد بن العاص بن هشام المخزومى المقدم ذكره . ورأيت فى الكامل لابن الأثير أنه ولى مكة فى سنة اثنتين وأربعين ، وذكر ما يقتضى أنه كان على مكة فى سنة ثلاث وأربعين أيضا . ورأيت فى مختصر ابن جرير ما يقتضى أنه كان على مكة فى سنة خمس وأربعين وفى سنة ست وسبع وثمان وأربعين ، وفى سنة ثلاث وأربعين أيضا .

ومنهم: مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس القرشى الأموى أبو عبد الملك على ما ذكر ابن عبد البر لأنه قال فى ترجمته : وكان معاوية لما صار الأمر إليه ولاه المدينة ، ثم جمع له إلى المدينة مكة والطائف . ثم عزله عن المدينة ، سنة ثمان وأربعين ، انتهى . وفى هذا إشعار بأن ولايته لمكة قبل سنة ثمان وأربعين ، والله أعلم .

ومنهم : سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشى ، الأموى ، أبو عثمان ، ويقال : أبو عبد الرحمن، أحد أشراف قريش ، وأجوادها ، وفصحائها ، ذكر ما يدل لولايته على مكة صاحب العقد ابن عبد ربه لأنه قال : فى الفصل الذى ذكر فيه الخطب عن العتبى قال : استعمل سعيد بن العاص وهو والى المدينة ابنه عمرو بن سعيد على مكة ، انتهى .

ومنهم : عمرو بن سعيد بن العاص القرشي الأموي المعروف بالأشدق ، ولد سعيد المقدم ذكره، وولايته على مكة لمعاوية ذكرها الفاكهي . وذكر ما يقتضي أنها في حياة عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما . وعلى هذا فتكون ولايته في أوائل عشر الستين من الهجرة ، لأن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه مات في سنة ثلاث وخمسين من الهجرة في قول الأكثرين والله أعلم . وولايته لمعاوية على مكة ذكرها ابن الأثير لأنه قال في أخبار سنة ستين من الهجرة : لما ولي يزيد بن معاوية ، كان على مكة عمرو بن سعيد بن العاص ، انتهى .

وممن ولي مكة لمعاوية : عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص القرشي المقدم ذكره . وولايته على مكة لمعاوية ذكرها الفاكهي، وذكر الأزرقي ما يفهم ذلك ويفهم تاريخ ولايته ، لأنه ذكر خبرا فيه ما يقتضي أن معاوية بن أبي سفيان اشترى دار الندوة من بعض بني عبد الدار فجاء شيبة بن عثمان فقال له : إن لي فيها حقا فأخذتها بالشفعة ، فقال له معاوية : أحضر المال فأحضره وأخبر معاوية بإحضاره ، فدخل معاوية دار الندوة وخرج من بابها الآخر وسافر وشيبة لا يشعر به، وفيه بعد ذلك ما نصه: وخرج إليه والي مكة عبد الله بن خالد بن أسيد فقام إليه شيبة وقال : فأين أمير المؤمنين ؟ قال : راح إلى الشام ، قال شيبة : والله لا كلمته أبدا ، انتهى . وكانت هذه القصة في حجة معاوية الأولى لأن في الخبر المشار إليه : فلما حج معاوية حجته الثانية فذكر قصة بني شيبة ومعاوية ، وملخصها أنه لم يفتح له الكعبة لما سأله معاوية في ذلك، وبعث إليه حفيده شيبة بن جبير بن شيبة بن عثمان ففتح له الكعبة، وكانت حجة معاوية الأولى سنة أربع وأربعين على ما ذكر العتيقي في أمراء الموسم . وحجته الثانية في سنة خمسين على ما ذكر العتيقي أيضا وقيل في حجته الثانية : غير ذلك . فاستفدنا مما ذكره العتيقي في حجة معاوية الأولى أن عبد الله بن خالد بن أسيد كان على مكة في سنة أربع وأربعين والله أعلم .

ثم ولي مكة في خلافة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان جماعة ، وهم عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق [1] المقدم ذكره ، والوليد بن عقبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي وعثمان بن محمد بن أبي سفيان بن حرب الأموي ، والحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي المقدم ذكر والده ، وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بن نفيل العدوي ابن أخي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي فأما ولاية عمرو بن سعيد الأشدق فذكرها ابن جرير لأنه ذكر في أخبار سنة ستين من الهجرة أن عمرو بن سعيد حج بالناس فيها وهو على مكة والمدينة ، وأن يزيد بن معاوية ولاه بالمدينة ، بعد أن عزل عنها الوليد بن عتبة ، في شهر رمضان ، وذكر ابن الأثير مثل ما ذكره ابن جرير بالمعنى ، وذكر أن عمرو بن سعيد قدم المدينة في رمضان ،وجهز منها إلى ابن الزبير بمكة أخاه عمرو بن الزبير لما بينهما من العداوة ، وأنيس بن عمرو الأسلمي ، في جيش نحو ألفي رجل فقتل أنيس بذي طوى

(١) لقب بالأشدق لفصاحته وبلاغته وقوة عارضته في الخطابة .

قتله أصحاب ابن الزبير بمكة وأسروا عمرو بن الزبير فأقاد منه أخوه عبد الله الناس بالضرب وغيره كما صنع بهم فى المدينة حتى مات عمرو تحت السياط . وأما ولاية المنذر بن عتبة فذكرها ابن الأثير وذكر سببها. وملخص ذلك أن يزيد اتهم عمرو بن سعيد بمداهنة ابن الزبير ، فإنه أظهر العصيان على يزيد بعد قتل الحسين بن على بالعراق . (وبويع) بعد ذلك ابن الزبير بمكة ؛ وقيل ليزيد : لو شاء عمرو بن سعيد سرح إليك ابن الزبير فعزل يزيد عمراً وولى مكانه الوليد فقدم الوليد مكة وأقام يريد عروة ابن الزبير فلا يجده إلا محترزا ممتنعاً ، وكان ذلك فى سنة إحدى وستين ، وذكر ابن جرير نحو ذلك مختصرا بالمعنى . وأما ولاية عثمان فذكرها ابن الأثير وذكر سببها ، وملخص ذلك أن ابن الزبير كتب إلى يزيد فى أمر الوليد يقول له : إنك بعثت إلينا رجلا أخرق ، لا يتجه لرشد ولا يرعوى لغضب ؛ فلو بعثت رجلا سهل الخلق رجوت أن يسهل من الأمور ما استوعر منها وأن يجمع ماتفرق . فعزل يزيد الوليد وولى عثمان ، وذلك فى سنة اثنتين وستين . وذكر ابن جرير نحو ذلك مختصرا بالمعنى . وأما ولاية الحرث بن خالد وعبد الرحمن بن زيد المذكورين ، فذكر خليفة بن خياط فيما حكى عنه الحافظ أبو الحجاج المزى فى تهذيبه أن يزيد لما عزل الوليد بن عتبة بن أبى سفيان عن مكة ولاها الحارث بن خالد ثم عزله وولى عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، ثم عزل عبد الرحمن وعاد الحرث فمنعه ابن الزبير الصلاة . فصلى بالناس مصعب بن عبد الرحمن ابن عوف انتهى .

وأما ولاية يحيى بن حكيم فذكرها الزبير بن بكار مع ولاية الحرث أيضا لأنه قال : فولد حكيم بن صفوان يحيى بن حكيم ولى مكة ليزيد بن معاوية ، وكان عبد الله بن الزبير مقيما معه بمكة ثم تعرض له يحيى بن حكيم ؛ فكتب الحرث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة يذكر له مداهنة يحيى بن حكيم لعبد الله بن الزبير ، فعزل يزيد يحيى بن حكيم وولى الحرث بن خالد مكة فلم يدعه ابن الزبير يصلى بالناس وكان الحارث يصلى فى جرف داره بمواليه ومن أطاعه من أهله ، وكان مصعب بن عبد الرحمن يصلى بالناس فى المسجد الحرام فأمر عبد الله بن الزبير فلم يزل كذلك حتى وجه يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن الزبير مسرف بن عقبة ، فبويع عبد الله بن الزبير بالخلافة ، وصلى بالناس بمكة انتهى .

ثم ولى مكة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه بعد أن لقى فى ذلك عناء شديدا سببه أن يزيد بن معاوية لما طرد أهل المدينة عامله عثمان بن محمد بن أبى سفيان وغيره من بنى أمية الا ولد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، بعث إليهم مسلم بن عقبة المرى وسمى مسرفا لإسرافه فى القتل بالمدينة . وبعث معه اثنى عشر ألفا ، فيهم الحصين بن نمير السكونى ، وقيل : السكندى ليكون على العسكر إن عرض لمسلم موت فإنه كان عليلا فى بطنه الماء الأصفر ، وأمر يزيد مسرفا إذا بلغ المدينة أن يدعو أهلها ثلاثا فإن أجابوه وإلا قاتلهم فإذا ظهر عليهم أباحها ثلاثا ثم يكف عن الناس ، ويسير إلى مكة لقتال ابن الزبير ، فلما بلغ مسلم المدينة بمن معه التقى مع أهلها بظاهر المدينة ، فاقتتلوا فقتل

من أولاد المهاجرين ما يزيد عن ثلاثمائة نفر وجماعة من الصحابة ، ودخل المدينة وأباحها ثلاثا . وكانت الوقعة بمكان يقال له : الحرة ، وأقام لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين من الهجرة . ثم سار إلى مكة فلما كان بالمشلل مات وقيل مات بثنية هرشا[1] بعد أن قدم على عسكره الحصين بن نمير فسار الحصين حتى بلغ مكة لأربع بقين من المحرم سنة أربع وستين ، وقد بايع أهل مكة والحجاز وغيرهم ابن الزبير وأجمعوا عليه وانضم إليه من انهزم من أهل المدينة وكان قد بلغه خبر أهل المدينة هلال المحرم سنة أربع وستين مع المسور بن مخرمة ، فلحقه منه أمر عظيم ، واعتدّ هو وأصحابه واستعدوا للقتال وقاتلوا الحصين أياماً وتحصن ابن الزبير وأصحابه فى المسجد وحول الكعبة ، وضرب أصحاب ابن الزبير فى المسجد خياما ورقاقا يكتنون بها من حجارة المنجنيق ، ويستظلون فيها من الشمس . وكان الحصين بن نمير قد نصب المنجنيق على أبى قبيس ، وعلى الأحمر ، فكان يرميهم بالحجارة ، وتصيب الحجارة الكعبة فتوهنت ، ودام الحرب بينهم إلى أن فرج الله على ابن الزبير وأصحابه بوصول نعى يزيد بن معاوية ، وكان وصول نعيه ليلة الثلاثاء لثلاث مضين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وبلغ نعيه ابن الزبير قبل أن يبلغ الحصين وبعث إلى الحصين من يعلمه بذلك ويحسن له ترك القتال ، ويعظم إليه أمر الحرم ، وما أصاب الكعبة ، فمال إلى ذلك . وأدبر إلى الشام لخمس ليال خلون من ربيع الآخر سنة أربع وستين . بعد أن اجتمع بابن الزبير فى الليلة التى تلى اليوم الذى بلغه فيه نعى يزيد وسأله ابن الزبير فى أن يبايع له هو ومن معه من أهل الشام على أن يذهب معهم ابن الزبير إلى الشام ويؤمن الناس ، ويهدر الدماء التى كانت بينهم وبين أهل الحرم فأبى الحصين ذلك . وبويع ابن الزبير بعد رحيل الحصين عن مكة بالخلافة بالحرمين ثم بويع بها فى العراق . واليمن . وغير ذلك ، حتى كاد تجتمع الأمة عليه . فولى فى البلاد التى بويع له فيها العمال ودامت ولايته على مكة إلى أن قتله الحجاج قاتله الله فى جمادى الأولى ، يوم الثلاثاء سنة ثلاث وسبعين من الهجرة عن ثلاث وسبعين سنة . بعد أن حاصره الحجاج بمن معه أزيد من نصف سنة وهو ينتصف منهم . ويفضل عليهم فى القلب لأنه كان نهاية فى الشجاعة . وكذا فى العبادة . وكان فى اليوم الذى قتل فيه حمل على أهل الشام لما دخلوا عليه فى أبواب المسجد حتى أبلغهم الحجون . ولم يقتل حتى أدهش بأجرة رمى به وجهه ودمى فعند ذلك تعاونوا عليه وقتلوه . ولم يقتل إلا بعد أن لم يبق معه من أصحابه إلا اليسير لميلهم عنه إلى الحجاج وأخذهم الأمان من الحجاج وكان ممن فعل ذلك ابناه حمزة وحبيب وكان ابتداء حصار الحجاج له فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين . وكان الحجاج فى حال محاصرته لابن الزبير يرمى الكعبة بالمنجنيق من أبى قبيس لكون ابن الزبير كان مكتنا فى المسجد وكان الحجاج نازلا ببئر ميمون ومعه طارق بن عمرو مولى عثمان وكان

---

(١) لعلها الثنية البيضاء ، وهى عقبة قرب مكة تهبطك إلى فخ (واسمها اليوم) مدرج العمرة قبل العلمين اللذين عند مسجد التنعيم .

عبد الملك قد أمد الحجاج بطارق لما سأله النجدة على ابن الزبير فقدم طارق فى ذى الحجة ، ومعه خمسة آلاف . وكان مع الحجاج ألفان ، وقيل ثلاثة من أهل الشام وكان الحجاج لما وصل من عند عبد الملك نزل الطائف فكان يبعث منه خيلا إلى عرفة ويبعث ابن الزبير خيلا إلى عرفة فيقتتلون بها فتهزم خيل ابن الزبير ، وتعود خيل الحجاج بالظفر ، ثم استأذن عبد الملك فى منازلة ابن الزبير فأذن له ، فكان من الأمر ما كان ، وكان حصار الحجاج لابن الزبير ستة أشهر ، وسبع عشرة ليلة على ما ذكر ابن جرير وصلب ابن الزبير بعد قتله منكساً على الثنية اليمنى بالحجون ، وبعث رأسه إلى عبد الملك بن مروان فطيف به فى البلدان.. وولى مكة لابن الزبير فى خلافته الحرث بن الحاطب بن الحارث بن معمر الجمحى على ما ذكر ابن عبد البر لأنه قال فى ترجمته : واستعمل ابن الزبير الحارث بن حاطب على مكة سنة ست وستين . وقيل : إنه كان يلى المساعى أيام مروان : انتهى .

ثم ولى مكة لعبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير جماعة ، وهم : ابنه مسلمة بن عبد الملك ، والحجاج بن يوسف الثقفى ، والحرث بن خالد المخزومى المقدم ذكره ، وخالد بن عبد الله القسرى ، وعبد الله بن سفيان المخزومى ، وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص الأموى ، ونافع بن علقمة الكنانى ، ويحيى بن الحكم ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس القرشى الأموى :

فأما ولاية الحجاج فمشهورة ذكرها غير واحد ودامت إلى سنة خمس وسبعين . وولى مع مكة المدينة ، والحجاز ، وقد ذكر ابن جرير ما يدل لذلك ولمنتهى ولايته على الحجاز لأنه ذكر فى أخبار سنة أربع وسبعين أنه كان ولى على مكة والمدينة ، وذكر فى أخبار سنة خمس وسبعين أنه ولى العراق وعزل عن الحجاز ، وذكر أنه انصرف إلى المدينة فى صفر سنة أربع وسبعين وأقام بها ثلاثة أشهر وأنه حج بالناس فى هذه السنة .

وأما ولاية الحارث بن خالد المخزومى فذكر الزبير بن بكار ما يشهد بذلك لأنه قال بعد أن ذكر تولية يزيد ابن معاوية له على مكة ومنع ابن الزبير له من الصلاة ، ولم يزل معتزلا لابن الزبير حتى ولى عبد الملك بن مروان فولاه مكة ثم عزله ، فقدم عليه فى دمشق ولم ير عنده ما يحب فانصرف عنه وقال فى ذلك شعرا انتهى .

وأما ولاية خالد بن عبد الله القسرى ففى تاريخ الأزرقى ما يدل لذلك لأنه روى بسنده أن جده عقبة بن الأزرق بن عمرو الغسانى كان يضع على حرف داره مصباحا عظيما فيضئ لأهل الطواف وأعلا المسجد ، ثم قال : فلم يزل ذلك المصباح على حرف الدار حتى كان خالد بن عبد الله القسرى فوضع مصباح زمزم مقابل الركن الأسود فى خلافة عبد الملك بن مروان فمنعنا أن نضع ذلك المصباح . وذكر فى الترجمة التى ترجم عليها أول من أدار الصفوف حول الكعبة ما يدل لذلك ، لأنه روى فيها عن جده عن عبد الرحمن بن حسن الأزرقى قال : فلما ولى خالد ابن عبد الله القسرى لعبد الملك بن مروان فذكر إدارته للصفوف ، والمعروف أن خالدا ولى مكة للوليد وسليمان ولدى عبد الملك بن مروان والله أعلم . ويبعد أن يقال : لعل الأزرقى سها فيما ذكره من ولاية خالد

لعبد الملك لكونه كرر ذلك فى غير موضع والله أعلم . وخالد القسرى هو الذى حفر البئر التى ساق الماء منها حتى أخرجه فى المسجد الحرام عند زمزم ليضاهى به زمزم . وحكى عنه فى تفضيله على زمزم ، وتفضيل الخليفة الذى أمره بذلك ما يستبشع ذكره . وقيل إن ذلك لا يصح عنه والله أعلم .

وأما ولاية عبد الله بن سفيان المخزومى فذكر الأزرقى ما يدل لها لأنه قال : لما ذكر سيل الجحاف وكان سيل الجحاف سنة ثمانين فى خلافة عبد الملك وذكر خبرا فيه، فكتب فى ذلك إلى عبد الملك بن مروان ففزع لذلك و بعث بمال عظيم وكتب إلى عامله على مكة عبد الله بن سفيان المخزومى ، ويقال : بل كان عامله الحارث بن خالد المخزومى، يأمره بعمل ضفاير الدور الشارعة على الوادى ، انتهى ، وما عرفت نسب عبد الله بن سفيان هذا إلا أنى لم أرله ذكرا فى غير تاريخ الأزرقى وعلى ما ذكر فى تاريخ الجحاف وكتابة عبد الملك لعامله على مكة عبد الله والحارث المشار إليهما تكون ولاية من كان واليا بها فى سنة ثمانين وفى التى بعدها لأن سيل الجحاف كان فى زمن الحج وما يصل خبره لعبد الملك و يصل أمره ببناء ضفاير الدور إلا فى سنة إحدى وثمانين والله أعلم . وأما ولاية عبد العزيز فذكرها الزبير بن بكار لأنه قال : واستعمل عبد الملك بن مروان عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد على مكة انتهى . ورأيت فى كتاب الكمال لعبد الغنى المقدسى ما يوافق ذلك ولكنه لم يحكه إلا بصيغة التمريض لأنه قال : ولى مكة لسليمان بن عبد الملك قيل إنه وليها لعبد الملك أيضا ، انتهى . وأما ولاية نافع بن علقمة الكنانى ويحيى ابن الحكم فذكر الزبير بن بكار ما يشهد لذلك وفى ذلك طول اختصرناه ، ولأنا فى الغالب لا نستدل إلا على ما يستغرب أو يقع فيه اختلاف ، وولاية مسلمة بن عبد الملك حكاها ابن قتيبة فى «الإمامة والسياسة»، وكلامه صريح فى أنه وليها لأبيه وأن خالدا القسرى وليها أيضا لعبد الملك لأنه قال : وذكروا أن مسلمة بن عبد الملك كان واليا على مكة فبينا هو يخطب على المنبر إذ أقبل خالد بن عبد الله القسرى من الشام واليا عليها ، فدخل المسجد فلما قضى مسلمة خطبته صعد خالد المنبر فلما ارتقى فى الدرجة الثانية تحت مسلمة أخرج كتاب عبد الملك ففضه ثم قرأه على الناس فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى أهل مكة أما بعد ، فإنى وليت عليكم خالد ابن عبد الله القسرى فاسمعوا له وأطيعوا ولا يجعلن امرؤ على نفسه سبيلا فإنما هو القتل لا غيره وقد برئت الذمة من رجل آوى سعيد بن جبير والسلام .

ثم التفت إليهم خالد فقال : والذى يحلف به ، و يحج إليه ، لأجده فى دار أحد إلا قتلته وهدمت داره ودار كل من جاوره واستبحت حرمه . وقد أجلت لكم فيه ثلاثة أيام . ثم نزل ودعا مسلمة برواحله ، ولحق بالشام . فأتى رجل إلى خالد فقال له إن سعيد بن جبير بوادى كذا من أودية مكة مختفيا بمكان كذا فأرسل خالد فى

طلبه فأتاه الرسول فلما نظر إليه قال له : إننى أمرت بأخذك وأتيت لأذهب بك وأعوذ بالله من ذلك، فالحق بأى بلد شئت . وأنا معك . فقال سعيد بن جبير : ألك ههنــا أهل وولد ؟ قال : نعم قال : إنهم يؤخذون بعدك ، وينالهم من المــكروه مثل الذى كان ينالنى . قال : وإنى أكلهم إلى الله ، قال سعيد : لا يكون هــذا ، فأتى به إلى خالد فشده وثاقا ، ثم بعث به إلى الحجاج فقال له رجل من أهل الشام : إن الحجاج قد أنذر به وأشعر قبلك فما عرض له فلو جعلته بينك وبين الله لــكان أزكى من كل عمل يتقرب به إلى الله تعالى . قال خالد : وظهره إلى الــكعبة وقد استند إليها : والله لو علمت أن عبد الملك لا يرضى إلا بنقض هذا البيت حجرا حجرا لنقضته فى مرضاته .

وممن ولى مكة لعبد الملك بن مروان فيما أظن : هشام بن إسماعيل المخزومى لأن الفاكهى ذكر مايدل لولايته لها إلا أنه لم يصرح بأنه ولى مكة لعبد الملك بن مروان وولايته لها لا يبعد أن تكون فى زمن عبد الملك بن مروان لأنه ولى المدينة له ، وحج بالناس فى خلافته عدة سنين وإذا كان ولى ذلك لعبد الملك فولايته على مكة لعبد الملك أقرب من ولايته على مكة عليها لغيره والله أعلم .

وممن ولى مكة لعبد الملك بن مروان فيما أظن : أبان بن عثمان بن عفان والله أعلم .

ثم ولى مكة فى خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان رجلان فيما علمت : الإمام العادل عمر بن عبد العزيز[1] بن مروان ابن الحـكم الأموى رضى الله عنه ، ثم خالد بن عبد الله القسرى . فأما ولاية عمر بن عبـد العزيز رضى الله عنه فقد ذكرها جماعة منهم ابن كثير وأفاد فيما ذكره تاريخ ابتدائها لأنه قال : فى ترجمته : قالوا ولما مات عبد الملك حزن عليه ولبس المسوح تحت ثيابه سبعين يوماً . وولى الوليد فعامله بما كان يعامله به ، وولاه المدينة ومكة والطائف من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين انتهى . وقيل إن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عزل عن مكة فى سنة تسع وثمانين وقيل سنة إحدى وتسعين .

وأما ولاية خالد القسرى فاختلف فى أولهــا للخلاف فى تاريخ عزل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ودامت ولايته إلى أن مات الوليد بن عبد الملك ، وكان موته فى جمادى الآخرة سنة ست وتسعين .

ثم ولى مكة فى خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان ثلاثة نفر :

خالد القسرى ، ثم طلحة بن داود الحضرمى ، ثم عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص الأموى .

فأما ولاية خالد القسرى لسليمان فذكر الأزرقى مايدل لها وكذلك الزبير بن بـكار وما ذكره فى ذلك أصرح مما ذكره الأزرقى لأنه قال : وحدثنى محمد بن الضحاك عن أبيه أن خالد بن عبد الله القسرى أخاف عبد الله الأصغر ابن شيبة بن عثمان وهو الأعجم فهرب منه فاستجار بسليمان بن عبد الملك ، قال محمد بن الضحاك عن أبيه وخالد بن

(١) كانت توليته لمـكة عام ٨٧ هـ .

عبد الله يؤمئذ والى سليمان بن عبد الملك على مكة فكتب سليمان بن عبد الملك إلى خالد بن عبد الله ألا يهيجه وأخبره أنه قد آمنه فجاءه الكتاب فأخذ الكتاب ، ووضعه ولم يفتحه وأمر به فبرز فجلده، ثم فتح الكتاب فقال لو كنت قرأته ما جلدتك فرجع عبد الله إلى سليمان فأخبره الخبر فأمر بالكتاب فى خالد أن يقطع يده ، فكلمه فيه يزيد بن المهلب وقبل يده ، وكتب مع عبد الله إن كان خالد قرأ الكتاب ، ثم جلده قطعت يده وإن كان جلده قبل أن يقرأ الكتاب أقيد منه ، فأقيد منه عبدالله ،انتهى باختصار . ولعل فعل خالد هذا سبب عزل سليمان له وكان عزله فى سنة ست وتسعين لما سيأتى بيانه .

وأما ولاية طلحة فذكرها ابن جرير لأنه قال فى أخبار سنة ستوتسعين من الهجرة:وعزل سليمان بن عبدالملك خالد بن عبد الله القسرى عن مكة وولاها طلحة بن داود الحضرمى وذكر ابن جرير أيضا ما يدل على خلاف ما ذكره فى تاريخ ولاية طلحة لأنه قال فى أخبار سنة سبع وتسعين : وفى هذه السنة قال الواقدى: حدثنى إبراهيم ابن نافع عن ابن أبى مليكة: قال لما صدر سليمان بن عبد الملك من الحج عزل طلحة بن داود الحضرمى عن مكة ، وكان عمله عليها ستة أشهر انتهى .

وأما ولاية عبد العزيز بن عبد الله بن خالد فذكرها ابن جرير وحكى خلافا فى ابتدائها لأنه قال فى أخبار سنة ست وتسعين بعد أن ذكر ما سبق فى عزل سليمان لخالد وتوليته طلحة. وحكى:عن ابن أبى معشر أنه قال : كان الأمير على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وقال فى أخبار سنة سبع وتسعين بعد أن حكى عن الواقدى ما سبق فى عزله طلحة : وولى عليها عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وكان عبد العزيز على مكة فى ثمان وتسعين على ما ذكره ابن جرير أيضا .

ثم ولى مكة لعمر بن عبدالعزيز بن مروان رضى الله عنه فى خلافته: عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد المذكور [1] على مقتضى ما ذكر ابن جرير . لأنه ذكر فى أخبار سنة تسع وتسعين أن عامل عمر بن عبد العزيز على مكة فى هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وذكر فى أخبار سنة مائة ما يقتضى أنه كان والى مكة وذكر الأزرقى ما يقتضى ذلك أيضا لأنه روى عن أحمد بن ميسرة عن عبد المجيد بن أبى داود عن أبيه قال : قدمت مكة سنة مائة وعليها عبد العزيز بن عبد الله أميرا فقدم كتاب من عمر بن عبدالعزيز ينهى عن كراء بيوت مكة ويأمر بتسوية بيوت منى قال : فجعل الناس يدسون اليهم الكراء سرا ويسكنون انتهى .

وولى مكة لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه على ما قيل: محمد بن طلحة بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبى بكر الصديق على ماذكر ابن حبان فيما حكى عنه الذهبى فى التذهيب مختصر التهذيب، وعروة بن عياض بن عدى بن الخيار بن نوفل

(١) كانت ولايته لمكة عام ٩٩هـ حتى عام ١٠١ .



ابن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي على ماذكرصاحب الـكامل ووجدت ذلك بخط الذهبي في ترجمته في تاريخ الإسلام، وعبدالله بن قيس بن مخرمة بن المطلب القرشي وعثمان بن عبيد الله بن سراقة العدوى وولايتهما ذكرها الفاكهي وفي ولايتهما وولاية الذي قبلهما على مكة لعمر بن عبد العزيز في خلافته نظر لما ذكره ابن جرير من أن عبد العزيز بن عبد الله كان عامل مكة لعمر بن عبد العزيز مدة خلافته كما سبق. ولعل المذكورين ولوا مكة لعمر في زمن ولايته لها عن الوليد بن عبد الملك في المدة التي كان يقيمها بالمدينة. فإنها كانت في ولايته أيضاً والله أعلم.

ثم ولي مكة في خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان جماعة أولهم عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد المذكور لأن ابن جرير ذكر أنه كان على مكة في سنة إحدى ومائة. وذكر أنه كان على مكة في سنة اثنتين ومائة.

ثم عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس القرشي الفهري مع المدينة وولايته لمكة في سنة ثلاثة ومائة، وللمدينة في سنة إحدى ومائة.

ثم ولي مكة عبد الواحد بن عبد الله النصري من نصر بن معاوية، بعد عزل عبد الرحمن بن الضحاك في سنة أربع ومائة مع الطائف والمدينة. ثم ولي مكة في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان جماعة أولهم عبد الواحد المذكور، ومدة ولايته لذلك في خلافة يزيد وهشام سنة وثمانية أشهر على ما ذكر ابن الأثير.

ثم ولي مكة بعده إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك: في سنة ست ومائة. وولي مع ذلك الطائف والمدينة ودامت ولايته على مكة إلى سنة ثلاث عشرة وقيل سنة أربع عشرة ومائة.

ثم ولي مكة أخوه محمد بن هشام بن اسماعيل المخزومي، ودامت ولايته إلى سنة خمس وعشرين على ما قيل.

وممن ولي مكة لهشام بن عبد الملك بن مروان: نافع بن علقمة الـكناني، ذكر ولايته الفاكهي وذكر أنه وليها لأبيه.

وممن وليها في خلافة عبد الملك بن مروان أو في خلافة أحد من أولاده الأربعة: أبو جراب محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن الحرث بن أمية الأصغر الأموي، ذكر ولايته على مكة الفاكهي، وهكذا نسبه وذكر ما يقتضي أنه كان واليا على مكة في زمن عطاء بن أبي رباح.

ثم ولي مكة في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بعد عزل محمد بن هشام خال الوليد المذكور: يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي مع الطائف والمدينة في سنة خمس وعشرين، ودامت ولايته إلى انقضاء خلافة الوليد بن يزيد، سنة ست وعشرين.

ثم ولي مكة في خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي: عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ابن مروان فيما أظن والله أعلم.

ثم ولى مكة فى خلافة مروان ـ المعروف بالحمار ـ بن محمد بن مروان الأموى خاتمة خلفاء بنى أمية : عبد العزيز ابن مروان . ودامت ولايته إلى أن حج بالناس فى سنة ثمان وعشرين ومائة .

ثم ولى مكة بعد عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان مع المدينة والطائف فى سنة تسع وعشرين ودامت ولايته إلى أن حج بالناس فى هـذه السنة .

ثم ولى مكة بعد الحج من هذه السنة أبو حمزة الخارجى الأباضى واسمه المختار بن عوف تغلب على مكة ، وذلك أن عبد الله بن يحيى الأعور الكندى المسمى طالب الحق بعد أن ملك حضرموت وصنعاء(١) وظفار(٢) وطرد عنها عامل مروان: القاسم بن عمر الثقفى بعث إلى مكة أبا حمزة الخارجى المذكور فى عشرة آلاف فخاف منهم عبد الواحد ابن سليمان والى مكة وخذله أهلها ففارقها فى النفر الأول وقصد المدينة فغلبه أبو حمزة على مكة ثم سار منها بعد أن استخلف عليها أبرهة بن الصباح الحميرى فلقى بقديد(٣) الجيش الذى أنفذه عبد الواحد بن سليمان لقتال أبى حمزة فظفر أبو حمزة وذلك فى صفر من سنة ثلاثين وسار إلى المدينة فدخلها وقتل فيها جماعة منهم أربعون رجلا من بنى عبد العزى، ولما بلغ مروان خبره جهز إليه عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى فى أربعة آلاف فارس فسار ابن عطية حتى لقى بوادى(٤) القرى بلجا وهو على مقدمة أبى حمزة فقتل بلجا وعامة أصحابه ثم سار ابن عطية يطلب أبا حمزة فأدركه بمكة بالأبطح ومع أبى حمزة خمسة عشر ألفا ففرق عليه ابن عطية الخيل من أسفل مكة ومن أعلاها ومن قبل منى فاقتتلوا إلى نصف النهار فقتل أبرهة بن الصباح عند بئر ميمون وقتل أبو حمزة وقتل خلق من جيشه . هـذا ملخص بالمعنى مما ذكره الذهبى فى تاريخ الإسلام نقلا عن خليفة بن خياط فى خبر أبى حمزة .

وفى تاريخ ابن الأثير ما يخالف ذلك فى مواضع :

منها أنه كان مع أبى حمزة لما وافى عرفة سبعمائة رجل .

---

(١) حضرموت: مخلاف من اليمن أو هى القسم الثالث من اليمن لأن اليمن كانت تقسم قديما إلى ثلاثة أقسام أو ثلاثة مخاليف: مخلاف الجنة بفتح الجيم والنون، ومخلاف صنعاء، ومخلاف حضرموت . ولها ميناء على الجراسم (المكلا) .

(٢) ظفار بالظاء المعجمة : منطقة من مناطق اليمن .

(٣) قديد بالتصغير: مكان معروف فى طريق مكة المدينة ،وهو إلى مكة أقرب ، وما زال معروفا بهذا الاسم إلى الآن.

(٤) وادى القرى، واد من أودية الحجاز المشهورة ، ويقع فى الشمال بعد المدينة متجها إلى الشام . وهو كثير القرى والآبار والمزارع ، ولذلك قيل له : وادى القرى .

ومنهـا أنه ذكر ما يقتضى أن أبا حمزة لقى ابن عطية بوادى القرى ، وأنه قتل فى الوقعة التى بوادى القرى والله أعـلم .

وذكر ابن الأثير أن ابن عطية لما سار إلى اليمن لقتال طالب الحق استخلف على مكة رجلا من أهل الشام ولم يسمه، ورأيت فى مختصر تاريخ ابن جرير أن هذا الرجل يقال له ابن ماعز ، وهذا يقتضى أن يكون عبد الملك بن محمد السعدى المذكور ولى مكة لمروان ، ولا يبعد أن يجعل ذلك مروان لعبد الملك أو نزع من أبى حمزة ما تغلب عليه وقد يسر الله ذلك لابن عطية وكان من أمره بعد مسيره من مكة لقتال طالب الحق أنهما التقيا فقتل طالب الحق وبعث عبدالملك أبرهة إلى مروان وكتب مروان إلى عبد الملك كتابا بالقدوم إلى مكة لإقامة الحج للناس ، فسار فى نفر قليل فخرج عليه بعض العرب فقتلوه بعد أن أظهر لهم كتاب مروان بتأميره على الحج فلم يقبلوا ذلك منه وقالوا له ولمن معه إنما أنتم لصوص.. وولى مكة لمروان الوليد بن عروة السعدى ابن أخى عبد الملك على ما ذكر ابن جرير وذكر أنه كان على مكة فى سنة إحدى وثلاثين ومائة وعلى الطائف والمدينة من قبل عمه وهـذا لا يعارض ما سبق من بنى عمه قيل فى سنة ثلاثين لإمكان أن يكون كتب إليه من اليمن بولاية ذلك وأقره مروان على ذلك بعد قتل عمه والله أعلم .

وذكر ابن الأثير ما يقتضى أن محمد بن عبد الملك بن مروان كان على مكة والمدينة والطائف فى سنة ثلاثين ومائة وأنه حج بالناس فيها، ولم أر فى مختصر تاريخ ابن جرير ولايته لذلك وإنما فيه أنه حج بالناس فى سنة ثلاثين ومائة،على أن النسخة التى رأيت فيها ذلك من تاريخ ابن الأثير لا تخلو من سقم ، والله أعلم بالصواب .

ورأيت فى نسخة من تاريخ ابن الأثير اضطراباً فى اسم ابن أخى عبد الملك الذى ولى مكة كما سبق ذكره، هل هو الوليد بن عروة [1] أو هو عروة بن الوليد ؟ والصواب الوليد كما ذكره ابن جرير والعتيقى فى أمراء الموسم والله أعـلم .

ثم ولى مكة فى خلافة أبى العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أول خلفاء بنى العباس : عمه داود بن على بن عبـد الله بن العباس فى سنة اثنين وثلاثين ومائة ، وولاه مع مكة المدينة واليمن واليمامة [2] ودامت ولايته حتى مات فى سـنة ثلاث وثلاثين فى ربيع الأول بالمدينة بعد أن قتل من ظفر به من بنى أمية بمكة والمدينة .

---

(١) أى الوليد بن عروة السعدى .

(٢) اليمامة : منطقة فى نجد بينها وبين البحرين عشرة أيام وبها كانت منازل طسم وجديس، وبها كانت دعوة مسيلمة الكذاب وفتحها خالد بن الوليد فى زمن أبى بكر الصديق وبها قتل مسيلمة الكذاب وعادت إلى الإسلام . ويقال : إنها كانت من مخاليف مكة أى من ملحقاتها ، وكان يضم إلى حكام مكة حكم اليمامة أحيانا .

ثم ولى مكة بعد دواد : زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثى ، خال السفاح ، مع الطائف والمدينة واليمامة ، ودامت ولايته إلى سنة ست وثلاثين ومائة على مايقتضيه كلام ابن الأثير .

ثم ولى مكة بعده: العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمى، فى سنة ست وثلاثين ومائة للسفاح على ماذكر ابن الأثير ، وذكر مايقتضى أن ولايته دامت على مكة حتى مات السفاح وسيأتى إن شاء الله تعالى ذلك . وذكر ابن حزم أنه ولى مكة للسفاح وقال : كان رجلا صالحاً . انتهى .

وممن ولى مكة للسفاح عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوى على ماذكر ابن حزم فى الجمهرة وذلك غير ملائم لما ذكره ابن الأثير من كون زياد بن عبيد الله الحارثى دامت ولايته على مكة إلى سنة ست وثلاثين ومائة ، وأن العباس بن عبد الله بن معبد وليها بعده حتى مات السفاح والله أعلم .

ثم ولى مكة فى خلافة المنصور أبى جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس أخى السفاح: العباس بن عبد الله ابن معبد المذكور ، لأن ابن الأثير قال فى أخبار سنة سبع وثلاثين : وعلى مكة العباس بن عبد الله بن معبد ومات العباس بعد انقضاء الموسم .

ثم ولى مكة بعده زياد بن عبيد الله الحارثى المقدم ذكره على ما ذكر ابن الأثير وغيره ، مع المدينة والطائف ، ودامت ولايته إلى سنة إحدى وأربعين ومائة ، وهو الذى تولى للمنصور عمارة ما زاده فى المسجد الحرام .

ثم ولى مكة بعد عزل زياد : الهيثم بن معاوية العتكى الخراسانى مع الطائف فى سنة إحدى وأربعين ومائة ودامت ولايته إلى ثلاث وأربعين ومائة .

ثم ولى مكة بعد عزله : السرى بن عبد الله بن الحرث بن العباس بن عبد المطلب مع الطائف فسار السرى إلى مكة ودامت ولايته عليها إلى سنة خمس وأربعين ومائة .

ثم ولى مكة بعده بالتغلب محمد بن الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب القرشى الهاشمى الجعفرى لأن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الملقب بالنفس الزكية [1] لما ثار فى سنة خمس وأربعين بالمدينة وغلب عليها استعمل محمدا هذا على مكة ، والقاسم بن إسحاق على اليمن ، فسار إلى مكة فخرج إليها السرى ابن عبد الله المقدم ذكره فلقيهما ببطن أذاخر [2] فهزماه ودخل محمد مكة وأقام بها يسيرا فأتاه كتاب محمد بن عبد الله ابن الحسن يأمره بالمسير إليه فيمن معه ويخبره بمسير عيسى بن موسى إليه لمحاربته، فسار إليه من مكة هو والقاسم

---

(١) كان ميلاد النفس الزكية عام ١٠٠ من الهجرة، ووفاته عام ١٤٥ هـ .

(٢) هو الوادى الموصل بين الزاهد وفخ إلى جبل أذاخر بطريق منى .

فبلغه بنواحى قديد وقتل محمد النفس الزكيـة[١] فهرب هو وأصحابه وتفرقوا فلحق محمد بن الحسن بن إبراهيم بن عبد الله أخى محمد بن عبد الله فأقام عنده حتى قتل إبراهيم. ذكر هذا بالمعنى ابن الأثير.

ورأيت فى كتاب « النسب للزبير بن بكار » ما يقتضى أن الذى ولاه محمد بن عبد الله بن الحسن على مكة حسن ابن معاوية والد محمد بن حسن المقدم ذكره ، والله أعلم بالصواب.

ثم ولى السرى مكة ودامت ولايته عليها إلى سنة ست وأربعين ومائة.

ثم ولى مكة بعده عبد الصمد بن على بن عبد الله بن العباس العباسى، عم المنصور والسفاح ، وولى مع ذلك الطائف ودامت ولايته إلى سنة تسع وأربعين ومائة ، وقيل: إلى سنة خمسين ، وقيل : إنه كان على مكة فى سنة سبع وخمسين، وهذا إن صح فهو ولاية ثانية لعبد الصمد على مكة ، والله أعلم.[٢]

ثم ولى مكة بعد عبد الصمد: محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس العباسى ودامت ولايته فى غالب الظن إلى سنة ثمان وخمسين.

ثم ولى مكة فى خلافة المهدى[٣] محمد بن المنصور العباسى : ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس مع الطائف بوصية من المنصور.

ثم ولى مكة جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس العباسى مع الطائف ، وكان على ذلك فى سنة إحدى وستين[٤] ، وفى سنة ثلاث وستين كان على المدينة فى هذه السنة.

ثم ولى مكة عبد الله[٥] بن قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبيد المطلب مع الطائف وكان واليا على ذلك فى سنة ست وستين، وفى سنة تسع وستين.

وممن ولى مكة فى خلافة المهدى : محمد بن إبراهيم الإمام العباسى المقدم ذكره، ذكر ولايته على مكة للمهدى الفاكهى.

وممن ولى مكة فى خلافة المهدى: فيما أظن والله أعلم : قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب

---

(١) « محمد النفس الزكية » لا توجد فى النسخة (ك) وفيها : وقتل ، بدل : قتل.

(٢) يذكر صاحب «الرحلة الحجازية» ، وصاحب مرآة الحرمين: أن عبد الصمد ظل يلى أمر مكة إلى عام ١٤٧ هـ ، ولا أدرى ممن أخذ هذا.

(٣) امتدت خلافة المهدى من عام ١٥٨ هـ حتى عام ١٦٩ هـ ، وهو ابن الخليفة المنصور.

(٤) يريد : احدى وستين بعد المائة ، وكذلك فيما بعدها.

(٥) فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم طبعة بروفنسال : عبيد الله ــ المرجع ص ١٧ . وكذلك هى فى النسخة الخطية لمكتبة طلعت بالقاهرة.

الهاشمى ، والد عبيد الله المذكور، لأن ابن حزم قال فى الجمهرة[١] لما ذكر أولاد عبيد الله بن العباس بن عبدالمطلب، فمن ولده قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ولى مكة واليمامة وابنه عبيد الله[٢] بن قثم ولى مكة للرشيد[٣] انتهى . وإنما ظننا أن ولاية قثم فى خلافة المهدى لأن ابن الأثير ذكر فى كل سنة من خلافة السفاح والمنصور من كان والى مكة ولم يذكر ولاية قثم هذا فى سنة من سنى خلافة السفاح والمنصور . وذكر ابن الأثير أيضا ولاة مكة فى زمن الرشيد ، فى ترجمة ترجم عليها بقوله : ذكر ولاة مكة وسردهم كما سيأتى ذكره ولم يذكر قثم المذكور فيهم فغلب على الظن أنه ولى مكة فى خلافة المهدى لأنه لم يذكر فى كل سنة من خلافته من ولى فيها مكة . وإنما ذكر ذلك فى بعض السنين ولم يذكر ولاتها فى خلافته جملة كما ذكرها جملة فى خلافة الرشيد ويحتمل أن يكون وليها فى خلافة الهادى قبل ابنه عبيد الله بن قثم أو بعده والله أعلم .

ثم ولى مكة فى خلافة الهادى[٤] موسى بن المهدى العباسى: عبيد الله بن قثم بن العباس المقدم ذكره على مقتضى ما ذكر ابن جرير لأنه قال فى أخبار سنة تسع وستين وهى السنة التى فى أولها أفضت الخلافة إلى الهادى بعد أن ذكر من كان فيها على ولاية المدينة : وعلى مكة والطائف عبيد الله بن قثم انتهى .

وولى مكة فى خلافة الهادى بالتغلب: الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الحسنى ، لأنه ثار بالمدينة وفتك بمن فيها من جماعة الهادى ونهبوا بيت المال بالمدينة وبويع على كتاب الله وسنة نبيه ، وخرج هو وأصحابه إلى مكة لست بقين من ذى القعدة سنة تسع وستين . ولما بلغوا مكة أمر الحسين فنودى فيها : أيما عبد أتانا فهو حر ؛ فأتاه العبيد ، وكان الهادى لما انتهى إليه خبره كتب إلى محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بتوليته على حربه ، وكان محمد بن سليمان قد توجه فى هذه السنة للحج فى رجال أهل بيته ومعه خيل وسلاح فقدموا مكة وطافوا وسعوا وحلوا من العمرة وعسكروا بذى طوى وانضم عليهم من حج من شيعتهم ومواليهم وقوادهم والتقوا مع الحسين وأصحابه فقتل الحسين فى أزيد من مائة من أصحابه وانهزم بعضهم إلى مضر وغيرها وكان القتال فى يوم التروية بفخ ، ظاهر مكة . وقبر الحسين هذا معروف إلى الآن فى قبة تكون على يمين الداخل إلى مكة ويسار الخارج منها بقرب الموضع المعروف بالزاهر ، وحمل رأسه بعد قتله إلى الهادى فلم يعجبه ذلك وقال : كأنكم قد جئتم برأس طاغوت من الطواغيت إن أقل ما أجزيكم أن أحرمكم جوائزكم ، فلم يعطهم شيئا . وكان الحسين شجاعاً كريماً قدم على المهدى فأعطاه أربعين ألف دينار ، ففرقها فى الناس فى بغداد والكوفة وخرج من

(١) هى جمهرة أنساب العرب، وهى مطبوعة .
(٢) فى الأصل : عبد الله : وفى الجمهرة : عبيد الله ،وكذلك فى الرحلة الحجازية ص ٨٣ .
(٣) راجع صفحة ١٧ الجمهرة طبعة المستشرق برفنسال .
(٤) مدة خلافة الهادى عام واحد، من عام ١٦٩ ،إلى عام ١٧٠ هـ .

الـكوفة لا يملك ما يلبسه إلا فروة ما تحتها قميص ؛ فالله يرحمه و يغفر له[١] .

ومن ولى مكة فى خلافة الهادى أو خلافة أخيه الرشيد: محمد بن عبد الرحمن السفيانى ، وولايته لأمر مكة ذ كرها الفا كهى لأنه قال : وكان ممن ولى مكة بعد ذلك محمد بن عبد الرحمن السفيانى كان على قضاء مكة و إمارتها انتهى. وذكر الزبير بن بكار : أن الهـادى استقضاه على مكة وأن الرشيد أقره حتى صرفه المأمون ، فولاه قضاء بغداد شهرا ثم صرفه انتهى . ولعل محمد بن عبد الرحمن السفيانى هذا ولى إمرة مكة مع قضائها فى زمن الأخوين الهادى والرشيد، أو فى زمن أحدهما والله أعلم .

ثم ولى مكة فى خلافة الرشيد هارون بن المهدى العباسى[٢] جماعة ذكرهم ابن الأثير من غير ترتيب فى الأسماء ولا فى الولاية ولا رفع فى أنسابهم ، ونحن نذكرهم مرتبين فى الأسمـاء ونوضح فى نسبهم مالم يوضحه ابن الأثير ، وهم :

أحمد بن إسماعيل بن على بن عبد الله بن عباس، وحماد البربرى، وسليمان بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله ابن عباس ، والعباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، والعباس بن محمد بن إبراهيم الإمام ، وعبد الله بن محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمى ، وعبيد الله بن قثم ابن العباس المقدم ذكره ، وعبيد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام ، وعلى بن موسى بن عيسى أخو العباس ، والفضل ابن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، ومحمد بن إبراهيم الإمام ، ومحمد بن عبد الله بن سعيد بن المغيرة ابن عمرو بن عثمان بن عفان العثمانى ، وموسى بن عيسى بن موسى بن محمـد بن على والد العباس وعلى المقدم ذكرهما .

ولم يذكر ابن الأثير من تاريخ ولاية ولاة مكة الذين ذكرهم إلا ولاية عبيد الله بن قثم ، ذكر أنه كان على مكة سنة سبعين[٣]؛ و إلا ولاية حماد البربرى، والفضل بن العباس ، وتاريخ ولاية حماد سنة أربع وثمانين ، وتاريخ ولاية الفضل سنة إحدى وتسعين ، وذكر أن الرشيـد ولى حمادا اليمن مع مكة ، ورأيت فى تاريخ ابن جرير وابن كثير ما يقتضى أن ولاية محمد بن إبراهيم الإمام فى خلافة الرشيد سنة ثمان وسبعين ومائة ، ورأيت فى أخبار مكة للفاكهى ما يقتضى أن العثمانى كان والياً على مكة للرشيد سنة ست وثمانين ، وأن ولاية سليمان بن جعفر بن سليمان لمـكة فى هذه السنة بعد عزل العثمانى .

---

(١) وكان ميلاد الحسين عام ١٢٨ هـ، وقتل عام ١٦٩ هـ فى يوم التروية بفخ .

(٢) كانت خلافته بعد موت أخيه الهادى عام ١٧٠ هـ ، وامتدت ثلاثا وعشرين سنة حتى عام ١٩٣ هـ.

(٣) أى بعد المائة .

وولى مكة فى خلافة الأمين محمد بن هارون الرشيد العباسى [١] : داود بن عيسى ، بن موسى ، بن محمد ، بن على ، بن عبد الله ، بن عباس ، العباسى . وكان على مكة فى سنة ثلاث وتسعين ، ودامت ولايته إلى انقضاء خلافة الأمين .

وولى للأمين المدينة أيضا ، وهو الذى تولى خلع الأمين بمكة سنة ست وتسعين .

وولى مكة فى خلافة المأمون عبدالله بن هارون الرشيد العباسى [٢] : داود بن عيسى المذكور لأنه لما خلع الأمين فى رجب سنة ست وتسعين لنقضه العهد الذى كان عهده الرشيد بينه و بين أخيه المأمون بايع المأمون بالحرمين ، وسار إلى المأمون حتى أعلمه بذلك وسر به المأمون وتيمن ببركة مكة والمدينة واستعمل عليهما داودوأضاف إليه ولاية عك وأعطاه خمسمائة ألف درهم معونة له وسار إلى مكة ودامت ولايته عليها إلى أن كان وقت الوقوف من سنة تسع وتسعين ومائة ثم فارق مكة متخوفا من الحسين بن الحسن بن على بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب المعروف بالأفطس مع قدرة داود على الدفع والقتال ، وولى مكة بعد خروج داود منها الحسين الأفطس المذكور بالتغلب، لأن أبا السرايا السرى بن منصور الشيبانى داعية ابن طباطبا [٣] بعد استيلائه على الكوفة وضربه بها الدراهم و بعثه الجيوش إلى البصرة وواسط ونواحيها ولى الحسين المذكور مكة وجعل إليه الموسم ، ووجهه أبو السرايا أيضا واليا على المدينة وواليا على اليمن ولما بلغ داود بن عيسى توجيه أبى السرايا للحسين فارق مكة هو ومن بها من شيعة بنى العباس وقت الحج وكان الحسين حين بلغ سرف [٤] تخوف من دخول مكة حتى بلغه خلوها من ابن العباس فدخلها فى عشرة أنفس فطافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة ومضوا إلى عرفة فوقفو ليلا ثم رجعوا إلى المزدلفة فصلى حسين بالناس الصبح وأقام بمنى أيام الحج ثم صار إلى مكة فلما كان مستهل المحرم سنة مائتين نزع الحسين كسوة الكعبة وكساها الكسوة التى أنفذها معه أبو السرايا وكانت كسوتين من قز رقيق إحداهما صفراء والأخرى بيضاء وأخذ ما فى خزانة الكعبة فقسمه مع كسوتها على أصحابه وهرب الناس من مكة لأن أصحاب الحسين كانوا يأخذون أموال الناس بحجة أنها ودائع لبنى العباس [٥] ودامت ولاية الحسين على مكة إلى أن بلغه قتل أبى السرايا فى سنة مائتين . وذكر العتيقى فى أمراء الموسم ما يقتضى أن الحسين الأفطس ولى مكة قبل التروية لأنه قال : وكان أمير الموسم سنة تسع وتسعين محمد بن داود بن عيسى بن موسى ، فلما كان

---

(١) كانت خلافته خمسة أعوام ، بدأت بوفاة والده عام ١٩٣ ، وامتدت حتى مقتله عام ١٩٨ هـ .

(٢) امتدت خلافة المأمون عشرين عاما من عام ١٩٨ هـ . وهو العام الذى قتل فيه أخوه حتى عام ٢١٨ هـ،وكان قائد الجيش للمأمون طاهر بن الحسين وهو الذى تولى قتل المأمون .

(٣) ولد ابن طباطبا عام ١٧٣هـ ، وقتل عام ١٩٩ هـ .

(٤) سرف : موضع معروف بقرب مكة وبه قبر السيدة ميمونة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم .

(٥) يجب أن يرتاب القارئ فى مثل هذه الروايات لأن دعاية العباسيين كانت تسىء إلى العلويين كما كانت دعاية الأمويين تسىء إليهم أيضا ؟

بمنى قبل التروية بيوم وثب ابن الأفطس العلوى بمكة وغلب عليها وصار إلى منى فتنحى عنه محمد بن داود ولم يمض إلى عرفة، ومضى الناس إلى عرفات بغير إمام ، ودفعوا بغير إمام ، وأقام الأفطس الموقف ليلا فوقف ثم صار إلى المزدلفة فصلى بالناس صلاة الفجر ووقف بهم عند المشعر ودفع بهم غداة جمع ، وصار إلى منى انتهى . و إنما ذكرنا ما ذكر العتيق لمخالفته ما ذكرناه قبل فى وقت استيلاء الحسين على مكة، فإن الذى ذكرناه قبل يقتضى أنه لم يدخل مكة إلا ليلة عرفة والله أعلم .

ثم ولى مكة بعد الأفطس:محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب الحسينى الملقب بالديباجة لجمال وجهه ، وسبب ذلك أن حسينا الأفطس لما بلغه قتل أبى السرايا رأى أن الناس تغيروا عليه لقبح سيرته وسيرة أصحابه فأتى هو وأصحابه إلى محمد بن جعفر وسألوه فى المبايعة له بالخلافة فكره محمد ذلك فاستعانوا عليه بابنه على ولم يزالوا به حتى بايعوه بالخلافة فى ربيع الأول سنة مائتين ، وجمعوا الناس على بيعته طوعا وكرها وسموه أمير المؤمنين فبقى شهورا وليس له من الأمر شىء وابنه على والحسين الأفطس وجماعتهم على أقبح سيرة ولم يلبثوا إلا يسيرا حتى قدم إسحاق بن موسى العباسى من اليمن فاراً من إبراهيم بن موسى بن جعفر ، فنزل المشاش(١) واجتمع إليه جماعة من أهل مكة هربوا من العلويين واجتمع الطالبيون إلى محمد بن جعفر وجمعوا الناس من الأعراب وغيرهم وحفروا خندقا فقاتلهم إسحاق ثم كره القتال فسار نحو العراق فلقيه الجند الذين أنفذهم هرثمة إلى مكة وكان فيهم الجلودى وورقاء بن جميل فقالا لإسحاق: ارجع معنا ونحن نكفيك القتال فرجع معهم ولقيهم الطالبيون ببئر ميمون وكان قد اجتمع إلى محمد غوغاء أهل مكة وسودان البادية والأعراب فالتقى الفريقان فقتل جماعة ثم تحاجزوا ثم التقوا من الغد فانهزم العلويون ومن معهم وطلب الديباجة الأمان فأجلوه ثلاثا ثم نزح عن مكة وتفرق كل قوم من الطالبيين من ناحية ، ودخل العباسيون مكة فى جمادى الآخرة سنة مائتين ، وتوجه محمد بن جعفر نحو بلاد جهينة فجمع بها وقاتل والى المدينة هارون بن المسيب عند الشجرة(٢) وغيرها مرات ، وانهزم محمد بن جعفر بعد أن فقئت عينه بنشابة وقتل من أصحابه خلق كثير ورجع إلى موضعه ، ثم طلب الأمان من الجلودى ومن ورقاء فأمناه وضمن له ورقاء عن المأمون وعن الفضل(٣) الأمان فقبل ذلك وأتى مكة لعشر بقين من ذى الحجة سنة مائتين فصعد به الجلودى المنبر بمكة والجلودى فوقه فى المنبر وعليه قباء أسود ، فاعتذر من خروجه ، بأنه بلغه موت المأمون وقد صح عنده الآن حياته وخلع نفسه واستغفر ، ثم سار إلى العراق حتى بلغ المأمون بمرو فعفا عنه و بقى قليلا ثم مات فجأة

(١) المشاش : واد قرب عرفات ، أو جبل بقربها .

(٢) الشجرة، مكان قرب المدينة المنورة : كان النبى صلى عليه وسلم يحرم منه إذا أراد الحج أو العمرة . وهى غير شجرة البيعة المذكورة فى القرآن الكريم ، فان هذه الشجرة فى الحديبية قريبا من مكة المكرمة فى الطريق إلى جدة .

(٣) الفضل بن سهل: وزير المأمون .

بجرجان فصلى عليه المأمون ونزل فى لحده وقال هذه رحم قطعت من سنين وكان موته فى شعبان سنة ثلاث ومائتين وسبب موته على ما قيل أنه جامع ودخل الحمام وافتصد فى يوم واحد .

وولى مكة فى خلافة المأمون بعد هزيمة الطالبيين : عيسى بن يزيد الجلودى ؛ لأن فى خبر الديباجة الذى حكاه الذهبى فى تاريخ الإسلام : أن عيسى الجلودى لما خرج بالديباجة إلى العراق استخلف على مكة ابنه محمداً انتهى بالمعنى .

وذكر ابن حزم فى الجمهرة مايدل لولاية الجلودى على مكة لأنه ذكر أن يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومى استخلفه عيسى بن يزيد الجلودى على مكة فدخلها عنوة إبراهيم بن موسى [1] بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين وقتل يزيد بن محمد ، انتهى . فاستفدنا من هذا ولاية الجلودى على مكة ونيابة ابن حنظلة له وقتله ، وكان قتله فى سنة اثنتين ومائتين وإن كان إبراهيم بن موسى المذكور والياً على مكة فى هذه السنة كما سيأتى بيانه والله أعلم .

وولى مكة بعد عزل الجلودى : هارون بن المسيب لأنى نقلت من كتاب «مقاتل الطالبيين» عن أبى العباس أحمد بن عبد الله بن عمار الثقفى [2] فيما رواه من كتاب هارون بن عبد الملك الزيات قال : حدثنى أبو جعفر محمد بن عبد الواحد بن النصر بن القاسم مولى عبد الصمد بن على أن عيسى بن يزيد الجلودى أقام بمكة وهى مستقيمة والمدينة حتى قدم هارون بن المسيب واليا على الحرمين فبدا منه بمكة فصرف الجلودى عنها وحج بالناس وانصرف إلى المدينة فأقام سنة انتهى .

وولى مكة للمأمون حمدون بن على بن عيسى بن ماهان على ما ذكر الأزرقى لأنه قال فى أخبار سيول مكة : وجاء سيل فى سنة اثنتين ومائتين فى خلافة المأمون [3] وعلى مكة يزيد بن محمد بن حنظلة خليفة لحمدون بن على بن عيسى ابن ماهان انتهى . ولا تعارض بين ماذكره ابن حزم من ولاية ابن حنظلة للجلودى وبين ما ذكره الأزرقى من ولاية ابن حنظلة لابن ماهان لإمكان أن يكون وليها للجلودى ولابن ماهان والله أعلم . ولا معارضة أيضا بين ماذكره الذهبى من ولاية محمد بن الجلودى على مكة لأبيه، وبين ماذكره ابن حزم من ولاية ابن حنظلة على مكة للجلودى لإمكان أن يكون الجلودى ولى مكة لابنه ولابن حنظلة والله أعلم .

وولى مكة للمأمون إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، هكذا نسبه العتيقى [4] وذكر أنه حج بالناس سنة اثنتين ومائتين وهو أمير مكة للمأمون وأخوه على بن موسى الرضا ولى عهد

---

(١) هو الملقب بالكاظم .
(٢) أديب عالم راوية توفى عام ٣١٤ هـ .
(٣) وكان يقال له سيل بن حنظلة (٢٦ — ٢ الأزرقى)
(٤) يلقب بالكاظم .

المأمون انتهى . ولا معارضة بين ما ذكره العتيقى من أن إبراهيم كان على مكة فى سنة اثنتين ومائتين و بين ماذكره الأزرقى من أن ابن حنظلة كان على مكة فى سنة اثنتين ومائتين خليفة لحمدون بن على لإمكان أن يكون حمدون كان على مكة فى أول سنة اثنتين ومائتين و إبراهيم كان على مكة فى آخر هذه السنة والله تعالى أعلم .

وولى مكة للمأمون عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن على بن أبى طالب مع المدينة فى سنة أربع ومائتين وكان على مكة والمدينة أيضا فى سنة خمس وسنة ست ومائتين ، ولعل ولايته دامت إلى سنة تسع .

ثم ولى مكة صالح بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس العباسى فى سنة عشر ومائتين[1] ودامت ولايته فيما أظن إلى أن حج بالناس فى سنة اثنتى عشرة ومائتين ، ثم وليها بعده فيما أظن سليمان بن عبد الله بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس العباسى لأن يعقوب بن سفيان ذكر أنه ولى مكة والمدينة سنة أربع عشرة ومائتين وكان ابنه على مكة مرة وعلى المدينة مرة، وكان هو وأبوه يتداولان العمل على المدينة ومكة انتهى .

وولى مكة فى خلافة المأمون محمد بن سليمان المذكور لأن الأزرقى قال فى الترجمة التى ترجم عليها بقوله : «ماجاء فى أول من استصبح حول الكعبة» :فلم يزل مصباح زمزم على عمود طويل مقابل الركن الأسود الذى وضعه خالد القسرى ، فلما كان محمد بن سليمان على مكة فى خلافة المأمون فى سنة ست عشرة ومائتين وضع عمودا طويلا مقابله بحذاء الركن الغربى انتهى . والظاهر أنه ابن سليمان المذكور لقرب ولايتهما ولتأخر ولاية محمد بن سليمان الزينبى على مكة فإنه لم يلها إلا فى آخر خلافة المتوكل فيما علمت ، ولا هو محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس الذى أمره الهادى على حرب الحسين صاحب فخ الكوفة لكونه مات فى سنة ثلاث وسبعين ومائة على ماذكره المسبحى وغيره ، والله أعلم .

وممن ولى مكة للمأمون: عبيد الله بن عبد الله بن حسن بن جعفر بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ذكر ولايته عليها الزبير بن بكار أفادنى ذلك بعض أصحابنا المعتمدين .

وممن ولى مكة للمأمون:الحسن بن سهل أخو الفضل بن سهل إلا أنه لم يباشر ذلك بنفسه و إنما عقدت له عليها الولاية لأن المأمون فى سنة ثمان وتسعين بعد أن قتل الأمين،استعمل الحسن بن سهل على كل ماافتتحه طاهر بن الحسين من كور الجبال والعراق وفارس والأهواز والحجاز واليمن ، على ماذكر ابن الأثير وغيره .

وممن ولى مكة فى خلافة المعتصم[2] محمد بن هارون الرشيد:صالح بن العباس المذكور ، وكان على مكة فى سنة

(١) يجعل صاحب مرآة الحرمين وصاحب الرحلة الحجازية أن بدء ولايته كان عام ٢١٨ هـ (٨٣ الرحلة الحجازية ـ مرآة الحرمين) .

(٢) كانت خلافة المعتصم بعد موت أخيه المأمون عام ٢١٨ هـ ، وامتدت حتى عام ٢٢٧هـ .

تسع عشرة ومائتين على ماذكره الفاكهى .

ثم وليها محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس العباسى الملقب تُرُنجة فى سنة اثنتين وعشرين ومائتين ولعل ولايته دامت إلى أثناء خلافة المتوكل والله أعلم .

وممن ولى مكة فى خلافة المعتصم: أشناس التركى أحد كبار قواد المعتصم لأن ابن الأثير ذكر فى أخبار سنة ست وعشرين ومائتين أن أشناس لما أراد الحج فى هذه السنة جعل إليه المعتصم ولاية كل بلد يدخلها فحج فيها واستناب على الحج بالناس محمد بن داود أى السابق ذكره ، ودعى لأشناس على منابر الحرمين وغيرهما من البلاد التى اجتاز بها حتى عاد إلى سامرا[1] انتهى . وذكر ابن الأثير أيضا أن أشناس هذا مات فى سنة ثلاثين ومائتين .

وولى مكة فى خلافة المتوكل أبى الفضل جعفر بن الواثق هارون بن المعتصم[2] : على بن عيسى بن جعفر بن أبى جعفر المنصور العباسى سنة ثمان وثلاثين ودامت ولايته إلى أن توفى سنة تسع وثلاثين هكذا ذكر ابتداء ولايته وانتهاءها بوفاته المسبحى فى تاريخه ، وذكر ابن الأثير مايقتضى أنه لم يكن واليا على مكة فى سنة ثمان وثلاثين والله أعلم . وذكر ابن الأثير أيضا ولايته فى سنة تسع وثلاثين .

ثم ولى مكة بعده عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى العباسى المقدم ذكر والده وذلك فى سنة تسع وثلاثين على ماذكر المسبحى، وذكر أن عبد الله حج بالناس سنة تسع وثلاثين وكلام ابن الأثير يقتضى أنه ولى مكة فى سنة ثمان وثلاثين ودامت ولايته إلى آخر سنة إحدى وأربعين ومائتين على مقتضى ماذكر ابن الأثير وذكر ابن جرير مايقتضى أنه كان على مكة فى سنة اثنتين وأربعين ومائتين .

ثم ولى مكة بعده عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس العباسى سنة اثنتين وأربعين على ما ذكر ابن الأثير ، وذكر ذلك ابن كثير ، وذكر أنه حج بالناس سنة ثلاث وأربعين وهو نائب مكة انتهى .

وولى مكة بعده محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام المعروف بالزينبى على ماذكر ابن جرير لأنه ذكر أنه حج بالناس سنة خمس وأربعين وهو والى مكة . وولى مكة فى خلافة المتوكل ابنه المنتصر محمد الذى ولى الخلافة بعد أبيه لأن أباه ولاه الحرمين والطائف واليمن فى رمضان سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ، ثم عقد له على ذلك وغيره فى سنة خمس وثلاثين وما أظنه باشر ولاية مكة والله أعلم .

---

(١) سامرا أو سرمن رأى : بلد على دجلة بناها المعتصم العباسى ، وصارت العاصمة فى زمن المتوكل ، وامتدت عمارتها ، ثم خربت بعد فترة قصيرة .

(٢) امتدت خلافته من عام ٢٣٢ ﻫ إلى عام ٢٤٧ ﻫ .

وممن ولى مكة فى خلافة المتوكل إيتاخ الخوزى مولى المعتصم وأحد كبار قواد المتوكل ، لأن ابن الأثير ذكر فى أخبار سنة أربع وثلاثين ومائتين : وضع على إيتاخ من حسّن له الحج فاستأذن فيه المتوكل فأذن له وصيره أمير كل بلد يدخله وخلع عليه ثم قال : وقيل: إن هذه القضية كانت سنة ثلاث وثلاثين ، ثم ذكر فى أخبار سنة خمس وثلاثين أنه لما عاد من الحج احتيل عليه حتى قبض عليه ومات فى جمادى الآخرة من هذه السنة .

وولى مكة فى خلافة المنتصر : محمد بن المتوكل المذكور[(١)] محمد بن سليمان الزينبى المقدم ذكره فيما أظن والله أعلم .

وولى مكة فى خلافة المستعين أبى العباس أحمد بن المعتصم العباسى[(٢)] : عبدالصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام السابق ذكره، وكان على مكة فى سنة تسع وأربعين على ما ذكر ابن جرير وابن الأثير .

ثم وليها بعده جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس العباسى المعروف بشاشان وذلك فى سنة خمسين ومائتين ودامت ولايته إلى سنة إحدى خمسين .

ثم وليها بعده فى هذه السنة بالتغلب إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على ابن أبى طالب لأنه ظهر بمكة وهرب منه عاملها جعفر المذكور وقتل الجند وجماعة من أهل مكة ونهب منزل جعفر ومنازل أصحاب السلطان وأخذ من الناس نحو مائتى ألف دينار وأخذ كسوة الكعبة وما فى الكعبة وخزائنها من الأموال وما حمل من المال لاصلاح العين ،ونهب مكة ، وأحرق بعضها ، ثم خرج منها بعد مقامه فيها خمسين يوماً فى شهر ربيع الأول إلى المدينة فتوارى عنه عامله ثم رجع إلى مكة فى رجب فحاصرهم حتى مات أهلها جوعاً وعطشاً و بلغ الخبز ثلاث أواق بدرهم ، ولقى أهل مكة منه كل بلاء، ثم سار إلى جدة بعد أن أقام سبعة وخمسين يوماً فحبس عن الناس الطعام وأخذ الأموال التى للتجار وأصحاب المراكب ثم وافى الموقف بعرفة فأفسد فيه كثيرا وكان من أمره بعرفة ما سنذكره بعد. و بعد انفصاله من الموقف بعرفة سار إلى جدة وأفنى أموالها وما ذكرناه من خبره لخصناه بالمعنى من تاريخ ابن جرير وابن الأثير ، وفيه ما يقتضى أن ظهور إسماعيل بمكة كان فى صفر من سنة إحدى وخمسين ومائتين لأن فيه أنه خرج من مكة إلى المدينة فى ربيع الأول بعد خمسين يوماً ؛ وذكر ابن حزم فى الجمهرة ما يقتضى أنه ظهر بمكة فى ربيع الأول، وذكر أنه مات فى آخر سنة اثنتين وخمسين بالجدرى . عن اثنتين وعشرين سنة وذكر المسعودى ما يقتضى أن ظهوره كان سنة اثنتين وخمسين .

---

(١) كانت خلافته ما بين عامى ٢٤٧ و ٢٤٨ هـ ، وهو الذى دبر مؤامرة قتل والده المتوكل وولى بعده الخلافة بمعونة الحزب العسكرى التركى .

(٢) ولى المستعين الخلافة من عام ٢٤٨ هـ إلى عام ٢٥٢ هـ .

وولى مكة فى خلافة المستعين ابنه العباس لأن المسعودى ذكر فى أخبار سنة تسع وأربعين ومائتين أن المستعين عقد لابنه العباس على مكة والمدينة والبصرة والكوفة وعزم على البيعة له فأخرها لصغر سنه انتهى بالمعنى.

وولى مكة فى خلافة المستعين أيضا محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين لأن ابن الأثير ذكر فى أخبار سنة ثمان وأربعين أن المستعين عقد لمحمد بن عبد الله بن طاهر على العراق وجعل إليه الحرمين والشرطة ومعادن السواد وأفرده به انتهى.

وولى مكة فى خلافة المعتز[1] محمد وقيل طلحة وقيل الزبير بن المتوكل العباسى : عيسى بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الحميد بن عبد الله بن أبى عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومى على ما ذكر ابن حزم وهكذا نسبه، وهو عيسى بن محمد المخزومى الذى ذكر ابن الأثير أن المعتز أنفذه مع محمد بن إسماعيل بن عيسى بن المنصور الملقب كعب البقر لحرب إسماعيل بن يوسف العلوى ولعل المعتز ولى عيسى مكة فى السنة التى بعثه فيها إلى مكة وهى سنة إحدى وخمسين[2] والله أعلم . وما عرفت إلى متى دامت ولايته على مكة . وذكر الفاكهى ولاية عيسى هذا لمكة وأنه كان واليا عليها فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين وفى سنة أربع وخمسين ومائتين ؛ وذكر الفاكهى ما يقتضى أنه ولى مكة مرتين .

وممن ولى مكة فى خلافة المعتز أو فى خلافة المهتدى محمد بن الواثق العباسى[3] أو فى خلافة المعتمد العباسى[4]: محمد ابن أحمد المنصورى ، هكذا رأيته مذكورا فى كتاب الفاكهى ؛ وذكر ما يدل لولايته على مكة لأنه قال فى الأوليات التى اتفقت بمكة وأول من استصبح فى المسجد الحرام فى القناديل فى الصحن محمد بن أحمد المنصورى، جعل عمداً من خشب فى وسط المسجد وجعل بينهما حبالاً وجعل فيها قناديل يستصبح بها فكان كذلك فى ولايته حتى عزل محمد بن أحمد فقلعها عيسى بن محمد فى إمارته الأخيرة انتهى . وذكر العتيقى محمد بن أحمد هذا ووقع فى نسبه لأنه قال : وحج بالناس سنة ثلاث وخمسين ومائتين محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور يعرف بكعب البقر ؛ وقال بعد ذلك : وحج بالناس سنة ست وخمسين محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور ، وقال أيضا : وحج بالناس سنة سبع وخمسين ومائتين محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور كعب البقر انتهى . فاستفدنا مما ذكره العتيقى زيادة فى نسبه وحجه بالناس فى هذه السنين ولعله كان فى إحداها والياً على مكة والله أعلم . وماذكرناه عن ابن الأثير من

---

(١) كانت خلافة المعتز بن المتوكل ثلاث سنوات ، من عام ٢٥٢ هـ حتى عام ٢٥٥ هـ .

(٢) لعل صحة الكلام : فى سنة اثنتين وخمسين ، وهى السنة التى ولى المعتز فيها الخلافة .

(٣) كانت خلافة المهتدى من عام ٢٥٥ حتى عام ٢٥٦هـ .

(٤) كانت خلافة المعتمد عام ٢٥٦ حتى عام ٢٧٩هـ .

كون المعتز بعثه مع عيسى بن محمد المخزومى لحرب إسماعيل بن العلوى يقتضى أنه محمد بن إسماعيل بن عيسى ، ولعل إسماعيل تصحف بأحمد ؛ فإن النسخة التى رأيت فيها ذلك من تاريخ ابن الأثير كثيرة السقم والله أعلم .

وممن ولى مكة فى خلافه المهتدى محمد بن الواثق العباسى : على بن الحسن الهاشمى على ما ذكر الفاكهى ولم يزد فى ذكره على اسمه واسم أبيه ، وذكر فى غير موضع أنه هاشمى ، وذكر الفاكهى أنه ولى مكة فى سنة ست وخمسين ومائتين ، وذكر مايقتضى أنه كان والياً على مكة فى المحرم وصفر وفى شهر ربيع الأول منها وأنه فى ولايته حَلَّى المقام وزاد من عنده فى حليته ، وذكر فى الأوليات بمكة أنه أول من فرق بين الرجال والنساء فى جلوسهم فى المسجد الحرام أمر بحبال فربطت بين الأساطين التى تقعد عندها النساء فكن يقعدن دون الحبال إذا جلسن فى المسجد الحرام والرجال من وراء الحبال انتهى .

وولى مكة فى خلافة المعتمد أحمد بن المتوكل العباسى جماعة ؛ وهم : أخوه أبو أحمد الموفق واسمه طلحة وقيل : محمد بن المتوكل العباسى ، و إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس العباسى الملقب بزيه ، وأحمد بن طولون صاحب مصر ، ومحمد بن أبى الساج ، وأخوه يوسف بن أبى الساج ، ومحمد بن عيسى ابن محمد بن إسماعيل المخزومى أبو المغيرة ولد عيسى المقدم ذكره ، وأبو عيسى محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الوهاب ابن سليمان بن عبد الوهاب بن عبد الله بن أبى عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومى ، وهارون بن محمد بن إسحاق ابن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس العباسى، والفضل بن العباس بن الحسين بن إسماعيل بن محمد العباسى .

فأما ولاية الموفق[1] فذكرها ابن الأثير لأنه قال فى أخبار سنة سبع وخمسين ومائتين : لما اشتد أمر الزنج وعظم شرهم وأفسدوا فى البلاد، أرسل المعتمد على الله إلى أخيه أبى أحمد الموفق فأحضره من مكة ، فلما حضر عقد له على الكوفة وطريق مكة والحرمين واليمن ، انتهى باختصار لبعض ما ذكره من البلاد ، وإنما ذكرنا كلامه بنصه لإفادته ولاية الموفق للحرمين ولما فيه من إحضاره من مكة فإنه يبعد أن يكون فيها وولايتها لغيره والله أعلم .

وأما ولاية إبراهيم الملقب بزيه فذكرها ابن الأثير وذكر أنه كان على مكة فى سنة ستين ومائتين، ولعله كان عليها فى التى قبلها ، وذكر ابن الأثير أنه رحل من مكة للغلاء الذى كان بها فى سنة إحدى وستين لما جلا الناس عنها لغلائها .

وأما ولاية ابن طولون فذكر ابن جرير ما يدل لها ولولاية هارون بن محمد المذكور لأنه قال فى أخبار سنة تسع وستين ومائتين وفى ذى الحجة كانت وقعة بين قائدين وجههما أحمد بن طولون فى أربعمائة وسبعين فارسا وألفى

(١) كان الموفق هو صاحب الأمر فى ولاية أخيه المعتمد ، ولم يكن للمعتمد شىء من السلطان والنفوذ .

راجل فوافيا مكة لليلتين بقيتا من ذى القعـدة ؛ فأعطوا الجزارين والحناطين دينارين دينارين ، والرؤساء سبعة ، وهارون بن محمد عامل مكة ، فوافاه جعفر بن الباعمردى لثلاث خلون من ذى الحجة فى نحو مائتى فارس ، وكان هارون فى مائة وعشرين فارساً ومائتى أسود ، فقوى بهم فالتقوا وأصحاب ابن طولون فقتل من أصحاب ابن طولون ببطن مكة نحو مائتى رجل وانهزم الباقون فى الجبال وأخذت دوابهم وأموالهم وأمن جعفر المصريين والحناطين والجزارين وقرىء كتاب فى المسجد الحرام بلعن أحمد بن طولون وسلم الناس أموال التجار انتهى . وذكر ابن الأثير نحو ذلك مختصرا وأفاد فيما ذكره أن هرون حين وافاه المصريون كان ببستان ابن عامر قد فارق مكة خوفاً من المصريين انتهى . و بستان بن عامر هو نخلة[1] التى هى من عمل مكة لأن أبا الفتح بن سيد الناس قال فى سيرته : لما ذكر سرية عبد الله بن جحش وذكر ـ يعنى ابن سعد ـ أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش فى اثنى عشر رجلاً من المهاجرين كل اثنين يعتقبان بعيرا إلى بطن نخلة . وهو بستان ابن عامر انتهى . أخبرنى بذلك عن سيد الناس غير واحد من أشياخى عنه .

وأما ولاية محمد بن أبى الساج فذكرها ابن جرير لأنه قال فى أخبار سنة ست وستين ومائتين وفى شهر ربيع الآخر[2] مات أبو الساج بجنديسابور ، وولى ابنه محمد الحرمين وطريق مكة انتهى . هكذا وجدته فى مختصر تاريخ ابن جرير ، وذكر ابن حمدون فى تذكرته وابن الأثير فى كامله ولاية محمد ابن أبى الساج كما ذكر فى التاريخ المذكور وذكر أن عمرو بن الليث الصفار ولاه ذلك ، ولعل الصفار لم يفعل ذلك إلا بعد أن جعل إليه ذلك الخليفة المعتمد أو أخوه أبو أحمد الموفق والله أعلم . وهذا يدل على ولاية عمرو بن الليث لمكة والله أعلم .

وأما ولاية أخيه يوسف بن أبى الساج فذكرها ابن الأثير لأنه قال فى أخبار سنة إحدى وسبعين ومائتين : وفيها عقد لأحمد بن محمد الطائى على المدينة ، وطريق مكة ، فوثب يوسف بن أبى الساج وهو والى مكة على بدر غلام الطائى وكان أميراً على الساج فحار به وأسره ؛ فثار الجند والحاج بيوسف فقاتلوه واستنقذوا بدرا وأسروا يوسف وحملوه إلى بغداد وكانت الوقعة بينهم على أبواب المسجد الحرام انتهى .

وأما ولاية أبى المغيرة وأبى عيسى المخزوميين فذكرها ابن حزم لأنه قال بعد أن ذكر نسب أبى المغيرة وأبى عيسى وكان المعتمد قد ولى أبا عيسى هذا مكة ثم عزله بأبى المغيرة المذكور فتحاربا فقتل أبو عيسى ودخل أبو المغيرة مكة ورأس أبى عيسى بين يديه انتهى . ولم أدر متى كانت ولاية أبى عيسى ؟ وذكر الفاكهى ما يقتضى أن أبا عيسى محمد بن يحيى المخزومى ولى مكة نيابة عن الفضل بن العباس لأنه قال : وكان محمد بن يحيى المخزومى وليها استخلفه عليها الفضل بن عباس .

---

(١) نخلة : اسم لثلاثة مواضع : نخلة القصوى ، ونخلة الشمالية ، ونخلة اليمانية . والمقصود هنا نخلة الشمالية . وهى قرية من مر الظهران وكلها قريبة من مكة .

(٢) فى نسخة : الأول .

ولا مانع من أن يكون أبو عيسى ولى مكة عن الفضل بن عباس نيابة كما ذكر الفاكهى وعن المعتمد استقلالا كما ذكر ابن حزم والله أعلم .

وأما ولاية أبى المغيرة فرأيت فى كتاب الفاكهى ما يقتضى أنه كان أميرا على مكة فى سنة ثلاث وستين ومائتين لأنه قال فى الترجمة التى ترجم عليها بقوله : «تجريد الكعبة» : فكانت الكسوة على الكعبة على ما وصفنا حتى كانت سنة ثلاث وستين فورد كتاب من أبى أحمد الموفق بالله على بن محمد بن عيسى وهو يومئذ على مكة يومئذ يأمره بالتجريد أى تجريد الكعبة فقرأ الكتاب فى دار الإمارة لتسع ليال بقين من ذى الحجة انتهى . وما ذكرناه من كلام الفاكهى يشعر بأن أبا المغيرة ولى مكة عن أبى أحمد الموفق . وذكر ابن الأثير ما يدل على أنه وليها بعد ذلك لصاحب الزنج لأن ابن الأثير قال فى أخبار سنة خمس وستين ومائتين وفيها : كانت موافاة أبى المغيرة عيسى ابن محمد المخزومى إلى مكة لصاحب الزنج انتهى . وما ذكر ابن الأثير فى اسم أبى المغيرة وأبيه عكس ما ذكره ابن حزم فى ذلك ولعله سقط من كتاب ابن الأثير ابن بين أبو المغيرة وعيسى . و بذلك يتفق ما ذكره مع ما ذكره ابن حزم والله أعلم .

وصاحب الزنج هو على بن أحمد العلوى بزعمه لأنه كان ينتهى إلى يحيى بن زيد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب وهو ممن أكثر فى الأرض الفساد وأخباره فى ذلك مشهورة [1] وذكر ابن الأثير شيئا من حال أبى المغيرة لأنه قال فى أخبار سنة ست وستين وفيها قدم محمد بن أبى الساج مكة فحار به ابن المخزومى فهزمه محمد واستباح ماله وذلك يوم التروية انتهى . وقال أيضا فى أخبار سنة ثمان وستين وفيها : سار أبو المغيرة إلى مكة وعاملها هارون ابن محمد الهاشمى فجمع هارون جمعا احتمى بهم. فصار المخزومى إلى مشاش فغور ماءها ، وأتى جدة فنهب الطعام وأحرق بيوت أهلها وصار الخبز فى مكة أوقيتين بدرهم ثم قال : وحج بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمى و ابن أبى الساج على الأحداث والطريق . وقال فى أخبار سنة تسع وستين : وفيها وجه ابن أبى الساج جيشا بعد ما انصرف من مكة فسيره إلى جدة وأخذ للمخزومى مركبين فيهما مال وسلاح انتهى .

وأما ولاية هارون بن محمد بن إسحاق العباسى فسبق ما يدل لها من كلام ابن جرير وابن الأثير وذكرها ابن حزم وأفاد فى ذلك مالم يفده غيره لأنه قال بعد أن نسبه كما سبق ذكره ولى المدينة ومكة وحج بالناس من سنة ثلاث وستين ومائتين إلى سنة ثمان وسبعين ولاء، ثم هرب من مكة عند الفتنة فنزل مصر ومات بها وألف نسب العباسيين

---

(١) لعل الدعايات أساءت إلى على بن أحمد العلوى صاحب الزنج لأنه حرر العبيد من الرق ، فاستاء منه الأمراء والحكام وشايعهم على ذلك من كانوا يسخرون العبيد لمصالحهم . ولذلك لقبوه بصاحب الزنج ، وكان الأولى أن يسمى محرر العبيد .

وغير ذلك انتهى . وما ذكره ابن حزم من أنه حج بالناس من سنة ثلاث وستين ومائتين إلى سنة ثمان وسبعين ولاء ذكر مثله العتيقى فى أمراء الموسم إلا أنه ذكر أن أول حجاته سنة أربع وسبعين . وذكر ابن الأثير مايوافق ماذكره ابن حزم والعتيقى فى بعض ذلك لأنه ذكر أن هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمى حج بالناس سنة ثمان وستين

وأما ولاية الفضل بن عباس فذكرها الفاكهى وذكر أنه كان واليا على مكة سنة ثلاث وستين ومائتين واقتصر فى نسبه على الفضل بن العباس . وما ذكرناه فى نسبه ذكره العتيقى وذكر أنه حج بالناس سنة ثمان وخمسين ومائتين إلى آخر سنة ثلاث وستين ولاء إلا سنة ستين فذكر فيهـا غيره .

ثم ولى مكة فى خلافة المعتضد أبى العباس أحمد بن أبى أحمد الموفق بن المتوكل العباسى (١) وفى خلافة أولاده المكتفى أبى محمد على (٢) والمقتدر (٣) أبى الفضل جعفر والقاهر أبى منصور محمد (٤) وفى خلافة الراضى أبى العباس أحمد بن المقتدر (٥) وفى خلافة المتقى (٦) أبى إسحاق إبراهيم بن المقتدر وفى خلافة المستكفى عبد الله بن المكتفى على بن المعتضد (٧) وفى خلافة المطيع أبى القاسم الفضل بن المقتدر العباسى (٨) جماعة ما عرفت منهم غير عج بن حاج ومونس المظفر وابن ملاحظ . وما عرفته بغير هذا ، وابن مخلب أو ابن محارب على الشك منى ، ومحمد بن طغج الأخشيدى صاحب مصر وابنيه أبى القاسم أونجور ، ومعنى أونجور محمود ، وأبى الحسن على ، والقاضى أبى جعفر محمد ابن الحسن بن عبد العزيز العباسى قاضى مصر .

فأما ولاية عج بن حاج (٩) فذكرها إسحاق بن أحمد الخزاعى راوى تاريخ الأزرقى فى خبر زيادة دار الندوة وترجم على ذلك بقوله : « باب ذكر بناء المسجد الجديد» الذى كان دار الندوة وأضيف إلى المسجد الكبير لأنه قال : بعد أن ذكر أن المستعمل على بريد مكة : كتب فى ذلك إلى الوزير عبيد الله بن سليمان فى سنة إحدى وثمانين ومائتين وشرح ذلك للأمير بمكة عج بن حاج مولى أمير المؤمنين انتهى . وذكر ابن الأثير مايدل على أنه كان واليا على مكة فى سنة خمس وتسعين ومائتين . لأنه قال : فى أخبار هـذه السنة: وفى هذه السنة كانت وقعة بين عج بن حاج و بين الأجناد بمنى ثانى عشر ذى الحجة فقتل منهم جماعة لأنهم طلبوا جائزة بيعة المقتدر وهرب الناس إلى بستان ابن عامر انتهى .

(١) تولى الخلافة بعد موت المعتمد عام ٢٧٩ هـ . وظل فيها إلى أن مات عام ٢٨٩ هـ .
(٢) ولى الخلافة من عام ٢٨٩ هـ . حتى عام ٢٩٥ هـ .
(٣) ولى الخلافة من عام ٢٩٥ هـ . وخلع ثم أعيد وتوفى عام ٣٢٠ هـ .
(٤) ولى الخلافة من عام ٣٢٠ هـ .حتى عام ٣٢٢ هـ. (٥) ولى الخلافة من عام ٣٢٢ هـ . حتى عام ٣٢٨ هـ .
(٦) ولى الخلافة من عام ٣٢٨ هـ . حتى عام ٣٣٣ هـ. (٧) ولى الخلافة من عام ٣٣٣ هـ. حتى عام ٣٣٤ هـ .
(٨) ولى الخلافة من عام ٣٣٤ هـ . حتى عام ٣٦٣ هـ .
(٩) يذكره صاحب الرحلة الحجازية باسم : عج بن مخلب (ص ٨٤ المرجع المذكور) .

وأما ولاية مونس فذكرها ابن الأثير لأنه قال : فى أخبار سنة ثلثمائة : وفيها قلد مونس المظفر الحرمين والثغور انتهى .

وأما ولاية ابن ملاحظ فذكر النسابة أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى فى كتابه الإكليل مايدل لها لأنه قال : فى أخبار بنى حرب بالحجاز مانصه قال أبو جعفر بن المخائى : فمن أيام بنى حرب فى وقتنا وقبله بمديدة يوم الحرة ثم قال : ومنها يوم سرف الأثاية يوم سار إليهم ابن ملاحظ وهو سلطان مكة فقتلوا أصحابه وأسروه فأقام عندهم وقتا ، ثم منوا عليه وخلوا سبيله انتهى . وما عرفت اسم ابن ملاحظ المذكور ولا متى كانت ولايته على مكة غير أنى أظن أنه كان على ولايتها بعد سنة ثلاثمائة أو قبلها بقليل ،ومؤلف هذا الكتاب الهمدانى النسابة كان حيا فى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وعاش بعدها إلى سنة تسع وعشرين فيما أحسب والله أعلم .

وأما ولاية ابن مخلب فذكرها ابن الأثير لأنه قال : بعد ما ذكر مافعله أبو طاهر القرمطى من القبائح بمكة فى سنة سبع عشرة وثلثمائة : فخرج إليه ابن مخلب أمير مكة فى جماعة من الأشراف فسألوه فى أموالهم فلم يسعفهم فقاتلوه فقتلهم أجمعين انتهى .

وأما ولاية ابن محارب فذكرها الذهبى لأنه قال : لما ذكر خبر أبى طاهر ومافعل بمكة : وقتل ابن محارب أمير مكة انتهى . هكذا قال : فى تاريخ الإسلام . وقال فى العبر : وقتل أمير مكة ابن محارب انتهى، وأظن والله أعلم أن ابن مخلب أصوب لأنى وجدت فى تاريخ المسبحى مانصه فى أخبار سنة إحدى وعشرين وثلثمائة : وفيها التقى محمد بن إسماعيل بن مخلب منها معونة الحجاز مع أحمد بن الحسين الحسنى انتهى . نقلت ذلك من خط الرشيد بن الذكى المنذرى فى تاريخه المختصر لتاريخ المسبحى ، والظاهر أن أمير مكة الذى سماه ابن الأثير ابن مخلب من أقارب ابن مخلب هذا والله أعلم .

وأما ولاية الأخشيدية فذكرها النويرى فى تاريخه لأنه ذكر أن المتقى[1] الخليفة العباسى ولى محمد بن طفج الحرمين ومصر والشام ، فى سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وعقد لولديه أبى القاسم أو نجور وأبى الحسين[2] على المقدم ذكرهما من بعده على ذلك على أن يكفلهما خادمه كافور الملقب بالاخشيدى وذكر المسبحى ما يدل لذلك لأنه قال : لأنه ذكر فى أخبار سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة أنه حج جماعة من أعيان المصريين فى هذه السنة ثم قال : ووقع الخلف بين المصريين والعراقيين فى ذى الحجة منها بمكة فى إقامة الدعوة لمعز الدولة ولأخيه ركن الدولة

(١) كانت ولايته للخلافة عام ٣٢٨ وظل حتى عام ٣٣٣ هـ .

(٢) كلمة : وأبى الحسين من زيادتنا لتصحيح الحقائق التاريخية .

ولولده عز الدولة بعد المطيع ، ومنعه من ذلك المصريون وتمسكوا بعقد المتقى للإخشيد ولولده بعده من غير واسطة بينه و بين المطيع ، وكثرت الحكايات فى شرح ما جرى بينهم انتهى . وذكر العتيقى فى أمراء الموسم ما يدل لذلك لأنه قال : وحج بالناس سنة سبع وأربعين محمد بن عبد الله العلوى وعلى الصلاة عمر بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمى ، ومضى إلى مصر فى هذه السنة ومات بالقرب منها ودفن بها. وقلد بعده الصلاة : عبد السميع ، وعبد العزيز ابنا عمر بن الحسن بن عبد العزيز مكان أبيهما بمصر ، والحرمين انتهى . ووجه الدلالة من هذا على ولاية الإخشيدى للحرمين أن تقليدهم الصلاة فيهما يقتضى أنهما فى ولايتهم وهو كذلك بدليل ما حكى من عقد المتقى لهم الولاية على ذلك ، وسيأتى ما يدل لولايتهم على مكة ، وما عرفت من كان يباشر للإخشيدية ولاية مكة ، ولا من باشر ذلك لمونس، والله أعلم .

وأما ولاية القاضى أبى جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسى فذكرها بعض مؤرخى مصر فى كتاب له ذكر فيه ولاة مصر وقضاتها[1] وأخبار النيل وغير ذلك ورتبه على ترتيب السنين ، وجعل فى كل سنة جداول تحتوى على المشار إليهم ، فذكر فى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة أن قاضى مصر فى هذه السنة كان أبا جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسى إلى أن عزل وولى إمارة مكة . وهذا يشعر بأن محمد بن الحسن المذكور باشر ولاية مكة لعلى بن الإخشيدى، والله أعلم .

ثم ولى مكة فى زمن الإخشيدية بالتغلب جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى ابن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الحسنى على ما ذكر ابن حزم فى الجمهرة ، لأنه قال بعد أن نسبه هكذا : الذى غلب على مكة أيام الإخشيدية وولده إلى اليوم ولاة مكة انتهى . ولعل ولاية جعفر هذا بمكة بعد موت كافور الإخشيدى وقبل أخذ العبيديين[1] لمصر من الإخشيدية فإن دولتهم لم تتلاش إلا بعد موت كافور ، وكان موت كافور فى جمادى الأولى سنة ست وخمسين وثلاثمائة، وقيل : فى سنة سبع وخمسين ؛ فتكون ولاية جعفر هذا فى إحدى هاتين السنتين ، أو فى سنة ثمان وخمسين ،فإن فيها: كان إنقضاء دولة الإخشيدية على يد القائد جوهر مولى المعز العبيدى صاحب المغرب ، ولا تخرج ولاية جعفر من أن تكون فى هذه السنة أو فى إحدى السنتين قبلها مع تقدير موت كافور فى سنة ست وخمسين لقول ابن حزم : إن جعفرا غلب على مكة أيام الإخشيدية وتصدق على ما بعد موت كافور وحصول مصر المغاربة فى سنة ثمان وخمسين انها أيام الإخشيدية ، ويبعد أن يلى جعفر هذا مكة فى أيام كافور لعظم أمره ، وقد رأيت فى بعض التواريخ ما يدل على أنه كان يدعى له على المنابر بمكة والله أعلم.

---

(١) هذا الكتاب لمؤرخ مصر المشهور الكندى محمد بن يوسف (٢٨٣ ــ ٣٥٠ هـ) .

(١) هم الفاطميون .

وذكر شيخنا ابن خلدون فى نسب جعفر هذا ما ذكره ابن حزم فى نسبه ، وحكى فى نسبه وجهاً آخر وهو أنه من ولد محمد القائم بالمدينة أيام المأمون بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب . وذكر نسب جعفر إلى محمد بن سليمان ، فقال : جعفر بن أبى هاشم الحسن بن محمد بن سليمان ، وذكر أن محمد بن سليمان من ولد محمد بن سليمان القائم بالمدينة أيام المأمون ، وكلامه يقتضى ترجيح هذه المقالة فى نسب جعفر وفى ذلك نظر والله أعلم . وذكر أن جعفرا هذا دعا للمعز العبيدى لما استولى خادمه جوهر على مصر .

ثم ولى مكة بعد جعفر هذا ابنه عيسى على ما ذكر شيخنا ابن خلدون . وذكر أن فى أيامه حضر جيش العزيز[١] بن المعز العبيدى مكة وضيقوا على أهلها كثيرا لما لم يخطبوا للعزيز بعد موت أبيه ، ودامت ولايته على مكة إلى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة على ما ذكر ابن خلدون ؛ وذكر ابن حزم فى الجمهرة ما يفهم أنه ولى مكة فى الجملة .

ثم ولى مكة بعده أخوه أبو الفتوح الحسن بن جعفر الحسنى على ما ذكر شيخنا ابن خلدون . وذكر أنه ملك المدينة وأزال عنها إمرة بنى المهنا الحسينيين فى سنة تسعين وثلاثمائة بأمر الحاكم[٢] العبيدى. وولاية أبى الفتوح لمكة مشهورة وإنما عزوناها لابن خلدون لإفادته تاريخ ابتداء ولايته فإنها بعد أخيه عيسى ولم أر ذلك لغيره وكذا ما ذكره فى ملكه للمدينة والله أعلم . ودامت ولاية أبى الفتوح على مكة فيما علمته إلى أن مات فى سنة ثلاثين وأربعمائة إلا أن الحاكم العبيدى ولى ابن عم أبى الفتوح مكة فى المدة التى خرج فيها أبو الفتوح عن طاعة الحاكم ثم عاد أبو الفتوح إلى إمرة مكة لما رجع إلى طاعته وكان سبب عصيانه أن الوزير أبا القاسم بن المغربى لما قتل الحاكم أباه هرب من الحاكم واستجار ببعض آل الجراح فبعث الحاكم إليهم من حاربهم فكان الظفر لآل الجراح فعند ذلك حسن لهم الوزير مبايعة أبى الفتوح بالخلافة فمالوا إلى ذلك فقصد أبو القسم أبا الفتوح وحسن له طلب الخلافة فاعتذر له أبو الفتوح بقلة ذات يده فحسن أبو القاسم لأبى الفتوح أخذ ما فى الكعبة المعظمة من المال فأخذ أبو الفتوح ذلك مع مال عظيم لبعض التجار ، مات بجدة وخطب لنفسه ، و بايعه بالخلافة شيوخ الحسنيين وغيرهم بالحرمين ، و تلقب بالراشد وخرج من مكة إلى الرملة[٣] قاصدا آل الجراح فى جماعة من بنى عمه وألف عبد أسود على ما قيل ومعه سيفه ، زعم أنه ذو الفقار ، وقضيب زعم أنه قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما قرب من الرملة تلقاه العرب وقبلوا له الأرض وسلموا عليه بالخلافة ونزل الرملة ونادى بالعدل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فانزعج الحاكم لذلك وما وسعه إلا الخضوع لآل الجراح فاستمال حسان بن مفرج من آل الجراح و بذل له ولأخوته أموالا

(١) ولى العزيز بعد وفاة والده المعز الفاطمى ، وذلك من عام ٣٦٥ هـ حتى عام ٣٨٦ هـ

(٢) تولى الحاكم حكم مصر من عام ٣٨٦ هـ حتى عام ٤١١ هـ

(٣) الرملة : مدينة بفلسطين معروفة .

جزيلة جدا فتخلوا عن أبى الفتوح فعرف أبو الفتوح ذلك فاستجار بمفرج والد حسان من الحاكم فكتب مفرج إلى الحاكم فرده إلى مكة وكان الحاكم قد ولى الحرمين لابن عم أبى الفتوح وأنفذ له ولشيوخ بنى حسن أموالا، وكان عصيان أبى الفتوح فى سنة إحدى وأربعمائة ، على ما ذكر صاحب المرآة وغيره . ورأيت فى تاريخ بعض شيوخنا أن ذلك فى سنة اثنتين وأربعمائة، ورأيت فى تاريخ النويرى ما يشهد لذلك كما سيأتى قريبا وإنما نبهنا على ذلك لأن الذهبى ذكر فى تاريخ الإسلام أن ذلك فى سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ، وذلك وهم بلا ريب لأن الحاكم لم يل الخلافة إلا فى سنة ست وثمانين وثلاثمائة كما ذكر الذهبى وغيره . ووجدت فى بعض التواريخ أن ابن عم أبى الفتوح الذى ولاه الحاكم الحرمين يقال له : أبو الطيب ، ولعله والله أعلم : أبو الطيب بن عبد الرحمن ابن قاسم بن أبى الفاتك بن داود بن سليمان بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن على ابن أبى طالب الحسنى ، هكذا رأيت أبا الطيب هذا منسوبا فى حجر بالمعلاة مكتوب فيه أنه قبر يحيى بن الأمير المؤيد بن الأمير قاسم بن غانم بن حمزة بن وهاس بن أبى الطيب وساق بقية النسب كما سبق،وذكر ابن حزم فى الجمهرة أبا الطيب هذا وساق نسبه كما ذكرناه إلا أنه أسقط فى النسخة التى رأيتها من الجمهرة قاسماً بين عبد الرحمن وأبى الفاتك وسمى أبا الفاتك عبد الله وذكر فيها أن لعبد الرحمن هذا اثنتين وعشرين ذكرا فذكرهم وذكر أبا الطيب فيهم ثم قال : سكنوا كلهم أذنة [1] حاشا نعمة وعبد الحميد وعبد الحليم فإنهم سكنوا امج [2] بقرب مكة انتهى . ولعل سكناهم أذنة للخوف من أبى الفتوح بسبب تأمر أبى الطيب بعده ، واستبعد والله أعلم أن يكون الذى ولاه الحاكم عوض أبى الفتوح أبا الطيب بن عبد الرحمن لكون ابن حزم لم يذكر لأبى الطيب بن عبد الرحمن ولايته والله أعلم . ورأيت فى تاريخ النويرى مايقتضى أن أبا الفتوح لما عصى على الحاكم خرج عليه بمكة أخوه لأنه حكى أن أبا الفتوح لما بلغه استمالة الحاكم لآل الجراح قال لهم أبو الفتوح إن أخى قد خرج بمكة وأخاف أن يستأصل ملكى بها فأعادوه إلى مكة فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة انتهى وهذا هو الذى ذكرنا أنه يشهد لمن قال إن تاريخ عصيان أبى الفتوح سنة اثنتين والله أعلم .

وولى مكة بعد أبى الفتوح ابنه شكر بن أبى الفتوح ودامت ولايته فيما علمت إلى أن مات سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة. وذكر شيخنا ابن خلدون أنه حارب أهل المدينة وملكها فى بعض حروبه وجمع بين الحرمين .قال وذكر البيهقى وغيره : أنه ملك الحجاز ثلاثا وعشرين سنة انتهى. وذكر ابن حزم فى الجمهرة مايفهم فى الجملة ولاية أبى الفتوح وابنه شكر لمكة. وذكر ما يقتضى أن عقبهم انقرض وأن مكة وليها بعد شكر عبد كان له لأنه قال:وقد انقرض عقب جعفر المذكور لأن أبا الفتوح لم يكن له ولد إلا شكر ومات شكر ولم يولد له قط ، وصار أمر مكة إلى عبد كان له . انتهى .

---

(١) أذنة : جبال شمالى شرقى الحجاز

(٢) امج : بلد أو جبل غربى المدينة المنورة ولعلها البلدة المسماة باملج الآن .

وذكر صاحب المرآة عن محمد بن هلال الصابى ما يقتضى أن لشكر بنتا ، وسيأتى ذلك قريبا . وهو يخالف ما ذكره ابن حزم والله أعلم .

وولى مكة بعد شكر بنو أبى الطيب الحسنيون ، ثم على بن محمد الصليحى صاحب اليمن ، ثم أبو هاشم محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبى هاشم محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب الحسنى لأن صاحب المرآة قال فى أخبار سنة خمس وخمسين وأربعمائة : وفيها دخل الصليحى إلى مكة واستعمل الجميل مع أهلها ، وأظهر العدل والإحسان والأمن ، وطابت قلوب الناس ، ورخصت الأسعار ، وكثرت له الأدعيــة . ثم قال : وكسا البيت ثيابا بيضا ورد بنى شيبة عن قبيح أفعالهم ، ورد إلى البيت من الحلى ما كان بنو أبى الطيب الحسنيون أخذوه لما ملـكوا بعد شكر . وكانوا قد غيروا البيت والميزاب، ثم قال : بعد أن نقل عن محمد بن هلال الصابى بعد ما ذكره من دخول الصليحى إلى مكة ، وما فعله من الجميل فيها : وأقام إلى يوم عاشوراء وراسله الحسنيون ، وكانوا قد أبعدوا من مكة : أخرج من بلدنا ورتب منا من نختاره، فرتب محمد بن أبى هاشم فى الإمارة ، ورجع إلى اليمن . ومحمد بن أبى هاشم صهر شكر على ابنته وأمره على الجماعة وأصلح بين العشائر ، واستخدم له العساكر . وأعطاه مالا وخمسين فرسا وسلاحا . ثم قال : وفى رواية : أنه أقام بمكة إلى ربيع الأول . فوقع فى أصحابه الوباء فمات منهم سبعمائة رجل . ثم عاد إلى اليمن لأن العلويين جمعوا عليه ولم يبق معه إلا نفر يسير ، فسار إلى اليمن وأقام محمد بن أبى هاشم بمكة نائبا عنه ؛ فقصده الحسنيون بنو سليمان مع حمزة بن أبى وهّاس ، فلم يكن له به طاقة فحاربهم وخرج من مكة فتبعوه ، فرجع فضرب واحدا منهم ضربة فقطع ذراعه وفرسه وجسده ووصل إلى الأرض ، فدهشوا ورجعوا عنه وكان تحته فرس تسمى دنانير لا تكل ولا تمل، وليس له فى الدنيا شبيه . ومضى إلى وادى الينبع وقطع الطريق عن مكة والقافلة ونهب بنو سليمان مكة ومنع الصليحى الحج من اليمن فغلت الأسعار فزادت البلية انتهى ؛ ولعل بنى أبى الطيب المشار إليهم فى هــذا الخبر من أولاد الطيب الذى ذكرنا نسبه ، ولعل حمزة بن أبى وهاس المذكور فى هــذا الخبر أيضا حفيد أبى الطيب المشار إليه لأن ذلك يوافق مافى الحجر الذى رأيته بالمعلاة والله أعلم . وهــذا الذى ذكره صاحب المرآة يتضمن ولاية ابن أبى الطيب لمـكة بعد شكر ، ثم ولاية الصليحى لها . ثم ولاية ابن أبى وهاس[1] وذكر شيخنا ابن خلدون مايقتضى أن ابن أبى هاشم ولى مكة فى سنة أربع وخمسين بعد أن قاتل السليمانيين قوم شـكر وغلبهم ونفاهم عن الحجاز والله أعلم بذلك. وعاد ابن أبى هاشم بعد خروجه من مكة إلى إمرتها . ودامت ولايته عليها فيما أحسب إلى أن مات فى سنة بضع[2] وثمانين وأربعمائة . إلا أنه خرج منها هاربا من التركمان الذين استولوا عليها فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة

(١) فى المخطوطتين : هاشم ، وفى بعض النسخ : وهاس

(٢) فى منتخب شفاء الغرام المطبوع فى أوربا ص ١١ : سبع ، بدل بضع

كما ذكر ابن الأثير وغيره ورأيت فى تاريخ ابن الأثير أن هؤلاء التركمان طلبوا من ابن أبى هاشم أموال الكعبة التى أخذها وأنهم نهبوا مكة وكانت فتنة عظيمة انتهى بالمعنى . وهو أول من أعاد الخطبة العباسية بمكة ، بعد قطعها من الحجاز نحو مائة سنة . ونال بسبب ذلك مالا عظيما من السلطان البارسلان السلجوقى فإنه خطب له بمكة بعد القائم الخليفة العباسى (١) وصار بعد ذلك يخطب حينا للمقتدى عبد الله بن محمد الذخيرة بن القائم عبد الله العباسى (٢) وحينا للمستنصر العبيدى صاحب مصر (٣) ويقدم فى ذلك من تكون صلته أعظم . ولعل ذلك سبب إرسال التركمان إليه ، وذكر شيخنا ابن خلدون أن مدة إمرته على مكة ثلاثون سنة . وأنه ملك المدينة والله أعلم بذلك ، وقد بالغ ابن الأثير فى ذم ابن أبى هاشم هذا لأنه قال : لما ذكر وفاته ولم يكن له ما يمدح به انتهى . ولعل ذلك لنهبه الحاج فى سنه ست وثمانين وقتله منهم خلقا كثيرا على ماذكر ابن الأثير ، ولأخذه حلية الكعبة فى سنة اثنتين وستين والله أعلم .

وولى مكة بعده ابنه قاسم بن محمد مدة يسيرة ثم وليها بعده أصبهيد بن سارتكين لأنه فى هـذه السنة استولى على مكة عنوة . وهرب منها قاسم المذكور وأقام بها أصبهيد إلى شوال سنة سبع وثمانين ، ثم إن قاسما جمع عسكرا وكسر أصبهيد بعسفان فانهزم أصبهيد إلى الشام فدخل قاسم مكة . ودامت ولايته عليها فيما علمت حتى مات سنة ثمان عشرة وخمسمائة هكذا ذكر وفاته ابن الأثير وغيره ووجدت بخطى فيما نقلته من تاريخ الإسلام للذهبى أنه توفى سنة ثمان عشرة ووجدت أيضا ذلك بخطى فيما نقلته من تاريخ شيخنا ابن خلدون وقال شيخنا ابن خلدون : فى ترجمته واستمرت إمرته ثلاثين سنة على الاضطراب انتهى .

وولى مكة بعده ابنه فليته بن قاسم هكذا سماه ابن الأثير وغيره وسماه الذهبى فى تاريخ الإسلام أبو فليته فى موضعين من تاريخه ودامت ولايته حتى مات فى سنة سبع وعشرين وخمسمائة .

وولى مكة بعده ابنه هاشم بن فليته . ودامت ولايته حتى مات فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة لأن ابن خلكان ذكر أن الفقيه عمارة الشاعر اليمنى (٤) حج فى هذه السنة فسيره قاسم بن هاشم بن فليته صاحب مكة رسولا إلى الديار المصرية . فدخلها فى شهر رمضان سنة خمسين انتهى . وهذا يقتضى أن هاشما توفى فى هذه السنة لأن قاسما ابنه إنما ولى بعده فوجدت بخط بعض فقهاء المكيين ما يقتضى أن هاشما مات فى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة

(١) كانت ولاية الخليفة القائم بن القادر الخلافة من عام ٤٢٢ حتى عام ٤٦٨ هـ
(٢) المقتدى حفيد القائم وقد ولى الخلافة عام ٤٦٨ هـ حتى عام ٤٨٧ هـ
(٣) ولى المستنصر الحكم عام ٤٣٧ هـ حتى عام ٤٨٧ هـ
(٤) هو شاعر سياسى كبير ولد سنة ٥١٥ هـ وتوفى عام ٥٦٩ هـ مصلوبا بأمر صلاح الدين الأيوبى لأنه كان من حزب الفاطميين واتهم بأنه يعمل لإعادة دولتهم، وله مرثية فى الدولة الفاطمية من أبلغ قصائد الرثاء ، وهى لامية مشهورة.

وأن قاسما ولى بعده ولم يختلف عليه اثنان انتهى. ودامت ولاية قاسم بن هاشم بعد أبيه إلى سنة ست وخمسين لأنه فارق مكة متخوفا من أمير الحاج العراقى وقت الموسم من هذه السنة لإساءة السيرة فيها .

وولى مكة بعده عمه عيسى بن فليته .

ثم إن قاسما استولى على مكة فى شهر رمضان سنة سبع وخمسين وأقام بها أياما يسيرة . ثم قتل . ووجدت بخط بعض المكيين ما يقتضى أنه قتل سنة ست وخمسين والله أعلم ، واستقر الأمر لعمه عيسى ، ودامت ولاية عيسى فيما علمت على مكة إلى أن مات سنة سبعين وخمسمائة إلا أن أخاه مالك بن فليته كان نازعه فى الإمرة واستولى على مكة نحو نصف يوم لأنه دخل مكة فى يوم عاشوراء فى سنة ست وستين وخمسمائة وجرى بين عسكره وعسكر أخيه فتنة إلى وقت الزوال ثم خرج مالك واصطلحوا بعد ذلك .

فولى مكة بعد عيسى ابنه داود بن عيسى ، بن فليته ، بعهد من أبيه ودامت ولايته إلى ليلة النصف من رجب سنة إحدى وسبعين .

فوليها بعده أخوه مكثر بن عيسى ، ثم عزل مكثر فى موسم هذه السنة ، وجرى بينه و بين طاشتكين أمير الركب العراقى حرب شديدة فى موسم هذه السنة كان الظفر فيها للأمير طاشتكين .

ثم ولى مكة الأمير هاشم [1] بن مهنا الحسينى أمير المدينة ، وكان الخليفة المستضىء [2] قد عقد له عليها الولاية بعد عزله لمكثر وأقامت مكة فى ولايته ثلاثة أيام ثم إنه رأى من نفسه العجز عن القيام بإمرة مكة .

فولى مكة أمير الحج فيها داود بن عيسى وشرط عليه أن يسقط جميع المكوس وما عرفت إلى متى دامت ولاية داود هذا . وكان بعدها يتداول هو وأخوه مكثر إمرة مكة ثم انفرد بها مكثر عشر سنين متوالية آخرها سنة سبع وتسعين على الخلاف فى انقضاء دولة مكثر وهو آخر أمراء مكة المعروفين بالهواشم ولاية .

وولى مكة فى ولايته أو فى ولاية أخيه داود سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . وذلك فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة لأنه فى هذه السنة قدم مكة ومنع من الأذان فى الحرم بحى على خير العمل وقتل جماعة من العبيد كانو يفسدون ، وهرب منه أمير مكة إلى قلعة بأبى قبيس وشرط على العبيد أن لا يؤذوا الحاج . وضرب الدنانير والدراهم فيها باسم أخيه السلطان صلاح الدين .

ثم وليها بعد مكثر أبو عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان

---

(١) فى رواية : قاسم .

(٢) ولى المستضىء بن المستنجد الخلافة العباسية عام ٥٦٦ هـ وتوفى عام ٥٧٦ هـ .

ابن على بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الحسنى الينبعى فى سبع وتسعين و خمسمائة . وقيل إن ولايته لمكة فى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وقيل فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة . ودامت ولايته إلى أن مات فى سنة سبع عشرة وقيل سنة ثمان عشرة وستمائة فتكون ولايته عشرين سنة أو نحوها للاختلاف فى منتهاها وكانت ولايته ممتدة إلى ينبع[١] والى حلى[٢] وكان يحارب صاحب المدينة ويغلب كل منهما الآخر حينا وولى مكة فى زمن ولاية قتادة أقباش الناصرى فتى الخليفة الناصر لدين الله العباسى[٣] إلا أنه لم يباشر إمرتها وانما مولاه عقد له على الحرمين و إمرة الحج لعظم مكانته عنده وقتل بمكة بالمعلاة فى السنة التى مات فيها قتادة .

وولى مكة بعد قتادة ابنه حسن بن قتادة وقتل أصحاب أقباش الناصرى لاتهامهم له بأنه واطأ راجح بن قتادة على أن يوليه مكة عوض حسن ودامت ولاية حسن إلى سنة تسع عشرة وقيل إلى عشرين وستمائة .

ووليها بعده الملك المسعود واسمه يوسف و يلقب بأقسيس بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب اليمن لأنه سار إليها وتحارب هو وحسن بن قتادة بالمسعى فانهزم حسن وفارق مكة فيمن معه ونهبها عسكر الملك المسعود إلى العصر ودامت ولايته عليها إلى أن مات فى سنة ست وعشرين وستمائة .

ووليها نيابة عن الملك المسعود نور الدين عمر بن على بن رسول الذى ولى السلطنة بعده ببلاد اليمن وقصده حسن بن قتادة بجيش جاء بهمن ينبع فخرج إليه نور الدين وانكسر حسن .

وولى مكة للملك المسعود الأمير حسام الدين ياقوت بن عبد الله الملكى المسعودى . لأنى وجدت مكتوبا ببيع دار بمكة بأمر ياقوت المذكور ، وترجم فيه بأمير الحاج والحرمين ومتولى الحرب بمكة ومدبر أحوال الجند بها والرعية بالتولية الصحيحة الملكية المسعودية المتصلة بالأوامر الملكية الكاملية وتاريخ المبيع ثالث جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وستمائة فاستفدنا من هذا ولاية ياقوت لمكة فى هذا التاريخ .

---

(١) ينبع : بلد حجازى على ساحل البحر الأحمر من جهة الشمال الغربى لمكة المكرمة ، ويقال لها ينبع البحر وقريب منها فى الداخل بلد يقال لها ينبع النخل وهى قرية غناء ذات عيون ومزارع وقد كانت عامرة وقال ياقوت فى معجمه : قال الشريف بن مسلمة بن عياش الينبعى : عددت بها مائة وسبعين عينا ، وقد أهمل أمر هذه العيون مع الزمن حتى لم يبق منها إلا القليل فحبذا لو التفتت إليها الأذهان لتعمير العيون واستغلال هذه التربة الزكية حتى تعود بالخير والرخاء على كل عامل فيها .

(٢) حلى : بلد حجازى على ساحل البحر الأحمر من جهة الجنوب الغربى لمكة .

(٣) ولى الناصر بن المستضئ الخلافة العباسية من عام ٥٧٦ هـ حتى عام ٦٢٢ هـ

وولى مكة بعد الملك المسعود والده الملك الكامل . ودامت ولايته إلى شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين .

ثم وليها نائب ابنه المسعود ونائبه أيضا على اليمن نور الدين بن عمر بن على بن رسول بعد أن بويع بالسلطنة فى بلاد اليمن . لأنه بعث إلى مكة جيشا معهم راجح بن قتادة الحسنى فأخرجوا من مكة متوليها للملك الكامل طغتكين وهرب إلى ينبع وعرف الملك الكامل بذلك فجهز إليه جيشاً كثيفا مقدمهم الأمير فخر الدين بن الشيخ على ماقيل ووصل طغتكين مع الجيش إلى مكة فأخرجوا منها راجحا ومن معه من أهل اليمن واستولى عليها طغتكين وقتل على الدرب كثيرا من أهل مكة لخذلانهم له فى النوبة الأولى . وكان استيلاؤه على مكة فى رمضان من هذه السنة . وذكر ابن محفوظ مايوهم أن أمير مكة من قبل الملك الكامل الذى أخرجه صاحب اليمن وأخرجهم هو منها فى السنة المذكورة غير طغتكين لأنه قال : وفى سنة تسع وعشرين وستمائة جهز الملك المنصور فى أولها جيشا إلى مكة وراجح معه فأخذها وكان فيها أمير للملك الكامل يسمى شجاع الدين الدغدكينى فهرب خارجا إلى نخلة[1] وتوجه منها إلى ينبع ، وكان الملك الكامل وجه إليه بجيش ثم جاء إلى مكة فى رمضان فأخذها من نواب الملك المنصور وقتل من أهل مكة ناسا كثيرا على الدرب وكان الكسرة على من بمكة انتهى . وهو الذى ذكره ابن محفوظ فى تسميته أمير مكة للكامل فى هذا التاريخ وهم لتفرده به فيما علمت والقصة واحدة ، والصواب أنه الأمير طغتكين فقد سماه غير واحد طغتكين والله أعلم . وقيل : إن فخر الدين بن الشيخ كان على مكة لما وصلها عسكر صاحب اليمن فى سنة تسع وعشرين ثم وليها عسكر صاحب اليمن مع راجح بن قتادة بغير قتال فى صفر سنة ثلاثين ، ثم وليها فى آخر هذه السنة عسكر الملك الكامل وكان المقدم على عسكر الملك الكامل أميرا يقال له : الزاهد وترك فى مكة أميرا يقال له : ابن مجلى .

ثم وليها فى سنة احدى وثلاثين عسكر الملك المنصور صاحب اليمن مع راجح بن قتادة .

ثم وليها عسكر الملك الكامل وكان عسكرا كبيرا فيه ألف فارس ، وقيل : سبعمائة وقيل : خمسمائة فارس وخمسة من الأمراء مقدمهم الأمير جفريل . ودامت ولايته عليها للملك الكامل[2] إلى سنة خمس وثلاثين .

ثم وليها الملك المنصور فى هذه السنة وكان سار إليها بنفسه دخلها بعد أن فارقها جفريل ومن معه . وكان دخول

---

(١) نخلة : واد يمتد من بطن مر (وادى فاطمة) إلى الضيق أو وادى الليمون . وهذه نخلة الشامية .

(٢) الملك الكامل الأيوبى ولى عرش مصر من عام ٦١٦ هـ حتى عام ٦٣٥ هـ ، بعد الملك العادل أخى السلطان صلاح الدين الأيوبى ، وقد ولى العادل الحكم عام ٥٩٦ هـ حتى عام ٦١٦ هـ

المنصور إلى مكة فى رجب وكان معه ألف فارس على ما قيل ودامت ولايته عليها إلى سنة سبع وثلاثين وقرر فيها رتبة مائة وخمسين فارسا ، وقدم عليهم ابن الوليد وابن التغرى .

ثم وليها الملك الصالح أيوب بن الملك الكامل صاحب مصر[1] لأنه جهز إليها ألف فارس مع الشريف شيحه صاحب المدينة ، واستولوا على مكة بغير قتال فى سنة سبع وثلاثين .

ثم وليها عسكر الملك المنصور بعد أن هرب منها شيحة ومن معه لما سمعوا بقدوم عسكر صاحب اليمن . ثم وليها عسكر الملك الصالح فى سنة ثمان وثلاثين .

وممن وليها للملك الصالح : الأمير شهاب الدين أحمد التركمانى .

ثم وليها الملك المنصور فى سنة تسع وثلاثين . وسار إليها فى هذه السنة بنفسه ودخلها فى رمضان بعد أن فارقها المصريون خوفا منه ودامت ولايته عليها حتى مات. وأمر على مكة فى هذه السنة مملوكه الأمير فخر الدين الشلاح وابن فيروز وجعل الشريف أبا سعد بن على بن قتادة الحسنى بالوادى مساعدا لعسكره ، وكان قد استدعاه من ينبع وأحسن إليه واشترى منه قلعة ينبع وأمره بخرابها حتى لا يبقى قرار للمصريين واستمر مملوكه الشلاح على نيابة مكة إلى سنة ست وأربعين وستمائة على ماذكر بعض مؤرخى اليمن فى عصرنا .

ووليها للمنصور فى هذه السنة ابن المسيب ، ووجدت بخط الميورقى أن ابن المسيب قدم مكة لعزل الشلاح فى منتصف ربيع الأول سنة خمس وأربعين . وهذا يخالف ما سبق والله أعلم .

وولى مكة بعد ابن المسيب أبو سعد حسن بن على بن قتادة الحسنى بعد قبضه على ابن المسيب فى ذى القعدة وقيل : فى شوال سنة سبع وأربعين . ودامت ولايته إلى أن قتل لثلاث خلون من شعبان سنة إحدى وخمسين وستمائة . وقيل : إنه قتل فى رمضان منها .

ثم ولى مكة بعده أحد قتلته جماز بن حسن بن قتادة الحسنى . ودامت ولايته إلى آخر يوم من ذى الحجة سنة إحدى وخمسين .

ثم وليها بعد جماز عمه راجح بن قتادة الحسنى الذى كان يليها مع عسكر صاحب اليمن . ودامت ولايته عليها إلى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين .

ثم وليها بعده ابنه غانم بن راجح ، ودامت ولايته إلى شوال سنة اثنتين وخمسين .

(١) تولى حكم مصر من عام ٦٣٧ هـ حتى ليلة النصف من شعبان عام ٦٤٧ هـ.

ثم وليها بعده إدريس بن قتادة وأبو نمى بن أبى سعد بن على بن قتادة بعد قتال مات فيه ثلاثة نفر ودامت ولايتهما عليها إلى الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة اثنتين وخمسين وستمائة .

ثم وليها المبارز على بن الحسين بن برطاس لأن الملك المظفر بن الملك المنصور صاحب اليمن جهز ابن برطاس إلى مكة فى مائتى فارس وتقاتل مع إدريس وأبى نمى ومن معهما فكان الظفر لابن برطاس ودامت ولايته عليها إلى يوم السبت لأربع ليال بقين من المحرم سنة ثلاث وخمسين وستمائة .

ثم وليها إدريس وابن أخيه أبو نمى لأنهم قاتلوا ابن برطاس فى هذا التاريخ وسفكت الدماء بالحجر من المسجد الحرام وأسر ابن برطاس ففدا نفسه وخرج ابن برطاس ومن معه من مكة .

ثم وليها أبو نمى بمفرده (وهو الأول) فى سنة أربع وخمسين لما راح عمه إدريس إلى أخيه راجح بن قتادة .

ثم عاد إدريس لمشاركة أبى نمى فى الإمرة لأن راجح بن قتادة جاء مع عمه إدريس وأصلح بينه و بين أبى نمى على ذلك .

ثم ولى مكة أولاد حسن بن قتادة وأقاموا بها ستة أيام من سنة ست وخمسين بعد أن لزموا إدريس بن قتادة.

ثم جاء أبو نمى وأخرجهم منها ولم يقتل من بينهم أحدا ودامت ولاية إدريس وأبى نمى على مكة إلى سنة سبع وستين وستمائة .

ثم انفرد فيها أبو نمى بالإمرة قليلا ثم اصطلح مع إدريس وعاد للإمرة فى السنة المذكورة ودامت ولايتهما إلى ربيع الأول سنة تسع وستين وستمائة .

ثم انفرد بها إدريس أربعين يوما ثم قتل بعدها فى هذه السنة بخليص [1]

ووليها أبو نمى ودامت ولايته عليها إلى سنة سبعين وستمائة .

ثم وليها فى صفر منها جماز بن شيحة صاحب المدينة وغانم بن إدريس بن حسن بن قتادة صاحب ينبع .

ثم وليها أبو نمى بعد أربعين يوما من سنة سبعين وستمائة وأخرج منها المذكورين ودامت ولايته عليها إلى سنة سبع وثمانين وستمائة .

ثم وليها جماز بن شيحة صاحب المدينة وأقام بها إلى آخر السنة وذلك مدة يسيرة .

ثم وليها أبو نمى ودامت ولايته عليها إلى قبل وفاته بيومين ، وكانت وفاته يوم الأحد رابع صفر سنة إحدى وسبعمائة وكانت إمرته على مكة خمسين سنة شريكا ومستقلا . وإمرته المستقلة تزيد على ثلاثين سنة يسيرا ؛ وذكر

(١) خليص : قرية قريبة من مكة فى طريق المدينة المنورة.

صاحب بهجة الزمن أن إمرته أزيد من خمسين سنة ، وفى ذلك نظر بيناه فى ترجمته ويظهر ذلك مما ذكرناه فى تاريخ ابتداء ولايته .

وأما إمرة عم إدريس التى اشترك فيها مع أبى نمى فنحو ثمانية عشرة عاما وإمرة عمه المستقلة أربعون يوما .

وولى مكة فى حال ولايتها للسلطان الملك الظاهر بيبرس [١] صاحب مصر أمير يقال له شمس الدين مروان نائب الأمير عز الدين أمير خازندار ، ولاه الملك الظاهر بسؤال إدريس وأبى نمى له فى ذلك ليرجع أمرهما إليه، ويكون الحل والعقد على يديه على ما ذكر مؤلف سيرة الملك الظاهر وذلك فى السنة التى حج فيها الملك الظاهر سنة سبع وستين وستمائة وخرج مروان هذا من مكة سنة ثمان وستين .

وولى مكة بعد أبى نمى ابناه حميضة ورميثة ابنا أبى نمى فى حياته ودعى لهما على قبة زمزم يوم الجمعة ثانى صفر سنة إحدى وسبعمائة قبل وفاة أبيهما بيومين ودامت ولايتهما إلى موسم هذه السنة ثم قبض عليهما .

وولى عوضهما أخواها أبو الغيث وعطيفة وقيل أبو الغيث ومحمد بن إدريس بن قتادة الحسنى، وكان المتولى لذلك الأمير بيبرس الجاشنكير الذى كان ستادار الملك الناصر محمد بن قلاوون [١] وصار سلطانا بعده فى آخر سنة ثمان وسبعمائة بموافقة من حج معه من الأمراء فى هذه السنة تأديبا لحميضة ورميثة على إساءتهما إلى أخويهما أبى الغيث وعطيفة .

ثم عاد حميضة ورميثة إلى إمرة مكة فى سنة ثلاث وسبعمائة ، وقيل فى سنة أربع وسبعمائة بولاية من الملك الناصر صاحب مصر ودامت ولايتهما إلى موسم سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ، ثم وليها أبو الغيث بن أبى نمى بولاية من الملك الناصر وجهز له عسكرا من مصر والشام بعد أن عزل حميضة ورميثة لكثرة الشكوى إليه منهما ولم يصل أبو الغيث والعسكر المجهز له إلى مكة إلا بعد أن فارقها حميضة ورميثة ، ولم تطل ولاية أبى الغيث على مكة لأنه بسوء تدبيره قصر فى حق من جهز معه من العسكر ، وخاف منهم فكتب لهم بخطه باستغنائه عنهم ففارقوه بعد شهرين فلم يلبث بعد أن فارقوه إلا جمعة حتى وصل إليه حميضة وحار به فغلب حميضة أبا الغيث ولجأ إلى هذيل بنخلة [٢] مكسوراً وأرسل حميضة إلى السلطان الملك الناصر ليستعطفه فلم يرض عنه وأرسل أبو الغيث يستنصر السلطان فوعده بالنصر ، ثم التقى الأخوان فى أربع ذى الحجة سنة أربع عشرة فأسر حميضة أبا الغيث ثم قتله

(١) من أشهر الملوك فى دولة المماليك البحرية ، ولى مصر من عام ٦٥٨ حتى عام ٦٧٦ ﻫ (١٢٦٠ – ١٢٧٧ م)

(١) حكم الناصر مصر من عام ٦٩٣ ﻫ حتى عام ٧٤١ ﻫ (١٢٩٣ – ١٣٤١ م)

(٢) نخلة اليمانية، وهى فى جنوب مكة وتمتد إلى نخلة الشامية، ونخلة اليمانية مشهورة عند أهل مكة فيقولون طريق اليمانية للذاهب إلى الطائف عن طريقها.

ودامت ولايته على مكة إلى شعبان سنة خمس عشرة وسبعمائة .

ثم وليها رميثة فى هذه السنة بولاية من الملك الناصر وجهز معه عسكرا كثيرا ولم يصلوا مكة إلا بعد أن فارقها حميضة فقصدوه إلى الحلف [1] والحليف وكان لجأ إليه يستحصن به فلم يظفروا به وانهزم إلى العراق وقصد خربندا ودامت ولاية رميثة إلى انقضاء الحج من سنة سبع عشرة أو أول سنة ثمان عشرة .

ثم وليها حميضة بعد رجوعه من العراق وأخرج منها رميثة إلى نخلة بموافقة أهل مكة له على ذلك، ويقال : إن ذلك بموافقة رميثة أيضا . ويقال : إنه قطع خطبة الملك الناصر وخطب لصاحب العراق أبى سعيد بن خربندا ولم تطل ولاية حميضة هذه لأن الملك الناصر لما علم بفعله جهز إليه فى ربيع الآخر سنة ثمان عشرة جيشا وأمرهم أن لايعودوا إلا بحميضة فلم يظفروا به ودام مهججا فى البرية إلى أن قتل سنة عشرين وسبعمائة، ولما انقضى الموسم من سنة ثمان عشرة قبض على مقدم العسكر الأمير بهادر الإبراهيمى لاتهامه بالتقصير فى القبض على حميضة وعلى رميثة لاتهامه بأن ما يفعله أخوه من التشعيث بموافقته وحملا إلى القاهرة .

وولى مكة عطيفة بن أبى نمى بولاية من الملك الناصر وجهز معه عسكرا،وذلك فى المحرم سنة تسع عشرة وسبعمائة . ولما وصلوا إلى مكة كثر بها الأمن ، والعدل ، ورخصت الأسعار ، ودامت ولاية عطيفة على مكة إلى أوائل سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة . ولكن شاركه أخوه رميثة فى إمرة مكة فى بعض سنى عشر الثلاثين وسبعمائة، ثم انفرد رميثة بالإمرة بعد وصول العسكر الذى جهزه الملك الناصر إلى مكة بسبب قتل الأمير الدمير أمير خازندار بمكة فى الرابع عشر من ذى الحجة سنة ثلاثين وسبعمائة،وكان هذا العسكر نحو ستمائة فارس ولما سمع بهم رميثة وعطيفة هربوا من مكة، ثم إن الأمراء أرسلوا إلى رميثة بأمان فحضر إليهم فولوه مكة وأحسنوا إليه،وذلك فى ربيع الآخر أو جمادى من السنة المذكورة ودامت ولايته بمفرده إلى سنة أربع وثلاثين .

ثم شاركه فيها أخوه عطيفة بلا قتال .

ثم انفرد رميثة بإمرتها بعد أن خرج منها عطيفة ليلة رحيل الحاج من مكة سنة أربع وثلاثين .

واستمر منفردا إلى أن كان الموسم من سنة خمس وثلاثين ثم شاركه عطيفة فى هذا التاريخ الإمرة وتوافقا إلى أثناء سنة ست وثلاثين .

ثم حصلت بينهما وحشة فأقام عطيفة بمكة ورميثة بالحديد من وادى مر .

ثم هاجم رميثة بعسكره مكة فى رمضان من سنة ست وثلاثين فلم يظفر وخرج منها بعد أن قتل وزيره الزباع بزاى معجمة وعين مهملة و بعض أصحابه وعاد إلى الحديد ثم اصطلحا فى سنة سبع وثلاثين .

(١) لعلها القرية المسماة بذى الحليفة، وهى قريبة من المدينة المنورة . وتسمى الآن أبيار على .

ثم انفرد فيها رميثة بالإمرة بعد أن حضر هو وأخوه عطيفة عند الملك الناصر بمصر فعوق عطيفة و بعث رميثة إلى مكة متوليا وأقام فى الولاية إلى أن تركها لولديه ثقبة وعجلان فى سنة أربع وأربعين ولم يمض له ذلك ولاة الأمر بمصر وكتبوا له بالولاية .

فلما كانت سنة ست وأربعين وليها عجلان بن رميثة بمفرده بتوليته من الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم من أخيه الكامل شعبان بعد وصول عجلان إلى القاهرة، ووصل منها إلى مكة فى جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وسبعمائة فى حياة أبيه وقطع الدعاء لأبيه ومات أبوه فى ذى القعدة من السنة المذكورة .

ودامت ولاية عجلان بمفرده إلى سنة ثمان وأربعين .

ثم وليها معه أخوه ثقبة ودامت ولايتهما إلى سنة خمسين وسبعمائة ثم استقل ثقبة بالإمرة فى هذه السنة لما توجه فيها عجلان إلى مصر ثم استولى عجلان على مكة فى خامس شوال من سنة خمسين ودامت ولايته إلى موسم سنة اثنتين وخمسين .

ثم وليها ثقبة مع أخيه عجلان فى موسم هذه السنة بموافقة منهما على ذلك وكان ثقبة قد وليها بمفرده فى هذه السنة فلما وصلا إلى مكة فى ذى القعدة من هذه السنة لم يمكنه عجلان من البلاد فأقام بخُلَيْص حتى جاء مع الحاج وأصلح أمير الحاج بينه و بين أخيه على المشاركة فى الإمرة .

ثم استقل ثقبة بالإمرة فى أثناء سنة ثلاث وخمسين بعد قبضه على أخيه عجلان واستمر ثقبة إلى أن قبض عليه عليه فى موسم سنة أربع وخمسين .

فوليها بعده أخوه عجلان واستمر عجلان منفردا بالإمرة إلى أن اصطلح هو وأخوه ثقبة على الاشتراك فيها فى تاسع عشر المحرم سنة سبع وخمسين .

ثم انفرد ثقبة بالأمر فى ثالث عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة .

ثم وليها عجلان بمفرده فى موسم هذه السنة .

ثم اشتركا فى الإمرة فى موسم سنة ثمان وخمسين ودامت ولايتهما إلى أن عزلا فى أثناء سنة ستين وسبعمائة بأخيهما سند بن رميثة وابن عمهما محمد بن عطيفة بن أبى نمى وجهز مع ابن عطيفة من مصر عسكرا فيه أربعة أمراء مقدمهم الأمير جركتمر الماردين صاحب الحجاب بالقاهرة وكان وصولهم مع ابن عطيفة إلى مكة فى جمادى الآخرة سنة ستين وسبعمئة وكان سند باليمن مع إخوته فوصل إلى مكة ولاءم الأمراء ودامت ولايته وولاية ابن عطيفة إلى أن دخل الحاج من مكة فى سنة إحدى وستين وسبعمائة .

ثم زالت ولاية ابن عطيفة بإثر ذلك ، وسبب زوالها أن بعض بنى حسن جرح بعض الترك الذين جهزهم الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون للإقامة بمكة عوض جركتمر ومن معه من الأحرار لتأييد سند وابن عطيفة فى إمرة مكة فتعصب للتركى الأتراك وغضب للحسنى بنو حسن وتخلى محمد بن عطيفة عن الفريقين وظن أن أمره بمكة يكون مستقيما و إن لم يكن العسكر بها مقيما، فقدر أن الترك انكسروا وفى المسجد حصروا وبما خف من أموالهم رحلوا فرحل ابن عطيفة فى أثرهم لتخوفه فى المقام بعدهم بسبب ما كان بين ذوى عطيفة والقواد من القتل ، هكذا ذكر لى رحيل ابن عطيفة بعد العسكر من يعتمد على خبره من أهل مكة ووجدت بخط بعض أصحابنا فيما نقله من خط ابن محفوظ مانصه بعد ذكره لهذه الحادثة: وراحوا[1] الأمراء وقعد محمد بن عطيفة وسند فى البلاد . انتهى والله أعلم بصحة ذلك .

وكان ثقبة جاء إلى مكة بإثر هذه الفتنة واشترك مع أخيه سندفى هذه الإمرة إلى أن مات فى شوال سنة اثنتين وستين وسبعمائة .

وولى مكة فى هذه السنة عجلان وكان بمصر معتقلا فأطلقه الأمير يَلْبُغَا المعروف بالخاصكى لما صار إليه تدبير المماكة بعد قتل الملك الناصر حسن ، وولى مكة معه فى الإمرة أخاه ثقبة بسؤال عجلان ووصل عجلان إلى مكة وثقبة عليل ولم يدخل مكة حتى مات ثقبة فولى معه فى الإمرة ابنه أحمد بن عجلان وذلك فى شوال سنة اثنتين وستين وجعل له ربع المتحصل يصرفه فى خاصة نفسه وعلى عجلان كفاية العسكر ، ثم إن سندا استولى على جُدّة ونازع فى الإمرة فلم يتم له أمر واخترمته المنية ودامت ولاية عجلان وابنه إلى سنة أربع وسبعين وسبعمائة ثم انفرد أحمد بن عجلان بالإمرة بسؤال أبيه له فى ذلك على شروط شرطها: منها أن لا يقطع اسمه فى الخطبة والدعاء على زمزم فوفى له ابنه بذلك .

واستمر أحمد منفردا بالإمرة إلى أن وليها معه ابنه محمد بن أحمد بن عجلان فى سنة ثمانين وسبعمائة بسؤال أبيه على ما بلغنى إلا أن أباه لم يظهر لولاية محمد أثرا لاستبداده بالأمر وذلك لصغر سن ابنه ودامت ولايتهما إلى أن مات أحمد بن عجلان فى حادى وعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين .

ثم استقل محمد بن أحمد بالإمرة حتى قتل فى مستهل ذى الحجة من هذه السنة وكان عمه كبيش يدبر له الأمر ولما قتل هرب وكان رأيه أن ابن أخيه لا يحضر لخدمة المحمل فلم يسمع منه وحضر فقتل ولكنه فاز بالشهادة .

ثم وليها بعد قتل محمد: عنان بن مغامس بن رميثة بن أبى نمى، واستولى على جدة أيضا، ثم استولى على جدة كبيش بمن معه

(١) هذه لغة ضعيفة ، والصواب أن يقال : وراح الأمراء

من العرب وغيرهم،ونهبت الأموال التي بجدة للحضارم[1] والغلال التي فيها لبعض الدولة بمصر، والتف عليهم للطمع بعض أصحاب عنان ثم انتقلوا إلى الوادي وعاث العبيد في الطرقات، وعنان مقيم بمكة .

واشترك معه في الإمرة بنو عمه أحمد بن ثقبة وعقيل بن مبارك بن رميثة، ثم اشرك عنان في الإمرة على بن مبارك بعد مفارقته لكبيش ومن معه وملاءمته لعنان، وكان يدعى لهم معه على زمزم ورأى أن ذلك تقوية لأمره فكان الأمر بخلاف ذلك لكثرة ما حصل عليه من الاختلاف، ونمى الخبر إلى السلطان بمصر فعزل عنانا وولى عوضه على ابن عجلان بن رميثة ووصل الخبر بولايته في شعبان سنة تسع وثمانين وتوجه على مع كبيش وآل عجلان ومن جمعوا إلى مكة فلم يمكنهم منها عنان وأصحابه واقتتلوا في التاسع والعشرين من شعبان سنة تسع وثمانين بأذاخر[2] فقتل كبيش وغيره ممن معه ورجع آل عجلان إلى الوادي ودخل عنان وأصحابه مكة وأقاموا بها إلى أن كان الموسم من سنة تسع وثمانين ثم فارقوها وقصدوا الزيمة[3] من وادي نخلة ودخل مكة على بن عجلان وجماعته وكان قد توجه معه وقصد أذاخر والسلطان بمصر فولاه نصف إمرة مكة وولى عنانا النصف الآخر بشرط حضور عنان إلى خدمة المحمل المصري وبلغ عنان ذلك فتهيأ للقاء المحمل فلما كاد أن يصل إليه خاف من آل عجلان عنان ففر وتبعه أصحابه إلى الزيمة وبعد رحيل الحاج من مكة نزلوا الوادي وشاركوا على بن عجلان في إمرة جدة ثم سافر عنان إلى مصر في أثناء سنة تسعين، واعتقل بها في السنة التي بعدها واصطلح على بن عجلان والأشراف واستمر منفردا بالإمرة إلى أن شاركه فيه عنان في أثناء سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة بولاية من الملك الظاهر[4] في ابتداء دولته الثانية ووصل إلى مكة من القاهرة في نصف شعبان من السنة المذكورة واصطلح مع آل عجلان وكان معه القواد ومع على الشرفاء وكانوا غير متمكنين من القيام بمصالح البلد كما ينبغي لمعارضة بني حسن لهما في ذلك ودامت ولايتهم على هذه الصفة إلى الرابع والعشرين من صفر سنة أربعة وتسعين وسبعمائة ثم انفرد بها على بن عجلان وسبب ذلك أن بعض جماعة هَمَّ بالفتك بعنان في المسعى فلم يظفروا به لفراره منهم ولم يدخل مكة إلا بعد أن استدعى هو وعلى بن عجلان للحضور إلى السلطان بمصر ودخلها ليتجهز منها بعد أن أخليت له من العبيد وأقام بها مدة يسيرة ثم خرج فتوجه إلى

---

(١) في النسخة ك : الكارم بدل : الحضارم

(٢) أذاخر : اسم للجبل الذي بشرقي مكة في المعابدة، وخلفه وادي أذاخر، ويقول له المكيون خريق العشر . وهو من الزاهر إلى المعابدة .

(٣) الزيمة معروفة في طريق الطائف وبها بساتين ومزارع .

(٤) هو الظاهر برقوق أول المماليك الجراكسة وكان أمير مائة ألف في الجيش المصري وقد خلع آخر المماليك البحرية السلطان الملك الصالح بن الأشرف شعبان قلاوون وتولى مكانه يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان عام ٧٨٤هـ وقد جهز في أيامه مالا لعمارة الحرم المكي وسار الركب الرجبي من مصر إلى مكة بعد انقطاعه .

مصر ولحقه على بن عجلان وترك بمكة أخاه محمد بن عجلان مع العبيد وتخلف عنان بمصر وجاء على إلى مكة فى موسم سنة أربع وتسعين منفردا بولاية مكة ودامت ولايته عليها إلى أن استشهد فى تاسع شوال سنة سبع وتسعين . وكان فى غالب ولايته مغلوبا مع الأشراف وسبب ذلك أنه بعد شهر من وصوله من مصر قبض على جماعة من أعيان الأشراف والقواد ثم خودع فيهم فأطلقهم وصاروا يشوشون عليه ويكلفونه مالا تصل قدرته إليه وأفضى الحال من تشويشهم عليه إلى أن قل الأمان بمكة وجدة فقصد التجار ينبع ولحق أهل مكة من ذلك شدة.

ولما قتل قام بأمر مكة أخوه محمد بن عجلان مع العبيد إلى أن وصل أخوه السيد الشريف حسن بن عجلان من الديار المصرية بولاية مكة عوض أخيه وكان قدم مصر فى سنة سبع وتسعين مغاضبا لأخيه فاعتقله السلطان ثم رضى عنه وولاه مكة بعد قتل أخيه ودخل مكة فى الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وضبط أحوال البلاد وحسم موادالفساد وأخذ بثأر أخيه من الأشراف فى حرب كان بينه و بينهم بمكان من وادى مر يقال له الزبارة فى يوم الثلاثاء خامس عشرين من شوال من السنة المذكورة وكان المقتولين من الأشراف وجماعتهم نحو أربعين نفراً ولم يقتل من عسكر السيد حسن إلا واحد أو اثنان .

واستمر منفرداً بالولاية إلى أن اشترك معه فيها ابنه السيد بركات وذلك فى سنة تسع وثمانمائة ووصل توقيعه بذلك فى موسم هذه السنة وهو مؤرخ بشعبان منها .

ثم سعى لابنه السيد شهاب الدين أحمد بن حسن فى نصف الإمرة التى كانت معه فأجيب إلى سؤاله وولى نصف الإمرة شريكا لأخيه وولى أبوهما نيابة السلطنة بجميع بلاد الحجاز وذلك فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة وثمانمائة وجرى توقيعهم بذلك فى أوائل النصف الثانى من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة وصار يدعى له ولولديه فى الخطبة بمكة وعلى قبة زمزم ويدعى للسيد حسن بمفرده فى الخطبة بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وسبب ذلك أنه كان ولى المدينة عجلان بن نعير بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى عوض أخيه ثابت بن نعير فإنه كان ولى إمرتها فى هذه السنة ومات ثابت فى صفر من هذه السنة قبل وصول توقيعه واستمرت الخطبة باسم الشريف حسن بالمدينة النبوية إلى أن عزل عنها عجلان بابن عمه سليمان بن هبة الله بن جماز ابن منصور فى موسم سنة اثنتى عشرة وثمانمائة وكان يقدم فى الخطبة على عجلان.

وفى هذه السنة أيضا عزل الشريف حسن وابناه عن ولايتهم ولم يظهر لذلك أثر بمكة لأن السلطان الملك

الناصر [١] فرج بن الملك الظاهر برقوق أسر أمر عزلهم ثم رضى عليهم بعد توجه الحجاج من القاهرة فى هذه السنة فأعادهم إلى ولايتهم و بعث إليهم بتقليد وخلع صحبة خادمه الحاج فيروز الساقى وكتب إلى أمير الحج المصرى يأمره بالكف عن محاربتهم فأخمد الله الفتنة بذلك و بدا من الشريف حسن بعد دخول الحجاج إلى مكة أمور محمودة من حرصه على الكف عن إذاية الحجيج ولولا ذلك لعظم عليهم البكاء والضجيج والله يزيده توفيقا و يسهل له إلى كل خير طريقا. وتاريخ ولايتهم فى هذه السنة الثانى عشر من ذى القعدة الحرام ووصل الخبر بهافى آخر يوم من ذى القعدة وولى السيد حسن المذكور تدبير الأمور والقيام بمصالح العسكر والبلاد ودامت ولايتهم على ذلك إلى أثناء صفر سنة ثمان عشرة وثمانمائة.

ثم ولى مكة بعد ذلك السيد رميثة بن محمد بن عجلان بن رميثة وما دخل مكة ولا دعى له فى الخطبة وعلى زمزم إلا فى العشر الأول من ذى الحجة من السنة المذكورة وكانت قراءة توقيعه فى يوم دخوله إلى مكة وهو مستهل ذى الحجة من السنة المذكورة وتاريخه رابع عشر من صفر؛ وصرح فيه بأنه ولى نيابة السلطنة بالحجاز عوضا عن عمه و إمرة مكة عوضا عن ابن عمه ، والله يسدده و إلى الخير يرشده.

ثم عزل عن ذلك فى ثامن عشر من رمضان من سنة تسع عشرة وثمانمائة وولى عمه السيد الشريف حسن بن

(١) نزل له أبوه عن السلطنة وسنه عشرة أعوام ، وعين الأتابك ايتمش البجاشى لتدبير المملكة ، وتوفى برقوق عام ٨٠١ هـ وفيه يقول المعرى :

مضى الظاهر السلطان أكرم مالك ... إلى ربه يرقى إلى الخلد فى الدرج
وقالوا ستأتى شدة بعد موته ... فسامحهم ربى وما جا سوى فرج

وكان برقوق قد خلع وحبس ثم هرب من الحبس واستعاد ملكه إلى أن مات.

وفى عهد فرج وقع الحريق فى المسجد الحرام فى ليلة السبت لليلتين بقيتا من شوال عام ٨٠٢ هـ . وسبب ظهور نار من رباط رامشت الملاصق لباب الحزورة من أبواب المسجد فى الجانب الغربى - ورا شت : هو الشيخ الصوفى الفارسى أبو القاسم إبراهيم بن الحسين وقفه على الصوفية عام ٥٢٩ هـ ، ولما احترق رباط رامشت عام ٨٠٢ هـ أعيد بناؤه وسمى رباط الخاص ، وصار ما احترق من المسجد الحرام أكواما عظاما تمنع من رؤية الكعبة الشريفة ومن الصلاة فى الجانب المحروق من المسجد . وقد أتى هذا الحريق على ثلث المسجد الحرام . ثم قدر الله تعالى عمارة المسجد فى مدة يسيرة على يد الأمير بيسق الظاهرى وكان قدومه أميرا للحاج المصرى فى موسم عام ٨٠٣ هـ ، وتخلف بمكة لتعمير المسجد بعد رحيل الحجاج من مكة ولم تكتمل عمارة المسجد إلا عام ٨٠٧ هـ .

وفى عهد فرج كثرت الفتن بمصر من الأمراء الظاهرية ، مماليك الظاهر برقوق إلى أن ضجر فرج وهرب من القلعة فى ٦ ربيع الأول عام ٨٠٨ هـ واختفى عند سعد الدين إبراهيم بن عراب أحد رؤساء الباشرين فلما أصبح الأمراء وفقدوا السلطان أقاموا أخاه مقامه فى السلطنة وهو الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق وكان صغيرا . ثم ظهر أخوه فرج ونفى المنصور .

عجــلان دون ولديه إمرة مكة ودخلها لابسا خلعة السلطان الملك المؤيد نصره الله تعالى بالولاية فى بكرة يوم الأربعاء السادس والعشرين من شوال من هــذه السنة و بإثر طوافه بالبيت قرئ توقيعه وكان يوما مشهودا ، وفى ليلة يوم الأربعاء المذكور فارق مكة السيد رميثة ومن معه بعد حرب شديدة كانت بينهم و بين عسكر السيد حسن بالمعلاة فى يوم الثلاثاء خامس عشرين من شوال استظهر فيه عسكر السيد حسن بن عجلان على من عاداهم لأنهم لما أقبلوا من الأبطح ودنوا من باب المعلاة أزالوا من كان على الباب وقر به من أصحاب رميثة بالرمى بالنشاب والأحجار وعمد بعضهم إلى باب المعلاة فدهنه وأوقد تحته النار فاحترق حتى سقط إلى الأرض وقصد بعضهم طرف السور الذى يلى الجبــل الشامى مما يلى المقبرة فدخل منه جماعة من الترك وغيرهم ورقوا موضعا مرتفعا من الجبل ورموا منه بالنشاب والأحجار من كان داخل الدرب من أصحاب رميثة فتعبوا لذلك كثيرا ونقب بعضهم مايلى الجبل الذى هم فيه من السور نقباً متسعا حتى اتصل بالأرض ودخل منه جماعة من الفرسان من عسكر السيد حسن إلى مكة ولقيهم جماعة من أصحاب رميثة وقاتلوهم حتى أخرجوهم من السور ، وقد حصل فى الفريقين جراحات وهى فى أصحاب رميثة أكثر ، وقصد بعض أصحاب حسن السور مما يلى بركة العارم فنقبوه نقبا متسعا ولم يتمكنوا من الدخول منه لأجل البركة فإنها مهواة ونقبوا موضعا آخر فوقه ، ثم إن بعض الأعيان من أصحاب السيد حسن أجاز من القتال وكان السيد حسن كارها للقتال رحمة منه لمن مع رميثة من القواد العجزة ولو أراد الدخول إلى مكة بكل عسكره من الموضع الذى دخل منه بعض عسكره لقدر على ذلك وأمضى الخيرة بترك القتــال ، و بإثر ذلك وصل إليه جماعة من الفقهاء والصالحين بمكة ومعهم ربعات شريفة وسألوه فى كف عسكره عن القتال ؛ فأجاب إلى ذلك على أن يخرج من عانده من مكة ؛ فمضى الفقهاء إليهم وأخبروهم بذلك فتأخروا عنه إلى جوف مكة بعد أن توثقوا ممن أجاز من القتــال ، ودخل السيد حسن من السور بجميع عسكره وخيم حول بركتى المعلاة وأقام هناك حتى أصبح وأمن المعاندين له خمسة أيام توجهوا فى أثنائها إلى جهة اليمن. وفى صفر من سنة عشرين وثمانمائة أتى السيد رميثة خاضعا لعمه واجتمعا بالشرف فأكرم عمه وفادته وتآلفا على الــكرامة فلله الحمد .

ثم فى أول سنة أربع وعشرين وثمــانمائة فوضت إمرة مكة للسيد حسن بن عجلان وابنه السيد زين الدين بركات فى أول دولة الملك المظفر أحمد بن الملك المؤيد(١) ، وكتب عنه بذلك عهد شريف مؤرخ بمستهل صفر سنة

(١) قتل الملك الناصر فرج عام ٨١٥ هـ ، وتولى بعده الخليفة العباسى المستعين بالله أبو العباس محمد بن أبى بكر العباسى المصرى مع كراهية شديدة منه ، وكان القائم بتدبير المملــكة الأمير شيخ المحمودى ، ثم خلع المستعين وتولى السلطنة مكانه ، ولقب بالمؤيد شيخ وذلك فى مستهل شعبان عام ٨١٥ هـ وظل فى الملك إلى أن توفى يوم الاثنين من من المحرم عام ٨٢٤ هـ فتولى بعده ابنه الملك المظفر أحمد بن المؤيد شيخ بعهد منه وكان عمره سنة وثمانية أشهر فتولى تدبير المملــكة الأمير ططر ، ثم خلع ططر الأمير الملك وتولى مكانه وذلك لليــلة بقيت من شعبان عام ٨٢٤ هـ ومات مقتولا عام ٨٣٣ هـ .

أربع وعشرين وثمانمائة ، وجهز لهما تشريفتين من خزانته الشريفة ووصل ذلك مع العهد لمكة فى ثانى عشر ربيع الأول وقرئ العهد بالمسجد الحرام بظل زمزم فى الحطيم بحضور القضاة والأعيان فى بكرة يوم الأربعاء رابع عشر ربيع الأول وقرئ بعد ذلك كتاب لسلطان الملك المظفر وهو يتضمن الأخبار بوفاة والده وعهده إليه بالسلطنة ومبايعة أهل الحل والعقد له بذلك بعد وفاة أبيه وجلوسه على تخت الملك وغير ذلك من الأمور التى تصنع للملوك وتفويضه إمرة مكة للسيد حسن بن عجلان وابنه السيد بركات وبحثهما على مصالح الرعية والتجار وغير ذلك من مصالح المسلمين بمكة وتاريخه الرابع عشر من صفر ، وفيه أن وفاة الملك المؤيد فى يوم الاثنين ثانى المحرم ، ولبس السيد بركات تشريفته وطاف عقب ذلك بالكعبة الشريفة والمؤذن يدعو له على حسب العادة فوق زمزم وخرج من باب الصفا فركب ودار فى شوارع مكة وكان أبوه إذذاك غائبا بناحية الواديين من اليمن ودامت ولاية السيد حسن بن عجلان وابنه السيد بركات إلى أوائل سنة سبع وعشرين وثمانمائة .

ثم ولى إمرة مكة السيد على بن عنان بن مغامس بن رميثة الحسنى بمفرده وتوجه إليها من مصر صحبة العسكر المنصور الأشرفى واستولى على مكة بغير قتال لأن السيد حسن وابنه وجماعتهم فارقوها ودخل السيد على بن عنان إلى مكة لابسا خلعة الولاية ضحوة يوم الخميس سادس جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وثمانمائة وطاف بالكعبة المعظمة سبعا والمؤذن يدعو له على زمزم وبعد فراغه من صلاة الطواف قرئ توقيعه بالولاية بظل زمزم وفيه أنه ولى إمرة مكة عوض السيد حسن بن عجلان وركب بعد ذلك من باب الصفا ودار فى شوارع مكة والخلعة عليه ؛ ثم مضى فى ثالث يوم إلى جدة لتنجيل(١) ما وصل إليها من الهند وغير ذلك ورفق بالقادمين ودعا بالعسكر المنصور إلى مكة فى سابع جمادى الآخرة وضربت باسمه السكة وابتدأت الخطبة باسمه فى جمادى الأولى .

واستمر ابن عنان متوليا إلى أول ذى الحجة سنة ثمان وعشرين ، وفى هذا التاريخ وصل السيد حسن بن عجلان إلى مكة المشرفة بأمان من صاحب مصر السلطان الأشرف برسباى ودخل مكة لابسا خلعة الولاية فى يوم الأربعاء رابع ذى الحجة من السنة وفوضت إليه إمرة مكة وخطب له وتوجه بعد الحج إلى مصر فنال إكراما كثيرا وقرر فى إمرة مكة فى العشرين من جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وهو عليل واستمر كذلك حتى توفى فى سادس عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة بالقاهرة بعد أن تجهز للسفر إلى مكة .

ثم إنه استدعى السلطان ولده السيد بركات بن حسن بن عجلان إلى مصر فقدمها فى ثالث عشرين من رمضان وفوض إليه إمرة مكة عوضا عن أبيه من سادس عشرين من رمضان من السنة واستقر أخوه السيد إبراهيم نائبا عنه وخلع عليهما تشريفتين وتوجها إلى مكة فى عاشر شوال من السنة فوصلوا إليها فى أوائل العشر الوسط من ذى القعدة منها وقرئ عهد الشريف بركات بالولاية ولبس الخلعة .

---

(١) التنجيل : إنزال التجارة من السفن إلى البر — وهى كلمة شائعة على ألسنة سكان جدة .

هذا ما علمناه من خبر ولاة مكة فى الإسلام ، وقد أوعينا فى تحصيل ذلك الاجتهاد ، وما ذكرناه من ذلك غير واف بكل المراد لأنه خفى علينا جماعة من ولاة مكة وخصوصا ولاتها من زمن المعتضد و إلى ابتداء ولاية الأشراف فى آخر خلافة المطيع العباسى . وخفى علينا كثير من تاريخ ابتداء ولاية كثير منهم وتاريخ انتهائها ، ومع ذلك فهذا الذى ذكرناه من ولاة مكة ليس له فى كتاب نظير ، والذى لم نذكره من الولاة هو اليسير ، وسبب الإقلال فى ذلك والتقصير ماذكرناه من أنا لم نر مؤلفا فى هذا المعنى نستضىء به وذلك مع المقدور لعدم العناية بتدوين كل قضية من أحوال الولاة عند وقوعها . وقد شرحنا كثيرا من أحوالهم وما أجملناه من أخبارهم فى كتابنا المسمى « بالعقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين » وفى مختصره المسمى : «عجالة القرى للراغب فى تاريخ أم القرى » فمن أراد معرفة ذلك فليراجع أحد الكتابين ؛ فإنه يعلم من أحوالهم أمورا كثيرة ، وفى هذين الكتابين فوائد كثيرة مستغربة وأخبار مستغربة .

والحمد لله على التوفيق ، ونسأله الهداية إلى أحسن طريق[1] .



(١) تولى بعد السيد بركات بن حسن إلى اليوم كثير من الولاة على مكة ، وسنذكرهم إن شاء الله فى آخر هذا الكتاب فلا داعى لذكرهم هاهنا .

الباب الثامن والثلاثون

فى ذكر شىء من الحوادث المتعلقة بمكة «فى الإسلام»

لا شك أن الأخبار فى هذه المعنى كثيرة جدا ، وخفى علينا كثير من ذلك لعدم العناية بتدوينه فى كل وقت . وقد سبق مما علمناه من ذلك أمور كثيرة فى مواضع من هذا الكتاب ؛ بعضها فيما يتعلق بسور مكة فى الباب الأول من هذا الكتاب ، و بعضها فيما يتعلق بأنصاب الحرم ؛ وذلك فى الباب الثالث من هذا الكتاب ، و بعضها فى أخبار المقام ؛ وذلك فى الباب السادس عشر من هذا الكتاب ، و بعضها فى الأخبار المتعلقة بالحِجْر بسكون الجيم ، وذلك فى الباب السابع عشر من هذا الكتاب ، و بعضها فى الأخبار المتعلقة بالمسجد الحرام ، وذلك فى الباب الثامن عشر ، والتاسع عشر من هذا الكتاب ، و بعضها فى الأخبار المتعلقة بزمزم وسقاية العباس ؛ وذلك فى الباب العشرين من هذا الكتاب ، و بعضها فى الأخبار المتعلقة بالأماكن المباركة بمكة وظاهرها ؛ وذلك فى الباب الحادى والعشرين من هذا الكتاب ، و بعضها فى الأخبار المتعلقة بالأماكن التى لها تعلق بالمناسك ، وذلك فى الباب الثانى والعشرين من هذا الكتاب ، و بعضها فى الأخبار المتعلقة بالمآثر بمكة كالربط والمدارس وغير ذلك ، وذلك فى الباب الثالث والعشرين من هذا الكتاب ، و بعضها فى الأخبار المتعلقة بولاة مكة فى الإسلام ؛ وذلك فى الباب السابع والثلاثين من هذا الكتاب ، و بعضها يأتى ذكره فى الأخبار المتعلقة بسيول مكة وما كان فيها من الغلاء والرخص والوباء وذلك فى الباب التاسع والثلاثين من هذا الكتاب ، و بعضها أيضا يأتى فى الأخبار المتعلقة بأسواق مكة وذلك فى الباب الأربعين من هذا الكتاب . والمقصود ذكره فى هذا الباب وهو الباب الثامن والثلاثون أخبار تتعلق بالحجاج ولها تعلق بمكة أو باديتها ، وحجُّ جماعة من الخلفاء والملوك فى حال خلافتهم وملكهم ، ومن خطب له من الملوك وغيرهم فى خلافة بنى العباس وما جرى بسبب الخطبة بين ملوك مصر والعراق ، وما أسقط من المكوسات المتعلقة بمكة، ورغبتنا[1] فى ذكر ذلك تاريخ وقوعه لا مناسبة كل حادثة لما قبلها مع مراعاتنا للاختصار فى جميع ما ذكرناه .

فمن الأخبار المقصود ذكرها هنا : أن أبا بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ ورضى الله عنه ــ حج بالناس سنة اثنتى عشرة من الهجرة ، وهو الذى حج بالناس سنة تسع من الهجرة .

---

(١) فى النسخة (ك) : (وراعينا) ، بدل : ورغبتنا .

ومنها أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حج بالناس فى جميع خلافته إلا السنة الأولى منها وهى سنة ثلاثة عشرة فحج بالناس فيها عبد الرحمن بن عوف الزهرى رضى الله عنه .

ومنها أن عثمان بن عفان رضى الله عنه حج بالناس فى جميع خلافته إلا فى السنة الأولى منها وهى سنة أربع وعشرين فحج بالناس فيها عبد الرحمن بن عوف الزهرى رضى الله عنه ، وإلا السنة الأخيرة وهى سنة خمس وثلاثين من الهجرة حج بالناس فيها عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما .

ومنها أنه فى سنة تسع وثلاثين من الهجرة كاد أن يقع بمكة قتال بين قثم بن العباس عامل مكة لعلى بن أبى طالب وبين يزيد بن شجرة الرهاوى الذى بعثه معاوية لإقامة الحج وأخذ البيعة له بمكة ونفى عامل على عنها . ثم وقع الصلح بينهما على أن يعتزل كل منهما الصلاة بالناس ويختار الناس من يصلى بهم ويحج بهم . فاختاروا شيبة بن عثمان الحجبى فصلى بهم وحج بهم .

ومنها أنه فى سنة أربعين من الهجرة وقف الناس بعرفة فى اليوم الثامن وضحوا فى اليوم التاسع على ما ذكر العتيقى فى أمراء الموسم لأنه قال : وأقام للناس الحج لسنة أربعين المغيرة بن شعبة رضى الله عنه بكتاب افتعله على لسان معاوية رضى الله عنه أنه ولاه الموسم ثم خشى أن يفطن لذلك فوقف بالناس يوم التروية على أنه يوم عرفة وضحوا يوم عرفة انتهى . ونقل الذهبى فى تاريخ الإسلام عن الليث بن سعد ما يدل لما ذكره العتيقى . وأفاد فى ذلك ما لم يفده العتيقى لأنه قال فى أخبار سنة أربعين من الهجرة : حج بالناس المغيرة بن شعبة ، ودعا لمعاوية ، وقال الليث بن سعد : حج لمعاوية سنة أربعين لأنه كان معتزلا بالطائف ؛ فافتعل كتابا عام الجماعة فقدم الحج يوما خشية أن يجىء أمير ، فتخلف عنه ابن عمر رضى الله عنهما ، وصار معظم الناس مع ابن عمر رضى الله عنهما . قال الليث: قال نافع : فلقد رأيتنا ونحن غادون من منى وقد استقبلونا مفيضين من جمع ، فأقمنا بعدهم ليلة انتهى . وهذا إن صح عن المغيرة فلعله صح عنده رؤية هلال ذى الحجة[1] على وفق ما فعل ، ولم يصح ذلك عند من خالفه فتأخروا عنه لذلك والله أعلم .

ومنها أن معاوية بن أبى سفيان حج بالناس سنة أربع وأربعين من الهجرة ، وسنة خمسين منها على ما ذكر العتيقى .

ومنها أن عبد الله بن الزبير بن العوام رضى الله عنهما حج بالناس تسع حجج ولاء ؛ أولها سنة ثلاث وستين ، وآخرها سنة إحدى وسبعين على ما ذكر العتيقى ، وكان فى سنة اثنتين وسبعين محصورا حصره الحجاج .

---

(١) فى النسخة (ك) : الحجة بدل : ذى الحجة .

ومنها أنه فى سنة ست وستين من الهجرة وقف بعرفة أربعة ألوية : لواء ابن الزبير على الجماعة ، ولواء لابن عامر على الخوارج ، ولواء محمد بن الحنفية على الشيعة ، ولواء لأهل الشام من مضر لبنى أمية ، وذكر ذلك هكذا المسبحى قال : وحج بالناس عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما :

ومنها أن عبد الملك بن مروان حج بالناس فى سنة خمس وسبعين وفى سنة ثمان وسبعين على ما ذكر العتيقى .

ومنها أن الوليد بن عبد الملك بن مروان حج بالناس سنة إحدى وتسعين . وفى سنة خمس وتسعين على ما قيل .

ومنها أن سليمان بن عبد الملك بن مروان حج بالناس سنة تسع وتسعين .

ومنها أن هشام بن عبد الملك بن مروان حج بالناس سنة ست ومائة .

ومنها أنه فى سنة تسع وعشرين ومائة بينما الناس بعرفة ما شعروا إلا وقد طلعت عليهم أعلام وعمائم سود على رءوس الرماح . ففزع الناس حين رأوهم وسألوهم عن حالهم فأخبروهم بخلافهم مروان ، وآل مروان . فراسلهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان وهو يومئذ على مكة والمدينة وطلب منهم الهدنة فقالوا نحن بحجنا أحق وعليه أشح فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون بعضهم من بعض حتى ينفر الناس النفر الأول فوقفوا بعرفة على حدة ودفع بالناس عبد الواحد ونزل بمنى فى منزل السلطان ونزل أبو حمزة الخارجى مقدم الفريق الأخر بقرن الثعالب[1]، فلما كان النفر الأول نفر فيه عبد الواحد وخلى مكة ، فدخلها أبو حمزة[2] بغير قتال . وكان من أمره ما سبق فى باب الولاة بمكة .

ومنها أن أبا جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس حج بالناس على ماذكر العتيقى فى سنة أربعين ومائة من الهجرة، وفى سنة أربع وأربعين ، وفى سنة سبع وأربعين ، وفى سنة اثنتين وخمسين من الهجرة ، وهو الذى حج بالناس سنة ست وثلاثين قبل أن تفضى اليه الخلافة وفيها أفضت إليه وأراد الحج بالناس فى سنة ثمان وخمسين ومائة من الهجرة فحالت المنية بينه و بين ذلك بعد أن كاد يدخل مكة ، وكانت وفاته ببئر ميمون[3] ظاهر مكة .

ومنها : أن المهدى محمد بن أبى جعفر المنصور[4] العباسى حج بالناس سنة ستين ومائة من الهجرة وفى سنة أربع وستين ومائة من الهجرة وفى كل منهما أمر بتوسعة المسجد الحرام وفى الأولى جرد الكعبة مما عليها من

---

(١) قرن الثعالب ، ويقال له قرن المنازل : ميقات أهل نجد . قال ياقوت : تلقاء مكة على يوم وليلة .

(٢) أبو حمزة الإباضى هذا : من زعماء الخوارج وله خطبة مشهورة فى مكة .

(٣) بئر ميمون فى طريق منى ـ مكة . وهى من آبار عين زبيدة . ألحقت بها حديثا .

(٤) تولى الخلافة من عام ١٥٨ هـ حتى عام ١٦٩ هـ .

الـكسوة مخافة الثقل عليها وكساها كسوة جديدة وأنفق فى حجته الأولى فى الحرمين أموالا عظيمة يقال إنها ثلاثون ألف ألف درهم وصل بها من العراق . وثلاثمائة ألف دينار وصلت إليه من مصر ، ومائتا ألف دينار وصلت إليه من اليمن ، ومائة ألف ثوب وخمسون ألف ثوب . وما ذكرناه من حج المهدى مرتين سنة ستين وفى سـنة أربع وستين ذكره الإمام الأزرقى فى تاريخه ، وذكر أنه فى كل منهما أمر بالزيادة فى المسجد الحرام ولم يذكر العتيقى إلا حجته الأولى وذكر أنه فى سنة أربع وستين خرج إلى الحج فرجع من العقبة [1] لعلة أصابته وهو أول خليفة حمل إليه الثلج إلى مكة وذلك فى حجته الأولى .

ومنها : أن هارون الرشيد بن المهدى العباسى [2] حج بالناس على ماذكر العتيقى تسع حجج متفرقة . وذلك فى سنة سبعين ومائة ، وسنة ثلاث وسبعين ومائة ، وسنة أربع وسبعين ومائة ، وسنة خمس وسبعين ومائة ، وسنة سبع وسبعين ومائة ، وسنة تسع وسبعين ومائة ، وسنة إحدى وثمانين ومائة ، وسنة ست وثمانين ومائة ، وسنة ثمان وثمانين ومائة ، وذكر ابن الاثير حج الرشيد بالناس فى هذه السنين وذكر أنه فى سنة سبعين قسم بالحرمين عطاء كثيراً وأنه فى سنة ثلاث وسبعين أحرم بالحج من بغداد . وأنه فى سنة أربع وسبعين قسم فى الناس مالا كثيرا وأنه فى سنة تسع وسبعين مشى من مكة إلى منى إلى عرفات وشهد المشاعر كلها ماشيا . وأنه اعتمر فى رمضان هذه السنة شكرا لله تعالى على قتل الوليد بن طريف وعاد إلى المدينة ، فأقام بها إلى وقت الحج وحج بالناس وفعل ماسبق وأنه فى سنة ست وثمانين بلغ عطاؤه فى الحرمين ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار . وجعل فى الـكعبة العهد الذى عهده بين ولديه الأمين والمأمون بعـد أن عهد عليها فى الـكعبة بالوفاء وأنه فى سنة ثمان وثمانين قسم أموالا كثيرة قال : وهى آخر حجة حجها فى قول بعضهم انتهى . وهو آخر خليفة حج من العراق .

ومنها : أنه فى سنة تسع وتسعين ومائة وقف الناس بعرفة بلا إمام وصلوا بلا خطبة . وسبب ذلك أن أبا السرايا داعية ابن طباطبا [3] بعث حسينا الأفطس للاستيلاء على مكة . وأقام الموسم بها . فلما آن وقت الحج فارق مكة واليها داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، ومن كان معه بها من شيعة بنى العباس مع قدرته على القتال والدفع وافتعل كتابا من المأمون بتولية ابنه محمد بن داود على صلاة الموسم وقال له : اخرج فصل بالناس بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، و بت بمنى وصل الصبح ، ثم اركب دابتك فانزل طريق عرفة ،

---

(١) العقبة : هى الحد الطبيعى للحجاز وهى بلدة حجازية على حـدود مصر وشرقى الأردن .

(٢) ولى الخلافة من عام ١٧٠ هـ حتى عام ١٩٣ هـ وهو خامس الخلفاء العباسيين .

(٣) من زعماء الشيعة ودعاتهم مات عن ستة وعشرين عاما (١٩٩ هـ) .

وخذ على يسارك فى شعب عمرو [١] حتى تأخذ طريق المشاش حتى تلحقنى ببستان ابن عامر ففعل ذلك فلما زالت الشمس يوم عرفة تدافع للصلاة قوم من أهل مكة وقيل لقاضى مكة : اخطب بالناس وصل بهم ، قال : فلمن أدعو؟ وقد هرب هؤلاء وظل هؤلاء على الدخول : فقيل له : لا تدع لأحد فلم يفعل وقدموا رجلا فصلى بالناس الصلاتين بلا خطبة ثم مضوا فوقفوا بعرفة ثم دفعوا بغير إمام ولما بلغ الأفطس خلو مكة من بنى العباس دخلها قبيل الغروب فى نحو عشرة من أصحابه فطافوا وسعوا ومضوا إلى عرفة فوقفوا بها ليلا وأتوا مزدلفة فصلى حسين بالناس فيها صلاة الفجر ودفع إلى منى وأقام بها أيام الحج ثم أتى مكة ففعل فيها ماسبق ذكره فى باب الولاة من الأفعال القبيحة .

ومنها : أنه فى سنة مائتين من الهجرة نهب الحجاج بستان ابن عامر [٢] ، وسبب ذلك أن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق أخا على بن موسى الكاظم بعد استيلائه على اليمن فى هذه السنة وجه إلى اليمن رجلا من ولد عقيل ابن أبى طالب فى جند ليحج بالناس ، فصار العقيلى حتى أتى بستان ابن عامر فبلغه أن أبا إسحق المعتصم قد حج فى جماعة من القواد فيهم حمدويه بن على بن عيسى بن ماهان ، وقد استعمله الحسن بن سهل على اليمن فعلم العقيلى أنه لا يقوى بهم فأقام ببستان ابن عامر فاختار قافلة من الحاج ومعهم كسوة الكعبة وطيبها فأخذوا أموال التجارة وكسوة الكعبة وطيبها وقدم الحجاج مكة عراة منهو بين فاستشار المعتصم أصحابه قال الجلودى : أنا أكفيك ذلك فانتخب مائة رجل وسار إلى العقيلى فصبحهم فقاتلهم فانهزموا وأسر أكثرهم وأخذ كسوة الكعبة وأموال التجار إلا ما كان مع من هرب قبل ذلك فرده فأخذ الأسرى فضرب كل واحد منهم عشرة أسواط وأطلقهم فرجعوا إلى اليمن يستطعمون الناس فهلك أكثرهم فى الطريق انتهى . و بستان ابن عامر هو ببطن [٣] نخلة كما سبق بيانه .

ومنها : أنه فى سنة ثمان وعشرين ومائتين [٤] أصاب الناس فى الموقف حر شديد . ثم أصابهم مطر فيه برد واشتد البرد عليهم بعد ساعة من ذلك الحر وسقطت قطعة من الجبل عند جمرة العقبة فقتلت جماعة من الحجاج انتهى .

ومنها : أنه فى سنة إحدى وخمسين ومائتين [٥] لم يقف الناس بعرفة لا ليلا ولا نهارا وقتل فيها خلق كثير وسبب ذلك أن إسماعيل بن يوسف العلوى السابق ذكره فى باب الولاة بمكة بعد ظهوره فيها فى هذه السنة وما فعله فيها من الأفعال القبيحة بمكة والمدينة وجدة ووافى الموقف بعرفة وبها محمد بن إسماعيل بن عيسى بن المنصور الملقب كعب البقر وعيسى بن محمد المخزومى وكان المعتز وجههما إليها فقاتلهم إسماعيل وقتل من الحجاج نحو ألف ومائة

---

(١) شعب عمرو: من شعاب مكة ، والمشاش: جبال تتصل بعضها من عرفة إلى الطائف

(٢) بستان ابن عامر قريب من مزدلفة .

(٣) فى النسخة (ك) : (بطن) بدل ببطن .

(٤) وذلك فى خلافة الواثق (٢٢٧ — ٢٣٢ هـ)

(٥) وذلك فى خلافة المستعين العباسى (٢٤٨ — ٢٥٢ هـ) .

وسلب الناس وهربو إلى مكة . ولم يقفوا بعرفة لا ليلا ولا نهار . ووقف إسماعيل وأصحابه انتهى .

ومنهـا : أنه فى سنة اثنتين وستين ومائتين خاف الناس أن يبطل الحج . وسبب ذلك أنه فى هذه السنة وقع بين الجزارين والحناطين بمـكة قتال يوم التروية فخاف الناس أن يبطل الحج ثم تحاجزوا إلى أن يحج الناس وقتل منهم تسعة عشر رجلا .

ومنها : أنه فى سنة ست وستين ومائتين[1] وثب الأعراب على كسوة الـكعبة وانتهبوها فصار بعضها إلى صاحب الزنج وأصاب الحجاج فيها شدة شديدة .

ومنها أنه فى سنة تسع وستين[2] ومائتين كان قتال بين الحجاج المصريين أصحاب أحمد بن طولون والعراقيين أصحاب أبى أحمد الموفق وكان الظفر لأصحاب الموفق . وقد سبقت هذه الحادثة فى باب الولاة مبسوطة .

ومنها: أنه فى سنة خمس وتسعين ومائتين كانت وقيعة بين عج بن حاج و بين الأجناد بمنى ثانى عشر ذى الحجة فقتل منهم جماعة لأنهم طالبوا جائزة بيعة المقتدر وهرب الناس إلى بستان ابن عامر . وأصاب الحجاج فى عودهم عطش عظيم فمات منهم جماعة وحكى أن أحدهم كان يبول فى كفه ثم يشر به .

ومنها : أنه فى سنـة أربع عشرة وثلاثمائة وفى سنـة خمس عشرة وثلاثمائة وفى سنـة ست عشرة وثلاثمائة لم يحج إلى مكة أحد من العراق على ما ذكر العتيقى فى أخبار هذه الثلاث سنين للخوف من القرمطى . وذكر ما يقتضى أن الحج فى هـذه السنين لم يبطل من مكة وذكر أنهم يعنى أهل مكة حجوا فى سنة أربع عشرة على قلة من الناس وخوف .

ومنها أن فى سنة سبع عشرة وثلاثمائة حج الناس من بغداد مع منصور الديلمى وسلموا فى طريق مكة من القرمطى فوافاهم القرمطى بمـكة وأسرف فى قتلهم وأسرهم . وفعل فى الـكعبة ومكة أفعالا قبيحة وقد ذكر أفعاله فى هذه السنة جماعة من أهل الأخبار منهم أبو بكر عمر بن على بن القاسم الذهبى فى تاريخه فيما حكاه عنه أبو عبيد البكرى فى كتابه « المسالك والممالك » وأفاد فيما ذكره مالم يفده غيره فاقتضى ذلك ذكرنا لما ذكره بنصه وذلك أنه قال : إن أبا طاهر القرمطى وافى مكة يوم الاثنين لسبع خلون من ذى الحجة سنة سبع عشرة وثلاثمائة فى سبعمائة رجل من أصحابه فقتل فى المسجد الحرام نحو ألف وسبعمائة من الرجال والنساء وهم متعلقون بأستار الـكعبة[3]

---

(١) وذلك فى خلافة المعتمد العباسى (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ) .

(٢) فى نسخة : وتسعين ، فيـكون ذلك فى خلافة المقتدر العباسى الذى ولى الخلافة من عام ٢٩٥ هـ . وقد خلع مرارا وظل خليفة حتى مات عام ٣٢٠ هـ .

(٣) فى النسخة (ك) : (متعلقون بالـكعبة) .

وردم بهم زمزم وفرش بهم المسجد وما يليه وقتل فى سكك مكة وشعابها من أهل خراسان والمغاربة وغيرهم زهاء ثلاثين ألفا وسبى من النساء والصبيان مثل ذلك وأقام بمكة ستة أيام ولم يقف أحد تلك السنة بعرفة ولا وفى نسكها وهى التى يقال لها سنة الحامى وأخذ حلى الكعبة وهتك أستارها وكان سدنة المسجد قد تقدموا إلى حمل المقام وتغييبه فى بعض شعاب مكة فتألم لفقده إذ كان طلبه فعاد عند ذلك على الحجر الأسود فقلعه وذكر من قلعه وتاريخ قلعه ما نقلناه عنه فى أخبار الحجر الأسود ثم قال : ولم يأخذ الميزاب وكان من الذهب الأبريز وسبب ذلك أنه لم يقدر على قلعه أحد من القرامطة الذين على ظهر الكعبة ورام خلعه شخص منهم فأصيب من أبى قبيس بسهم فى عجزه فسقط فمات . قال : ورمى الله القرمطى فى جسده وطال عذابه حتى تقطعت أوصاله وأراه الله تعالى عبرة فى نفسه انتهى . وأما قول العتيقى فى أخبار هذه السنة ولم يحج أحد من العراق ففيه نظر لأنه إن أراد بالعراق عراق العجم . فهو يخالف مقتضى قول الذهبى السابق « وقتل فى سكك مكة وشعابها من أهل خراسان والمغاربة وغيرهم زهاء ثلاثين ألفا انتهى » ، وهذا يدل لحج أهل خراسان وهم من عراق العجم ، وإن أراد عراق العرب فهو يخالف ماذكره ابن الأثير لأنه قال : فى أخبار سنة سبع عشرة وثلاثمائة : حج بالناس منصور الديلمى هذه السنة سار بهم من بغداد إلى مكة فسلموا فى الطريق فوافاهم أبو طاهر القرمطى بمكة يوم التروية فذكر من أفعاله القبيحة بمكة بعض ما سبق ذكره .

ومنها : أنه فى سنة تسع عشرة وثلاثمائة لم يحج ركب العراق . على ما ذكر الذهبى فى تاريخ الإسلام .

ومنها : أنه فى سنة عشرين وثلاثمائة بطل الحج من العراق على ما ذكر العتيقى والذهبى وذكر العتيقى أنه فيها حج ناس من أهل المغرب واليمن .

ومنها : أنه فى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة[1] بطل الحج من بغداد على ما ذكر العتيقى وابن الأثير لاعتراض القرمطى لهم فى الطريق فيما بين القادسية والكوفة .

ومنها : أنه فى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بطل الحج من ناحية العراق على ما ذكر العتيقى .

ومنها : أنه فى سنة خمس وعشرين بطل الحج من العراق على ما ذكره العتيقى والذهبى .

ومنها : أنه فى سنة ست وعشرين بطل الحج من العراق على ما ذكره الذهبى ، وأما العتيقى فقال فى أخبار هذه السنة : وخرج من بغداد نفر يسير من الحجاج رجالة وقوم اكثروا من العرب ونحروا فى مكة وحجوا وعادوا على[2] طريق الشام وعاد منهم قوم على طريق الجادة انتهى .

---

(١) وذلك فى خلافة الراضى العباسى (٣٢٢ — ٣٢٨ هـ) .

(٢) فى النسخة (ك) : وعادوا طريق الشام بحذف (على) .

ومنها : أنه فى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة بطل الحج من العراق[١] لبعد المتقى عن العراق واضطراب البلاد على ما ذكر العتيقى .

ومنها : أنه فى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة بطل الحج على ما ذكر العتيقى .

ومنها أنه فى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة[٢] وسنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وسنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة لم يحج أحد من العراق على ماذكر الذهبي فى تاريخ الإسلام، وذكر العتيقى مايقتضى خلاف ذلك لأنه قال : وحج بالناس فى سنة خمس وثلاثين وست وثلاثين وسبع وثلاثين وثمان وثلاثين وتسع وثلاثين عمر بن يحيى العلوى بولاية السلطان له بذلك انتهى .

ومنها : أنه فى سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة أو فى التى قبلها كان بين الحجاج العراقيين والمصريين قتال بسبب الخطبة بمكة على ماذكر العتيقى لأنه قال : وحج بالناس سنة أربعين وثلاثمائة وسنة إحدى وأربعين وثلاثمائة أحمد ابن الفضل بن عبد الملك من مكة وعارضه أهل مصر مع عمر بن الحسن بن عبد العزيز وصحت الصلاة لأحمد ابن الفضل وكان أمير الحاج فى بغداد عمر بن يحيى العلوى ووقع بين عمر بن يحيى العلوى وابن الحسين محمد بن عبيد الله العلوى وكان حاجا و بين المصريين قتال عظيم ، وخطب أحمد بن الفضل بن عبد الملك على صنادق لسرقة المصريين المنبر بعرفة . وأقام الحج عمر بن الحسن بن عبد العزيز ناحية بالأتراك والمصريين وأقام لهم الحج انتهى . وذكر المسبحى مايدل على أن هذه القصة كانت فى سنة أربعين وثلاثمائة لأنه قال : فى أخبار هذه السنة : وحج بالعراقيين أحمد بن عمر بن يحيى العلوى وخطب بهم أحمد بن الفضل بن عبد الملك الهاشمى . وحج بالمصريين أبو حفص عمر بن الحسن بن عبد العزيز . وكانت سنة خلاف وفتنة حدثت بمكة انتهى . وذكر غيره مايدل على أن ذلك فى سنة إحدى وأربعين ، لأنه قال : فى أخبار هذه السنة : وفيها كان حرب بين أصحاب معز الدولة ، وأصحاب ابن طغج وكان الظفر لأصحاب معز الدولة انتهى . ووقع مثل ذلك فى سنة اثنتين وأربعين وفى سنة ثلاث وأربعين على ما ذكر ابن الأثير لأنه قال فى أخبار سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة : فيها سير الحجاج الشريفان أبو الحسن محمد بن عبد الله ، وأبو عبد الله أحمد بن عمر بن يحيى العلويان ، فجرى بينهما و بين عساكر المصريين من أصحاب ابن طغج حرب شديد فكان الظفر لهما فخطب لمعز الدولة بمكة فلما خرجا من مكة لحقهما عساكر مصر فقاتلهما فظفر به أيضاً ، وقال فى أخبار سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة : فيها وقعت الحرب بمكة بين أصحاب معز الدولة ، وأصحاب ابن طغج من المصريين . فكانت الغلبة لأصحاب معز الدولة فخطب

---

(١) وذلك فى خلافة المتقى العباسى (٣٢٨ — ٣٣٣) هـ.

(٢) وذلك فى خلافة المطيع ابن عم المستكفى العباسى (٣٣٤ - ٣٦٣ هـ) .

بمكة والحجاز لركن الدولة ومعز الدولة وولده عز الدولة بختيار و بعدهم لابن طغج انتهى . وذكر المسبحي ما كان بين الفريقين فى سنة ثلاث وأربعين وذكر ذلك غيره وأفاد فى ذلك غير ماسبق لأنه قال : فى أخبار سنة ثلاث وأربعين : وكان بها أيضا حرب عظيمة بين أصحاب معز الدولة بن بويه والأخشيدى بن محمد بن طغج صاحب الديار المصرية ومنع أصحاب معز الدولة أصحاب الاخشيد من الصلاة بمنى ، والخطبة ، ومنع أصحاب الاخشيد أصحاب معز الدولة من الدخول إلى مكة ، والطواف انتهى باختصار .

ومنها : أنه كان يدعى على المنابر بمكة والحجاز جميعه لكافور الاخشيدى صاحب مصر ذكر هذه الحادثة الملك المؤيد صاحب حماة والظاهر أن الدعاء لكافور بمكة كان فى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة لأنه ولى السلطنة فى هذه السنة بعد موت ابن أستاذه على بن محمد بن طغج الاخشيدى وكان هو المتولى لتدبير المملكة فى سلطنة ابن أستاذه المذكور وسلطنة أخيه أبى القاسم (أونجور) ومعناه بالعربى : محمود بن محمد بن طغج ولعله كان يدعى لكافور فى حال سلطنة المذكورين لتوليه تدبير المملكة لهما والله أعلم .

ومنها أنه فى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة لم يحج أحد من الشام ولا من مصر على ماذكر الذهبى .

ومنها : أنه فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة خطب للمعز أبى تميم معد بن المنصور العبيدى صاحب مصر بمكة والمدينة واليمن و بطلت الخطبة لبنى العباس وفرق فيها قائد حج من مصر أموالا عظيمة فى الحرمين ذكر ذلك كله صاحب المرآة وذكر أن نقيب الطالبيين حج بالناس من بغداد فيها

ومنها على ماقال ابن الأثير : فى أخبار سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وفيها كانت الخطبة بمكة للمطيع لله [1] والقرامطة الهجريين وخطب بالمدينة للمعز لدين الله العلوى [2] ، وخطب أبو أحمد الموسوى والد الشريف الرضى خارج المدينة للمطيع لله وذكر صاحب المرآة أن فيها خطب للمطيع وللهجريين بعده بمكة وأن الفاعل لذلك أبو أحمد النقيب الموسوى ، وذكر أنه حج بالناس فى سنة ستين وثلاثمائة وهذا يخالف ماذكره العتيقى من انقطاع الحج فى هذه السنة ، وفى سنة تسع وخمسين لأنه قال : و بطل الحج من العراق سنة تسع وخمسين وسنة ستين وثلثمائة من العراق والمشرق فلم يحج أحد من هذه الجهات لاختلاف كان وقع من جهة القرامطة انتهى . ودامت الخطبة للمطيع بمكة والحجاز فيما علمت إلى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة .

ومنها: أنه فى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة خطب للمعز لدين الله صاحب مصر بمكة والمدينة فى الموسم وفيها خرج بنو هلال وجمع من العرب على الحجاج فقتلوا منهم خلقا كثيرا وضاق الوقت و بطل الحج ولم يسلم إلا

---

(١) كانت خلافته من عام ٣٣٤ هـ حتى عام ٣٦٣ هـ . (٢) الفاطمى أمير مصر وخليفتها المتوفى عام ٣٦٥ هـ

من مضى مع الشريف أبي أحمد الموسوى والد الرضى على طريق المدينة فتم حجهم انتهى من تاريخ ابن الأثير.

ومنها: أنه فى سنة أربع وستين وثلاثمائة بطل الحج من العراق مع توجههم منه لأنهم قدروا أنهم لا يدركون الحج لأمر عرض لهم فى الطريق فعدلوا إلى المدينة النبوية فوقفوا بها ذكر ذلك بالمعنى ابن الأثير وأما العتيقى فقال فى أخبار (١) هذه السنة: وحج بالناس سنة أربع وستين وثلاثمائة ابن القمر صاحب القرامطة انتهى.

ومنها على ماقال العتيقى: وبطل الحج فى سنة خمس وستين وثلاثمائة من ناحية العراق والمشرق باضطراب أمور البلاد انتهى. وفى هذه السنة وهى سنة خمس وستين على ما ذكر صاحب المرآة حج بالناس (٢) علوى من جهة العزيز بن المعز العبيدى صاحب مصر وخطب فيها بمكة والمدينة للعزيز انتهى بالمعنى وذكر غيره ما يوافق ذلك وأن العزيز أرسل جيشا فى هذه السنة فحصروا مكة وضيقوا على أهلها.

ومنها: أنه فى سنة ست وستين وثلاثمائة حجت جميلة بنت ناصر الدولة أبى محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان حجا يضرب به المثل فى التجمل وأفعال البر لأنه كان معها أربعمائة محمل على لون واحد فلم يعلم الناس فى أيها كانت وكست المجاورين فى الحرمين وأنفقت فيهم الأموال العظيمة ولما شاهدت الكعبة نثرت عليها عشرة آلاف دينار من ضرب أبيها انتهى بالمعنى من المرآة وقد ذكر حج هذه المرأة جماعة من أهل الأخبار منهم الذهبى لأنه قال فى أخبار سنة ست وستين: وفيها حجت جميلة بنت الملك ناصر الدولة بن حمدان وصار حجها يضرب به المثل فإنها أغنت المجاورين وقيل كان معها أربعمائة محمل لا يدرى فى أيها هى لكونهن كلهن فى الحسن والزينة نسبة (٣) ونثرت على الكعبة لما دخلتها عشرة آلاف دينار انتهى. وقال غيره فى ذكر حجها: إنه كان معها عشرة آلاف جمل وألف عجوز ولم تحوج الناس إلى مأكول ولا مشروب وحج معها الناس من أقطار الأرض وأنفقت بمكة عشرين ألف دينار وزوجت كل علوى وعلوية، وأنفقت بالمدينة مثلها. ثم قال: ويقال: إنها أنفقت فى هذه الحجة الف الف دينار ومائة وخمسين ألف دينار، ولما رجعت إلى بغداد. صادرها عضد الدولة بن بويه واستصفى أموالها ثم أراد حملها إليه فخرجت مع رسله وتحيلت حتى ألقت نفسها فى دجلة وكانت من أزهد الناس وأعبدهم وأجراهم دمعة فكانت تقوم نافلة الليل وتسمع العظات وتكثر الصدقات انتهى.

ومنها: أنه فى سنة سبع وستين على ما قال ابن الأثير: سير العزيز بالله العلوى صاحب مصر وأفريقية (٤) أميرا

---

(١) فى النسخة (ك): خبر

(٢) فى النسخة (م): لا توجد كلمة الناس.

(٣) فى النسخة (م): شبهة.

(٤) امتد حكمه من عام ٣٦٥ هـ حتى عام ٣٨٦ هـ.

على الموسم ليحج بالناس وكانت الخطبة له بمكة وكان الأمير على الموسم باديس بن زيرى أخا يوسف بلكين خليفته بإفريقية فلما وصل إلى مكة أتاه اللصوص بها فقالوا له نقبل منكم (١) بخمسين الف درهم ولا تتعرض لنا فقال لهم : أفعل ذلك ، اجمعوا إلى أصحابكم حتى يكون العقد مع جميعكم فاجتمعوا وكانوا نيفا وثلاثين رجلا فقال هل بقى منكم أحد ؟ فحلفوا له أنه لم يبق منهم أحد ، فقطع أيديهم كلهم انتهى .

ومنها: أنه فى سنة سبعين وثلاثمائة خطب بمكة والمدينة لصاحب مصر العزيز العبيدى دون الطائع العباسى (٢) على ما ذكر صاحب المرآة وابن الأثير إلا أنه لم يقل الطائع .

ومنها على ماقال صاحب المرآة فى أخبار سنة ثمانين وثلاثمائة : حج بالناس أبو عبدالله أحمد بن محمد بن عبيد الله العلوى نيابة عن الشريف أبى أحمد الموسوى وكان لهم من سنة إحدى وسبعين لم يحج أحد من العراق بسبب الفتن والخلف من العراقيين والمصريين، وقيل إنهم حجوا فى سنة اثنتين وسبعين مع أبى الفتح العلوى وفى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة والله أعلم . وذكر العتيقى مايخالف ذلك لأنه قال : وحج بالناس سنة اثنتين وسبعين وثلاث وأربع وخمس وست وسبع وثمان وتسع وسبعين وسنة ثمانين وثلاثمائة أبو عبد الله أحمد بن محمد بن يحيى بن عبيدالله العلوى انتهى .

ومنها : أنه فى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة لم يحج من العراق ولا من الشام أحد على ما قال ابن الأثير لأنه قال فى أخبار هذه السنة : فيها عاد الحج (٣) من الثعلبية ولم يحج من الشام والعراق أحد وسبب عودهم أن الأصفر أمير العرب اعترضهم وقال إن الدراهم التى أرسلها السلطان عام أول كانت نقرة مطلية وأريد العوض وكانت المخاطبة والمراسلة فضاق الوقت على الحجاج فرجعوا انتهى . وأما الذهبى فقال فى أخبار هذه السنة : لم يحج من العراق ولا من الشام ولا من اليمن أحد على العادة وحج الناس من مصر انتهى .

ومنها : أنه فى سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة بطل الحج على ماقال العتيقى لأنه قال : وبطل الحج سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة لبعد السلطان واختلاف بين العرب .

ومنها : أنه فى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة لم يحج من العراق أحد خوفا من الأصفر الأعرابى ذكر ذلك هكذا صاحب المرآة وغيره وذكر العتيقى مايخالف ذلك لأنه قال : وحج بالناس سنة ثلاث وتسعين وأربع وتسعين أبو الحارث بن محمد بن عمر بن يحيى العلوى انتهى .

---

(١) فى النسخة (ك) : نتقبل منك الموسم بخمسين ألف درهم .

(٢) ولى الخلافة العباسية من عام ٣٦٣ هـ . حتى عام ٣٨١ هـ . وهو ابن المطيع .

(٣) فى النسخة (ك) : عاد الحاج ، والثعلبية : منسوب إلى ثعلبة بن مالك ، وقيل : سميت بثعلبة بن عمرو مزيقاء ابن عامر بن ماء السماء ، وهى من منازل طريق مكة . (مراصد الاطلاع - ١ - ص ٢٩٦) .

ومنها : أنه فى سنة ست وتسعين وثلاثمائة خطب بمكة والمدينة للحاكم صاحب[(١)] مصر على جارى[(٢)] العادة وأمر الناس بالقيام عند ذكره بالحرمين[(٣)] وكذلك كانت عادتهم بمصر والشام .

ومنها : أنه فى سنة سبع وتسعين وثلاثمائة لم يحج الركب العراقى مع توجههم لاعتراض ابن الجراح لهم بالثعلبية . ومطالبته لهم بالمال فرجعوا إلى بغداد لضيق الوقت عليهم وحج الناس من مصر وبعث الحاكم كسوة الكعبة . ومالا لأهل الحرمين ذكر ذلك صاحب المرآة وغيره .

ومنها : أنه فى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة لم يحج من العراق أحد على ماذكر صاحب المرآة .

ومنها على ماقال العتيقى : وبطل الحج من العراق سنة إحدى وأربعمائة ورجع الحجاج من بغداد .

ومنها : على ماقال العتيقى : وبطل الحج فى سنة ثلاث وأربعمائة بمسير رجل من القرامطة يعرف بأبى عيسى المشقفى والنابر الخويلدى وجماعة من العرب إلى ظاهر الكوفة فحاصروها وانصرفوا وقد فات الحجاج المسير فعادوا من الكوفة إلى بغداد انتهى .

ومنها : على ماقال العتيقى : وبطل الحج فى سنة ست وأربعمائة لخراب الطريق واستيلاء العرب عليه . قال : وبطل الحج سنة سبع وأربعمائة بتأخر أهل خراسان انتهى .

ومنها : أنه فى سنة ثمان وأربعمائة لم يحج أحد من العراق على ماذكره[(٤)] صاحب المرآة وغيره .

ومنها : على ماقال العتيقى: وبطل الحج فى سنة تسع وأربعمائة[(٥)] فخرجوا من بغداد مع عمر بن مسلم فاعترضتهم العرب فيما بين القصر والحاجر والتمسوا منهم زيادة على رسومهم فرجعوا من القصر وبطل الحج فى هذه السنة وبطل فى سنة عشر وأربعمائة بتأخر ورود أهل خراسان عن الحضور فى هذه السنة للحج وفى سنة إحدى عشرة وأربعمائة بتأخر ورود أهل خراسان فى هذه السنة . انتهى وذكر صاحب المرآة مايوافق ذلك .

ومنها : على ماقال العتيقى وبطل الحج فى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة بتأخر ورود أهل خراسان انتهى .

ومنها : أنه فى سنة أربع عشرة وأربعمائة كان بمكة فتنة قتل فيها جماعة من الحجاج المصريين ونهبوا بسببها ، وتجرأ بعض الملاحدة على الحجر الأسود بضربه الحجر بدبوس وقد ذكر هذه الحادثة جماعة من أهل الأخبار منهم ابن الأثير لأنه قال فى أخبار سنة أربع عشرة وأربعمائة : ذكر الفتنة بمكة فى هذه السنة ، كان يوم النفر الأول يوم جمعة فقام رجل من مصر بإحدى يديه سيف مسلول وبالأخرى دبوس بعد ما فرغ الإمام من الصلاة فقصد ذلك

---

(١) حكم مصر من عام ٣٨٦ هـ حتى عام ٤١١ هـ
(٢) فى النسخة (م) : على جرى العادة .
(٣) فى النسخة (ك): وأمر الناس بالحرمين بالقيام عند ذكره .
(٤) فى النسخة (ك): على ماذكر .
(٥) وذلك فى خلافة القادر العباسى (٣٨١ - ٤٢٢ هـ) .

الرجل الحجر الأسود يستلمه فضرب الحجر ثلاث ضربات بالدبوس وقال إلى متى يعبد الحجر الأسود ومحمد وعلى، فليمنعني مانع من هـذا فانى أريد أن أهدم [1] البيت فخاف أكثر الحاضرين وتراجعوا عنه وكاد يفلت فثار به رجل فضربه بخنجر فقتله وقطعه الناس وأحرقوه وقتل ممن اتهم بمصاحبتـه جماعة وأحرقوا فثارت الفتنة وكان الظاهر من القتلى أكثر من عشرين رجلا غير ما أخفى منهم وألح الناس ذلك اليوم على المغاربة والمصريين بالنهب والسلب وعلى غيرهم فى طريق منى إلى البلد فلما[2] ماج الناس واضطربوا وأخذوا أربعة من أصحاب ذلك الرجل وقالوا نحن مائة رجل فضربت أعناق هؤلاء الأربعة انتهى باختصار لما يتعلق بأمر الحجر الأسود . وذكر الذهبى هـذه الحادثة فى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ونقل ذلك عن ابن الأثير عن[3] محمد بن على بن عبدالرحمن العلوى وذكر القصة بمعنى ماذكر ابن الأثير وزيادة منها أنه كان على باب المسجد عشرة من الفرسان على أن ينصروا الذى ضرب الحجر وأنه كان أحمر أشقر تام القامة جسيما ، ونقل عن هلال بن المحسن أن الضارب للحجر [4] كان ممن استغواهم الحاكم العبيدى صاحب مصر وأفسد أديانهم على ماقيل انتهى. وذكر بعضهم مايوهم أن هذه الحادثة اتفقت فى سنة نيف وستين وأربعمائة وهذا وهم قطعا، وفى الخبر الذى فيه ذلك أن القاتل الرجل الضارب للحجر رجل من أهل اليمن من السكاسك فالله يثيبه .

ومنها على ما قال العتيقى : أن الحج بطل من العراق لتأخر أهل خراسان فى سنة خمس عشرة وفيما بعدها إلى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة إلا أنه قال فى سنة إحدى وعشرين : حج من الكوفة قوم من العرب قافلة كبيرة ورجعوا سالمين إلى الكوفة فى آخر المحرم ، وقال فى سنة اثنتين وعشرين : وحج[5] من الكوفة قوم من الرجالة ومات منهم خلق عظيم فى الطريق . وذكر الذهبى : مايوافق ذلك إلا أنه لم يذكر شيئا فى سنة خمس عشرة ولا فى سنة اثنتين وعشرين .

ومنها على ما قال العتيقى : وبطل الحج فى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة[6] ورد أهل خراسان وكان وصولهم إلى بغداد سلخ شوال وتأخروا عن الخروج وأقاموا إلى سلخ ذى القعدة ورجعوا إلى خراسان، وحج قوم من الرجالة يسير انتهى . وقال الذهبى فى أخبار هذه السنة : ورد من مصر كسوة للكعبة وأموال للصدقة وصلات لأمير مكة

(١) فى النسخة (ك) : أريد أهدم .
(٢) فى النسخة (ك) : فلما كان الغد ماج الناس ...
(٣) فى النسخة (ك) : ونقل ذلك عن أبى الزسى .
(٤) فى النسخة (ك) : الحجر .
(٥) فى النسخة (ك) : وجمع .
(٦) وذلك فى خلافة القائم بن القادر العباسى (٤٢٢ - ٤٦٨ هـ) وأثناء حكم الظاهر الفاطمى لمصر (٤١١ - ٤٣٧ هـ) .

ولم يحج ركب العراق لفساد الطريق انتهى . وقال ابن الأثير فى أخبار هذه السنة : خرجت العرب على حجاج البصرة فأخذوهم ونهبوهم وحج الناس من سائر البلاد إلا من العراق .

ومنها على ما قال العتيقى : و بطل الحج فى سنة أربع وعشرين وأربعمائة لتأخر أهل خراسان فى هذه السنة ، وخرج نفر يسير من الرجالة وعمر الطريق ، وقال : و بطل الحج فى سنة خمس وعشرين وأربعمائة لم يحج العراقيون ولا المصريون خوفاً من البادية ، وحج أهل البصرة مع من يخفرهم فغدروا بهم ونهبوهم انتهى .

ومنها : أنه فى سنة ست وعشرين وأربعمائة لم يحج أحد من أهل العراق وخراسان .

ومنها أنه فى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة لم يحج أحد من أهل العراق لفساد البلاد واختلاف الكلمة. وذكر هاتين الحادثتين هكذا ابن كثير .

ومنها : أنه فى سنة ثلاثين وأربعمائة لم يحج فيها من العراق ومصر والشام أحد ، ذكر ذلك هكذا الذهبى فى تاريخ الإسلام: وأما ابن كثير فقال فى أخبار هذه السنة لم يحج فيها أحد من أهل العراق وخراسان انتهى.

ومنها : أنه فى سنة اثنتين ثلاثين وأربعمائة لم يحج فيها أحد من أهل العراق .

ومنها : أنه فى سنة أربع وثلاثين وأربعمائة[1] لم يحج فيها أحد ولا فى اللواتى قبلها .

ومنها : أنه فى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة [2] لم يحج أهل العراق فى هذا العام .

ومنها: أنه فى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة لم يحج أحد من ركب العراق فى هذ العام .

ومنها : أنه فى سنة أربعين وأربعمائة لم يحج أحد من أهل العراق ذكر هذه الخمس الحوادث هكذا ابن كثير وذكر ما يقتضى أنه لم يحج أحد من أهل العراق فى سنة إحدى وأربعين وكذلك عام ثلاثة وأربعين ، وكذلك عام ستة وأربعين ، وكذلك عام ثمانية وأربعين .

ومنها : أنه فى سنة إحدى وخمسين لم يحج أحد من أهل العراق فى هذه السنة . وكذلك سنة اثنتين وخمسين غير أن جماعة اجتمعوا إلى الكوفة وذهبوا مع طائفة من الحضر .

ومنها : أنه فى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة لم يحج أحد فى هذه السنة ذكر هذه الحادثة هكذا ابن كثير وذكر اللتين قبلها كما ذكرنا .

---

(١) هذه الكلمة (وأربعمائة) ليست مذكورة فى النسخة (ك) .

(٢) وذلك فى خلافة المستنصر الفاطمى (٤٣٧ — ٤٨٧ هـ) .

ومنها : أنه فى سنة خمس وخمسين وأربعمائة حج على بن محمد الصليحى صاحب اليمن وملك فيهـا مكة وفعل فيها أفعالاً جميلة من العدل والإحسان ومنع المفسدين. قال محمد بن هلال الصابى : وورد فى صفر يعنى سنة ست وخمسين من الحج من ذكر دخول الصليحى مكة فى سادس ذى الحجة واستعماله الجميل مع أهلها ، و إظهاره العدل فيهـا . وأن الحجاج كانوا آمنين أمنا لم يعهدوا مثله لإقامة السياسة ، والهيبة ، حتى كانوا يعتمرون ليلاً ونهـاراً وأموالهم محفوظة ، ورحالهم[١] محروسة. وتقدم بجلب الأقوات فرخصت الأسعار وانتشرت الألسن بالشكر . وأقام إلى يوم عاشوراء ، ثم قال : وفى رواية أقام بمكة إلى ربيع الأول . وذكر ماسبق من تأميره مكة لمحمد بن أبى هاشم المقدم ذكره انتهى .

ومنها : أنه فى سنة اثنتين وستين وأربعمائة أعيدت الخطبة العباسية بمكة وخطب فيها بمكة السلطان البارسلان السلجوقى مع القائم الخليفة العباسى ، والفاعل لذلك محمد بن أبى هاشم أمير مكة على ماذكر غير واحـد من أهل الأخبار منهم ابن الأثير ، لأنه قال : فى أخبار سنة اثنتين وستين وأربعمائة . وفيها ورد رسول صاحب مكة محمد ابن أبى هاشم ومعه ولده إلى السلطان البارسلان ، يخبره بإقامة الخطبة للخليفة القائم وللسلطان بمكة و إسقاط خطبة العلوى صاحب مصر[٢] ، وترك الأذان بحى على خير العمل فأعطاه السلطان ثلاثين الف دينـار وخلعا نفيسة ، وأجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار ، وقال : لو فعل أمير المدينة مهنا كذلك أعطيته عشرين ألف دينار ، وكل سنة خمسة آلاف دينار انتهى . وذكر ابن كثير مايقتضى أن الخطبة العباسية أعيدت بمكة قبل هذا التاريخ لأنه قال : فى أخبار سنة تسع وخمسين وأربعمائة : حج بالناس أبو الغنائم النقيب وخطب بمكة للقائم بأمر الله العباسى انتهى . وذكر بعض مشايخنا فى تاريخه مايقتضى أن ذلك وقع فى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة بإشارة النقيب أبى الغنـائم على رأى هاشم فعذله أهله على ما فعـل لقطع الميرة من مصر عن مكة انتهى بالمعنى . فهذه ثلاثة أقوال فى ابتداء الخطبة العباسية بمكة والله أعلم بالصواب .

ومنها : أنه فى سنة سبع وستين قطعت الخطبة العباسية بمكة ، وأعيدت خطبة المستنصر صاحب مصر لإرساله هدية جليلة لابن أبى هاشم ذكر ذلك ابن الأثير بالمعنى ، قال : وكانت مدة الخطبة العباسية بمكة أربع سنين وخمسة أشهر انتهى . وذكر ابن كثير أن إعادة الخطبة للمستنصر فى ذى الحجة من هذه السنة .

ومنها : أنه فى سنة ثمان وستين وأربعمائة[٣] أعيدت الخطبة العباسية فى ذى الحجة منها على ماذكر ابن الأثير وابن كثير ، إلا أنه لم يقل فى ذى الحجة[٤] .

---

(١) فى النسخة (ك) : ورجالهم .

(٢) وهو المستنصر العباسى(٤٣٧ – ٤٨٧ هـ) .

(٣) فى النسخة(ك) : ليست هذه الكلمة موجودة .

(٤) فى عهد المستنصر الفاطمى أيضا قام المعز بن باديس أمير المغرب بإزالة ذكر الفاطميين من فوق المنابر فى القيروان وغيرها ، وفى عهده كذلك عام ٤٤٤ هـ كتب محضر من ديوان الخليفة العباسى القائم بأمر الله بإنكار نسب العبيديين .

ومنها : كانت بمكة فتنة بين أمير الحجاج العراقى خيلع التركى مقطع الكوفة و بين بعض العبيد لأنه لما حج فى هذه السنة نزل فى بعض دور مكة فكبسه بعض العبيد فقتل منهم مقتلة عظيمة وهزمهم هزيمة شنيعة ، وكان بعد ذلك ينزل بالزاهر ذكر هذه الحادثة بمعنى ما ذكرنا(١) ابن الساعى فيما نقله عنه ابن كثير .

ومنها : أنه فى سنة سبعين وأربعمائة أرسل وزير الخليفة العباسى من بغداد منبرا هائلا عمله لتقام عليه الخطبة العباسية بمكة . فلما وصل المنبر إليها إذا الخطبة قد أعيدت للمصريين فكسر ذلك المنبر وحرق ، ذكر ذلك ابن الجوزى بمعنى ما ذكرناه وذكر ذلك غيره .

ومنها : أنه فى سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة قطعت خطبة المصريين بمكة ،وخطب فيها للمقتدى(٢) والسلطان.

ومنها : أنه فى سنة تسع وسبعين وأربعمائة قطعت خطبة المصريين من مكة والمدينة ، ذكر هاتين الحادثتين هكذا ابن كثير .

ومنها : أنه فى سنة خمس وثمانين خطب بمكة للسلطان محمود بن السلطان ملك شاه السلجوقى من بعد وفاة والده ، وخطب له أيضا بالمدينة وفى جميع ممالك أبيه .

ومنها : أنه فى سنة ست وثمانين وأربعمائة على ما قال ابن الأثير فى أخبار هذه السنة : انقطع الحاج من العراق لأسباب أوجبت ذلك وسار الحاج من دمشق مع أمير أقامه تاج الدولة تتش صاحبها فلما قضوا حجهم وعادوا سائرين سير أمير مكة وهو محمد بن أبى هاشم عسكرا فلحقوهم بالقرب من مكة ونهبوا كثيرا من أموالهم وجمالهم فعادوا إليها وأخبروه وسألوه أن يعيد إليهم ما أخذه منهم وشكوا إليه بعد ديارهم فأعاد بعض ما أخذه منهم فلما أيسوا منه ساروا من مكة عائدين على أقبح صورة انتهى باختصار لما تم عليهم من البلاء فى عودهم من العرب وأهلك الله ابن أبى هاشم فى السنة التى بعد هذه السنة .

ومنها: أنه فى سنة سبع وثمانين لم يحج فيها أحد من الناس لاختلاف السلاطين .

ومنها: أنه فى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة لم يحج أحد من أهل العراق فيها ذكر هاتين الحادثتين هكذا ابن كثير .

ومنها: أنه فى سنة تسع وثمانين (٣) وأربعمائة ذهب للحجاج وهم نازلون بقرب وادى نخلة ، كثير من الأموال

---

(١) فى النسخة (ك) : ذكرناه .

(٢) هو حفيد القائم وقد تولى الخلافة العباسية من عام ٤٦٨ هـ ، حتى عام ٤٨٧ هـ .

(٣) وذلك فى خلافة المستظهر العباسى بن المقتدى (٤٨٧ — ٥١٢) .

والدواب والأزواد ، وذلك أنه أصابهم سيل عظيم فأغرقهم [1] ولم ينج منهم إلا من تعلق بالجبال .

ومنها :أنه فى سنة ست عشرة وخمسمائة [2] لم يحج الركب العراقى على ما وجدت بخط بعض المكيين . وأما ابن كثير فقال وفى سنة ست عشرة وخمسمائة حج الناس وفيه نظر .

ومنها :أنه فى سنة ثلاثين وخمسمائة لم يحج الركب العراقى على ماوجدت بخط بعض المكيين .

ومنها :أنه فى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة [3] لم يحج من العراق أحد على ما ذكر فى المرآة .

ومنها :أنه فى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة نهب أصحاب هاشم بن فليتة أمير مكة الحجاج ، وهم فى المسجد الحرام يطوفون ، ويصلون ، ولم يرقبوا فيهم إلاً ولا ذمة . وذلك لوحشة بين أمير مكة و بين أمير الحاج . ذكر هذه الحادثة بمعنى ما ذكره ابن الأثير وغيره .

ومنها : أنه فى سنة أربع وأربعين وخمسمائة أقام الحجاج بمكة إلى انسلاخ ذى الحجة من هذه السنة ونهبهم العرب بعد رحيلهم من مكة . فى ثالث عشر المحرم سنة خمس وأربعين .

ومنها :أنه فى سنة ست وخمسين وخمسمائة [4] حج السلطان نور الدين محمود بن زنكى المعروف بالشهيد صاحب دمشق وغيرها .

ومنها :أنه فى سنة سبع وخمسين وخمسمائة كانت فيها فتنة بين أهل مكة والحاج العراقى سببها أن جماعة من عبيد مكة أفسدوا فى الحاج بمنى فنفر عليهم بعض أصحاب أمير الحاج فقتلوا منهم جماعة ورجع من سلم إلى مكة وجمعوا جموعا وأغاروا على جمال الحاج . وأخذوا منها قريبا من ألف جمل ، فنادى أمير الحاج فى جنده بسلاحهم ووقع القتال بينهم فقتل جماعة ونهب جماعة من الحجاج وأهل مكة فرجع أمير الحاج ولم يدخل مكة . ولم يقم بالزاهر غير يوم واحد وأعاد كثير من الناس رجالة لقلة الجمال ولقوا شدة ورجع بعضهم قبل إكمال حجه وهم الذين لم يدخلوا مكة يوم النحر للطواف والسعى ذكر هذه الحادثة هكذا ابن الأثير وذكر صاحب المنتظم أن أمير مكة بعث إلى أمير الحاج يستعطفه ليرجع فلم يفعل ثم جاء أهل مكة بخرق الدم فضرب لهم الطبول ليعلم أنهم قد أطاعوا انتهى .

---

(١) فى النسخة (ك): (غرقهم) بدل فأغرقهم . (٢) وذلك فى خلافة المسترشد العباسى حفيد المستظهر (٥١٢-٥٣٠هـ).
(٣) وذلك فى خلافة المقتفى العباسى (٥٣١ – ٥٥٥ هـ) وهو عم الخليفة العباسى الراشد بن المسترشد (٥٣٠-٥٣١هـ).
(٤) وذلك فى خلافة المستنجد العباسى (٥٥٥ – ٥٦٦ هـ) .

ومنها : أنه فى سنة إحدى وستين وخمسمائة أطلق الحاج من غرامة المكس إكراما لصاحب عدن عمران بن محمد بن الزريع اليامن الهمدانى فإنه حمل إلى مكة فى هذه السنة ميتا لكونه كان شديد الغرام إلى حج بيت الله الحرام واخترمه الحمام ، قبل بلوغ المرام ، ووقف به بعرفات والمشعر الحرام ،وصلى عليه خلف المقام ، ودفن بالمعلاة ، فى السنة المذكورة .

ومنها : أنه فى سنة خمس وستين وخمسمائة بات الحجاج بعرفة إلى الصبح وخاف الناس خوفا شديدا لما كان بين أمير مكة عيسى بن فليتة وأخيه مالك ولم يحج عيسى وحج مالك .

ومنها : أن السلطان نور الدين محمود بن زنكى المعروف بالشهيد صاحب دمشق خطب له بالحرمين واليمن لما كان ملكها الملك المعظم توران شاه أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ذكر هذه الحادثة الملك المؤيد صاحب حماة وكان ملك توران شاه لليمن فى سنة ثمان وستين وخمسمائة فتكون الخطبة للسلطان نور الدين بالحرمين فى هذه السنة .

ومنها : أنه فى سنة سبعين وخمسمائة [1] بات الحاج العراقى بعرفة . ولم يبت بمزدلفة ولم يصل إليها إلا فى يوم عرفة، ولما دخل أمير الحاج العراقى طاشتكين للوداع هم أهل مكة بكبسه لمنازعة جرت بين بعض جماعة أمير الحاج و بعض أهل مكة . وسالمهم أمير الحاج إلى أن خرج إلى الزاهر ثم حصل بين الفريقين قتال يسير بالزاهر بعد ذلك قتل فيه من أصحاب أمير الحاج رجلان وجرح أناس من أهل الحجاز .

ومنها: أنه فى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة لم يتمكن الحجاج العراقيون من إقامة غالب مناسك الحج لفتنة كانت بين أميرهم طاشتكين و بين صاحب مكة مكثر بن عيسى وكانت فتنة عظيمة اتفقت فيها أمور عجيبة على ما ذكر غير واحد من أهل الأخبار منهم ابن الأثير لأنه قال فى أخبار هذه السنة : فى ذى الحجة كان بمكة حرب شديد بين أمير الحاج طاشتكين و بين الأمير مكثر بن عيسى أمير مكة وكان الخليفة قد أمر أمير الحاج بعزل مكثر و إقامة أخيه داود مقامه، وسبب ذلك أنه كان قد بنى قلعة على جبل أبى قبيس فلما سار الحاج من عرفات لم يبيتوا بالمزدلفة و إنما اجتازوا بها ولم يرموا الجمار إنما رمى بعضهم وهو سائر ونزلوا الأبطح فخرج ناس من أهل مكة فحاربهم وقتل من الفريقين جماعة وصاح الناس الغزاة إلى مكة فهجموا عليها فهرب أمير مكة مكثر فصعد إلى القلعة التى بناها على جبل أبى قبيس فحصروه بها ففارقها وسار عن مكة وولى أخوه داود الإمارة بها ونهب كثير من الحاج بمكة وأخذوا من أموال التجار المقيمين بها شيئا كثيرا وأحرقوا دورا كثيرة ، ومن أعجب ماجرى أن إنسانا زراقا ضرب دارا فيها بقارورة نفط فأحرقها وكانت لأيتام فاحترق مافيها ثم أخذ قارورة أخرى ليضرب بها مكانا آخر فأتاه حجر فأصاب القارورة

(١) وذلك فى خلافة المستضىء العباسى (٥٦٦ – ٥٧٦ هـ) .

فكسرها واحترق هو فيها فبقى ثلاثة أيام يتعذب بالحريق ثم مات انتهى. وقد سبق فى باب الولاة أن أمير المدينة قاسم ابن مهنا الحسينى والى مكة فى هذه السنة بعد هرب مكثر لسكون الخليفة المستضئ العباسى عقد له الولاية على مكة . ولما رأى من نفسه العجز عن القيام بأمر مكة ولى فيها أمير الحاج أخا مكثر بن داود بن عيسى وهذا لا يفهم من كلام ابن الأثير بل يفهم منه أن الخليفة ولى داود وما ذكرناه من ولاية الخليفة مكة لأمير المدينة ذكره ابن الجوزى وكلام ابن الأثير يقتضى أن سبب عزل مكثر بناؤه القلعة على أبى قبيس وما أظن سبب عزله إلا ما كان من تجرؤ أهل مكة على أمير الحاج فى السنة التى قبلها فانهم هموا بكبسه فيها وفعلوا معه ما أوجب غيظه . ووجدت بخط بعض المكيين أن الحجاج لما نزلوا الأبطح فى هذه السنة تقاتلوا مع أهل مكة فى يوم النحر وثانيه وثالثه وفى اليوم الرابع سلم أمير مكة الحصن لأمير الحاج فهدمه بعد ذلك وذكر أنه لم يحج من أهل مكة إلا القليل وذكر ما سبق من إحراق الدور بمكة ونهبها وأن من الدور المنهوبة الدور التى على أطراف البلد من ناحية المعلاة .

ومنها : أنه فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة أسقط المكس عن الحجاج إلى مكة فى البحر على طريق عيذاب[1] على ما ذكر أبو شامة فى ذيل الروضتين لأنه قال فى أخبار هذه السنة كان الرسم بمكة أن يؤخذ من حجاج المغرب على عدد الرؤوس بما ينسب إلى الضرائب والمكوس ومن دخل منهم ولم يفعل ذلك حبس حتى يفوته الوقوف بعرفة ولو كان فقيرا لا يملك شيئا فرأى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إسقاط ذلك و يعوض عنه أمير مكة فقرر معه أن يحمل إليه فى كل عام مبلغ ثمانية آلاف أردب قمح إلى ساحل جدة . ووقف على ذلك وقوفا وخلد بها إلى قيام الساعة معروفا فانبسطت لذلك النفوس ، وزاد السرور ، وزال البؤس، وصار يرسل أيضا للمجاورين بالحرمين من الفقراء والشرفاء ، ومدحه على ذلك ابن جبير بقصيدة أولها :

رفعت مغارم مكس الحجاز   بإنعامك الشامل الغامر   انتهى

وذكر ابن جبير فى أخبار رحلته شيئا من أخبار هذا المكس فقال : إنه كان يؤخذ من كل إنسان سبعة دنانير مصرية ونصف فان عجز عن ذلك عوقب بأليم العذاب من تعليقه بالأنثيين وغير ذلك وكانوا يؤدون ذلك بعيذاب فمن لم يؤدها ووصل جدة ولم يعلم على اسمه علامة الأداء عذب لها أضعاف العذاب بعيذاب إن لم يؤد، وكانت هذه البلية فى مدة دولة العبيديين وجعلوها معلوماً لأمير مكة وأزالها الله تعالى على يد السلطان صلاح الدين وعوض أمير مكة عن ذلك ألفى دينار وألف أردب قمح و إقطاعات بصعيد مصر وجهة اليمن انتهى بالمعنى .

ومنها : أنه كان يخطب بمكة للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وما عرفت وقت ابتداء الخطبة له بمكة و إنما ابن جبير

---

(١) مكان هذه الكلمة فراغ فى النسخة (ك) . وعيذاب : على شاطىء البحر الأحمر قرب القصير .

ذكر فى أخبار رحلته . أنه كان يخطب بمكة للناصر العباسى [١] ثم لمكثر صاحب مكة ثم للسلطان صلاح الدين[٢] وكانت رحلة ابن جبير سنة تسع وسبعين وخمسمائة .

ومنها : أنه فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ازدحم الحجاج فى الكعبة . فمات منهم أربعة وثلاثون نفرا [٣] ذكر هذه الحادثة ابن القادس ، وابن البزورى فى ذيل المنتظم لا بن الجوزى .

ومنها : أنه فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة كانت بعرفة فتنة بين الحجاج العراقيين والشاميين [استظهر فيها العراقيون على الشاميين وقتل من الشاميين جماعة ونهبت أموالهم][٤] وسبيت نساؤهم إلا أنهن رددن عليهم وجرح ابن المقدم أمير الركب الشامى جراحات أفضت به إلى الموت فى يوم النحر، وسبب هذه الفتنة أنه لم يسهل على طاشتكين أمير الركب العراقى ما قصده ابن المقدم من الدفع من عرفات قبله فنهاه عن ذلك فلم يقبل ابن المقدم ذلك فأفضى الحال إلى قتال الفريقين . فكان ما جرى .

ومنها : على ما وجدت بخط ابن محفوظ فى أخبار سنة سبع[٥] وستمائة كانت فيها وقعة عظيمة[٦] بمنى بين الحاج العراق وأهل مكة وقتل فيها عبد للشريف قتادة يسمى بلالا وهى مشهورة بسنة بلال انتهى . ولم أر من ذكر هذه الحادثة بين العراقيين وأهل مكة فى هذه السنة ، و إنما رأيت فى أخبار هذه السنة أن قتادة صاحب مكة نهب الحاج اليمنى ولو وقع بينه و بين الفريقين فتنة لذكر ذلك والله أعلم .

ومنها : أنه فى سنة ثمان وستمائة كان بمنى ومكة فتنة عظيمة قتل فيها الحجاج العراقيون ونهبوا نهبا ذريعا . وقد ذكر هذه الحادثة جماعة من أهل الأخبار ولم يشرحوا من أمرها مثل ما شرحه أبو شامة المقدسى فى ذيل الروضتين فاقتضى ذلك ذكرنا لما ذكره و تتبع ذلك بما لم يذكره ، ولما خولف فيه ، ونص ما ذكره أبو شامة فى أخبار هذه السنة : فيها نهب الحاج العراقى وكان حج بالناس من العراق علاء الدين محمد بن ياقوت نيابة عن أبيه ومعه ابن أبى فراس يفقهه ويدبره . وحج من الشام الصمصام إسماعيل أخو شاروخ النجمى على حاج دمشق وعلى حاج القدس الشجاع على بن سلار ، وكانت ربيعة خاتون أخت الملك[٧] العادل فى الحج ، فلما كان يوم النحر بمنى بعد مارمى الناس الجمرة وثب الإسماعيلية على رجل شريف من بنى عم قتادة أشبه الناس به ؛ وظنوه إياه فقتلوه عند الجمرة . ويقال : إن الذى قتله كان مع أم جلال الدين وثار عبيد مكة والأشراف وصعدوا على الجبلين بمنى وهللوا وكبروا

---

(١) هو الناصر بن المستضىء (٥٧٦ – ٦٢٢ هـ).
(٢) هذه العبارة ليست فى النسخة (ك) : وصلاح الدين هو صاحب مصر وقد حكمها من عام ٥٦٧ هـ . حتى وفاته .
(٣) فى النسخة (ك) نفسا بدل نفرا .
(٤) هذه العبارة ليست مذكورة فى النسخة (ك) .
(٥) فى النسخة (ك) : تسع .
(٦) هذه الكلمة ليست مذكورة فى النسخة (ك) .
(٧) هذه الكلمة (الملك) غير مذكورة فى النسخة (ك) .

وضربوا الناس بالحجارة والمقاليع والنشاب ونهبوا الناس يوم العيد والليلة واليوم الثانى ، وقتل من الفريقين جماعة ؛ فقال ابن أبى فراس لمحمد بن ياقوت : ارحلوا بنا إلى الزاهر منزلة الشاميين ، فلما حملت الأثقال على الجمال حمل قتادة أمير مكة والعبيد فأخذوا الجميع إلا القليل . وقال قتادة : ما كان المقصود إلا أنا والله لا أبقيت من حاج العراق أحدا . وكانت ربيعة خاتون بالزاهر ومعها ابن السلار وأخو شاروخ وحاجّ الشام ، فجاء محمد بن ياقوت أمير الحج العراقى فدخل خيمة ربيعة خاتون مستجيرا بها ومعه خاتون أم جلال الدين ؛ فبعثت ربيعة خاتون مع ابن السلار إلى قتادة تقول له : ما ذنب الناس قد قتلت القاتل وجعلت ذلك وسيلة إلى نهب المسلمين ، واستحللت الدماء فى الشهر الحرام فى الحرم والمال (وقالت له) : قد عرفت من نحن والله لئن لم تنته لأفعلن وأفعلن ، فجاء إليه ابن السلار فخوفه وهدده وقال : ارجع عن هذا وإلا قصدك الخليفة من العراق ونحن من الشام فكف عنهم وطلب مائة ألف دينار فجمعوا له ثلاثين ألفا من أمير الحاج العراقى ومن خاتون أم جلال الدين وأقام الناس ثلاثة أيام حول خيمة ربيعة خاتون بين قتيل وجريح ومسلوب وجائع وعريان . وقال قتادة : ما فعل هذا إلا الخليفة ولئن عاد يقرب أحدا من بغداد إلى هنا لأقتلن الجميع . ويقال إنه أخذ من المال والمتاع وغيره ماقيمته ألف ألف دينار وأذن للناس فى الدخول إلى مكة فدخل الأصحاء والأقوياء فطافوا وأى طواف ومعظم الناس مادخل ، ورحلوا إلى المدينة ودخلوا بغداد على غاية الفقر والذل والهوان ولم ينتطح فيها عنزان انتهى .

وأما قول أبى شامة ولم ينتطح فيها عنزان فسببه أن قتادة أرسل ولده راجحا وجماعة من أصحابه إلى بغداد فدخلوها ومعهم السيوف مسلولة والأكفان فقبلوا العتبة واعتذروا مما جرى على الحاج فقبل عذرهم ، ووصل لقتادة فى سنة تسع وستمائة مع الركب العراقى مال وخلع ولم يظهر له إنكار عليه فيما تقدم من نهب الحاج ولكنه استدرج باستدعائه بالحضور إلى بغداد فلم يفعل . وقال فى ذلك أبياتاً مشهورة، وذكر ابن الأثير مايقتضى أن الحجاج العراقيين رحلوا من منى ونزلوا على الحجاج الشاميين بمنى ثم رحلوا جميعا إلى الزاهر لأنه قال بعد أن ذكر مبيت الحجاج بمنى بأسوء حال من خوف القتل والنهب فى الليلة التى تلى يوم النحر فقال بعض الناس لأمير الحاج : انتقل بالناس إلى منزلة حجاج الشام فأمر الناس بالرحيل ثم قال بعد أن ذكر نهبهم فى حال رحلتهم : والتحق من سلم بحجاج الشام فاجتمعوا بهم ثم رحلوا إلى الزاهر انتهى . وهذا يخالف ماذكره أبو شامة فان كلامه يقتضى أن العراقيين لما رحلوا من منى نزلوا على الشاميين بالزاهر وذكر ابن الأثير أن القاتل للشريف بمنى كان باطنيا وذكر ابن سعيد المغربى هذه الحادثة فى تاريخه، وذكرفيهاأن القاتل للشريف بمنى شخص مجهول فظن الأشراف أنه خشيش(1) فقتلوه . وذكر قتلهم للحجيج العراقيين ونهبهم لهم بمنى، ثم قال : وفعلوا مثل ذلك بمن كان من الحاج فى مكة وذكر ماسبق فى أخذ أهل مكة ثلاثين ألف دينار من الحجاج العراقيين على تمكينهم من دخول مكة لطواف الإفاضة وذكر ابن محفوظ هذه الحادثة وذكر فيها أن القاتل للشريف خشيش ، وأن المقتول يسمى هارون ويكنى أبا عزيز ثم قال وخرج

(1) أى دخيل بلغة العامة فى الحجاز .

من كان بمكة من نواب الخليفة ومن المجاورين منتقلين من مكة إلى سائر الأقطار انتهى باختصار .

ومنها : أنه فى سنة إحدى عشرة وستمائة حج الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب وتصدق فى الحرمين بمال عظيم وحمل المنقطعين وزودهم وأحسن إليهم وجدد البرك والمصانع ، وراعى فى حجه مايطلب فعله ، ومما فعله من ذلك أنه بات بمنى ليلة عرفة وصلى بها الصلوات الخمس ثم سار إلى عرفة ولما وصل إلى مكة تلقاه قتادة وحضر فى خدمته . فقال له المعظم : أين تنزل ؟ فقال قتادة : هناك وأشار بسوطه إلى الأبطح فاستكثر ذلك منه المعظم . لأن صاحب المدينة أنزل المعظم فى داره بالمدينة وسلم إليه مفاتيح المدينة و بالغ فى خدمته و الإهداء إليه ولأجل ذلك أعان المعظم أمير المدينة بجيش حارب به قتادة .

ومنها : أنه كان يخطب بمكة للعادل أبى بكر بن أيوب صاحب مصر والشام . وأظن أن ذلك بعد ملك حفيده الملك المسعود بن الملك الكامل بن العادل لليمن وكان ملكه لليمن فى سنة اثنتى عشرة وستمائة وقيل سنة إحدى عشرة وستمائة .

ومنها: أنه فى سنة تسع عشرة وستمائة كان بمكة وقت الحج فتنة غلقت فيها أبواب مكة دون الحجاج وقتل فيها أمير الحاج العراقيين أقباش الناصرى وسبب ذلك أنه لما حج فى هذه السنة اجتمع به فى عرفات راجح بن قتادة ، وسأله أن يوليه إمرة مكة لأن أباه مات فى هذه السنة فلم يجبه أقباش وكان مع أقباش خلع وتقليد لحسن بن قتادة فظن حسن أن أقباش ولى أخاه فأغلق أبواب مكة ووقعت الفتنة بين حسن وأخيه ، ومنع حسن الناس من الدخول إلى مكة ؛ فركب أقباش من الشبيكة وكان نزل بها بعد أيام منى ليسكن الفتنة و يصلح بين الأخوين ، فخرج أصحاب حسن من باب المعلاة يقاتلونه ؛ فقال : ما قصدى قتال ، فلم يلتفتوا إليه وانهزم أصحابه و بقى وحده فعقرت فرسه فوقع إلى الأرض فقتلوه وحملوا رأسه إلى حسن بن قتادة على رمح فنصبه بالمسعى عند دار العباس ثم رده إلى جسده ودفنوه بالمعلاة ، وأراد حسن نهب الحاج العراقى فمنعه أمير الحاج الشامى وخوفه من الأخوين الكامل ملك مصر والمعظم ملك دمشق ، فترك ذلك حسن، هذا ملخص بالمعنى مما ذكره أبو شامة فى خبر هذه الحادثة وذكر ما يدل على أن حسن لم يكن له علم بما صنعه أصحابه مع أقباش لأنه قال : قلت : وكان فى حاج الشامى فى هذه السنة شيخنا فخر الدين أبو منصور بن عساكر ؛ فأخبرنى بعض الحجاج فى ذلك العام أن حسن بن قتادة أمير مكة جاء إليه وهو نازل داخل مكة فقال له : قد أخبرت أنك خير أهل الشام فأريد أن تسير[1] معى إلى دارى فلعل ببركتك تزول هذه الشدة ، فسار معه إلى داره جماعة من الدمشقيين فأكلوا شيئا فما استتم خروجهم من عنده حتى قتل أقباش وزال ذلك الاستيحاش انتهى. وذكر ابن الأثير ما يقتضى أن هذه القضية كانت فى سنة ثمان عشرة وستمائة

---

(١) فى النسخة (ك) : تصير .

وأن أقباش أجاب إلى توليـة راجح لأنه ذكر موت قتادة فى هذه السنـة ، ثم قال بعد شرح شىء من حاله : فلمـا سار حجاج العراق كان الأمير عليهم مملوكا من مماليك الخليفـة الناصر لدين الله اسمه أقباش ، وكان حسن السيرة مع الحاج فى الطريق كثير الحماية فقصده راجح بن قتـادة و بذل له وللخليفة مالا يساعده على ملك مكة ، فأجابه إلى ذلك ووصلوا إلى مكة فنزلوا بالزاهر وتقدم إلى مكة مقاتلا لصاحبها حسن وكان قد جمع جموعا كثيرة من العرب وغيرها فخرج إليه من مكة وقاتله وتقدم أمير الحاج من بين عسكره منفردا وصعد جبلا إدلالاً بنفسه وأنه لا يقدم أحد عليه فاحتاط به أصحاب حسن وقتلوه وعلقوا رأسه فانهزم عسكر أمير الحاج وأحاط أصحاب حسن بالحاج لينهبوهم فأرسل اليهم حسن عمامته أمانا للحاج فعاد أصحابه عنهم ولم ينهبوا منهم شيئا وسكن الناس وأذن لهم فى دخول مكة وفعل ما يريدون من الحج والبيع وغير ذلك وأقاموا بمكة عشرة أيام وعادوا فوصلوا إلى العراق سالمين وعظم الأمر على الخليفة فوصلته رسل حسن تعتذر وتطلب العفو منه فأجيب إلى ذلك .

ومنها :أنه فى سنة سبع عشرة وستمائة لم يحج أحد من العجم بسبب التتار على ما ذكره أبو شامة فى ذيل الروضتين.

ومنها : أنه فى سنة تسع عشرة وستمائة مات بالمسعى جماعة من الزحام لكثرة الخلق الذين حجوا فى هذه السنة من العراق والشام وفيهـا حج من اليمن صاحبها الملك المسعود و بدا منه ما هو غير محمود على ما ذكر أبو شامة لأنه قال : قال أبو المظفر يعنى سبط ابن الجوزى : وحج بالناس من اليمن أقسيس[1] بن الملك الكامل ولقبه المسعود[2] فى عسكر عظيم فجاء إلى الجبل وقد لبس هو وأصحابه السلاح ومنع علم الخليفة أن يصعد به إلى الجبل وأصعد علم أبيه الكامل وعلمه وقال لأصحابه إن أطلع البغاددة علم الخليفة فاكسروه وانهبوه ووقفوا تحت الجبل من الظهر إلى غروب الشمس يضربون المكوسات ويتعرضون للعراق و ينادون ياثارات[3] ابن المقدم فأرسل ابن أبى فراس أباه شيخا كبيرا إلى اقسيس وأخبره بما يجب من طاعة الخليفة ومايلزمه فى ذلك من الشناعة فيقال انه أذن فى صعود العلم قبيل الغروب وقيل لم يأذن قال و بدا من اقسيس هذا فى تلك السنة جبروت عظيم حكى لى شيخنا جمال الدين الحصيرى قال: رأيت أقسيسا قد صعد على قبة زمزم وهو يرمى حمام مكة بالبندق قال فرأيت غلمانه فى المسعى يضربون الناس بالسيوف فى أرجلهم و يقولون اسعوا قليلا قليلا فإن السلطان نائم سكران فى دار السلطنة التى بالمسعى والدم يجرى من سيقان الناس ، قلت واستولى أقسيس هذا على مكة واعمالها وأذل المفسدين فيها وشتت شملهم وهو الذى بنى القبة على مقام إبراهيم عليه السلام وكثر الجلب إلى مكة من مصر واليمن فى أيامه فرخصت الأسعار ولعظم هيبته قلت الأشرار وأمنت الطرق والديار انتهى . وذكر ابن الأثير ما يقتضى أن حج الملك المسعود ومنعه من

---

(١) وفى نسخة طلعت : أقشيش .

(٢) فى النسخة (ك) : المسعودى .

(٣) فى النسخة (ع) : وينادون ابن المقدم .

طلوع علم الخليفة كان فى سنة ثمان عشرة لأنه قال فى أخبار سنة ثمان عشرة بعد ذكره لشىء من خبر قتادة وابنه حسن وخبر أقباش وفى هذه السنة حج بحجاج الشام كريم الدين الخلاطى وحضر الملك المسعودى صاحب اليمن مكة ومنع أعلام الخليفة من الطلوع إلى جبل عرفات ومنع حاج العراق من الدخول إلى مكة يوما واحدا ثم بعد ذلك لبس خلعة الخليفة واتفق الأمر وفتح باب مكة وحج الناس وطابت قلوبهم انتهى . وهذا الذى ذكره ابن الأثير من منع الملك المسعود للحاج العراقى من دخول مكة لم أره [١] لغيره والله أعلم انتهى .

ومنها : أنه أبا شامة قال فى أخبار سنة إحدى وعشرين وستمائة وهى أول السنين الأربع المتصلة التى وجد الحج فيها هنيئا مريئا من رخص الأسعار والأمن فى الطريق الشامية وبالحرمين، أما فى المدينة فسببه أن أميرها كان من أتباع صاحب الشام الملك المعظم عيسى فكان يدور الحرس على الحجاج الشامى ليلا واما بمكة فسببه أنها صارت فى المملكة الكاملية المسعودية فانقمع بها المفسد وسهل على الحجاج أمر دخول الكعبة فلم يزل بابها مفتوحاً ليلا ونهارا مدة مقام الحج فيها وكان الكامل قد أرضى بنى شيبة سدنة الكعبة بمال أطلقه لهم عما كانوا يأخذونه بإغلاق الباب وفتحه لمن أرادوا وكان الناس ينالون من ذلك شدة ويزدحمون عند فتح الباب ويتسلق بعضهم على رقاب بعض لأن الباب مرتفع عن الأرض بنحو قامة رجل فيقع بعضهم على بعض فيموت بعض وينكسر بعض ويشج بعض فزال ذلك عن الناس تلك السنة وما بعدها مدة بقاء مكة فى المملكة الكاملية انتهى .

ومنها : أنه كان يخطب بمكة للملك الكامل بن الملك العادل صاحب الديار المصرية وأظن أن ذلك وقع بعد أن ملك ابنه الملك المسعودى مكة وقد سبق أنه ملك مكة بعد أبيه المسعود وما جرى بين عساكره وعساكر صاحب اليمن الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول فى أمر ولاية مكة واستيلاء عسكر كل منهما عليها وكان يخطب لكل منهما فى حال استيلاء عسكره على مكة والله أعلم .

ومنها : أنه فى سنة خمس وعشرين وستمائة ، وفى سنة ست وعشرين ، وسبع وعشرين وستمائة ، لم يحج أحد من الشام فى هذه الثلاث سنين على ما ذكر ابن كثير وذكر أبو شامة ما يدل لذلك لأنه قال فى أخبار سنة أربع وعشرين: وانقطع ركب الحج بعدها بسبب ما وقع بالشام من الاختلاف والفتن انتهى .

ومنها : أنه فى سنة سبع [٢] وعشرين وستمائة حج من ميّافارقين [٣] سلطانها الشهاب غازى بن العادل بن أبى بكر بن أيوب وكان ثقله على ستمائة جمل على ما ذكر سبط ابن الجوزى .

---

(١) فى النسخة (ع) : بدون (لم) .

(٢) فى النسخة (ك) : أربع وعشرين وستمائة .

(٣) أشهر مدن ديار بكر وهى من بناء الروم (ص ١٣٤١ ج ٣ مراصد الاطلاع) .

ومنها : أنه فى سنة تسع وعشرين وستمائة خطب بمكة للملك المنصور نور الدين صاحب اليمن وهى أول سنة خطب له فيها بمكة وكان يخطب له فى المدة التى تكون فى ولاية عسكره .

ومنها : أنه فى سنة إحدى وثلاثين وستمائة حج الملك المنصور نور الدين صاحب اليمن على النجب حجا هنيا ورجا أن يصله بمكة تقليد من الخليفة المستنصر العباسى [1] وخلعة لأنه كان سأل ذلك من المستنصر وأهدى إليه هدية فوعده المستنصر بإرسال ذلك إليه إلى عرفة فلم يصله ذلك فى سنة حجه ووصله فى التى بعدها .

ومنها : أنه فى سنة أربع وثلاثين وستمائة على ما ذكر ابن البزُورى لم يحج فيها ركب العراق ولم يحج أيضاً العراقيون خمس سنين متوالية بعد هذه السنة من سنة خمس وثلاثين إلى سنة أربعين ذكر ذلك ابن البزورى فى ذيل المنتظم ووجدت بخط ابن محفوظ مايقتضى أن الحجاج العراقيين لم يحجوا سنة ثلاث وثلاثين لأنه قال فى أخبار سنة أربعين وستمائة وحج العراق فى تلك السنة بعد أن أقام سبع سنين لم يحج انتهى . ولا يستقيم ماذكره من أن العراق لم يحج سبع سنين إلا بأن يكون انقطع من الحج سنة ثلاث وثلاثين وستمائة .

ومنها أن فى سنة سبع وثلاثين وستمائة خطب بمكة لصاحب مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل أخى الملك المسعود وقد سبق ما كان بين عسكره وعسكر صاحب اليمن المنصور من استيلاء كل من العسكريين على مكة حينا .

ومنها : أنه فى سنة تسع وثلاثين وستمائة حج الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول صاحب اليمن وصام رمضان فى هذه السنة بمكة .. وفيها أبطل السلطان نور الدين المذكور عن مكة سائر المكوسات والجبايات والمظالم وكتب بذلك مربعة وجعلت قبالة الحجر الأسود ودامت هذه المربعة إلى أن قلعها ابن المسيب لما ولى بمكة فى سنة ست وأربعين وستمائة وأعاد الجبايات والمكوس بمكة .

ومنها : أن فى سنة أربع وأربعين وستمائة، وسنة خمس وأربعين وستمائة ،وسنة خمس وأربعين وستمائة، لم يحج الحاج العراقى على ماوجدت بخط ابن المحفوظ .

ومنها : على ماوجدت بخطه أن فى سنة خمسين وستمائة فيها حج العراق ولم يذكر أنه حج فيما بين سنة خمس وار بعين وهذه السنة وذلك مشعر بتخلف العراق عن الحج فى هذه السنة والله أعلم .

ومنها : أنه فى سنة اثنتين وخمسين وستمائة خطب بمكة لصاحب مصر الملك الأشرف موسى بن الملك الناصر يوسف بن الملك المسعود أقسيس بن الملك الكامل، ولأتابك الملك المعز أيبك التركمانى الصالحى .. وفيها تسلطن أيبك المذكور فى شعبان .

(١) تولى الخلافة العباسية من عام ٦٢٣ هـ حتى عام ٦٣١ هـ . بعد الخليفة الظاهر (٦٢٢ – ٦٢٣) .

ومنها : أنه فى سنة ثلاث وخمسين وستمائة كادت أن تقع الفتنة بين أهل مكة والركب العراقى ، وسكن الفتنة الملك [١] الناصر داود بن المعظم عيسى صاحب الكرك بعد أن ركب أمير الحاج العراقى بمن معه للقتال لأن الناصر اجتمع بأمير مكة وأحضره إلى أمير الحاج مذعنا بالطاعة وقد حمل عمامته فى عنقه فرضى أمير الحاج وخلع عليه وزاده على ما جرت به العادات من الرسم وقضى الناس حجتهم وهم داعون للملك الناصر شاكرون صنعه .

ومنها : على ما وجدت بخط الشيخ أبى العباس الميورقى أنه لم يحج سنة خمس وخمسين وستمائة من الآفاق ركب سوى حجاج [٢] الحجاز انتهى . وماعرفت المانع لحجاج مصر والشام من الحج فى هذه السنة ، وأما العراقيون فالمانع لهم التتار لإفسادهم فيها وقصدهم الاستيلاء على بغداد وتم لهم ذلك فى سنة ست وخمسين وقتلوا الخليفة المستعصم [٣] وغيره من الأعيان وغيرهم وأسرفوا فى القتل حتى قيل إن هولاكو ملك التتار أمر بعد القتلى فبلغوا ألف ألف وثمانمائة ألف فإنا لله وإنا إليه راجعون [٤] وكثر بعد هذه السنة انقطاع الحجاج العراقيين من الحج ولا سيما فى بقية هذا القرن فإنى لا أعلم من حجهم فى ذلك إلا اليسير كما سيأتى بيانه ولم يبق للحجاج العراقيين تقدم فى أمر الحج وفى مشاعره كما كان لهم ذلك فى زمن الخلفاء العباسيين لأن التتار بعد إزالتهم للخلافة العباسية من بغداد لم تكن لهم ولاية على الحرمين وصار التقدم فى إقامة الحج بمشاعره لأمير الحاج المصرى لكون السلطان بالديار المصرية نافذ الأمر فى الحرمين الشريفين ويقوم بمصالحهما من كسوة البيت الحرام وغير ذلك ، وأول من قام بذلك بعد العباسيين والخلفاء من ملوك [٥] مصر الظاهر بيبرس البندقدارى الصالحى [٦] وقام بذلك بعده ملوك مصر إلا أن

---

(١) فى النسخة (م) : الملك ابن الناصر . (٢) فى النسخة (م) : الحجاج الحجاز .

(٣) هو آخر خلفاء الدولة العباسية (٦٣١ – ٦٥٦ هـ) .

(٤) فى عام ٦٥٦ هـ فى عصر المماليك فى مصر وقعت بغداد صريعة تحت أقدام التتار المخربين ، وكان جيش التتار قد وصل فى غزوه بقيادة جنكيز خان إلى بحر بنطش (البحر الأسود) ثم توفى سنة ٦٢٤ هـ عن ٧٦ سنة ، وقد تولى المملكة ٢٢ سنة ، وكان من أحفاده هولاكو الذى كان من نصيبه فى هذه المملكة الواسعة ، بلاد فارس ، ملكها سنة ٦٥٤ هـ ثم أقدم على مالم يقدم عليه أحد من أسلافه ، فقصد بغداد وزحف عليها ، وخدع الخليفة المستعصم وفقهاء المدينة وأماثلها ، حتى حضروا اليه بمعسكره ، فأمر بذبحهم ، ثم هجم على دار الخلافة ، فاستولى على ما بها ، وقتل أهلها وسبى أطفالها ، ثم أباح بغداد أربعين يوماً كانت كفيلة أن تمحو منها كل فضل تجمع لها فى خمسة قرون ظلت فيها عاصمة الإسلام ، ومثابة العلماء والأدباء ، وكان أفظع عمل له هو قضاؤه على التراث العلمى للمسلمين .

قضى على كل ذلك بين غمضة عين وانتباهتها ، وأودى بالكتب التى كانت أنفس ذخائر المدينة حرقا وإغراقاً ، حتى لقد اسود ماء دجلة من كثرة مارمى به من الكتب التى تراكمت . فكانت جسراً يعبر عليه جند هذا الغازى الأثيم.

(٥) فى النسخة (م): بعد الخلفاء العباسيين من ملوك مصر .

(٦) هو المؤسس الفعلى لدولة المماليك البحرية بعد سقوط الدولة الأيوبية .

كسوة الكعبة صارت تعمل من غلة قرية ظاهر القاهرة وقفها الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر على كسوة الكعبة فى كل سنة ومع ذلك فيكتب فى كسوة الكعبة اسم السلطان بمصر. وكان أمر بيبرس نافذا فى الحجاز وخطب له به وكذلك غالب من بعده من ملوك مصر والذى أشك فى الخطبة لهم بمكة من ملوك مصر بعد الظاهر بيبرس أبناءه السعيد وسلامش والعادل كتبغا ولاجين المنصورى ويغلب على ظنى أنه خطب لجميعهم غير سلامش إلا أنه ربما قطعت خطبة بعضهم من مكة حينا وخطب عوضه لصاحب اليمن ، واتفق ذلك لصاحب مصر الأشرف خليل بن الملك المنصور قلاوون الصالحى ولا يبعد أن يكون اتفق قبل ذلك للمنصور قلاوون وللظاهر بيبرس وابنه السعيد والله تعالى أعلم لاضطراب حال أبى نمى أمير مكة فى الميل حينا إلى صاحب اليمن وحينا إلى صاحب مصر ـ وأما ملوك مصر بعد الأشرف خليل غير كتبغا ولاجين فما علمت أن أحدا منهم انقطعت خطبته من مكة إلا ما قيل من أن حميضة بن أبى نمى لما استولى على مكة بعد رجوعه من العراق قطع خطبة الملك الناصر صاحب مصر وخطب لملك العراق أبى سعيد بن خدابنده وذلك فى آخر سنة سبع عشرة أو فى أول سنة ثمان عشرة وسبعمائة و بعض ملوك مصر هؤلاء لم يخطب له بمكة وهو المنصور عبد العزيز بن الملك الظاهر برقوق[١] لقصر مدته فإنها كانت سبعين يوماً فى مدة اختفاء أخيه الناصر فرج وما اتفق أنه أرسل نجابا[٢] إلى مكة يخبر بولايته حتى يخطب له ولكن وصل الخبر بذلك من غير نجاب له فترك الخطيب الخطبة للناصر وصار يدعو لصاحب مصر بها فلما عاد الناصر إلى السلطنة صرح باسمه فى الخطبة وكان ذلك فى النصف الأول من سنة ثمان وثمانمائة وكان للملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى من نفوذ الكلمة بالحجاز مالم يكن لأحد قبله من ملوك الترك بمصر بسبب أن الملك الناصر المذكور أرهب أولاد أبى نمى بالولاية والعزل لهم فى أمر مكة والقبض على بعضهم وتجهيز العساكر غير مرة إلى مكة لإصلاح أمرها وتقوية من يوليه أمرها ، وتم لملوك مصر بعد الملك الناصر مثل ماتم له من كثرة نفوذ أوامرهم بالحجاز وانفردوا بالولاية فيه دون ملوك اليمن وغيرهم .

ومنها : أنه فى سنة تسع وخمسين وستمائة حج الملك المظفر يوسف بن الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول صاحب اليمن وتصدق بصدقة جيدة عمت الناس وغسل الكعبة بنفسه وطيبها ونثر عليها الذهب والفضة وكسا البيت وأقام بما يطلب من مصالح الحرم وأهله وهو أول من كسا البيت بعد الخلفاء العباسيين وقام

---

(١) هو ثالث ملوك الجراكسة وكان صغير السن وطمع فيه القواد ، وكانت مدة ملكه شهرين وعشرة أيام وهو أخو الناصر فرج بن برقوق . (٢) هو رسول البريد باللغة العامية المصرية .

بمصالح الحرم وتولى ذلك مع تولى ملوك مصر له فى سنين وكان يخطب له فى مكة فى غالب مدة سلطنته وخطب بمكة من بعده لذريته ملوك اليمن إلى تاريخه بعد ملوك مصر .

ومنها : على ما قال الميورقى أنه لم ترفع راية لملك من الملوك سنة ستين كسنة خمس وخمسين وستمائة انتهى . منقولا من خطه وأراد بذلك وقت الوقوف بعرفة .

ومنها : أنه فى سنة ست وستين وستمائة على ما قال الظهير الكازرونى فى ذيله : أمّن الصاحب غرب طريق الحجاز ، وتوجه الحاج من بغداد فى أمن انتهى ، وهذه السنة أول سنة حج فيها العراقيون بعد استيلاء التتار على بغداد فيما علمت .

ومنها : أنه فى سنة سبع وستين وستمائة حج السلطان الظاهر بيبرس الصالحى صاحب مصر والشام فى ثلاثمائة مملوك وجماعة من أعيان الخليفة وغيرهم وتصدق فى الحرمين بمال عظيم وأحسن إلى أمراء الحجاز إلا أمير المدينة جماز ابن شيحة وابن أخيه مالك ابن منيف لأنهما لم يواجهاه خوفا منه وغسل الكعبة بنفسه وزاد أميرى مكة إدريس ابن قتادة وأبا نمى جملة من المال والغلال فى كل سنة بسبب تسبيل المسجد الحرام .

ومنها : على ما وجدت بخط ابن محفوظ أن فى سنة سبع وستين وستمائة : لم يحج فيها أحد من مصر لا فى البر ولا فى البحر انتهى .

ومنها : على ما قال الظهير الكازرونى فى أخبار سنة تسع وستين وستمائة : وحج الناس من بغداد انتهى .

ومنها : أنه فى سنة أربع وسبعين وستمائة أقام الحجاج بمكة ثمانية عشر يوماً وبالمدينة عشرة أيام ، وهذا شئ لم يعهد ، ذكر هذه الحادثة ابن الجزرى .

ومنها : على ما وجدت بخط الميورقى أنه فى يوم الخميس رابع عشر ذى الحجة سنة سبع وسبعين وستمائة ازدحم الحجاج فى خروجهم إلى العمرة من باب المسجد الحرام المعروف بباب العمرة فمات بالزحمة جمع كثير يبلغون ثمانين نفرا ، وقال لنا مكى : عددت خمسة وأربعين ميتا ، انتهى باختصار . ووجدت هذه الحادثة بخط غيره وذكر أنها فى ثالث عشر ذى الحجة وانها اتفقت حين خرج الحجاج إلى العمرة من باب العمرة من المسجد الحرام .

ومنها : أنه فى سنة ثمانين وستمائة وقف الناس بعرفة يومين يوم الجمعة والسبت احتياطاً وذكر هذه الحادثة ابن الفركاح فى تاريخه .

ومنها : أنه فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة كان بين أبى نمى صاحب مكة وأمير الحاج المصرى علم الدين الباشقردى كلام أفضى إلى أن أغلق أبو نمى أبواب مكة ولم يمكن أحداً من دخولها فلما كان يوم التروية أحرق

الحجاج باب المعلاة ونقبوا السور وهجموا على البلد فهرب أبو نمى وجمعه، ودخل الناس مكة ووقع الصلح بينهم و بين أهل مكة على يد الصاحب بدر الدين السنجارى ، وذكر بعضهم أن سبب هذه الفتنة أن بعض أمراء بنى عقبة حج فى هذه السنة وكان بينهم و بين أبى نمى معاداة فتخيل أبو نمى أنه انما جاء ليأخذ مكة وغلق أبوابها ولم يمكن أحدا من دخولها فكان ما ذكرناه ، وقد ذكر هذه الحادثة ابن الفركاح تاج الدين مفتى الشام بمعنى ما ذكرناه مختصرا. وقال بعد ذكرها : إن من الحجاج فى هذه السنة بدر الدين بن جماعة وأنه حدثه أن ابن العجيل يعنى شيخ اليمن أحمد ابن موسى لم يحج فى هذه السنة وقيل له فى ذلك فقال : السنة ما أحج ولا بد أن تقع فتنة فى مكة . قال وهذا من كرامته نفعنا الله به .

ومنها : أنه فى سنة ثمان وثمانين وستمائة على ما ذكر ابن الفركاح وصل من العراق ركب كبير ولم يصل ركب اليمن وانما جاء منهم آحاد ووقف الناس يومين يوم الجمعة و يوم السبت لأنه ثبت عند القاضى جلال الدين ابن القاضى حسام الدين وكان فى الركب الشامى : إن أول الشهر كان يوم الخميس ولم يوافقه الشيخ محب الدين الطبرى شيخ مكة وفقيه الحجاز ، وقال : كان أول الشهر الجمعة انتهى .

ومنها : أنه فى سنة تسع وثمانين وستمائة على ما قال ابن الفركاح كانت فيها فتنة بين الحجاج وأهل مكة وتقاتلوا فى الحرم وكان الأصل فى ذلك أجناد من المصريين بسبب فرس فانتهى الأمر إلى أن شهرت السيوف بالحرم الشريف نحوا من عشرة آلاف سيف ونهبت جماعة من الحجاج وجماعة الحجازيين وقتل من الفريقين جمع كثير قيل فوق أربعين نفسا وجرح خلق كثير ولو أراد الأمير أبو نمى أخذ الجميع أخذهم ولكنه تثبت ، انتهى . وقال ابن الجزرى فى أخبار سنة تسع وثمانين وستمائة : وكان مع ركب الشام الأمير عبية أمير بنى عقبة وكان بينه و بين أبى نمى صاحب مكة معاداة فتخيل صاحب مكة أنه ما جاء إلا حتى يأخذ مكة شرفها الله فغلق باب مكة ولم يمكن أحدا من أصحاب عبية من الدخول إلى مكة فطلعوا[1] أصحاب عبية من جبال مكة ودخلوها قهرا وأحرق المصريون باب مكة ونهبوا من الدباغات الطاقات الأديم وجرى كل قبيح من الفريقين وقتل من الطائفتين جماعة ثم إنهم راسلو صاحب مكة واتفقوا معه فدخلوا وطافوا وقضوا حجهم ثم قال : والذى حج بالناس من مصر الأمير علم الدين سنجر الباشقردى انتهى . وانما ذكرنا هذا لأنه يخالف ماذكره ابن الفركاح فى سبب الفتنة فى هذه السنة والله أعلم. وذكر ابن محفوظ ما يخالف ماذكره ابن الجزرى فيمن كان أمير الحاج فى هذه السنة لأننى وجدت بخطه أن فى تسع وثمانين وستمائة حج أمير يقال له الفارقانى ووقع بينه و بين أهل مكة قتال عند درب الثنية انتهى . ودرب الثنية هو درب الشبيكة بأسفل مكة .

ومنها : أن ابن محفوظ قال : فى أخبار سنة اثنتين وتسعين وستمائة ووقف الناس الاثنين والثلاثاء انتهى .

---

(١) هكذا فى الأصل فى جميع النسخ ولعله بتشديد اللام .

ومنها : على ما وجدت بخط ابن محفوظ فى أخبار سنة ثلاث وتسعين وستمائة: وحصل بعرفة جفلة عظيمة شنيعة وكان سببها أن بعض أولاد أبى نمى نهى مملوكاً فأخطأ عليه المملوك فجفل الناس انتهى .

ومنها : أنه فى سنة أربع وتسعين حج فيها الملك المجاهد أنس ابن السلطان الملك العادل كتبغا المنصورى صاحب الديار المصرية والشامية وحج فى خدمته جماعة من الأمراء والأُدُر السلطانية[1] وحصل لهم رفق كثير لأهل الحرمين وشكرت سيرة الملك أنس المذكور و بذل المال لصاحب مكة وأتباعه، و يقال : إن الذى نال صاحب مكة منه نحو سبعين ألف درهم .

وحجت فى هذه السنة عمة صاحب ماردين مع الركب الشامى وكان لها محمل كبير وسبيل كثير وتصدقت بمال كثير وانتفع بها الحاج وأهل الحرمين وأمراء مكة والمدينة وذكر هذه الحادثة بمعنى ما ذكرناه ابن الجزرى وغيره .

ومنها : أنه فى سنة سبع وتسعين وستمائة حج الخليفة أبو العباس أحمد بن الأمير حسن بن على بن أبى بكر[2] ابن الخليفة المسترشد بالله العباسى الملقب بالحاكم ثانى الخلفاء العباسيين بعد المستعصم وأول من أقام بمصر من الخلفاء العباسيين وحج معه عياله وأعطاه صاحب مصر المنصور لاجين سبعمائة ألف درهم وحج فيها أمير العرب مُهَنّا بن عيسى بن مهنا وشكرت سيرته لأنه تصدق بأشياء كثيرة وحمل المنقطعين وأطعم العيش للناس كافة .

ومنها : أنه فى سنة ثمان وتسعين وستمائة حصل للحاج تشويش بعرفات وهَوْشَة فى نفس مكة ونهب خلق كثيرون وأخذت ثيابهم التى عليهم وقتل خلق وجرح جماعة ، وقيل إن المقتولين فى هذه الفتنة أحدعشر نفرا وحصل لأبى نمى صاحب مكة من الجمال المنهوبة خمسمائة جمل،ذكر هذه الحادثة والتى قبلها بمعنى ما ذكرناه ابن الجزرى .

ومنها : أنه فى سنة تسع وتسعين وستمائة لم يحج أحد من الشام وحج الناس من الديار المصرية ذكر هذه الحادثة ابن الجزرى .

ومنها : أنه فى سنة سبعمائة لم يحج فيها أحد من الشام إلا أنه خرج عن دمشق جماعة إلى غزة ومن غزة إلى أيلة وصحبوا المصريين ذكر ذلك البرزالى .

ومنها : أنه فى سنة ثلاث وسبعمائة حج من مصر نائب السلطنة بها الأمير سيف الدين سلار وحج معه خمسة وعشرون أميراً وتصدق سلار بصدقات كثيرة سد بها فاقة ذوى الحاجات وانتفع بها المجاورون بمكة وأهلها الأشراف

---

(١) الأدر : كلمة بمعنى الحاشية .

(٢) فى النسخة (ك) : أحمد بن الأمير أبى على بن على بن أبى بكر .

وغيرهم وفعل بالمدينة مثل ذلك ، وكان قد جهز للصدقة فى البحر عشرة آلاف اردب قمح وتصدق الأمراء الذين حجوا معه وتوجهوا إلى المدينة ثم إلى القدس وتوجهوا منه[1] إلى مصر فدخلوها مع دخول الركب المصرى . ذكر هذه الحادثة البرزالى بمعنى ما ذكرناه .

ومنها : أنه فى سنة أربع وسبعمائة أبطل أمراء مكة حميضة ورميثة ابنا أبى نمى شيئا من المكوس فى هذه السنة والتى قبلها .

ومنها : أنه فى سنة خمس وسبعمائة حج من مصر ونواحى الغرب ومن بلاد العراق والعجم خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى .

ومنها : أنه فى سنة خمس وسبعمائة كانت بمنى جفلة عظيمة وحصل الحرب بين المصريين والحجازيين وكان مقدم الركب المصرى الأمير سيف الدين الغية وكان كافر النفس ومقداما على الجرائم سفك من السرو جماعة ، وجعل عوض نحر البدن نحرهم . ذكر هاتين الحادثتين هكذا صاحب بهجة الزمن فى تاريخ اليمن ، التاج عبد الباقى اليمانى ، وذكر هذه الحادثة التى فى سنة أربع بمعنى ما ذكرناه ، وذكر البرزالى ما يقتضى أن الفتنة التى كانت بين المصريين والحجازيين فى سنة خمس على ما ذكر صاحب البهجة ؛ لأنه قال فى أخبار سنة ست وسبعمائة وشرح من أمرها ما لم يذكره صاحب البهجة لأنه قال فى أخبار سنة ست وسبعمائة : فيها كان أمير الركب المصرى سيف الدين الغية قفجق السلحدار ، ثم قال : ووقع فى أيام الحج بمنى قتل ونهب وكان مبدأ ذلك هوشة وقعت فى السوق بمنى ونهب شىء ثم تفاقم الأمر ولم يحصل ذلك إلا بالسوق خاصة وانطلق العسكر خلف من فعل ذلك فلم يعلم وهرب المكيون فى الجبال وانطلق معهم جماعة من السرو إلى ذيل الجبل فحصل فيهم من العسكر ووسط منهم نفر يسير عند الجمرة لتسكين الأمر وإظهار الهيبة والقدرة ؛ فسكن الناس ولكن بقى عندهم خوف ووجل .

ومنها : أنه فى سنة تسع وسبعمائة لم يحج من الشام أحد على العادة إلا أن طائفة يسيرة من التجار وأهل الحجاز خرجوا من دمشق إلى غزة ومنها إلى أيلة واجتمعوا بالمصريين وصحبوهم . ذكر هذه الحادثة البرزالى .

ومنها : أنه فى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة حج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر ومعه خواص عسكره نحو أربعين أميراً . ذكر ذلك البرزالى ، وذكر صاحب بهجة الزمان : أن الملك الناصر المذكور حج فى هذه السنة فى مائة فارس وستة آلاف مملوك على الهجن وسار من دمشق إلى مكة فى اثنتين وعشرين يوما . انتهى .

ومنها : أنه فى سنة ست عشرة وسبعمائة حج فيها الأمير سيف الدين أرغون الدوادار الناصرى نائب السلطنة المعظمة بالقاهرة وتصدق بصدقات كثيرة بمكة والمدينة .

---

(١) هكذا بالتذكير فى جميع النسخ وهو على التأويل بالموضع .

وحج أيضا[١] فى سنة عشرين وسبعمائة ومشى فيها من مكة إلى عرفة ، وحج أيضا فى سنة ست وعشرين وسبعمائة . ذكر ذلك ابن الجوزى .

ومنها : أنه فى سنة تسع عشرة وسبعمائة حج الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى وحج معه من الأمراء نحو الخمسين من المقدمين والطبلخانات والعشراوات وجماعة من أعيان دولته[٢] وكان توجه من القاهرة فى تاسع ذى القعدة وتصدق على أهل الحرمين وأحسن وعمل معروفاً كثيرا وغسل الكعبة بيده . ذكر ذلك هذه الحادثة بمعنى ما ذكرنا الإمام النويرى فى تاريخه .

ومنها : أنه فى سنة عشرين وسبعمائة فعل الحاج سنة من سنن الحج متروكة من قبل ، وهى أنهم صلوا الصلوات الخمس بمنى يوم التروية وليلة التاسع وأقاموا بمنى إلى أن أشرقت الشمس على ثبير وتوجهوا إلى عرفة . ذكر هذه الحادثة بمعنى ما ذكرناه البرزالى وابن الجوزى ، قال : ووقف الناس بعرفه يوم الجمعة بلا خلاف ؛ قال : وهذه تكملة مائة جمعة وقفها المسلمون من الهجرة النبوية إلى الآن ؛ ونرجو الله تعالى أن تكون ألوفا إلى يوم القيامة . انتهى .

ومنها : أنه فى سنة عشرين وسبعمائة على ما قال البرزالى : حضر الموقف عالم كثير من جميع الأقاليم والبلاد ، قال الشيخ رضى الدين الطبرى إمام المقام : من مدة عمرى أحج ولم أر مثل هذه الوقفة ، قال : وفيها حضر الركب العراقى فى محمل كثير ومعهم محمل عليه ذهب كثير وفيه لولؤ وجوهر ، قوم بمائة تومان ذهباً وحسبنا ذلك بمائتى ألف دينار وخمسين ألف دينار من الذهب المصرى انتهى ، وذكر ابن الجزرى ذلك بالمعنى .

ومنها : أنه فى سنة احدى وعشرين وسبعمائة حج من دمشق نائبها الأمير تنكر الناصرى .

ومنها : أنه فى سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة أبطل السلطان الملك الناصر المكس المتعلق بالمأكول فقط بمكة وعوض صاحب مكة عطيفة عن ذلك ثلثى دماميل من صعيد مصر، ذكر ذلك البرزالى وابن الجزرى .

ومنها : أنه فى سنة أربع وعشرين وسبعمائة حج ملك التكرور موسى ، وحضر للحج معه أكثر من خمسة عشر ألفا من التكاررة .

---

(١) أى الأمير سيف الدين المذكور من قبل .

(٢) كان للماليك اصطلاحات فى دولتهم منها أن المملوك يبدأ بتعليمه ، ثم يترقى إلى تعلم الصراع ورمى السهام ،ثم يترقى إلى معرفة الفروسية ، ثم يترقى إلى الخاصكية ، ثم إلى الدوادارية ، ثم إلى المقدمية، ثم إلى السلطة ، والمقدم يعنى به أن يكون قائدا أى أمير مائة الف مقدم .

ومنها : أنه فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقف الناس بعرفة يوم السبت ويوم الأحد بسبب الاختلاف فى هلال ذى الحجة ، وفيها رجع أكثر الركب المصرى بسبب قلة الماء فى المنازل فلذلك قل الحاج المصرى، وحج العراق وكان ركبا كبيرا ، ذكر هذه الحوادث بمعنى ما ذكرناه البرزالى وابنه الجزرى .

ومنها : أنه فى سنة سبع وعشرين وسبعمائة بات الحجاج الشاميون بمنى ليلة عرفة ولم يبت بها المصريون وكان المصريون قليلا بالنسبة إلى العادة .

ومنها : أنه فى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة حج العراقيون ومعهم تابوت جوبان نائب أبى سعيد بن خرابندا ملك العراق ليدفن بالتربة التى بناها بالمدينة عند باب الرحمة فلم يدفن بها لعدم تمكين أمير المدينة من ذلك حتى يأذن فيه صاحب مصر وأحضروا تابوته فى الموقف بعرفة ودخلوا به مكة ليلا وطافوا به حول البيت ثم ذهبوا به إلى المدينة فكان أمره فيها ما ذكرناه ، ذكر ذلك البرزالى بمعنى ما ذكرناه ، وذكر أن الوقفة كانت يوم الجمعة باتفاق انتهى . وذكر ابن محفوظ أن قدوم الركب العراق بجوبان كان فى سنة سبع وعشرين والله أعلم .

ومنها : أنه فى سنة ثلاثين وسبعمائة كانت فتنة بين الحجاج المصريين وأهل مكة وقد شرح قاضى مكة شهاب الدين الطبرى شيئا من خبرها فى كتاب كتبه إلى بعض أصحابه لأن فيه : وينهى صدورها من حرم الله تعالى بعد توجه الركب السعيد على الحالة التى شاع ذكرها ولا حيلة فى المقدر والله ما لأحد من أهل الأمر ذنب لا من هؤلاء ولا من هؤلاء وانما الذنب للغاغة والرعاع والعبيد والنفرية على سبب مطالبة من أخدام الأشراف العراقيين بسبب عوائدهم فلما حصلت ملاواة أوجبت معاداة فقامت الهوشة والخطيب على المنبر وكان السيد سيف الدين عند أمير الركب جالسا فقام ليطفى النوبة من ناحية فانتفخت من نواحى وقام الأمير سيف الدين يساعده فاتسع الخرق وهاج الناس فى بعضهم بعضا فات من مات وفات من فات ولزم الأشراف مكانهم بجيادو لم يخرج منهم أحد إلى القتال إلا من انخلس من الفريقين. وذكر هذه الحادثة الحافظ علم الدين البرزالى وشرح من أمرها مالم يشرحه القاضى شهاب الدين الطبرى لأنه قال فى أخبار سنة ثلاثين وسبعمائة: ووصل كتاب عفيف الدين الطبرى يذكر فيه أمورا مما وقع للحجاج بمكة المشرفة قال : وليس الخبر كالمعاينة ، لما كان يوم الجمعة عند طلوع الخطيب المنبر حصلت شوشة ودخلت الخيل المسجد الحرام وفيهم جماعة من بنى حسن ملبين غائرين وتفرق الناس وركب الأمراء من المصريين وكانوا ينتظرون سماع الخطبة فتركوها وركب الناس بعضهم بعضا ونهبت الأسواق وقتل من الخلق جماعة من حجاج وغيرهم ونهبت الأموال وصلينا نحن الجمعة والسيوف تعمل وطفت أنا ورفيقى طواف الوداع جريا والقتل بين الترك والعبيد الحرامية من بنى حسن وخرج الناس إلى المنزلة واستشهد من الأمراء سيف الدين الدمر أمير خازندار وولده خليل ومملوك لهم وأمير

عشرة يعرف بابن التاجى وجماعة نسوة وغيرهم من الرجال وسلمنا من القتل وكانت الخيل فى أثرنا يضربون بالسيوف يميناً وشمالا وما وصلنا إلى المنزلة وفى العين قطرة ودخل الأمراء راجعين بعد الهرب إلى مكة لطلب بعض الثأر وخرجوا فارين مرة أخرى ثم بعد ساعة جاء الأمراء خائفين وبنو حسن وغلمانهم خلفهم فلما أشرفوا على ثنية كداء من أسفل مكة فأمر بالرحيل ولولا أن سلم الله الناس كانوا نزلوا عليهم ولم يبق من الحجاج مخبر فوقف أمراء المصريين فى وجوههم وأمر بالرحيل فاختبط الناس وجعل اكثر الناس يتركون ماثقل من أحمالهم ونهب الحاج بعضه بعضا وكان فى جملة من راح جمل محمل لنا فيه جميع مارزقنا الله من نفقة وثياب وزاد واحتسبناه وحمدنا الله على سلامة أنفسنا انتهى ، وذكر النويرى هذه الحادثة فى تاريخه وذكر فيها مايوافق ماذكره الطبرى ثم قال : ووقع الخبر بذلك بالقاهرة يوم الجمعة يوم مقتله (يعنى سيف الدين الدمر أمير خازندار سوا) ثم وصل الخبر بذلك مع المبشرين فى ثالث المحرم .

ومنها : أنه فى سنة ثلاثين وسبعمائة أيضاً حج الركب العراقى ومعهم فيل وما عرفت مقصد أبى سعيد بن خرابندا ملك التتار بإرساله وقد ذكر خبره البرزالى نقلا عن العفيف المطرى لأنه قال : بعد ماسبق ذكره من خبر الفتنة : وكان ركب العراق ركبا صغيرا ووصل معهم فيل وقفوا به المواقف كلها وتفاءل الناس منذ رأوه بالشر فتم (ماتم وحصل ماحصل)[1] وكنا خائفين أن يقع بسببه شر إذا وصل إلى المدينة المنورة فوصل إلى أن بلغ الفرش الصغير قبيل البيداء التى ينزل منها إلى بئر الحرم من ذى الحليفة فجعل كلما أراد أن يقدم رجلا تأخر مرة بعد مرة فضربوه وطردوه وكل ذلك يأبى إلا الرجوع القهقرى إلى أن سقط إلى الأرض ميتا فى يوم الأحد الرابع والعشرين من ذى الحجة وذلك من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وهذا من غرائب العجائب والحمد لله على ذلك وقد ذكر خبره النويرى فى تاريخه بمعنى ماذكره المطرى وقال : وقيل إنه انصرف عليه من حين خروجه من العراق إلى أن مات زيادة على ثلاثين الف درهم وما علم مقصد أبى سعيد فى إرساله ذلك انتهى .

ومنها : أنه فى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة حج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ومعه نحو سبعين أميراً وجماعة من أعيان الفقهاء وغيرهم بالقاهرة وتصدق فى حجه على أهل الحرم من المجاورين والفقهاء .

ومنها : أنه فى سنة ست وثلاثين وسبعمائة لم يحج الركب العراقى فى هذه السنة لموت السلطان أبى سعيد بن خرابندا ملك العراقين واختلاف الكلمة بعده ودام انقطاع الحج من العراقين سنين كثيرة على ما يأتى بيانه .

---

(١) فى النسخة (ك) : ليست هذه الجملة مذكورة فيها .

ومنها : أنه فى سنة إحدى واربعين وسبعمائة وقف الحجاج المصريون والشاميون بعرفة يومين يوم الجمعة ويوم السبت ، ووقف أهل مكة بالسبت ولكنهم حضروا عرفة ليلة السبت .

ومنها : أنه فى سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة حج صاحب اليمن الملك المجاهد على بن الملك المؤيد داود بن المظفر ولما حضر بعرفة كان فى خدمته الأشراف والقواد وحموه من أن يتعرض له المصريون بسوء وأطلعوا علمه جبل عرفة وكان المصريون قد عزموا على منعه من ذلك ومن نزول عرفة والوقوف عند الصخيرات بها وكان الأشراف والقواد فى خدمته إلى أن قضى مناسك الحج وعم بصدقته أهل مكة وكان دخوله إليها أول ذى الحجة ورحل منها فى العشرين من ذى الحجة ورام أن يكسو الكعبة ويقلع بابها ويركب بابا من عنده فلم يمكنه الأشراف من ذلك فوجد عليهم فى ذلك .

ومنها : أنه فى سنة ثلاث واربعين وسبعمائة حصل بين أمير الحاج والأشراف قتال عظيم بعرفة كان الظفر فيه للأشراف وقتل من الترك نحو ستة عشر نفراً وقتل من جماعة الأشراف عدة نفر ولم يتعرضوا للحجاج بنهب وكانت الوقعة من بعد العصر إلى الغروب ووقف الناس مشوشين وتوجه الأشراف بعد الوقعة إلى مكة وتحصنوا بها ولم يحضروا بمنى فى أيامها ورحل الحجاج جميعهم من منى وقت الظهر من يوم النفر الأول ونزلوا بباب الشبيكة وأقاموا به ليلة ثم رحلوا فى يوم النفر الثانى ولم يعتمر أكثر الحجاج ولم يطوفوا طواف الوداع خوفا على أنفسهم ، وتعرف هذه السنة بسنة المظلمة لأن أهل مكة فى نفرهم من عرفة سلكوا الطريق التى تخرجهم على البئر المعروفة بالمظلمة وهى غير الطريق التى سلكها الحجاج .

ومنها : أنه فى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة حج العراق بعد أن أقام إحدى عشر سنة لم يحج وكان حاجا كثيرا وكان حاج مصر والشام قليلا .

ومنها : أنه فى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة حج الملك المجاهد صاحب اليمن وقبض عليه بمنى ؛ وسبب ذلك أنه لم ينصف أمير مكة عجلان ولا بنى حسن ولا أمير الحاج المصرى بزلار ولم يراع من المصريين إلا الأمير طاز فأجمعوا عليه مع أمير مكة وقصدوه فى صبح اليوم الثالث من أيام منى إلى محطته فقاتلهم أصحاب صاحب اليمن ساعة من نهار ثم عظم عليهم الأمر باجتماع الناس عليهم للطمع فى النهب فنهب محطة المجاهد عن آخرها بما فيها من الخزائن والخيول والبغال والجمال وغير ذلك ، وكان من أسباب ذلك عدم ظهوره للقتال فإنه لم يركب ولم ينصب علما ولا دق طبلا وإنما صعد جبلا بمنى فحصروه به إلى قرب غروب الشمس ثم سلم نفسه بأمان فأخذ سيفه وأركب بغلا واحتفظ به وسافر مع المصريين تحت الحوطة ولم يرم الجمار بمنى ولا ظهر بها، ولعله راعى فى ترك القتال حرمة الزمان والمكان وهما جديران

بالاحترام ، وكان من خبره بعد وصوله إلى مصر أن صاحبها الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون أكرمه وسيره إلى بلده على طريق الحجاز وفى خدمته بعض الأمراء ؛ فلما كان بالدهناء قريبا من ينبع قبض عليه، لأن الأمير الذى فى خدمته نقل عنه إلى الدولة بمصر ما أوجب تغير خاطرهم عليه وذهب به إلى الكرك فاعتقل بها مع الأمير « يلبغاروس » الذى كان نائباً بالقاهرة ثم أطلق بشفاعة الأمير يلبغا لأنه كان أطلق قبله ، وزار المجاهد القدس والخليل وجاء إلى مصر فتوجه منها إلى بلاده على طريق عيذاب فبلغ اليمن فى ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة ومنع الجلاب من السفر إلى مكة حنقاً على أهلها .

ومنها : أنه فى سنة خمس وخمسين وسبعمائة لم يحج العراق وحج فى التى بعدها وهى سنة ست وخمسين وسبعمائة وكان حاجا قليلا .

ومنها : أنه فى سنة سبع وخمسين وسبعمائة وقف الناس بعرفة يومين وحصل للناس فى آخر اليوم مطر جيد سالت به الشعاب فاستقى الحاج ودوابهم وكان ذلك من الله رحمة لعباده ، وكان الحج العراقى فى هذه السنة كثيراً لم يعهد أن مثله حج من العراق، وحج بها بعض العجم وتصدق بذهب كثير على أهل مكة والمدينة .

ومنها : أنه فى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة حج العراق وكان حاج مصر والشام قليلا .

ومنها : أنه فى سنة تسع وخمسين وسبعمائة رحل الحاج جميعهم من منى وقت الظهر من يوم النَّفْر الأول وكان الحاج قليلا من مصر والشام والعراق .

ومنها : أنه فى جمادى الآخرة أو رجب سنة ستين وسبعمائة أسقط المكس المأخوذ من المأكولات بمكة من الحب والتمر والغنم والسمن وغير ذلك ، وارتفع من مكة الجور والظلم وانتشر العدل والأمان وذلك بسبب أن الملك الناصر حسن صاحب مصر جهز إلى مكة عسكراً لإصلاح أمرها وللإقامة بها مع من ولاه إمرة مكة وهما الشريفان محمد بن عطيفة بن أبى نمى وسند بن رميثة بن أبى نمى ، ودام هذا مدة مقام هذا العسكر بمكة، وذلك إلى آخر سنة إحدى وستين وسبعمائة .

ومنها : أنه فى سنة ستين وسبعمائة أيضا وصل الركب العراقى وكان وصوله قبل الوقت الذى يعهد فيه وصوله بيومين وهو الخامس من ذى الحجة .

ومنها : أنه فى سنة إحدى وستين وسبعمائة كان بمكة فتنة بين أهلها من بنى حسن و بين الترك الذين قدموا إلى مكة للإقامة بها فى موسم هذه السنة عوض الترك الذين كانوا قدموا مكة فى سنة ستين وسبعمائة وسبب هذه الفتنة أن بعض الترك نزل فى الدار المعروفة بدار المضيف عند باب الصفا فطالبه بالكراء بعض الأشراف من ذوى على بن قتادة

وحصل بينهما منازعات أفضى الحال فيها إلى أن ضرب التركى الشريف فقتله الشريف فثار عليه الترك فصاح فحمى له بعض الشرفاء فصارت الفتنة ، وقيل فى سبب الفتنة : إن بعض الترك أرادوا النزول فى دار المضيف فعارضه فى ذلك بعض ذوى على وضربوهم فشكوا ذلك إلى ابن قرا سنقر وكانوا من جماعته وكان إذ ذاك يطوف البيت الحرام مُحْرِماً بعمرته فقطع طوافه ولبس السلاح وثارت الفتنة وركب الأشراف خيلا للترك كانت على باب الصفا ليسعوا عليها فى عمرتهم التى اعتمروها فى هذا اليوم وقصد بنو حسن أجياد واستولوا على اسطبل ابن قراسنقر أحد مقدمى الترك المقيمين بمكة وحصروا المقدم الآخر وهو الأمير المعروف بقندس فى منزلة دار الزباع بأجياد وقاتلوه حتى غلبوه ونجا بنفسه من موضع فى الدار فاستجار ببعض نساء الأشراف واجتمع الترك فى المدرسة المجاهدية وفى المسجد الحرام وغلقوا أبوابه عليهم وعملوا عند المدرسة المجاهدية جسرا من خشب يمنع بنى حسن من قصدهم وأزالوا الظلة التى على رأس الزقاق المقابل لباب أجياد وقصدهم جماعة من بنى حسن إلى جهة المجاهدية فرموهم بالنشاب ففرّ بنو حسن ثم كرّ عليهم بعض من بنى حسن ثانية فقتل منهم جماعة منهم الشريف مغامس بن رميثة ثم وصل الشريف ثقبة بن رميثة إلى مكة بأثر الفتنة فسكنها عن الترك ووقع الاتفاق على أن ترحل الترك من مكة فرحلوا بما خف من أموالهم . والتحقوا بالحجاج فأدركوهم بينبع وكانت هذه الفتنة بعد رحيل الحاج من مكة بيوم أو يومين .

ومنها : أنه فى سنة ست وستين وسبعمائة رسم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسن بن الملك الناصر محمد ابن قلاوون صاحب مصر بإسقاط ما على الحج من المكوس بمكة فى سائر ما يحمل إليها من المتاجر سوى الكارم[1] وتجار الهند وتجار العراق وأسقط المكس المتعلق بالمأكولات، وبلغنى أن المكس الذى كان يؤخذ من المأكولات بمكة مُدُّ حَبّ جِدِّى وهو مدان مكيان من كل حِمْل حب يصل من جدة، ومد مكى وربع مكى من كل حمل حب يصل من جهة الطائف وبجيلة[2] وثمانية دنانير مسعودية على كل حمل من التمر اللبان الذى يصل إلى مكة، وثلاثة دنانير مسعودية على كل حمل تمر محشى يصل إلى مكة ، وستة مسعودية على كل شاة تصل إليها، وسدس وثمن ما يباع بمكة من السمن والعسل والخضر وذلك أن يحصى ثمنها مسعودية فإذا عرف أخذ على كل خمسة دنانير دينار مسعودى ، ويؤخذ أيضا دينار مسعودى من ثمن السلة التمر إذا بيعت بالسوق من التمار الذى باعها ليتعيش بها والمأخوذ على التمر أولا من جالبه إلى مكة، ويؤخذ شىء مما يباع فى السوق من غير ما ذكرناه، وكان الناس يقاسون شدة ، بحيث بلغنى أن بعض الناس جلب شاة فلم تساو المقدار المقرر عليها فسمح بها فى ذلك فلم يقبل منه ، فأزال الله تعالى جميع هذا الباطل على يد الأمير يلبغا المعروف بالخاصكى مدبر المملكة الشريفة فى دولة الملك الأشرف شعبان المذكور بتنبيه بعض أهل الخير له على ذلك وعوض صاحب مكة عن ذلك ثمانية وستين ألف درهم من بيت المال المعمور بالقاهرة

(١) الكارم معروف ، وهو نوع من الجواهر الكريمة . (٢) قرية بالبادية حول الطائف .

وألف أردب قمح وقدر ذلك فى ديوان السلطان المذكور ، وأمضى الولاة ذلك بالديار المصرية إلى تاريخه وكتب خبر هذا الإسقاط فى أساطين بالمسجد الحرام فى جهة باب الصفا وغيره، ولما وقعت هذه الحسنة من الأمير يلبغا المذكور طابت بها نفس صاحب مكة إذ ذاك الشريف عجلان بن رميثة الحسنى رحمه الله وعمل بها هو ومن بعده من أمراء مكة أثابهم الله تعالى .

ومنها : أنه فى أثناء سنة عشر السبعين وسبعمائة بتقديم السين خطب بمكة للسلطان الشيخ أويس بن الشيخ حسن الصغير صاحب بغداد وغيرها بعد أن وصلت منه قناديل حسنة للكعبة وهدية طائلة لأمير مكة عجلان وهو الآمر لخطيب مكة بالخطبة له فكان الخطيب إذ ذاك جدى لأبى ، قاضى مكة أبى الفضل النويرى ثم تركت الخطبة لصاحب العراق، وما عرفت وقت ابتداء تركها وخفى على كثير من خبر الحجاج العراقيين فى عشر السبعين وسبعمائة ، وفى عشر الثمانين وسبعمائة وفى عشر التسعين وسبعمائة، و يغلب على ظنى أن حجهم فى هذه الأعشار أكثر من انقطاعهم عن الحج فيها والله أعلم .

ومنها : أنه فى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة كان الحجاج من مصر فى غاية من القلة بسبب ما اتفق فى عقبة أيلة من ثورة الترك على الملك الأشرف (شعبان صاحب مصر وكان قد توجه إلى الحج فى هذه السنة فى تجمل كثير وفر إلى القاهرة فتبعه الناس إلا نفرا يسيرا وكان من خبره أنه دخل فى القاهرة مختفيا لأن الأمراء الذين تركهم بها سلطنوا ولده المنصور عليا وظفروا به بعد مدة يسيرة واستشهد رحمة الله تعالى فى بقية السنة)[١] .

(ومنها : أنه فى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة حج محمل لصاحب اليمن الملك الأشرف)[١] إسماعيل بن الملك الأفضل عباس بن الملك المجاهد فى البر ، وأراد بعض الأمراء المصريين توهين حرمة هذا المحمل ولم يمكنهم من ذلك صاحب مكة الشريف أحمد بن عجلان وكان أمير الحج مع هذا المحمل ابن السنبلى وليس هذا المحمل أول محمل حج من اليمن ، وقد رأيت ما يدل على أن فى السنة التى ولى فيها الملك المؤيّد السلطنة ببلاد اليمن حج له محمل إلى مكة .

ومنها : أنه فى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة[٢] كان بمكة فتنة فى أيام الموسم وحج الناس خائفين وسبب هذه الفتنة أن بعض الباطنية قتل أمير مكة محمد بن أحمد بن عجلان عندما حضر لخدمة المحمل المصرى على جارى عادة الأمراء أى أمراء الحجاز ، وتولى بعده عنان بن مغامس بن رميثة إمرة مكة وقصدها فى جماعته ومعه أمير الحاج الماردينى ، فحارب من كان بمكة من ذوى عجلان زمنا يسيرا ثم انهزموا ، واستولى عنان ومن معه على مكة .

(١) ما بين القوسين محذوف من النسختين: ك ، م ، وقد نقلناه عن كتاب منتخبات شفاء الغرام المطبوع فى أوربا.
(٢) وذلك فى عهد الملك السلطان الظاهر سيف الدين برقوق أول ملوك دولة المماليك الشراكسة بمصر ، وقد تولى الملك عام ٧٨٤ هـ.

ومنها : أنه فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة [١] كان بمكة قتال ونهب فى الحجاج فى يوم التروية وفى ليلة عرفة بطريق عرفة ، وسبب هذه الفتنة أن بعض القواد اختطف شيئا فى المسجد الحرام واحتمى ببعض أصحابه فجرى بينهم وبين الحجاج مقاولة بالمسجد الحرام أفضت إلى مقاتلته فشهرت السيوف بالمسجد الحرام وصارت الفتنة به وبخارج المسجد ونهبت الأموال وجاء الأمير الحج الحلبى المعروف بابن الزين غائرا من الأبطح فى خيل ورجل فلقيه بعض القواد بأسفل مكة إلى جهة الشبيكة وجرى بين الفريقين قتال كان الظفر فيه للقواد وطمع الحرامية فى الحجاج فنهبوهم نهبا ذريعا فى خروجهم إلى منى ، وفى ليلة عرفة بالموضع المعروف بالمضيق بين عرفة ومزدلفة وقتلوهم ، وتعدى النهب إلى أهل مكة واليمن وحج الناس خائفين ورحل الحجاج أجمعهم فى يوم النفر الأول وكان فى هذه السنة قدم مع الحجاج الشاميين محمل من حلب ولم يعهد مثل ذلك فيما علمت إلا فى سنة سبع وثمانين وسبعمائة والله أعلم . وفيها حج العراقى بعد انقطاعه مدة وكان قدومه يوم الصعود وكان حاجاً قليلا جدا يقال إنه كان فيه خمسمائة جمل .

ومنها : أنه فى سنة ثمانمائة حج محمل لصاحب اليمن الملك الأشرف مع طواشى من جهته وفى خدمته الشريف محمد بن عجلان وحج معه جماعة من أعيان التجار والفقهاء المكيين وغيرهم وحصل للحجاج الذين كانوا مع المحمل اليمنى عطش بقرب مكة مات فيه جماعة منهم رحمهم الله تعالى، ووقف بعرفة مع المحامل وكانت الوقفة يوم الجمعة .

ومنها : أنه فى سنة ثلاث وثمانمائة [٢] لم يحج من الشام أحد على الطريق المعتادة ، وسبب ذلك أن تيمورلنك قصد البلاد الشامية فى هذه السنة واستولى عليها وأخربها وكان ما حصل من الخراب بدمشق أكثر من غيرها من البلاد الشامية بسبب إحراق التترية لها لما استولوا عليها بعد أن فارقها الملك الناصر فرج وقصد الديار المصرية لأمر اقتضاه الحال . والتترية منازلون لدمشق وكان استيلاء التترية على دمشق بصورة أمان والتزام من أهل دمشق لهم بمال يؤدونه لأنهم بعد رحيل السلطان من دمشق حصروا القلعة بدمشق وأخربوا بعضها وكادوا يستولون عليها فاقتضى ذلك خروج الشاميين إليهم لطلب الأمان والتزامهم لهم بالمال ولما صار بأيديهم ما التزموا لهم به من المال وأكثر منه بكثير فارقوا البلد بعد أن أحرقوها فى ثالث شعبان من السنة المذكورة، ثم عمرت القلعة والجامع الأموى ومواضع حوله من البلد وظاهرها عمارة حسنة وأكثر البلد متخرب إلى الآن ،فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ومنها : أنه فى سنة ست وثمانمائة حج الركب الشامى على طريقته المعتادة ومعه محمل وكان قد بطل من سنة ثلاث وثمانمائة وحج الشامى فى سنة سبع وثمانمائة كحجه فى سنة ست بمحمل وعلى طريقته المعتادة .

ومنها : أنه فى سنة سبع وثمانمائة حج العراقيون بمحمل من قبل متولى بغداد من أولاد تيمرلنك ومات تيمرلنك فى هذه السنة فى سابع عشر شعبان منها ، بعلة الإسهال القولنجى .

(١) فى عهد ملك برقوق (٧٨٤ – ٨٠١ هـ) . (٢) وذلك فى عهد فرج بن برقوق (٨٠١ – ٨١٥ هـ) .

ومنها : أنه فى سنة ثمان وثمانمائة لم يحج الشاميون على طريقتهم المعتادة ولا حج لهم محمل ، و إنما حج فيها من الشام تجار جاءوا من دمشق إلى غزة ومنها إلى أيلة ومنها إلى مكة .

ومنها : أنه فى سنة تسع وثمانمائة حج الشاميون بمحمل على طريقتهم المعتادة وتخوف الناس أن يقع بين أميرهم و بين أمير الركب المصرى قتال فسلم الله، وسبب توقع القتال فى هذه السنة أن الأمير حكيم بايع لنفسه بالسلطنة وتلقب بالملك العادل وخطب له بحلب وغيرها من البلاد الشامية حتى إنه خطب له بدمشق ولكن كان زمن الخطبة له بدمشق يسيرا دون شهر وأعيدت الخطبة بها للملك الناصر ، فرج ابن الملك الظاهر صاحب مصر وضربت السكة باسم حكيم ورأيت دراهم مكتوبا عليها اسمه وكان ذلك من الأمير حكيم فى هذه السنة أو فى آخرها أو فى أول التى بعدها، وقتل من سهم أصابه على غفلة منه فى حرب كان بينه و بين بعض التركمان .

ومنها : أنه فى سنة عشر وثمانمائة نفر الحجاج جميعهم فى النفر الأول ولم يزر المدينة النبوية من الركب المصرى إلا القليل وسار معظمهم مع أمير الحاج إلى ينبع ، وسبب ذلك أن أمير الحج المصرى تخوف من أهل الشام أن يقصدوا الحجاج بسوء من جهة أيلة بسبب القبض بمكة على أمير الركب الشامى فى هذه السنة ، وكان صورة القبض عليه أن المصريين تكلموا مع أمير مكة فى القبض عليه فقصده أمير مكة فى المسجد الحرام بعد طوافه يوم قدومه بالبيت وقبل سعيه وأشار على أمير الحج الشامى بأن يمضى معه للسلام على أمير الحج المصرى فلم يجد بدا من الموافقة على ذلك لانفراده عن عسكره فسار إلى أمير الحج المصرى فقبض عليه وحج معه محتفظا به وذهب به تحت الحوطة إلى مصر وكانت الوقفة يوم الجمعة .

ومنها : أنه فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة كان بين بنى حسن من أهل مكة و بين أمير الحاج المصرى مشاجرة عظيمة أفضت إلى قتل بعض الحجاج ونهبهم غير مرة ولم يحج بسبب ذلك من أهل مكة إلا اليسير ، وسبب هذه الفتنة أن صاحب مصر الملك الناصر فرج انحرف على الشريف حسن بن عجلان نائب السلطنة ببلاد الحجاز فعزله عن ذلك وعزل ابنيه عن إمرة مكة وأسر ذلك إلى أمير الحج المصرى بيسق فاستعد للحرب واستصحب معه أنواعا من السلاح والمكاحل والمدافع وغير ذلك، وورى بأن قصده بذلك الدخول إلى اليمن، و بلغ الشريف حسن ذلك فى عاشر ذى القعدة من السنة المذكورة فجمع أعراب مكة وأهل الطائف ولية وغيرهم من عرب الشرق على ما كان معه من بنى حسن من الأشراف والقواد وعبيد أخيه أحمد بن عجلان وأولادهم وعوام مكة ، وكان من معه على ما بلغنى يزيدون على ستة آلاف نفر منهم أربعة آلاف من الأعراب الذين استنفرهم واجتمع عنده من الخيل نحو ستمائة فرس على ما بلغنى وكان يكره القتال مخافة أن يصيب الحجاج سوء من معرة الجيش وأشار بعض جماعته بأن يرسل إلى أمير الحاج من يعظم عليه أمر الحرم وأهله و انه إذا كان قصده القتال فليتقدم الحجيج قبله بيوم

أو يتقدم هو قبلهم بيوم فيقع اللقاء ، و بينما هم فى الفكرة فيمن يؤدى هذه الرسالة إلى أمير الحاج إذ جاء الله بالفرج وأزال عن الناس ما كان عندهم من الضيق والحرج وذلك أن الملك الناصر بعث خادمه الخاص بخدمته فيروز الساقى إلى مكة بخلع وتقاليد للسيد حسن المذكور وولديه بعودهم إلى ولايتهم ومنع أمير الحاج من التعرض لقتالهم ، وكان وصول هذا الخبر إلى مكة فى تاسع عشرين من ذى القعدة أو فى اليوم الموفى ثلاثين منه، وقدم إلى مكة جماعة من الحجاج من الترك وغيرهم فلقيهم الشريف حسن بعسكره وفى ليلة مستهل ذى الحجة بعث المقدم فيروز من يعلم بوصوله فى هذه الليلة فبعث الشريف حسن جماعة للقائه فى باب الشبيكة وكان هو قصد مكة من باب المعلاة فلما رآه الموكلون بسور باب المعلاة صاحوا وظنوه عدوا فارتجت البلد وظن الناس أن ماذكر من خبر فيروز مكيدة فقتل بعض من كان معه ودخل البلد مكسورا فطيب خاطره الشريف حسن ووعده بكل جميل وقرىء بحضوره التقليد الذى كان معه بعودة الشريف حسن وابنيه إلى ولايتهم وسعى عند الشريف حسن فى عدم التعرض لأمير الحاج فأجاب إلى ذلك الشريف حسن وشرط أن يسلم أمير الحج ما معه من السلاح وآلات الحرب فأجاب أمير الحاج إلى ذلك بعد توقف وشرط أن يكون بر باط ربيع بأجياد إلى أن تنقضى أيام الموسم ثم يتسلم ذلك فأجيب إلى ماذكر ودخل الحاج مكة فى ثانى ذى الحجة وقت الظهر ودخل أمير الحاج فى ثالث ذى الحجة إلى مكة فطاف بالبيت وتقدم إلى الشريف حسن بأجياد فأحسن لقاءه وأقام بمكة إلى أن خرج منها فى يوم التروية إلى منى بعد تقدمه طائفة من الحجاج و بلغ الشريف حسن أن بعض ما جمعه من الأعراب عزموا على التعرض للحاج فبعث إليهم من يزجرهم عن ذلك فعصوا وانقلبوا على الحجيج فقتلوا ونهبوا وعقروا الجمال عند المأزمين وهو الموضع الذى تسميه الناس المضيق ، وتوقف الشريف حسن هو وغالب من معه عن الحج خيفة أن يقع بينهم و بين أمير الحج قتال فيلحق الحجيج من ذلك مشقة ، وحج ولد السيد أحمد بن حسن فى نفر قليل من خواصه و بسبب تخلفه عن الحج تخلف غالب أهل مكة . وكنت ممن يسر الله له الحج فى هذا العام . ولما وصلنا إلى الموضع المعروف بالمأزمين وجدنا الجمال فيه معقورة وكدنا أن نرجع من الخوف فقوى الله العزم وسلم وله الحمد، وكان مما حملنا على العزم على الرجوع أن بعض الأشراف لقينا قريبا من المزدلفة وأخبرنا أن الحاج فى أثرهم واصل وسبب ذلك أن الحجاج لما خرجوا من مكة فى يوم التروية لم ينزلوا بمنى وساروا إلى عرفة فنزلوا بها ، وثبت عند القاضى الحنفى بمكة أن هذا اليوم هو اليوم التاسع من ذى الحجة وكان هذا اليوم يوم التروية على رؤية أهل مكة فاقتضى رأى أمير الحاج أن يقيم بالناس يومين بعرفة وأن يدفع فى هذا اليوم إلى أن يبلغ الأعلام التى هى حد عرفة من جهة مكة ويرجع إليها فيقيم اليوم الثانى ففعل ذلك ورأى ذلك الشرفاء فظنوا أن الحاج سائر إلى منى وتعرض أهل الفساد للحاج فى توجههم من عرفة إلى منى ونهبوهم وقتلوهم وجرحوهم وذلك فى ليلة النحر ولم نستطع أن نبيت بالمزدلفة إلى الصباح فرحلنا منها بعد أن أقمنا بها مقاما تتأدى به السنة ووقع بمنى فى ليلة

النحر قتل ونهب ، وفى ضحى يوم النحر شاع بين الناس بمكة وصول الشريف على بن مبارك بن رميثة من مصر ، وكان يذكر أنه يلى مكة مع أمير الحج فاضطرب الناس بمكة ومن ثم سكنوا لما لم يصح ذلك ، وفى آخر هذا اليوم دخل أمير الحج إلى مكة فطاف للافاضة والوداع ، وكان قد قدم للسعى فى يوم الصعود وخرج من فوره إلى منى ، ومن النفر الأول اضطرب الناس بمنى وظنوا أن الفتنة قامت بها ثم لم يظهر لذلك أثر ثم رحل الحاج بأجمعهم فى اليوم الثانى أى فى يوم النفر الثانى فلما وصلوا إلى الأبطح أمر أمير الحاج المصرى بأن يسلك الحجاج المصريون شعب أذاخر ويخرجون منه إلى وادى الزاهر ففعلوا ذلك ووصل إليه بالزاهر ما كان أودعه من السلاح بمكة ولولا مراعاة الشريف حسن فى هذه الفتنة للحجيج لكثر عليهم العويل مع الحزن الطويل فالله تعالى يبقيه ، ومن الشر يقيه[1] .

ومنها : أنه فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة حج صاحب كِلْوَة الملك المنصور حسن بن المؤيد سليمان بن الحسين ، وتصدق على أعيان أهل الحرم وزار بعد الحج وركب البحر فى أثناء الطريق إلى بلاد اليمن ليتوصل منها إلى بلاده من عدن .

ومنها : أنه فى سنة ثلاث عشر وثمانمائة أيضا لم يحج العراقيون من بغداد بمحمل على العادة وكانوا قد حجوا على هذه الصفة ست سنين متوالية ، أولها سنة سبع وثمانمائة ، وآخرها سنة اثنتى عشرة وثمانمائة ، وسبب بطلان الحج فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة أن فيها أو فى آخر التى قبلها تحارب السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد وقرا يوسف التركمانى فقتل السلطان أحمد وقيل إنه فقد واستولى التركمانى على بغداد ولم يقع منهم عناية لتجهيز الحجاج بمحمل على العادة ودام انقطاع الحجاج العراقيين من بغداد سنين بعد سنة ثلاث عشرة ، وحج فى هذه السنين من عراق العجم جماعة على طريق الحسا والقطيف بلا محمل .

ومنها : أنه فى سنة ثلاث عشرة أقام الحجاج المصريون والشاميون بمنى يوما ملفقا بعد يوم النفر الثانى لرغبة التجار فى ذلك وكانت الوقفة فى هذه السنة يوم الجمعة .

ومنها : أنه فى يوم الجمعة الثانى والعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وثمانمائة خطب بمكة للامام المستعين بالله أمير المؤمنين أبى الفضل العباسى بن الخليفة المتوكل محمد بن الخليفة المعتضد أبى بكر بن الخليفة المستكفى أبى الربيع سليمان بن الحاكم أبى العباس أحمد المقدم ذكره العباسى ، وذلك لما أقيم فى مقام السلطنة بالديار المصرية والشامية بعد قتل الملك الناصر فرج ولم يتفق مثل ذلك لأحد من آبائه الذين بويعوا بالخلافة بمصر بعد المستعصم لأنه وإن خطب لمن قبله بديار مصر فلم يكن لأحد منهم سكة ولا يخرج ولا يخرج عنه توقيع وغير ذلك إلا الإمام

---

(١) فى نسخة منتخبات شفاء الغرام طبعة أوربا : ومن السوء .

المستعين بالله [1] إلى أن عهد بالسلطنة إلى مولانا السلطان الملك المؤيد أبى النصر شيخ نصره الله فى مستهل شهر شعبان من هذه السنة وقبل الخطبة للخليفة بمكة بيومين قرئ كتابه بتفويضه إلى الملك المؤيد تدبير الأمور بالممالك الشريفة ولقبه فيه بنظام الملك بعد أن ذكر فيه قتل الملك الناصر [2] بسيف الشرع الشريف ، وكان قتله فى ليلة السبت سابع عشر صفر من هـذه السنة بدمشق ودعى للإمام المستعين بالله على زمزم بعد المغرب من ليلة الخميس الحادى والعشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة عوض الملك الناصر واستمر الدعاء له على زمزم فى كل ليلة إلى أن وصل كتاب الملك المؤيد يتضمن مبايعة الخليفة وأهل الحل والعقد من أهل الدولة وغيرهم له بالسلطنة فى التاريخ المقدم ذكره ، فترك الدعاء للخليفة المستعين بالله على زمزم ودعى له فى الخطبة قبل الملك المؤيد دعاء مختصراً بالصلاح ثم ترك الدعاء له فى يوم الجمعة التاسع عشر من شوال سنة ست عشرة وثمانمائة لأن بعض من ولى الخطابة بمكة رأى ذلك ثم أعيد الدعاء له فى الخطب مختصراً كما كان يفعل قبل الملك المؤيد فى يوم الجمعة ثانى ذى الحجة من السنة المذكورة لما عاد إلى الخطابة من كان يصنع ذلك ثم ترك الدعاء له لما عاد إلى الخطابة من كان ترك الدعاء له ، لأن الدعاء للخليفة لم يعهد بمكة فيما قيل من بعد المستعين وحكى أيضا أن أخاه داود أقيم عوضه فى الخلافة ولقب بالمعتصم وذلك فى سنة سبع عشرة وثمانمائة ، وفى ربيع الثانى منها ترك الدعاء فى الخطبة بمكة للمستعين بالله وأول جمعة دعى فيها بمكة للمؤيد يوم الجمعة السابع عشر من شوال سنة خمس عشرة وثمانمائة ، فالله تعالى يديم دولته و يعلى كلمته .

ومنها : أنه فى سنة ست عشرة وثمانمائة حج الناس من بغداد بمحمل على العادة ومعه ناس من خراسان والذى جهز الحجاج من بغداد صاحبها ابن قرا يوسف ودعى له ولأبيه ولأخيه فى المسجد الحرام فى ليلة الجمعة سادس عشر ذى الحجة من السنة المذكورة بعد الفراغ من قراءة الختمة الشريفة التى جرت العادة بقراءتها لأجل صاحب بغداد وكانت الوقفة بالجمعة .

ومنها : أنه فى سنة سبع عشرة وثمانمائة [3] فى يوم الجمعة خامس ذى الحجة حصل فى المسجد الحرام فتنة عظيمة انتهكت فيها حرمة المسجد كثيرا لما حصل فيه من القتال بالسلاح والخيل مع إراقة الدم فيه وروث الخيل وطول مقامها فيه وسبب ذلك أن أمير الحج المصرى أدب بعض غلمانه القواد المعروفين بالعمرة على حمله السلاح لنهيه عن ذلك وسجنه فرغب مواليه فى إطلاقه فامتنع الأمير فلما صليت الجمعة هاجم جماعة من القواد المسجد الحرام

---

(١) كان القائم بتدبير المملكة له الأمير شيخ المحمودى ، الذى خلع المستعين وولى مكانه .

(٢) فرج بن برقوق .

(٣) وذلك فى عهد الملك المؤيد شيخ (٨١٥ — ٨٢٤ هـ) .

من باب إبراهيم راكبين خيولهم وبعضهم لابس لأمة الحرب وبعضهم عار منها وانتهوا إلى مقام الحنفية فلقيهم الترك والحجاج واقتتلوا فخرج أهل مكة من المسجد فتبعهم الترك والحجاج فقاتلوهم بسوق العلاّفة بأسفل مكة فظهر عليهم المصريون أيضا وانتهب بعض العوام من المصريين السوق المذكور والسوق الذى بالمسعى وبعض بيوت المكيين فلما كان آخر النهار أمر أمير الحاج بتسمير أبواب المسجد الحرام إلاّ باب بنى شيبة وباب الدريبة والباب الذى عند المدرسة المجاهدية لأن أمير الركب الأول ومن فى خدمته يدخلون منه إلى المسجد ويخرجون لسكناهم بالمدرسة المجاهدية فسمرت أبواب المسجد الحرام كلها خلا ما ذكر وأدخلت خيل أمير الحاج إلى المسجد الحرام وجعلت بالرواق الشرقى قريبا من منزله برباط الشرابى وهو منزل أمير المحمل المصرى فى الغالب وباتت الخيل فى المسجد حتى الصباح وأوقدت فيه مشاعل الأمير ومشاعل المقامات الأربعة وبات به جمع كثير من الحجاج المصريين فى وجل كثير ورام بعض القواد ومن انضم إليه نهب الحجيج الذين بالأبطح وخارج المسجد فأبى ذلك الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة وانضم فى بكرة يوم السبت سادس ذى الحجة إلى القواد بموضع يقال له الطنبداوية بأسفل مكة قريبا منها وحضر إليه فى بكرة هذا اليوم جماعة من أعيان مكة والحجاج فبدا منه ما يدل على كراهيته لما وقع من الفتنة ورغبته فى إخمادها وبعثهم فى ذلك إلى أمير المحمل فعرفوه بذلك فبدا منه مثل ما بدا من صاحب مكة وأجاب إلى ما سئل فيه من إطلاق الذى أدبه على أن يفصل صاحب مكة ما يحصل به الطمأنينة للحجاج من الحث على رعايتهم وغير ذلك فوافق على ذلك صاحب مكة وبعث ولده السيد أحمد إلى أمير المحمل فخلع عليه وسكنت الخواطر بذلك وباع الناس واشتروا وحصل فى الفريقين جراحات كثيرة مات بها غير واحد من الفريقين ولا أعلم أن المسجد الحرام انتهك نظير هذا الانتهاك من بعد الفتنة المعروفة بفتنة قندس فى آخر سنة إحدى وستين وسبعمائة الى تاريخه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ومنها : أنه فى هذه السنة[1] حصل اختلاف كثير فى تعيين الوقفة لأن جمعا كثيراً من القادمين إلى مكة فى البر والبحر وبعضا من مكة ذكروا أنهم رأوا هلال ذى الحجة ليلة الاثنين ولم ير ذلك غالب أهل مكة ولا غالب الركب المصرى فوقع الاتفاق على أن الناس يخرجون إلى عرفة فى بكرة يوم الثلاثاء من ذى الحجة على مقتضى رؤية الثلاثاء ففعلوا ذلك وصار معظم الحاج إلى عرفة من غير نزول بمنى فبلغوها بعد دخول وقت العصر وتخلف غالب المكيين بمكة إلى وقت الظهر وتوجهوا إلى عرفة من غير نزول بمنى فلما كانوا بالمأزمين مأزمى عرفة وتسمى الناس هذا الموضع المضيق خرج عليهم بعض الحرامية فقتلوا وجرحوا ونهبوا وعقروا الجمال وكنا بالقرب ممن أصابه هذا البلاء فلطف الله تعالى ولم يصبنا مثل الذى أصابهم ووصلنا إلى عرفة ووصل بعدنا إليها أناس آخرون وأقمنا بها

---

(١) وهى عام ٨١٧ هـ فى زمن الملك المؤيد شيخ .

مع الحجاج بقية ليلة الأربعاء ويوم الأربعاء حتى الغروب، ونفرنا مع الحجاج إلى المزدلفة وبتنا بها إلى قريب الفجر وسرنا إلى منى حتى انتهينا إليها فى بكرة يوم الخميس، وحصل بمنى فى ليلة الأربعاء وليلة الخميس نهب كثير وجراحات فى الناس ولم يحج فى هذه السنة من أهل مكة إلا القليل ونفر الحجاج أجمعهم فى بكرة يوم النفر الثانى ونزلوا قريبا من التنعيم، ولم يخرجوا بعد طوافهم للوداع إلا من باب المعلاة لإغلاق باب الشبيكة دونهم، وسافر الأمير وأعيان الحاج وهم متأثرون لذلك، ونسأل الله أن يحسن العاقبة، وفى هذه السنة حج ركب من بغداد بمحمل على العادة ولم يعملوا فى المسجد الحرام ختمة على العادة لرحيلهم بأثر رحيل الحجاج المصريين والشاميين خوفا من زيادة الغرامة فى المكس.

ومنها: أنه فى سنة ثمان عشرة وثمانمائة أقام الحجاج بمنى حتى طلعت الشمس على ثبير من يوم عرفة وصلوا بها الصلوات الخمس وأحيوا هذه السنة بعد إماتتها دهراً طويلًا والله يثيب الساعى فى ذلك. ومن شعائر الحج التى ينبغى إحياؤها أيضا الخطبة بمنى وهذه سنة متروكة من دهر طويل جدا وكان خطيب مكة (الفقيه سليمان بن خليل يفعلها بعد الرمى وفعلها بعده خطيب مكة)(1) ابن الأعمى قبل الرمى وذلك فى يوم النفر من سنة تسع وستين وستمائة على ماذكر الشيخ أبو العباس الميورقى فى تعاليقه فيما ألفيته منقولاً بخط بعض أصحابنا من خط الميورقى، وفعلها القاضى شهاب الدين أحمد بن ظهيرة فيما بلغنى، فعل ذلك فى موسم سنة ست وثمانين وسبعمائة أو فى سنة سبع وثمانين أو فى كليهما والله أعلم. وكان يذكر أن فى موسم سنة ثمانى عشرة وثمانمائة تقام هذه الشعيرة بمنى فما تم ذلك، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وفى كتب أصحابنا المالكية مايقتضى أن الخطبة بمنى تكون فى اليوم الحادى عشر قبل النفر الأول والله أعلم.

ومنها: أنه فى سنة ثمان عشرة حج العراقيون بمحمل من بغداد على العادة وجرى حالهم كالسنة التى قبلها، وكذلك سنة تسع عشرة وثمانمائة وكذلك سنة عشرين وثمانمائة ولم يحج العراقيون من بغداد فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، ولعل سبب ذلك كما قيل من أن الملك الشاه رخ بن تيمورلنك أخذ تبريز من قرا يوسف والد صاحب بغداد أو الحرب الذى كان بين عسكر قرا يوسف وعسكر حلب من بلاد الشام وكان الظفر لعسكر حلب وقتل ابن لقرا يوسف قيل هو صاحب بغداد وقيل غيره وهو أصح والله أعلم، وكان هذا الحرب فى أثناء سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، وفيها كانت الوقفة بالجمعة اتفاقا وكان يقال: إن الملك المؤيد صاحب مصر يحج فيها فلم يتفق ذلك، ولعل سبب ذلك ما اتفق من إتيان عسكر قرا يوسف لحلب والله أعلم، ولم يحج العراقيون بمحمل من بغداد على العادة فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، ولا فى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة، ولا فى سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة

(١) مابين القوسين من زيادة النسخة (م).

وفى آخرها هلك قرايوسف بعد أن ثبت عند الحكام بمصر زندقته وزندقة ولده محمد شاه صاحب بغداد ، وفيها قصد صاحب الشرق الملك الشاه رخ بن تيمورلنك فى عسكر كثير جدا لحربه ولم يحج العراقيون أيضا من بغداد فى سنة أربع وعشرين وثمانمائة ، وحج فيها قفل من عقيل وتوجه معهم من مكة جمع كثيرون من التجار فنهبوا نهبا فاحشاً فيما بين وادى نخلة والطائف فى النصف الثامن من ذى الحجة منها ورجع كثير من المنهو بين لمكة فألبت عليهم الخواطر وباع الناهبون ما انتهبوه بأبخس الأثمان .

ومنها : أنه فى يوم الجمعة السادس عشر من شهر ربيع الأول سنة أربع وعشرين وثمانمائة خطب بمكة للملك المظفر أحمد بن الملك المؤيد أبى النصر شيخ بعد مبايعته بالسلطنة بالديار المصرية وغيرها فى يوم موت والده، وقبل ذلك فى حياه والده بعهد منه ووصل منه تقليد إمرة مكة للسيد حسن بن عجلان وابنه السيد بركات فقرىء فى الحطيم فى رابع عشر ربيع الأول[1] .

ومنها : أنه فى يوم الجمعة ثانى ذى الحجة على مقتضى رؤية أهل مكة لهلال ذى الحجة وهو الثالث منه على مقتضى رؤية أهل مصر واليمن لهلال ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة خطب بمكة للملك الظاهر أبى الفتح ططر الذى كان يدير دولة المظفر ابن الملك المؤيد وكان قد سار به فى العسكر لدمشق ثم طلب وعاد منها لدمشق و بو يع بها فى يوم الجمعة تاسع عشر من شعبان من السنة المذكورة بالسلطنة وخطب له بديار مصر والشام واستمرت الخطبة له بمكة إلى الثانى عشر من شهر ربيع الأول يوم الجمعة سنة خمس وعشرين وثمانمائة، ثم تركت الخطبة له لوفاته فى رابع ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة بالقاهرة فسلطنته ثلاثة أشهر وخمسة أيام .

ومنها : أنه فى سنة أربع وعشرين وثمانمائة أقام الحجاج بمنى بقية يوم التروية وليلة التاسع إلى أن طلعت الشمس منه ثم ساروا إلى عرفة مع المحمل المصرى والشامى ووقف الناس يوم الجمعة .

ومنها : أنه فى يوم الجمعة التاسع عشر من شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وثمانمائة خطب بمكة للملك الصالح أبى الخير محمد بن الملك الظاهر أبى الفتح ططر لأن والده عهد له بالسلطنة فى ثانى ذى الحجة من سنة أربع وعشرين وثمانمائة وأخذ له البيعة بالسلطنة على أهل الحل والعقد بمصر من الدولة وغيرهم وتمت البيعة له بعد أبيه وله من العمر نحو عشرة أعوام فيما قيل ، وأما المظفر فكان سنه لما بو يع له بالسلطنة نحو سنتين فيما قيل ، وقيل نحو أربع سنين والله أعلم .

---

(١) كان عمر الملك المظفر سنة وثمانية أشهر حين بويع بالملك، وهو الخامس من ملوك الشراكسة فى مصر ، وكان يدبر مملكته الأمير ططر الذى تسلطن بعد أن خلعه، وقد قتل المظفر عام ٨٣٣ ﻫ ونقلت جنازته من الإسكندرية إلى مصر ودفن بالجامع المؤيد داخل زويلة .

ومنها : أنه فى يوم الجمعة الثامن والعشرين لجمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وثمانمائة خطب بمكة للملك الأشرف أبى النصر برسباى الذى كان يدير دولة الملك الصالح ابن الملك الظاهر لتوليته السلطنة بديار مصر والشام عوض الملك الصالح بعد خلعه من ثامن شهر ربيع الآخر من هذه السنة وقطعت الخطبة للملك الصالح بمكة .

ومنها : أنه فى سنة ست وعشرين وثمانمائة بات الحجاج بمنى فى ليلة التاسع إلى طلوع الفجر أوقر به ثم ساروا إلى عرفة فبلغوها بعد طلوع الشمس بقليل وسبب مبيتهم فيها خوف النهب فسلموا فى ذهابهم ورجوعهم لاعتناء الأمراء الذين حجوا فى هذه السنة بحراستهم، أثابهم الله تعالى .

وهذا آخر ماقصدنا ذكره من الحوادث فى هذا الباب ، ونسأل الله أن يجزل لنا على ذلك الثواب ، ولولا مراعاتنا للاختصار فى ذكرها لطال شرح أمرها والله سبحانه وتعالى أعلم .



الباب التاسع والثلاثون

فى ذكر شىء من أمطار مكة وسيولها فى الجاهلية والإسلام

وشىء من خبر الصواعق بمكة

وذكر شىء من أخبار الغلاء والرخص والوباء

روينا بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال : سيول مكة فى الجاهلية :

حدثنى محمد بن يحيى قال : حدثنا عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز قال : إن وادى مكة سال فى الجاهلية سيلاً عظيما وخزاعة تلى الكعبة و إن ذلك السيل هجم على أهل مكة ودخل المسجد الحرام وأحاط بالكعبة ورمى الشجر بأسفل مكة وجاء برجل وامرأة ميتين فعرفت المرأة ، كانت تسكن بأعلى مكة ، يقال لها فارة ، ولم يعرف الرجل ، فبنت خزاعة حوالى البيت بناء وأدارته [1] عليه وأدخلوا الحجر فيه ليحصنوا البيت من السيل ، فلم يزل ذلك البناء على حاله حتى بنت قريش الكعبة فسمى ذلك السيل سيل فارة ، وسمعت أنها امرأة من بنى بكر .

قال : الأزرقى حدثنى جدى عن سفيان عن عمرو بن دينار قال سمعت سعيد بن المسيب يقول : حدثنى أبى عن جده قال : جاء سيل فى الجاهلية كسا ما بين الجبلين .

قال الأزرقى : سيول وادى مكة فى الإسلام [2] .

حدثنى جدى قال : وسال وادى مكة فى الإسلام بأسيال عظام مشهورة عند أهل مكة .

منها سيل فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقال له سيل أم نهشل، أقبل السيل حتى دخل المسجد الحرام من الوادى من أعلى مكة من طريق الردم و بين الدارين وكان ذلك السيل ذهب بأم نهشل بنت عبيد بن سعيد ابن العاص بن أمية بن عبد شمس حتى استخرجت منه بأسفل مكة فسمى سيل أم نهشل واقتلع السيل المقام: مقام إبراهيم عليه السلام ، وذهب به حتى وجد بأسفل مكة وعين مكانه الذى كان فيه وأخذ فربط بلصق الكعبة

---

(١) فى الأزرقى (١٣٤ / ٢) : أداروه عليه .. هذا وتحيط بمكة جبال صخرية شاهقة ينحدر منها الماء والسيول إلى أزقة مكة وشوارعها من ناحية الأبطح ومن أجياد .

(٢) راجع ١٣٤ / ٢ ومابعدها ــ الأزرقى .

بأستارها وكتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك فجاء فزعا حتى رد المقام مكانه ثم قال فعمل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى تلك السنة الردم الذى يقال له ردم عمر وهو الردم الأعلى عند دار جحش بن رباب (١) التى يقال لها دار أبان بن عثمان إلى دار أبيه فبناه بالعطائر (٢) والصخر العظام وكبسه فسمعت جدى يذكر أنه لم يعله سيل منذ ردمه عمر رضى الله عنه إلى اليوم .

وقد جاء من بعده أسيال عظام كل ذلك لا يعلوه منها شيء .

قال الأزرقى : ذكر سيل الجحاف وما جاء فى ذلك قال :

وكان سيل الجحاف فى سنة ثمانين فى خلافة عبد الملك بن مروان، صبح الحاج يوما وكان يوم الروية وهم آمنون قارون قد نزلوا إلى وادى مكة واضطربوا الأبنية ولم يكن عليهم من المطر إلا شيء يسير إنما كانت السماء فى صدر الوادى وكان عليهم من ذلك رشاش .

قال الأزرقى : قال جدى: حدثنى سفيان بن عيينه عن عمرو بن دنيار قال : لم يكن المطر عام الجحاف على مكة إلا شيئا يسيرا وإنما كان شدته بأعلى الوادى قال فصبحهم يوم التروية بالغبش قبل صلاة الصبح فذهب بهم وبمتاعهم ودخل المسجد وأحاط بالكعبة وجاء دفعة واحدة وهدم الدور على الشوارع على الوادى، وقتل الهدم أناساً كثيرا ورقى الناس الجبال واعتصموا بها فسمى ذلك الجحاف ؛ وقال فيه عبد الله بن أبى عمارة :

ولم تر عينى مثل يوم الاثنين (٣)   أكثر محزونا وأبكى للعين
إذ خرج المخبئات تسْعَيْنَ   سواندا فى الجبلين يرقين (٤)

فكتب فى ذلك إلى عبد الملك بن مروان ففزع لذلك وبعث بمال عظيم وكتب إلى عامله على مكة عبد الله ابن سفيان المخزومى، ويقال بل كان عامله الحارث بن خالد المخزومى يأمر بعمل ضفائر الدور الشارعة على الوادى للناس من المال الذى بعث به وعمل ردما على أفواه السكك يحصّنُ بها دور الناس من السيول وبعث رجلا نصرانياً مهندساً فى عمل ذلك وعمل ضفائر المسجد الحرام وضفائر الدور فى جنبتى الوادى فكان من تلك الردم الردم الذى

---

(١) فى الأزرقى ١٣٥ / ٢ : رئاب .   (٢) فى الأزرقى ١٣٥ ج ٢ : بالضفائر .
(٣) وهو اليوم الذى جاء فيه السيل كما ذكر البلاذرى .
(٤) سواندا ، وفى نسخة : شواردا ، وفى البلاذرى روى هذا الشعر هكذا :

لم تر غسان كيوم الاثنين   أكثر محزونا وأبكى للعين
إذ ذهب السيل بأهل المصرين   وخرج المخبئات يسعين ـ شواردا فى الجبلين يرقين

يقال له ردم الحزامية [١] على فوهة بخط الحزامية والردم الذى يقال له : ردم بنى جمح وليس لهم ولكنه لبنى قراد الفهريين ، فغلب عليه ردم بنى جمح ، وله يقول الشاعر :

سأملك عبرة وأفيض أخرى إذا جاوزت ردم بنى قراد

قال : فأمر عامله بالصخر فنقلت له على العجل وحفر الأرباض دون دور الناس فبناها به وأحكمها من المال الذى بعثه ، قالوا فكانت الإبل والثيران تجر ذلك العجل حتى ربما أنفق فى المسكن الصغير لبعض الناس مثل ثمنه مرات، ومن تلك الضفائر أشياء إلى اليوم قائمة على حالها من دار أبان بن عثمان التى هى ردم عمر رضى الله عنه وهلم جرا إلى دار ابن الجوار ، فتلك الضفائر التى فى أرباض تلك الدور كلها مما عمل من ذلك المال ، ومن ردم ابن جمح منحدراً فى الشق الأيسر إلى أسفل مكة وأشياء من ذلك هى على حالها، وأما ضفائر دار أويس التى بأسفل مكة ببطح نحر الوادى فقد اختلف علينا فى أمرها ، فقال بعضهم : هى من عمل عبد الملك ، وقال آخرون : لا،بل هى من عمل أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما ، وهو أثبتهما عندنا .

وكان جاء بعد ذلك سيل يقال له سيل المخبل فى سنة أربع وثمانين وأصاب الناس عقبه مرض شديد فى أجسادهم وألسنتهم أصابهم منه شبه المخبل فسمى المخبل وكان عظيما ، دخل المسجد الحرام وأحاط بالكعبة .

وكان بعد ذلك أيضا سيل عظيم فى سنة أربع وثمانين ومائة ، وحماد البربرى أمير على مكة دخل المسجد الحرام وذهب بالناس وأمتعتهم وغرق الوادى فى أثره فى خلافة الرشيد هارون .

وجاء سيل فى سنة اثنتين ومائتين فى خلافة المأمون وعلى مكة يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومى خليفة لحمدون ابن على بن عيسى بن ماهان فدخل المسجد الحرام وأحاط بالكعبة وكان دون الحجر الأسود بذراع ورفع المقام عن مكانه لما خيف عليه أن يذهب به السيل ، وهدم دورا من دور الناس وذهب بناس كثير ، وأصاب الناس بعده مرض شديد من وباء وموت فاش ، فسمى ذلك السيل سيل ابن حنظلة .

ثم جاء بعد ذلك سيل فى خلافة المأمون هو أعظم من سيل ابن حنظلة فى سنة ثمان ومائتين من شوال ، جاء والناس غافلون فامتلأ السد الذى بالثقبة [٢] فلما فاض انهدم السد فجاء السيل الذى اجتمع فيه مع سيل السدرة وسيل ما أقبل من منى فاجتمع ذلك كله فجاء جملة فاقتحم المسجد الحرام وأحاط بالكعبة و بلغ الحجر الأسود ورفع المقام

(١) وهو عند باب الوداع .

(٢) الثقبة بالتحريك ويلفظها السكون بالتاء ، قال ياقوت : هى جبل بين حراء وثبير بمكة وتحته مزارع .. والمعروف أنها ثنية لاجبل وهى متنزه من متنزهات أهل مكة إلى الآن، وقدوم وستنفيلد فذكرها مشكولة بالضم فالسكون .

من مكانه لما خيف عليه أن يذهب به ، فكبس المسجد الحرام والوادى بالطين والبطحاء وقلع صناديق الأسواق ومقاعدهم وألقاها بأسفل مكة وذهب بأناس كثيرين وهدم دورا كثيرة مما أشرف على الوادى، وكان أمير مكة يومئذ عبيد الله بن الحسين[1] بن عبيد الله بن العباس بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وعلى بريد مكة وصوافيها مبارك الطبرى وكان وافى تلك السنة للعمرة فى شهر رمضان قوم من الحجاج من أهل خراسان وغيرهم كثير ، فلما رأى الناس من الحجاج وأهل مكة ما فى المسجد من الطين والتراب واجتمع الناس فكانوا يعملون بأيديهم و يستأجرون من أموالهم حتى كانت النساء بالليل والعواتق يخرجن فينقلن التراب التماس الأجر والبركة حتى رفع من المسجد الحرام ونقل ما فيه فرفع ذلك إلى المأمون فأرسل بمال عظيم وأمر أن يعمل به فى المسجد و يبطح و يعزق وادى مكة فعزق منه وادى مكة وعمر المسجد الحرام و بطح ثم لم يعزق وادى مكة حتى كانت سنة سبع وثلاثين ومائتين فأمرت أم أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله باثنتى عشرة ألف دينار لعزقه فعزق بها عزقا مستوعبا انتهى. هذا ما ذكر الأزرقى من سيول وادى مكة فى الجاهلية والإسلام[2] .

وذكر الفاكهى السيول التى ذكرها الأزرقى أحصر مما ذكره ، وذكر فى ذلك غير ما لم يذكره الأزرقى لأنه ذكر أن السيل الذى يقال له المخبل كان فى ولاية حماد البربرى على مكة وهذا لا يفهم من كلام الأزرقى .

وذكر أن السيل الذى يقال له : سيل ابن حنظلة كان عظيماً امتلأ به الوادى وعلاه بذراع وهذا أيضا لا يفهم من كلام الأزرقى ، ونقل الفاكهى هذا عن أبيه اسحاق و ابن العباس .

ومن أمطار مكة وسيولها التى كانت قبل الأزرقى ولم يذكرها ماذكره ابن جرير الطبرى فى تاريخه لأن فيه فى أخبار سنة ثمان وثمانين من الهجرة عن صالح بن كيسان قال : خرج عمر بن عبد العزيز تلك السنة يعنى سنة ثمان وثمانين ومعه نفر من قريش أرسل إليهم بصلات وظهر للحمولة وأحرموا معه من ذى الحليفة وساق معه بدنا فلما كان بالشفير لقيهم نفر من قريش منهم ابن أبى بكر مليكة وغيره فأخبروه أن مكة قليلة الماء وأنهم يخافون على الحاج العطش وذلك أن المطر قل ، فقال عمر رضى الله عنه : فالمطلب هٰهنا . تعالوا ندعو الله قال: فرأيتهم دعوا ودعا

---

(١) فى الأزرقى فى ١٣٧ ج ٢ : الحسن .

(٢) ذكر الأزرقى فى مواضع متفرقة من كتابه عدة سيول أخرى منها :سيل وقع عام ٢٢٥ هـ (٤٨ ج ٢ الأزرقى)، وآخر وقع عام ٢٤٠ هـ (٢٠٢ ج ١ الأزرقى) ، وآخر وقع عام ٢٨٠ هـ (٤٣ ج ٢ الأزرقى) ، ولكن لا يعقل أن يكون هذا السيل قد ذكره الأزرقى حقيقة لأنه توفى نحو عام ٢٥٠ هـ ، إنما ذكره بعض المعلقين على هامش الكتاب ثم أثبته بعض النساخ فى صلب الكتاب . أو لعله من كلام الخزاعى راوى تاريخ الأزرقى ، وقد فطن لذلك الفاسى فنسبه الى الخزاعى ، ولم يذكره فى السيول التى ذكرها الأزرقى، كما سيأتى فى هذا الكتاب بعد قليل .

معهم عمر رضى الله عنــه فألحوا فى الدعاء قال صالح فلا والله ان وصلنا إلى البيت ذلك اليوم إلا مع المطر حتى كان مع الليل وسكنت السماء وجاء سيل الوادى فجاء أمر لخافه أهل مكة ومطرت عرفة ومنى وجمع فما كانت الأعين قال وكانت مكة تلك السنة خصبة انتهى . وذكر ابن الأثير هـذا بالمعنى مختصرا وفيه أنهم لقوا عمر بالتنعيم ولعل الشفير الذى وقع فيما نقلناه من تاريخ ابن جرير تصحيف من الكاتب والله أعلم .

ومنها : سيل أبى شاكر فى ولاية هشام بن عبـد الملك فى سنة عشرين ومائة وأبو شاكر المنسوب إليه هذا السيل هو مسلمة بن هشام بن عبد الملك ولم يبين الفاكهى سبب تسمية هذا السيل بأبى شاكر وذلك لأن أبا شاكر حج بالناس سنة تسع عشرة ومائة على ماذكر العتيقى وغيره وجاء هـذا السيل عقيب حج أبى شاكر فسمى به والله أعلم .

ومنها : سيل فى خلافة المهدى العباسى سنة ستين ومائة وكان هذا السيل ليومين بقيتا من المحرم وذكر هذين السيلين الفاكهى بمعنى ماذكرناه .

ومن أمطار مكة وسيولها فى عصر الأزرقى أو بعـده بقليل : سيل كان فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين ودخل المسجد الحرام وأحاط بالكعبة و بلغ قريبا من الركن الأسود ورمى بالدور بأسفل مكة وذهب بأمتعة الناس وخرب منازلهم وملأ المسجد غثاء ترابا حتى جر مافى المسجد من التراب بالعجل .

ومنها : فى سنة اثنتين وستين ومائتين جاء سيل عظيم ذهب بحصباء المسجد الحرام حتى عرا منها .

ومنها : سيل فى سنة ثلاث وستين ومائتين وذلك أن مكة مطرت مطراً شديدا حتى سال الوادى ودخل السيل من أبواب المسجد فامتلأ المسجد ونبع الماء قريبا من الحجر الأسود ورفع المقام من موضعه وأدخل فى الكعبة للخوف عليه من السيل، ذكر هذه السيول الفاكهى بهذا اللفظ ، غير قليل منه فبالمعنى .

ومن أمطار مكة وسيولها بعد الأزرقى: ما ذكره اسحق بن أحمد الخزاعى راوى تاريخ الأزرقى وأدخله فيه عقيب الخبر الذى فيه أنه يأتى على زمزم زمان تكون أعذب من النيل والفرات لأنه قال : وقد [1] رأينا ذلك فى سنة إحدى وثمانين ومائتين وذلك أنه أصاب مكة أمطار كثيرة وسال واديها بأسيال عظام فى سنة تسع وسبعين وسنة ثمانين ومائتين فكثر ماء زمزم وارتفع حتى كان قريب رأسها فلم يكن بينه و بين شفتيه العليا إلا سبع أذرع أونحوها وما رأيتها قط كذلك ولا سمعت من يذكر أنه رآها كذلك وعذبت جدا حتى كان ماؤها أعذب من مياه مكة التى تشربها أهلها انتهى .

---

(١) راجع ٤٣ ـ ٢ الأزرقى .

ومنها : ماذكره المسعودى فى تاريخه فى أخبار سنة سبع وتسعين ومائتين ونص كلامه : ورد الخبر إلى مدينة السلام بأن أركان البيت الحرام الأربعة غرقت حين جرى الغرق فى الطواف وفاضت بئر زمزم وأن ذلك لم يعهد فيما سلف من الزمان انتهى .

ومنها : أنه فى جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وقع بمكة مطر سبعة أيام وسقطت منه الدور وتضرر الناس من ذلك كثيرا .

ومنها : على ماوجدت بخط الشيخ جمال الدين محمد بن أحمد بن البرهان الطبرى أنه فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة وقع بمكة مطر سال منه وادى إبراهيم ونزل مع الماء برد بقدر البيض وزن[1] بميزان أخى زهير مائة درهم .

ومنها : على ماوجدت بخطه أنه فى سنة تسع وستين وخمسمائة وقع بمكة ، مطر وجاءسيل كبيرإلى أن دخل من باب بنى شيبة ودخل دار الإمارة ولم ير سيل قط قبله دخل دار الإمارة ، انتهى .

ومنها : أنه فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة كثرت الأمطار والسيول بمكة ، سال وادى إبراهيم خمس مرات .

ومنها : على ما وجدت بخطه أنه فى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة جاء سيل عظيم فى يوم الاثنين الثامن من صفر ودخل الكعبة وأخذ احدى فُرْضَتى[2] باب إبراهيم وحمل منابر الخطبة ودرجة الكعبة ووصل الماء إلى فوق القناديل التى فى وسط المسجد بكثير ، انتهى .

ورأيت فى نسخة فى تاريخ الأزرقى فى حاشيته صورتها : جاء سيل فى يوم الاثنين بثمان خلون من صفر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وهدم دورا على حافتى وادى مكةودخل المسجدالحرام وعلى الحجر الأسود ، ذراعين ، ودخل الكعبة فبلغ قريبا من الذراع وأخذ فرضتى باب إبراهيم وسال بهما انتهى . وفى هـذه الزيادة على ما ذكر ابن البرهان كون السيل بلغ فى الكعبة قريبا من ذراع وكونه أخذ ضرفتى[3] باب إبراهيم وكونه هدم دورا على جانب وادى مكة .

ومنها : سيل على رأس العشرين وستمائة ذكر ذلك ابن سدى فى معجم شيوخه لكون هذا السيل أذهب اثبات بعض شيوخه وذكر أنه طم بمكة .

ومنها : على ما وجدت بخط الشيخ أبى العباس الميورقى أنه فى منتصف ذى القعدة عام عشرين وستمائة أتى

---

(١) وفى نسخته : بميزان ، « دون كلمة وزن » .

(٢) وفى نسخة : ضرفتى ، والضرفة باللغة العامية المصرية : شق الباب حين يكون مقسما إلى قسمين .

(٣) فى منتخبات شفاء الغرام طبعة أوربا : فرضتى .

سيل عظيم قارب دخول بيت الله الحرام ولم يدخله انتهى . ولعله السيل الذى ذكره ابن سدى والله أعلم .

ومنها : على ما وجدت بخطه سيل فى سنة إحدى وخمسين وستمائة .

ومنها: على ما وجدت بخطه أيضا أنه فى ليلة نصف شعبان سنة تسع وستين وستمائة أتى سيل لم يسمع بمثله فى هذه الأعصار بأثر سيل فى أول يوم الجمعة يعنى رابع عشر شعبان هذه السنة ودخل بيت الله الحرام شرفه الله تعالى وألقى كل ذبالة كانت فى المعلاة فى الحرم قدسه الله تعالى ، قال لى الشيخ عبد الله بن محمد بن الشيخ أبى العباس محمد التونسى المعروف بالأعمى : لم يكن ليلة النصف من شعبان بالحرم أحد إلا أن الحرم بقى كالبحر يموج منبره فيه وما سمعت تلك الليلة مؤذنا لأنه بقى الناس من خوف الهدم والغرق فى أمر عظيم حتى خشى أنه ينسى كثير من الناس الفرض فكيف بصلاة ليلة النصف من شعبان المكرمة وتوهمت أنه طردٌ لأهل مكة عن بيته لأنهم كانوا قد استعدوا على العادة لصلاة نصف شعبان وأخرجوا من صلاة الجمعة فأتمها الإمام ولم ير تلك الليلة طائف إلا ما سمع فى المسجد برجل يطوف بالعوم فتعجب الناس من قوته وجسارته ، قال القلعى : إن الحجر الأسود لا يستطاع إلا لمن كان عواما غطّاسا ، وقال الفقيه يعقوب القاضى حمل سيل مكة عالما عظيما وطاحت الدور على عالم أيضا انتهى .

ومنها : سيل عظيم فى ليلة الأربعاء سادس عشر ذى الحجة سنة ثلاثين وسبعمائة ذكره قاضى مكة شهاب الدين الطبرى فى كتاب كتبه لبعض أصحابه بعد الحج فى هذه السنة ونص المكتوب فى الكتاب فيما يتعلق بهذا السيل : وجاء الناس سيل عظيم بلا مطر ليلة الأربعاء سادس عشرين من ذى الحجة ملأ الفساقى التى عند المعلاة وعند مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرب البساتين وملأ الحرم وأقام الماء فيه يومين والعمل مستمر فيه يلزم الناس شغل مدة كثيرة انتهى .

ومنها : على ما ذكر البرزالى فى تاريخه أن فى آخر ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وقع بمكة أمطار وصواعق ، وقعت صاعقة على أبى قبيس فقتلت رجلا ، ووقع فى مسجد الخيف صاعقة فقتلت آخر ووقع فى الجعرانة صاعقة فقتلت رجلين انتهى .

ومن أخبار الصواعق : صاعقة وقعت بمكة قبل سنة سبعمائة و بعد التسعين بتقديم التاء وستمائة هلك بها بعض مؤذنى الحرم .

ومنها: صاعقة وقعت فى المسجد الحرام فقتلت خمسة نفر وذلك فى سنة أربع وخمسين ومائة ذكر ذلك الواقدى فيما حكاه الذهبى عنه .

ومنها: على ما وجدت بخط ابن البرهان أنه فى ليلة الخميس العاشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة دخل

سيل عظيم إلى المسجد الحرام و بلغ فى الكعبة شبرا وأربع أصابع انتهى . وقد ذكر هذا السيل ابن محفوظ فى تاريخه فقال وفى تلك السنة يعنى سنة ثمان وثلاثين جاء سيل وادى ابراهيم حتى انه دخل المسجد الحرام فطلع فى وسط الكعبة قدر ذراع و بلغ الماء إلى القناديل التى بالأروقة و بقيت المنابر منابر الخطبة ودرجة الكعبة كأنهم السفن وكان ذلك ليلاً و بل جميع الكتب التى كانت فى قبة الكتب وطرح فى الحرم ترابا عظيماً وقعد الناس فى تقويمه مدة انتهى ؛ ورأيت مذكورا بأبسط من هذا فى ورقة لا أعرف كاتبها و إنما رأيت أن أذكر ذلك لما فيه من الفائدة ، ونص المكتوب :

ولما كان عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة أحسن الله تقضيه وعقباه ليلة الخميس عاشر جمادى الأولى منه الموافق خامس كانون الأول قدر الله تعالى غيما ورعودا مزعجة و بروقا مخيفة ومطروا كأفواه القرب من علو ثم وقعت السيول من كل جهة وكان و بل بمكة شرفها الله تعالى وحماها وكان معظم السيل من جهة البطحاء ودخل الحرم الشريف من جميع الأبواب التى تليه من باب بنى شيبة إلى باب ابراهيم وحفر فى الأبواب وجعل حول الأعمدة التى فى طريقه مقدار قامتين وأكثر ولو لم يكن أساسات الأعمدة محكمة لكان رمى بها وقلع من أبواب الحرم أماكن ، وطاف بها الماء فطاف بالمنابر كل واحدة إلى جهة و بلغ عند الكعبة المعظمة قامة و بسطة ودخلها من خلل الباب وعلا الماء فوق عتبتها أكثر من نصف ذراع بل شبرين ووصل إلى قناديل المطاف وعبر فى بعضها من فوقها فطفأها وغرق بعض المجاورات من النساء اللواتى فى المساطب وخرب بيوتا كثيرة وغرق بعض أهلها و بعضهم مات تحت الردم وكان أمراً مهولا قدرة قادر يقول بشىء كن فيكون سبحانه وتعالى ، ولودام ذلك النوء إلى الصباح لغرقت مكة والعياذ بالله ؛ وذكره أيضا الشيخ عماد الدين ابن كثير فى تاريخه بما يقتضى تعظيمه .

ولم يجىء مكة فيما علمت بعد هذا السيل سيل على نحو هذه الصفة إلا سيلا كان بمكة فى سنة اثنتين وثمانمائة وذلك أنه فى آخر اليوم الثامن من جمادى الأولى من هذه السنة نشأت مخايل واستهلت بالغيث ساعة بعد ساعة وكان الحال هكذا فى اليوم التاسع من هذا الشهر وفى آخره اشتد استهلال الغيث واستمر الحال على ذلك إلى بعد المغرب من ليلة الخميس عاشر الشهر المذكور فصار المطر يصب كأفواه القرب وما شعر الناس إلا سيل وادى إبراهيم قد هجم مكة فلما حاذى وادى أجياد خالطه السيل الذى جاء منه وصار ذلك بحرا زاخرا فدخل السيل المسجد الحرام من غالب أبوابه وعمه كله وكان عمقه فى المسجد خمسة أذرع على ماذكر لى بعض أصحابنا فى كتابه لأنى كنت غائبا عن مكة فى الرحلة الثانية منها . وذكر لى بعض مشايخنا أن عمقه فى جهة باب إبراهيم فوق قامة و بسطة وأنه علا على عتبة باب الكعبة المعظمة قدر ذراع أو أكثر فيما قيل ودخلها السيل من شق بابها الشريف واحتمل درجة الكعبة المعظمة وألقاها عند باب إبراهيم ولولا صد بعض العواميد

لها لحملها إلى حيث ينتهى، وأخرب عمودين فى المسجد الحرام عند باب العجلة بما عليهامن العقود والسقف ولولا مالطف الله به من تصرفه من المسجد سريعا لأخرب المسجد لأنه كان يقد الأرض قدا وأخرب دورا كثيرة بمكة وسقط بعضها على سكانها فماتوا وجملة من استشهد بسببه على ماقيل نحو ستين نفراً وأفسد للناس من الأمتعة شيئاً كثيراً وأفسد فى المسجد مصاحف كثيرة، ولما أصبح الناس نادى بهم المؤذن لصلاة الصبح بالصلاة فى بيوتهم للمشقة العظيمة فى المشى فى الطرقات إلى المسجد الحرام لأجل الوحل والطين وامتلأ المسجد بذلك أيضاً وكذلك صنع المؤذن لصلاة الصبح يوم الجمعة ولم يخطب الخطيب يوم الجمعة إلا فى الجانب الشمالى من المسجد الحرام لعدم تمكنه من الخطبة فى الموضع الذى جرت العادة بخطبته فيه وهو الركن الشامى لما فى هذا الموضع من الوحل والطين و بلغنى أن ناساً مكثوا يومين لا يتمكنون من الطواف لأجل ذلك إلا بمشقة، و بالجملة فكان سيلاً مهولاً فسبحان الفعال لما يريد .

ومن سيول مكة المهولة بعد هذا السيل : سيل يدانيه لدخول المسجد الحرام وارتفاعه فيه فوق الحجر الأسود حتى بلغ عتبة باب الكعبة الشريفة وأتى درجتها عند منارة[1] باب الحزورة وكان هجم هذا السيل على المسجد الحرام عقيب صلاة الصبح من يوم السبت سابع عشرين من ذى الحجة سنة خمس وعشرين وثمانمائة وكان المطر وقع بقوة عظيمة فى آخر هذه الليلة فلما كان وقت صلاة الصبح صلى الإمام الشافعى بالناس أمام زيادة دار الندوة بالجانب الشامى من المسجد الحرام لتعذر الصلاة عليه بمقام إبراهيم عليه السلام وما يليه هناك فلما انقضت صلاة الصبح حمل الفراش الشمعة ليوصله للقبة المعدة لذلك بين سقاية العباس وقبة زمزم فإذا الماء فى صحن المسجد يعلوه قليلا قليلا ولم يتمكن من إيصال الشمع للقبة إلا بعسر وكان بعض أهل السقاية بها فدخل عليه الماء من بابها ثم زاد فرقى على دكة هناك ثم زاد فرقى على صندوق وضعه فوق الدكة فبلغه الماء فخاف وخرج من السقاية فاراً إلى صوب الصفا وما نجا إلا بجهد وكان السيل قد دخل المسجد من الأبواب التى بجهة باب الصفا والأبواب التى بالجهة الشرقية وهى التى فيها باب بنى شيبة ومنه دخل الماء المسجد الحرام وقل أن يعهد دخول الماء منه وصار المسجد مغمورا بالماء الكثير المرتفع نحو القامة وكان به خشب كالصندوق الكبير ليس له رأس يستره، كان فوق بعض الأساطين التى ازيلت فى هذه السنة لعمارتها، فأخذه بعض الناس وركب فيه وصار يقذف به فيه حتى أخرج به من السيل الجديد عند زمزم شخصا كان بالسبيل متعلقا ببعض شبابيك السبيل خوفا من الغرق لما دخل الماء السبيل ووصلا فيه للمحل الذى أرادا وفعل مثل ذلك بغير واحد وما خرج السيل

---

(١) فى النسخة (ك) : لا توجد كلمة منارة المشار إليها .

من المسجد حتى هدمت عتبة باب إبراهيم لعلوها وألقى السيل فى المسجد من الوحل والطين والأوساخ ما كثر التعب لتنظيفه ونقله وعسر قبل ذلك الانتفاع بالمسجد لأجله وأفسد للناس أشياء كثيرة من المتاجر فى الدور التى بمسيل وادى مكة بناحية سوق الليل والصفا والمسفلة وما مات فيه أحد فيما علمناه ولكن مات فى هذه الليلة أربعة نفر بمكان يقال له الطنبداوية بأسفل مكة بصاعقة وقعت عليهم هناك فسبحان الفعال لما يريد . ومما تخرب بهذا السيل موضع الدرب الجديد بسور باب المعلاة وأرقاه للأرض وما بين هذا الباب والباب القديم وذلك ثمانية وعشرون ذراعا .

ومنها : سيل يقارب هذا السيل دخل المسجد الحرام من أبوابها التى بالجانب اليمانى وقارب الحجر الأسود زاده الله شرفا وأرقى بالمسجد من الأوساخ والزبل شيئاً كثيرا وذلك بعد المغرب من ليلة ثالث جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وثمانمائة عقيب مطر عظيم ، وكان ابتداؤه بعد العصر من ثانى الشهر المذكور ، وأخرب هذا السيل باب الماجن وجانبا كبيراً من سوره ثم عمر ذلك والله أعلم .

ولا شك أن الأخبار فى هذا المعنى كثيرة ولكن لم نظفر منها إلا بهذه النبذة اليسيرة[1] .

ذكر شىء من أخبار الغلاء والرخص والوباء بمكة المشرفة

على ترتيب ذلك فى السنين

فمن ذلك : أنه فى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وقع بمكة غلاء وأصاب الناس مجاعة شديدة وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم والمد الذرة بعشرين درهما ذكر ذلك صاحب الكامل[2] ولم يبين مقدار المد والله أعلم بذلك .

---

(١) ومن السيول الشديدة بمكة : سيل عام ٨٣٧ هـ ، وسيل القناديل عام ٨٣٨ هـ ، وسيل عام ٨٦٥ هـ ، وسيل عام ٨٦٧ هـ ، وسيل عام ٨٧١ هـ وسيل عام ٨٨٠ هـ ، وسيل عام ٨٨٣ هـ ، وسيل عام ٨٨٧ هـ ، وسيل عام ٨٨٨ هـ ، وسيل عام ٨٨٩ هـ ، وسيل عام ٨٩٥ هـ ، وسيل عام ٨٩٧ هـ ، وسيل عام ٩٠٠ هـ ، وسيل عام ٩٠١ هـ ، وسيل عام ٩٢٠ هـ ، وسيل عام ٩٣١ هـ ، وسيل عام ٩٧١ هـ ، وسيل عام ٩٨٣ هـ ، وسيل عام ٩٨٤ هـ ، وسيل عام ٩٨٩ هـ ، وسيل عام ١٠٠٩ هـ ، وسيل عام ١٠١٩ هـ ، وسيل عام ١٠٢١ هـ ، وسيل عام ١٠٢٤ هـ ، وسيل عام ١٠٣٣ هـ ، وسيل عام ١٠٣٩ هـ ، وسيل عام ١٠٥٣ هـ ، وسيل عام ١٠٥٥ هـ ، وسيل عام ١٠٧٣ هـ ، وسيل عام ١٠٨١ هـ ؛ وسيل عام ١٠٩٠ هـ ، وسيل عام ١٠٩١ هـ ، وسيل عام ١١٠٨ هـ ، وسيل عام ١١٥٣ هـ ، وسيل عام ١١٥٩ هـ ، وسيل أبو قرنين عام ١٢٠٨ هـ ، وسيل عام ١٢٤٢ هـ ، وسيل عام ١٢٧٨ هـ ، وسيل عام ١٢٩٣ هـ ، وسيل عام ١٣٢٥ هـ ، وسيل الخديوى عام ١٣٢٧ هـ . وهو العام الذى حج فيه الخديوى عباس الثانى ، وسيل عام ١٣٢٨ هـ ، وسيل عام ١٣٣٠ هـ ، وسيل عام ١٣٣٥ هـ ، وسيل عام ١٣٤٤ هـ ، وسيل عام ١٣٥٠ هـ .

(٢) هو ابن الأثير المؤرخ المشهور المتوفى عام ٦٣٧هـ .

ومن ذلك أيضا: أنه فى سنة إحدى وخمسين ومائتين بلغ الخبز بمكة ثلاث أواق بدرهم ورطل اللحم بأربعة دراهم وشربة ماء بثلاثة دراهم ذكر ذلك صاحب الكامل .

ومن ذلك : أنه فى سنة ستين ومائتين على ماقال صاحب الكامل أيضا اشتد الغلاء فى عامة بلاد الإسلام فانجلى من أهل مكة الكثير ورحل عنها عاملها ، ومن ذلك : أنه فى سنة ست وستين ومائتين على ماقال صاحب الكامل أيضا : عم الغلاء سائر بلاد الإسلام من الحجاز والعراق والموصل والجزيرة والشام وغير ذلك إلا أنه لم يبلغ الشدة التى بالمدينة .

ومن ذلك : أنه فى سنة ثمان وستين ومائتين على ماقال صاحب الكامل أيضا صار الخبز بمكة أوقيتين بدرهم وذكر أن سبب ذلك أن أبا المغيرة المخزومى صار إلى مكة فجمع عاملها جمعا احتمى بهم فصار أبو المغيرة إلى المشاش عين مكة فغورها و إلى جدة فنهب الطعام وأحرق بيوت أهلها ثم ذكر ماسبق من سعر الخبز .

ومن ذلك : أنه فى سنة أربعين وأربعمائة على ماذكر صاحب الكامل كان الغلاء والوباء عاما فى جميع البلاد بمكة و العراق والموصل والجزيرة والشام ومصر وغيرها من البلاد .

ومن ذلك: أنه فى سنة سبع وأربعين وأربعمائة على ما قال صاحب الكامل أيضا كان بمكة غلاء شديد بلغ الخبز عشرة أرطال بدينار مغربى وتعذر وجوده فأشرف الناس والحجاج على الهلاك فأرسل الله عليهم من الجراد ماملأ الأرض فتعوض الناس به ثم عاد الحجاج فسهل الأمر على أهل مكة قال وكان سبب هذا الغلاء عدم زيادة النيل بمصر على العادة فلم يحمل منها الطعام إلى مكة انتهى .

ومن ذلك : أنه فى سنة ثمان وأربعين على ما ذكر صاحب الكامل عم الوباء والغلاء سائر البلدان من الشام والجزيرة والموصل والحجاز واليمن وغيرها .

ومن ذلك: أنه فى سنة سبع وستين وخمسمائة على ما وجدت بخط جمال الدين بن البرهان الطبرى بلغ الحب بمكة خمسة أمداد بدينار ولم يجئ ميرفى رجب ولا فى شعبان إلى أن وصلت جلبتان من صدقة مشحونتان من عند صلاح الدين رحمه الله فأحيت المسلمين وفرجت عنهم انتهى . وما عرفت مقدار المد المشار إليه هل هو مد الطائف أو مد أهل بجيلة وما والاها الذى يقال له الزبيدى وهو الأقرب لأنه مد المُيِّر المشار إليهم وهم الجالبون للميرة إلى مكة والله أعلم .

ومقدار هذا المد ربعية وهى ربع الربع المكى الذى يكتال الناس به الآن بمكة ويبعد كل البعد أن يكون المد المشار إليه فى هذه الحادثة وفيما يذكر من الحوادث المد المكى لكثرته ويسارة الثمن عنه إلا أن يكون الدينار المشار إليه ذهبا وهو بعيد والله أعلم .

ومن ذلك : أنه فى سنة تسع وستين وخمسمائة على ما وجدت بخط ابن البرهان أيضا بلغ الحب فيها صاعا صاعا بدينار وصاعا إلا ربع وأكل الدم والجلود والعظام ومات أكثر الناس ، فلما أن كان الثامن والعشرون من جمادى الآخرة وجه الخليفة المستضىء بالله أمير المؤمنين بالصدقات لأهل مكة والمجاورين وفرج عنهم فرج الله عنه ، ثم قال بعد أن ذكر المطر الذى كان بمكة فى هـذه السنة وقد تقدم ذكره وجاء فى شهر رجب الميرة وابتاعوا الحب ثلاثة أصوع ومدين بدينار انتهى. والصاع هو الزبيدى فيما أحسب وهو ربع المد المكى أو صاع طائفى وهو نحو نصف المد المكى وفيه بعد ، وليس هو الصاع المكى بلا ريب لكثرته ويسارة الثمن والله أعلم .

ومن ذلك : أنه على رأس سنة ستمائة كان بمكة غلاء شديد ووباء ذكر ذلك الشيخ أبو العباس الميورقى لأنى وجدت بخطه أن القاضى عثمان بن عبد الواحد العسقلانى المكى أخبره أنه ولد سنة سبع وتسعين وخمسمائه، قال وهذا تاريخ غلاء مصر الكبير بقى نحو سنتين ثم كان بأثره غلاء الحجاز المعروف بحوطة بنحو سنتين ثم أمطر الله البلاد ووقع وباء الميلة سنتين أيضا على رأس الستمائة انتهى .

ومن ذلك: أنه فى سنة ثلاثين وستمائة وفى التى بعدها كان بمكة غلاء يقال له غلاء ابن مجلى لأن الميورقى قال فيما وجدت بخطه بعد أن ذكر فتنة كانت بمكة فى سنة تسع وعشرين وستمائة ثم جاء غلاء ابن مجلى بأثر ذلك انتهى ، ولم يبين الميورقى ابن مجلى هـذا وهو أمير كان بمكة من جهة الملك الكامل .

ومن ذلك على ماقال ابن محفوظ فى سنة تسع وأربعين وستمائة : وقع بمكة غلاء عظيم وأقام الغلاء سنة انتهى .

ومن ذلك أنه فى عشر السبعين وستمائة كان بمكة غلاء شديد ذكره الميورقى لأنى وجدت بخطه: واشتد الغلاء من آخر سنة ثلاث فى الموسم واستمر سنة أربع وستين وتمادى إلى سنة خمس وستين مالم يسمع فى هـذا العصر قط . قال : وسمعت على بن الحسين يتذاكر مع ابن مسعود بن جميل فقالا : إن سنة الغلاء الكبير بالحجاز المعروفة بسنة حوطة مادامت ، وذكر أن فوقها كانت الميلة بالطائف والحجاز على رأس الستمائة فوجدت الغلاء الكبير لما فرغ كانت حوطة ، وذكر لى فى هـذا الغلاء سنة أربع وستين شيخ مصرى أن هـذا الغلاء اليوم فى الحجاز بمصر مضاعف على الغلاء الكبير الذى كان بمصر على قرب رأس الستمائة ، أباد عالماً من المصريين وأكلوا فيه بعضهم بعضا وكان يتعجب من صبر أهل الحجاز وعدم افتضاحهم بكثرة مروءتهم فى هـذه الشدة فصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإيمان فى أهل الحجاز ، ووجدت بخطه : وفى أواخر جمادى الآخرة سنة خمس وستين وستمائة اشتد الخوف على البادية لتمام قحط السنين عليهم وغلاء السعر بالطائف وبلغ السعر فى مكة الشعير ربع وثلثيه بدينار ، وكان فى رمضان .

وبخطه أيضا : الغلاء الدائم بالحجاز سنة ست وستين وستمائة .

ووجدت بخطه : سنة سبع وستين وستمائة رابع سنة من سنين جدب قحط الحجاز ، وذكر حادثة في هذه السنة .

ووجدت بخطه : وقعت زلزلة على نحو ثلث الليل بالطائف وبغتهم غرة ربيع الأول سنة خامس قحط الحجاز سنة ثمان وستين وستمائة ، ثم جاءت الميرة سنة تسع وستين في ليلة ، وسنة سبعين .

ومن ذلك أنه في سنة احدى وسبعين وستمائة كان بمكة فناء عظيم قال الميورقي وسمعت الفقيه جمال الدين محمد ابن أبي بكر التونسي إمام بني عوف يقول: في آخر رجب سنة احدى وسبعين وستمائة قال الزوار : خرج من مكة شرفها الله تعالى في يوم واحد اثنتان وعشرون جنازة ، وفي يوم خمسون جنازة وعدّ أهل مكة ما بين العمرتين من أول رجب إلى سبع وعشرين من رجب نحو ألف جنازة .

ومن ذلك أنه في سنة ست وسبعين وستمائة كان الغلاء بمكة مستمرا لأجل الفتنة التي كانت بين صاحب مكة وصاحب المدينة مع اتصال الجلاب من سواحل اليمن وعيذاب وسواكن ، ذكر ذلك زيد بن هاشم الحسني وزير المدينة النبوية في كتاب كتبه للميورقي على ما وجدت بخطه فيه .

ومن ذلك أنه في سنة إحدى وتسعين وستمائة على ما وجدت بخط ابن محفوط وكانت الحنطة ربعا بدينار انتهى. والربع المشار إليه هو الربع المد المكي في غالب الظن والله أعلم .

ومن ذلك أنه في سنة خمس وتسعين وستمائة على ما وجدت بخط ابن الجزري الدمشقي في تاريخه : وصلت الاخبار بأن الغلاء كان بمكة والحجاز وأن غرارة القمح بيعت بألف ومائتين درهما انتهى بالمعنى باختصار، ولم يبين الجزري الغرارة المشار إليها ويحتمل أن تكون الغرارة الشامية ومقدارها غرارتان مكيتان ونحو نصف غرارة، ويحتمل أن تكون الغرارة المكية ، والأول أقرب والله أعلم .

ومن ذلك أنه في سنة سبع وسبعمائة على ما قال البرزالي في تاريخه : كان في وسط نصف هذه السنة بمكة غلاء شديد بيعت غرارة الحنطة بألف وخمسمائة درهم والذرة بأكثر من تسعمائة وكان سبب الغلاء أن صاحب اليمن الملك المؤيد قطع الميرة عن مكة لما بينه وبين صاحب مكة حميضة ورميثة ابني أبي نمي ، ولم يزل الحال شديدا إلى أن وصل الركب الرجبي فنزل السعر ثم ورد من اليمن السبلات بعد منعها فعاش الناس وكان وصول الركب الرجبي مكة في رمضان وتوجهوا من القاهرة في سابع عشر من رجب فكان فيه فوق ألفي جمل وراحلة ، وكان الماء في هذه السنة

يسيرا يحمل إليها من بطن مر، ومن أبي عروة وغيره، وسبب ذلك قلة المطر بمكة سنين متوالية انتهى بالمعنى. والغرارة المشار إليها هي الغرارة الشامية في غالب ظني والله أعلم.

ومن ذلك أنه في سنة إحدى وعشرين وسبعمائة على ما قال البرزالي في تاريخه اشتد الغلاء بالحجاز بمكة وما حولها فبلغ القمح الأردب المصري مائتين وأربعين درهما وأما التمر فعدم بالكلية والأسمان تلاشت حتى قيل إن السمن بلغت منه كل أوقية خمسة دراهم واللحم كذلك المن بخمسة دراهم انتهى بالمعنى. والوقية المشار إليها هي في غالب ظني الوقية المكية ومقدارها رطلان مصريان ونصف رطل و يقال رطلان وثلث والأول هو الذي عليه عمل الناس اليوم، والمن المشار إليه سبعة أرطال مصرية إلا ثلث ويحتمل أن يكون المراد بالوقية الوقية الشامية وهي خمسون درهما وفيه بعد. والله أعلم والرطل المصري مائة وأربعة وأربعون درهما.

ومن ذلك أنه في سنة خمس وعشرين وسبعمائة بيع القمح الأردب في جدة ساحل مكة بمبلغ ثمانية عشر وسبعة عشر درهما كاملية والشعير بمبلغ إثني عشر نقلت ذلك من خط ابن الجزري في تاريخه وذكر أن المحدث شهاب الدين المعروف بابن القدسية أخبره بذلك لما عاد من مجاورته بمكة في هذه السنة.

ومنها أنه في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة على ما قال البرزالي في تاريخه نقلا عن كتاب عفيف الدين المصري أن مكة كانت في غاية الطيبة والأمن والرخاء، القمح الأردب بأربعين درهما والدقيق بثمانية واللحم كل منّ بأربعة دراهم مسعودية والعسل الهاجر المليح كل منّ بدرهمين والسمن الوقية بثلاثة دراهم والجبن كل من بدرهمين وبها من الخير وكثرة المجاورين مالا يسمع بمثله انتهى. والمن المشار إليه هنا في العسل والجبن ثلاثة أرطال مصرية.

ومن ذلك أنه في سنة سبع وأربعين وسبعمائة على ما قال ابن محفوظ حصل على الناس غلاء عظيم في أيام الموسم والحج وابتيعت الغرارة الذرة بمائة وأربعين والحنطة بمائة وسبعين والتمر بثلاثة دراهم المن والملح سدسية بدرهم كامل، ثم قال: ودام الغلاء في الناس شهرين بعد الحج انتهى، ومن التمر المشار إليه هو ثلاثة أرطال مصرية.

ومن ذلك أنه في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة على ما قال ابن محفوظ وقع الغلاء في الموسم ولم يبين ابن محفوظ مقدار هذه الغلاء والله أعلم بحقيقة ذلك.

ومن ذلك أنه في سنة تسع وأربعين وسبعمائة كان الوباء الكبير بمكة وغيرها وسائر الأقطار وعظم أمره بديار مصر.

ومن ذلك أنه في سنة تسع وخمسين وسبعمائة على ما قال ابن محفوظ حصل على الناس الغلاء في المأكول جميعه ولم يبين ابن محفوظ مقدار هذا الغلاء، ثم قال: ورحلت الخوارج جميعها في اليوم الثالث وقت الظهر من منى انتهى.

ومن ذلك أنه في سنة ستين وسبعمائة على ما ذكر ابن محفوظ كان الغلاء مع الناس من أول السنة وخلت

مكة خلوا عظيما وتفرق الناس فى سائر الأقطار لأجل الغلاء وجور الحكام بها انتهى ملخصا بالمعنى .

ومن ذلك أنه فى آخر هذه السنة على ما أخبرنى من أعتمد من الفقهاء المكيين أن الغرارة الحنطة بيعت بمكة بستين درهما كاملية بعد وصول العسكر من مصر إلى مكة فى هذه السنة وذكر ابن محفوظ أنه بعد وصول هذا العسكر إلى مكة أسقط المكس فى سائر المأكولات وارتفع من مكة الجور والظلم وانتشر العدل والأمان انتهى . وذلك لما أظهره مقدم العسكر الأمير جركتمر الماردينى من الأمور المقتضية لذلك ، وقد ذكرنا شيئا من خبر هذا العسكر فى ترجمة محمد بن عطيفة الحسينى الذى قدم مع هذا العسكر من مصر إلى مكة متوليا إمرتها .

ومن ذلك أنه فى سنة ست وستين وسبعمائة كان بمكة غلاء عظيم حصل للناس منه مشقة عظيمة بحيث أكل الناس الميتة على ما قيل وذلك أنه وجد بمكة حمار ميت وفيه أثر السكاكين وأصيبت المواشى بالجرب وتعرف هذه السنة بسنة أم الجرب واستسقى الناس بالمسجد الحرام فلم يسقوا وأحضرت المواشى إلى المسجد للاستسقاء وأدخلت فيه ووقفت فى جهة باب العمرة إلى مقام المالكية ثم فرج الله هذه الشدة من الناس بالأمير يلبغا العمرى المعروف بالخاصكى مدبر المملكة الشريفة بالديار المصرية تغمده الله برحمته لأنه أرسل بقمح فرق على المجاورين بمكة وذلك أن بعض خواصه ممن أرسله لعمارة المسجد الحرام عرفه بما الناس فيه من الشدة بمكة فلما بلغه الخبر أمر من فوره بألف أردب قمح طيب فجهزت إلى مكة فى البر غير ما أمر بتجهيزه فى البحر وفرقت على من بها من الناس أحسن تفرقة ، وما شعر الناس بها إلا وهى معهم .

ومن ذلك غلاء شديد وقع فى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة بيعت فيه الحنطة الغرارة بمكة بخمسمائة درهم كاملية وأربعين درهما وأكل الناس سائر الحبوب واختبزوها ثم فرج الله على الناس بصدقة قمح أنفذها الملك الظاهر برقوق رحمه الله .

وحصل أيضاً فى هذه السنة أيضاً بمكة وباء وبلغ الموتى فيه فى بعض الأيام أربعين على ماقيل .

ومن ذلك رخاء فى سنة ست وتسعين وسبعمائة بيعت فيه الغرارة الحنطة بسبعين درهما كاملية فى زمن الموسم .

ومن ذلك غلاء كان بمكة فى آخر سنة سبع وتسعين وسبعمائة بعد الحج ولم يبلغ مقدار الغلاء الذى كان فى سنة ثلاث وتسعين ، وإنما بلغت فيه الغرارة الحنطة ثلثمائة درهم وثلاثين درهما .

ومن ذلك غلاء كان فى أثناء خمس وثمانمائة بيعت فيه الغرارة الحنطة بنحو خمسمائة كاملية والذرة بنحو ثلاثمائة وخمسين كاملية ، ودام ذلك أياماً يسيرة ثم فرج الله على الناس قريبا بجلاب وصلت من سواكن وبلغ المن السمن

فى هذه السنة مائة وخمسين درهما كاملية ، والمن المشار إليه اثنتى عشرة أوقية وقد تقدم مقدار الأوقية وهـذا أغلا قدر بلغ إليه سعر السمن فيما رأينا وأرخص شىء بلغ إليه السمن فيما رأيناه أن بيع المن السمن بنحو ثلاثين درهما كاملية وخزنه الناس كثيرا بهذا المقدار و بلغ فى بعض السنين أيام الحج بمنى دون ذلك ، و بلغنى عن بعض المشائخ أنه رأى السمن يباع بمكة كل من سمن باثنى عشر درهما كاملية كل أوقية بدرهم قال : وخزنه الناس كثيراً بهذا السعر ، وأما القمح فـلم نره بلغ فى الرخص مابلغ فى سنة ست وتسعين وسبعمائة بيعت الغرارة الحنطة بسبعين درهما كاملية .

و بلغنى عن بعض المشايخ أنه رآها بيعت بمكة بأر بعين درهما كاملية وهـذا يقرب من الرخص الذى نقله ابن الجزرى عن ابن القدسية ، وأما الذرة فرأيناها بيعت بمكة بأر بعين درهما كاملية ور بما بيعت كل ثلاث غراير ذرة بمائة درهم كاملية وتسعين درهما بتقديم التاء وذلك بعد التسعين وسبعمائة وهذا أرخص شىء رأيناه فى سعر الذرة بمكة ثم بلغت بعد ذلك نحو الستين والسبعين فى أوائل هذا القرن ثم ارتفعت عن ذلك فى آخر سنة إحدى عشرة وثمانمائة و بلغت قريبا من مائة وخمسين ثم ارتفع سعرها وسعر الدخن والحنطة والشعير والدقة وسائر المأكولات فى آخر سنة خمس عشرة وثمـانمائة . وفى سنة ست عشرة وثمانمائة ارتفع ارتفاعاً لم يعهد مثـله لأن الغرارة الحنطة بكيل مكة قد بيعت فى الجملة بعشرين أفرنتيا و بيعت مفرقا بأزيد من عشرين كما سيأتى بيانه وكان ابتداء مشقة هذا الغلاء على الناس فى آخر شهر رمضان عند استقبال عيد الفطر المبارك من سنة خمس عشرة وثمانمائة، بلغ ربع الحب الحنطة فى هـذا التاريخ اثنى عشر مسعوديا بعد أن كان بثمانية ونحوها ثم صار يرتفع قليلا قليلًا حتى بلغ الربع ثمانية عشر مسعوديا ، ودام على ذلك إلى الموسم من سنة خمس عشرة و إنما بلغ فى ذى القعدة فى هذه السنة تسعة وعشرين مسعوديا وفى ذى القعدة أيضاً من هذه السنة بيع ربع الحب الحنطة بأقل من ثمانية عشر مسعوديا عند وصول المراكب إلى مكة من اليمن ولم يكن ذلك إلا أياماً قليلة ثم عاد السعر إلى الثمانية عشرة وأزيد ، وسبب ذلك أن متولى أمير المركب اليمانية القاضى أمين الدين مفلح التركى الملـكى الناصرى أعزه الله أمر ببيع بعض مما معه من الطعام وأرخص فى البيع وتصدق أيضاً ببعضه ثم ترك لاحتياجه إلى ما معه وعندما حصل هـذا النقص فى السعر ترك الإمام القنوت فى الصلاة وكان قد قنت فيها شهرا أو نحوه ، وكان ابتداء القنوت فى يوم الجمعة عاشر شوال سنة خمس عشرة ولمـا وصل الحجاج فى هذه السنة تهافتوا على جميع المأكولات فارتفعت الأسعار فى جميعها ارتفاعا لم يعهد مثله فى زمن الموسم وأرخص مابيع الحب به بعـد تـكامل وصول الأعراب من بجيلة وغـيرها الجالبين للأطعمة إلى مكة كل غرارة مكسية بعشرة أفرنتية وذلك فى اليوم السادس من ذى الحجة من هذه السنة ثم ارتفعت الأسعار بعرفة ومنى فبيع الدقيق كل ويبة مصرية بافرنتيتين وعشرة دراهم و بأفرنتيتين وعشرين

درهماً والشعير كل ويبة بأفرنتيتين والحب كل ربع مدمكى بسبعة وعشرين درهما مسعودية وتستقيم الغرارة من هذا السعر بتسعة عشر أفرنتيا ونحوها لأن الافرنتى كان يباع فى زمن الموسم بمنى بسبعة وخمسين مسعوديا ونحوها ، والغرارةهى أربعون ربعامكيا، ونزل الإفرينتى إلى خمسين مسعوديا ونحوها . فلما توجه[1] الحاج من مكة بيع الحب الحنطة كل ربع مكى بسبعة وعشرين مسعوديا ونزل الأفرنتى إلى خمسين مسعوديا ونحوها والمثقال الذهب الهرجى إلى ستين مسعوديا ونحوها وتستقيم الغرارة على ما ذكرناه من سعر الحب بإحدى وعشرين أفرنتيا وبأزيد وبالمثاقيل بثمانية عشر مثقالا وبيعت الغرارة فى أثر سفر الحاج فى السوق بالمسعى بعشرين أفرنتيا ودام سعر الحب كل ربع بسبعة وعشرين مسعوديا والذهب على ماذكرناه من السعر إلى أثناء المحرم من سنة ست عشرة وثمانمائة ثم صار ينقص درهما ودرهمين وشبه ذلك فى بقية المحرم وصفر ثم نقص أكثر من ذلك عند طيب النخل وقت الصيف من سنة ست عشرة وثمانمائة وبيع الربع فى هذا التاريخ بنحو عشرين مسعوديا لاكتفاء كثير من الناس بالبلح ثم نزل بعد ذلك إلى ستة عشر مسعوديا ونحوها ورأى الناس ذلك رخيصا بالنسبة إلى ما كان عليه فى الموسم سنة خمس عشرة وبعده وهو غلاء بالنسبة إلى ما كانوا يعهدونه من السعر فى الحنطة وغيرها فى أول سنة خمس عشرة والغرارة من حساب ستة عشر بنحو من عشرة أفرنتية لأن صرف الإفرنتى فى شهر رمضان سنة ست عشرة ستون مسعوديا ونحوها وهى على ذلك فى شهر رمضان من سنة ست عشرة وبيعت الدقسة بأثر الموسم كل ربع باثنى عشر مسعودى والشعير بمثل ذلك والذرة والدخن سعرهما يقارب سعر الحنطة من ابتداء الغلاء . وإلى تاريخه وبيع التمر بأثر الموسم كل من بتسعة مسعودية ، وربما بيع بأكثر من ذلك فى الموسم ، وبيع فيه الأرز بأربعة أفرنتية ، الويبة والنوى لعلف الجمال كل ويبة مصرية بأفرنتى وربع .

ووقع الغلاء فى هذا الموسم فى الخضر أيضاً حتى بيعت البطيخة الكبيرة بأفرنتى وأزيد بعرفة ومنى وهذا شىء لم يسمع به ، وسبب هذا الغلاء مع المقدور قلة الغيث بمكة فى سنة خمس عشرة وثمانمائة عما يعهد ولم يصل إلى مكة مما كان يصل اليها من الذرة من بلاد سواكن ومن اليمن لغلاء وقع فيهما ولا سيما بسواكن فسبب الغلاء فيها أكل الجراد لزرع بلاد الداع التى يحمل منها الذرة إلى سواكن فبلغ السعر فيها فى هذه السنة ست عشرة وثمانمائة كل غرارة مكية ذرة بثلاثين مثقالا ذهباً وهذا شىء لم يعهد فيها مثله من دهرٍ طويل .

وسبب الغلاء ببلاد اليمن قلة الزرع بها لقلة المطر ، وصار أهل اليمن وأهل سواكن يجلبون الذرة إليها من

(١) هذا الكلام المشار إليه لا يوجد فى النسخة (ك) .

قرية يقال لهـا فنونا بقرب حلى ، ومنها أيضا يجلب ذلك إلى مكة وما عرفت أن مثل هذه القرية الصغيرة تمير أهل اليمن وسواكن فسبحان القادر على كل شيء وهو المسئول فى اللطف وكشف البلاء .

ووقع بعد ذلك بمكة غلاء كثير ورخص كثير :

فمن ذلك : أنه فى سنة تسع عشرة بتقديم التاء وثمانمائة كانت الغرارة الحنطة اللُّقَيْمية المليحة بخمسة أفرنتية والغرارة المابية وهى نوع دنئ من الحنطة بأربعة أفرينتية وربع الغرارة الذرة بثلاثة أفرينتية و بيعت فى وادى مر بأفرينتيتين وستة دنانير مسعودية وصرف الأفرينتى خمسة عشر ديناراً مسعودية بالوادى والسمن كل وقية بسبعة مسعودية ويستقيم المن بأفرينتى وثلث ونحو ذلك واللحم كل من ستة مسعودية والتمر كل منّ بدرهمين مسعوديتين وكان صرف الأفرينتى بمكة بأربعة وخمسين مسعوديا وربما زاد قليلاً ، ومن ذلك غلاء وقع بعد الموسم من هذه السنة وامتد إلى أول سنة عشرين وثمانمائة ولم تطل مدته و بلغت فيه الغرارة الذرة بثلاثة عشر إفرينتيا ومن ذلك رخاء فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة فى الذرة بيعت الغرارة بمكة بثلاثة إفرينتية و بجدة بإفرينتيتين وربع و بإفرينتيتين ونصف و بيع فى هذه السنة العسل كل سبعة أمنان بإفرينتى ولم يعهد مثل ذلك قبله فى العسل من مدة سنين ثم غلا سعره وسعر الذرة فى بقية سنة إحدى وعشرين وفى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة و بلغت فيه الغرارة الذرة بمكة بثمانية أفرينتية وكذلك الغرارة الدخن و بلغت فيها الغرارة الحنطة اثنتى عشرة إفرينتية وكذلك الغرارة الدخن بلغت فيها الغرارة الحنطة : اثنى عشر إفرينتيا إلا ربع إفرينتى ثم نزلت إلى عشرة أفرينتى ودون ذلك والذرة والدخن لم ينقص سعرها عن الثمانية الافرنتية إلى جمادى الأولى من سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة ونسأل الله اللطف .

(ومن ذلك[1] : أنه فى سنة سبع وعشرين وثمانمائة حصل بمكة وباء عظيم عام ، نقل الموتى فيه من كبر اسمه أو مكانه يزيدون على الألفين أو يقاربون ذلك وكان كثيراً ما تجتمع من الجنائز عقب صلاة الصبح أو العصر سبع أو أكثر وكان يموت فى كثير من الأيام بضع وعشرون) وفيما أشرنا إليه من هذا المعنى كفاية من أمر الغلاء والرخص والوباء بمكة المشرفة[2] .

وقد خفى علينا كثير من ذلك لعدم العناية فى كل عصر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

---

(١) هذا الكلام المشار إليه والذى بين القوسين لا يوجد بالنسخة (ك) .

(٢) ذكر بعض الحضارمة الذين توطنوا بأرض الحرمين وهو الشيخ محمد الحضرمى حصول طاعون عظيم عام سنة ١٢٣٠ فإنه لما كان عام سنة ١٢٣٠هـ حصل فى جدة العامرة طاعون وذلك لم يكن معهوداً فى بلاد الحرمين إلا كما ذكره المؤرخون فى عام سنة ٨٨٤ فإنه قد صادف حدوث طاعون عظيم وحصل للناس فى عام سنة ١٢٣٠ حال عظيم حتى خرج الناس إلى مكة المشرفة ومنها . ومات فى ذلك الطاعون خلق كثير لا يحصى عددهم إلا الله سبحانه مما قارب العدد على حسب ما ظهر قريبا من ثمانية آلاف نفس من ذكر وأنثى وحروعبد صغير وكبير حتى أشكل الأمر فى الميراث .

الباب الأربعون

فى ذكر الأصنام التى بمكة وحولها

وذكر شىء من خبر أسواق مكة فى الجاهلية والإسلام

وذكر شى مما قيل من الشعر فى الشوق إلى مكة المشرفة وذكر معالمها المنيفة

رو ينا بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال : ما جاء فى أول من نصب الأصنام فى الكعبة والاستسقاء بالأزلام .

حدثنى جدى ، حدثنا سعيد بن سالم المقداح عن عثمان بن ساج قال أخبرنى محمد بن إسحاق قال[1] : إن البئر التى كانت فى الكعبة على يمين من دخلها وكان عمقها ثلاثة أذرع يقال إن إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام حفراها ليكون فيها ماء يهدى للكعبة فلم يزل كذلك حتى كان عمرو بن لحى فقدم بصنم يقال له هبل من « هبت » من أرض الجزيرة وكان هبل من أعظم أصنام قريش عندها فنصبه على البئر فى بطن الكعبة وأمر الناس بعبادته فكان الرجل إذا قدم من سفر بدأ به على أهله بعد طوافه بالبيت وحلق رأسه عنده، وهبل الذى يقول له : أبو سفيان يوم أحد: (اعل هبل) ، أى اظهر دينك ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : الله أعلى وأجل ، وكان اسم البئر التى فى وسط[2] الكعبة الأخسف ، وكان العرب تسميها الأخشف ، قال محمد بن إسحاق : وكان عند هبل فى الكعبة تسعة قداح كل قدح منها فيه كتاب : قدح فيه العقل إذا اختلفوا فى العقل من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة عليهم فعلى من خرج حمله ، وقدح فيه نعم للأمر إذا أرادوه يضرب به فى القداح فإن خرج فيه نعم عملوا به ، وقدح «لا» فإذا أرادوا الأمر ضربوا بالقداح و إذا خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدح فيه منكم ، وقدح فيه ملصق، وقدح فيه: من غيركم ، وقدح فيه : المياة[3] فإذا أرادوا أن يحفروا الماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح فحيث ما خرج عملوا به، وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما أو ينكحوا منكحاً أو يدفنوا ميتا أو شكوا فى نسب أحد منهم ذهبوا به إلى هبل و بمائة درهم وجزور فأعطوها صاحب القداح الذى يضرب بها ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون ثم قالوا : ياإلهنا هذا فلان أردنا به كذا وكذا فاخرج الحق فيه ، ثم يقولون لصاحب القداح اضرب ، فإن

---

(١) راجع ص ٦٧ ج ١ الأزرقى . (٢) فى ص ٦٨ ج ١ الأزرقى : بطن .

(٣) كذا فى جميع الأصول والسيرة ، وفى الأصنام وبلوغ الأرب ومعجم البلدان : الميت .

خرج «منكم» كان منهم وسطا ، و إن خرج عليه «من غيركم» كان حليفا فإن خرج عليه «ملصقا» كان ملصقا على منزلته فيهم، لانسب له ولا حلف و إن خرج عليه شيء مما سوى هذا مما يعملون به « نعم» عملوا به و إن خرج «لا» أخروه عامه ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى ينتهون فى أمرهم ذلك إلى ماخرجت به القداح . وكذلك فعل عبد المطلب بابنه حين أراد أن يذبحه .

وقال محمد بن إسحاق كان هبل من حجر العقيق على صورة إنسان وكانت يده اليمنى مكسورة فأدركته قريش فجعلت له يدا من ذهب وكانت له خزانة للقربان وكانت له سبعة قداح يضرب بها على الميت والعذرة والنكاح، وكان قربانه مائة بعير وكان له صاحب[1] ، وكانوا إذا جاءوا هبل بالقربان ضربوا بالقدح وقالوا :

انا اختلفنا فهب السراحا ثلاثة ياهبل فصاحا

الميت والعذرة والنكاحا والبرء فى المرضى والصحاحا

إن لم تقله فمر القداحا

« ماجاء فى أول من نصب الأصنام وما كان من كسرها »

و بالسند المتقدم إلى الأزرق قال : حدثنى[2] جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال : حدثنى محمد ابن إسحاق أن جرهما لما طغت فى الحرم دخل رجل منهم بامرأة منهم الكعبة ففجر بها و يقال إنه قبلها فيها ، فمسخا حجرين اسم الرجل اساف بن بغاء واسم المرأة نايلة بنت ذئب فاخرجا من الكعبة ونصب أحدهما على الصفا والآخر على المروة و إنما نصبا هناك ليعتبر بهما الناس و يزجروا عن مثل ما ارتكبا لما يرون من الحال التى صارا إليها فلم يزل الأمر يدرس و يتقادم حتى صارا يمسحان ، يتمسح بهما من وقف على الصفا والمروة إلى أن صارا وثنين يعبدان فلما كان عمر بن لحى أمر الناس بعبادتهما والتمسح بهما وقال للناس : إن من كان قبلكم كان يعبدهما فكانا كذلك، حتى كان قصى بن كلاب فصار أمر الحجابة إليه وكذا أمر مكة فحولهما من الصفا والمروة فجعل أحدهما بلصق الكعبة وجعل الآخر فى موضع زمزم و يقال جعلهما جميعا موضع زمزم وكان ينحر عندهما[3] وكان أهل الجاهلية يمرُّون بإساف ونائلة و يتمسحون بهما وكان الطائف إذا طاف بالبيت يبدأ بإساف فيستلمه فإذا فرغ من طوافه ختم بنائلة فاستلمها فكان كذلك حتى كان يوم الفتح فكسرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما كسر من الأصنام

و به إلى الأزرق قال : حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن ابن

---

(١) فى الأزرق: حاجب (٦٩ ج ١ الأزرق) .

(٢) راجع الأزرقى: (ص ٦٩ ج ١ وما بعدها) .

(٣) هذه الرواية بعيدة عن المعروف عن قصى من عبادته لله على دين الحنيفية البيضاء .

شهاب الدين عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما ، منها ماقد شد بالرصاص[١] ، فطاف على راحلته وهو يقول : « جاء الحق ، وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » ، ويشير إليها فما منها صنم أشار إلى وجهه إلا وقع على دبره ولا أشار إلى دبره إلا وقع على وجهه حتى وقعت كلها . وقال ابن إسحاق : ولما صلى النبى صلى الله عليه وسلم الظهر يوم الفتح أمر بالأصنام التى حول الكعبة كلها فجمعت ثم حرقت بالنار وكسرت وفى ذلك يقول فضالة ابن عمير بن الملوح الليثى فى ذكر يوم الفتح :

لو ما رأيت محمداً وجنوده … بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت نور الله أصبح بينا … والشرك يغشى وجهه الإظلام

حدثنى جدى حدثنى محمد بن إدريس عن الواقدى عن ابن أبى سبرة عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : مايزيد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يشير بالقضيب إلى الصنم فيقع لوجهه قال : وأمر بهبل فكسر وهو واقف عليه ، فقال الزبير بن العوام لأبى سفيان : ياأبا سفيان بن حرب قد كسر هبل أما إنك قد كنت منه فى يوم أحد فى غرور حين تزعم أنه قد أنعم عليك ، فقال أبو سفيان : دع هذا عنك يا ابن العوام فقد أرى لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ما كان ـ انتهى باختصار .

وبه[٢] إلى الأزرقى قال حدثنى جدى عن محمد بن إدريس عن الواقدى عن أشياخه فذكر شيئاً من خبر اساف ونائلة: منها أنها بنت سهيل واساف ابن عمرو ثم قال : فلما كسرت الاصنام كسرا فخرج من أحدها امرأة سوداء شمطاء تخمش وجهها عريانة ناشرة الشعر تدعو بالويل فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فقال : تلك نائلة قد أيست أن تعبد فى بلادكم أبداً[٣] .

وذكر الواقدى عن أشياخه قال: نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة : من كان يؤمن بالله ورسوله فلا يدع فى بيته صنما إلا كسره فجعل المسلمون يكسرون تلك الأصنام قال وكان عكرمة بن أبى جهل حين أسلم لا يسمع بصنم فى بيت من بيوت قريش إلا مشى إليه حتى يكسره، وكان أبو محراة[٤] يعملها فى الجاهلية ويبيعها فلم يكن فى قريش رجل بمكة إلا وفى بيته صنم .

قال الوقدى : وحدثنى ابن أبى سبرة عن سليمان بن سحيم عن آل جبير بن مطعم عن جبير بن مطعم قال : لما كان يوم الفتح نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر فلا يتركن فى بيته صنما إلا كسره أو أحرقه وثمنه حرام ، قال جبير : وكنت أرى قبل ذلك الأصنام يطاف بها بمكة

(١) فى الأزرقى (٧٠ ـ ١) : قد شدها إبليس بالرصاص .
(٢) راجع (٧١ ـ ١) الأزرقى .
(٣) هذا حديث ضعيف أو موضوع .
(٤) فى الأزرقى : (ص ٢ ـ ١) : أبو تجارة .

فيشتريهـا أهل البدو فيخرجون بها إلى بيوتهم وما بقى رجل من قريش إلا وفى بيته صنم إذا دخل يمسحه وإذا خرج يمسحه تبركا به .

قال الواقدى : وأخبرنا عبدالرحمن بن أبى الزناد عن عبد الحميد بن سهيل قال : لما أسلمت هند بنت عتبة جعلت تضرب صنما فى بيتها بالقدوم فلذة فلذة وهى تقول : كنا منك فى غرُور .

و به قال الأزرقى : باب ما جاء فى الأصنام التى كانت على الصفا والمروة ومن نصبها وما جاء فى ذلك :

حدثنى جدى[1] قال حدثنا سعيد بن سالم القداح عن عثمان بن ساج قال أخبرنى ابن إسحاق قال : نصب عمرو بن لحىّ الخلصة بأسفل مكة فـكانوا يلبسونها القلائد ويهدون لها[2] الشعير والحنطة و يصبون عليهـا اللبن و يذبحون لها و يعلقون عليها بيض النعام ونصب على الصفا صنماً يقال له : نهيك مجاود الريح: ونصب على المروة صنما يقال له : مطعم الطير .

ذكر ما جاء فى اللات والعزى وما جاء فى بدئها كيف كان

حدثنى[3] جدى قال : حدثنى سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن محمد بن السائب الـكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن رجلا ممن مضى كان يقعد على صخرة لثقيف يبيع السمن من الحاج إذا مروا فيات سويقهم وكان ذا غنم فسميت صخرة اللات فات، فلما فقده الناس قال لهم عمرو بن لحى: إن ربكم كان اللات، فدخل فى جوف الصخرة ، وكانت العزى ثلاث شجرات بنخل وكان أول من دعا إلى عبادتهـا عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب وقال لهم : إن ربكم يتصيف باللات لبرد الطائف و يشتى[4] بالعزّى لحر تهامة ، وكان فى كل واحدة شيطان يعبد ، فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بعث بعد الفتح خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى العزى ليقطعها فقطعها ثم جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : ما رأيت فيهن ، قال لا شىء. قال : ما قطعتهن فارجع فاقطع . فرجع فقطع فوجد تحت أصلها امرأة ناشرة شعرها قائمة عليهن كأنها تنوح عليهن فرجع فقال : إنى وجدت كذا وكذا ، قال : صدقت[5] .

---

(١) راجع (ص ٧٣ ج ١) الأزرقى .

(٢) ذكر ابن الـكلبى والألوسى وياقوت موضع هذا الصنم بتبالة ، وزادالسهيلى وياقوت أنه فى العبلات أو العبلاء وهى قرية من أعمال الطائف معروفة بهذا الاسم إلى اليوم محاذية لوادى ركبة ــ وراجع الـكلام على ذى الخلصة فى ص : (٢٥٦ ج ١) وما بعدها (بقلم أحمد زكى باشا) من كتاب الأزرقى .

(٣) راجع ص ٧٤ ج ١ الأزرقى .

(٤) فى الأصلين ، وكذلك فى الأزرقى : وليشتوا .

(٥) هذا الحديث من الموضوعات .

حدثنى جدى قال حدثناسعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال أخبرنا ابن إسحاق أن عمرو بن لحى اتخذ العزّى بنخلة فكانوا إذا فرغوا من حجّهم وطوافهم بالكعبة لم يحلوا حتى يأتوا العزى فيطوفون بها ويحلون عندها ويعكفون عندها يوما ، وكانت لخزاعة وكانت قريش وبنو كنانة كلها تعظم العزى مع خزاعة وجميع مضر ، وكان سدنتها الذين يحجبونها بنو شيبان من بنى سليم حلفاء بنى هاشم ، وقال عثمان: وأخبرنا محمد بن السائب الكلبى قال: كانت بنو نصر وجشم وسعد بن بكر وهم عجز هوازن يعبدون العزى .

قال الكلبى : وكانت اللات والعزى ومناة فى كل واحدة منهن شيطانة تكلمهم وتراءى للسدنة وهم الحجبة وذلك من صنيع إبليس وأمره ، ثم قال : وكان هدمها لخمس ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان .

ذكر أسواق مكة فى الجاهلية والإسلام

روينا فى تاريخ الأزرقى خبرا فيه حج الجاهلية ومواسمهم وأسماء الشهور رواه بسنده إلى الكلبى قال فيه : فإذا كان الحج فى الشهر الذى يسموه ذى الحجة خرج الناس إلى مواسمهم فيصبحون بعكاظ يوم هلال ذى القعدة فيقيمون به [1] عشرين ليلة يقوم فيها أسواقهم بعكاظ والناس على مراعيهم وراياتهم منحازين فى المنازل يضبط كل قبيلة أشرافها وقادتها ويدخل بعضهم فى بعض للبيع والشراء فيجتمعون فى بطن السوق فإذا مضت العشرون انصرفوا إلى مجنّة فأقاموا بها ثمان ليال أسواقهم قائمة ثم يخرجون لذى المجاز فيقيمون بها إلى يوم التروية ، ويخرجون يوم التروية من ذى المجاز إلى عرفة فيتروون ذلك اليوم من الماء بذى المجاز ، وإنما سمى يوم التروية لترويهم فى الماء بذى المجاز ينادى بعضهم بعضا يتروون من الماء لأنه لا ماء بعرفة ولا بالمزدلفة يومئذ وكان يوم التروية آخر أسواقهم وإنما كان يحضر هذه المواسم بعكاظ ومجنة وذى المجاز التجار ومن كان يريد التجارة ، ومن لم يكن له تجارة ولا بيع فإنه يخرج من أهله متى أراد ، ومن كان من أهل مكة ممن لا يريد التجارة خرج من مكة يوم التروية فيتروى من الماء ، فينزل الحمس أطراف المسجد الحرام من غرة يوم عرفة وينزل الحلة عرفة ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم فى سنيه التى دعا فيها بمكة قبل الهجرة لا يقف مع قريش والحمس فى طرف الحرم ، وكان يقف مع الناس بعرفة .

ثم قال : وكانوا لا يتبايعون فى يوم عرفة ولا أيام منى فلما أن جاء الله تعالى بالإسلام أحل الله ذلك لهم فأنزل الله عز وجل فى كتابه : « ليسَ عليكم جناحٌ أنْ تبتغوا فضلاً منْ ربكم » وفى قراءة أبى ابن كعب : فى مواسم الحج ، يعنى منى وعرفة وعكاظ ومجنة وذى المجاز ، فهذه مواسم الحج .

ثم قال الكلبى : وكانت هذه الأسواق بعكاظ ومجنة وذى المجاز قائمة فى الإسلام حتى كان حديثا من الدهر.

---

(١) أى بهذا الموضع . وراجع الحديث عن عكاظ فى كتاب « قصة الأدب فى الحجاز » لعبدالله عبدالجبار ومحمد خفاجى .

فأما عكاظ فإنما تركت عام خرج الحروري بمكة مع أبي حمزة المختار بن عوف الأزدي الاباضي في سنة تسع وعشرين ومائة ، خاف الناس أن ينتهبوا وخافوا الفتنة فتركت حتى الآن .

ثم تركت المجنة وذو المجاز بعد ذلك واستغنوا بالأسواق بمكة و بمنى وعرفة .

وقال أبو الوليد الأزرقي : وعكاظ وراء قرن المنازل بمرحلة على طريق صنعاء في عمـل الطائف على بريد منها وهي سوق لقيس عيلان وثقيف وأرضها لنصر ، ومجنة سوق بأسفل مكة على بريد منها وهي سوق لـكنانة وأرضها من أرض كنانة وهي التي يقول فيها بلال رضي الله عنه :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليـلة بفخ [1] وحولي إذخر وجليـل

وهل أردن يوما ميـاه مجنـة وهل تبـدون لي شامة وطفيل

وشامة وطفيل : جبلان مشرفان على مجنة ، وذو المجاز سوق لهذيل عن يمين الموقف من عرفة قريب من كبكب على فرسخ من عرفة ؛ وحباشة سوق الأزد وهي في ديار الأوصام [2] من بارق [3] من صدر قنونا وحلي بناحية اليمن ، وهي من مكة على ست ليال وهي آخر سوق خربت من أسواق الجاهليـة ، وكان والي مكة يستعمل عليها رجلا يخرج معـه بجند فيقيمون بها ثلاثة أيام من أول شهر رجب متوالية حتى قتلت الأزد واليا كان عليها بعثه داود بن عيسى بن موسى في سنة سبع وتسعين ومائة فأشار فقهاء أهل مكة على داود بن عيسى بتخريبها فخربها وتركت إلى اليوم .

و إنما ترك ذكر حباشة مع هـذه الأسواق لأنها لم تكن في مواسم الحج ولا في أشهره و إنما كانت في رجب ، انتهى باختصار .

وقد خولف الأزرقي فيما ذكره في مجنة وشامة وطفيل من وجوه :

منها : أن القاضي عياض ذكر مايقتضي أن مجنة في غير المحل الذي سبق ذكره لأنه قال : حدثني عبد الملك بن محمد عن زياد بن عبد الله عن ابن اسحق قال : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز الأسواق التي يجتمع بها العرب للتجارة كل عام إذا حضر الموسم يحج العرب فيها ويأمن بعضهم بعضاً حتى تنقضي أيامها ، وكانت مجنة بمر الظهران إلى

---

(١) هو واد معروف بمكة واقع في مدخلها بين طريق جـدة وبين طريق التنعيم ووادي فاطمة ، ويسمى أيضا وادي الزاهر لـكثرة الأشجار والأزهار التي كانت فيـه قديما ، أما اليوم فيعرف باسم الشهداء ، إشارة إلى واقعة يوم التروية عام ١٦٩ هـ بين الحسين بن علي بن الحسن وجيوش بني العباس التي قتل فيها الحسين ، وقد أسس في هذا الوادي قصر المنصور الذي بناه الملك عبد العزيز آل سعود عام ١٣٤٧ هـ .

(٢) قرية باليمن . (٣) واد واقع بين محايل والقنفدة في تهامة عسير .

جبل يقال له: الأصفر ، وكانت عكاظ فيما بين نخلة والطائف إلى بلد يقال له العنق ، وكان ذو المجاز ناحية عرفة إلى جانبها ، قال عبد الملك: الأيسر، و إنما هو الأيمن إذا وقفت على الموقف انتهى .

ومنها : أن كلام الأزرقى يقتضى أن مجنة على بريد من مكة وذكر القاضى عياض فى المشارق ما يخالف ذلك لأنه قال : طفيل وشامة جبلان على نحو من ثلاثين ميلاً من مكة انتهى . ووجه مخالفة هذا لما ذكره الأزرقى أن شامة وطفيل جبلان مشرفان على مجنة على ما ذكره الأزرقى و إذا كانا كذلك وكانا من مكة على المقدار الذى ذكره القاضى عياض وكانا مشرفين على مجنة كما ذكر الأزرقى فيكون مجنة من مكة على المقدار الذى ذكره القاضى وهو نحو ثلاثين ميلاً وذلك بريدان أو أزيد ، فإن البريد اثنا عشر ميلاً والعيان يشهد لصحة ما ذكره القاضى فى شامة وطفيل ،لكون الجبلين المعروفين عندالناس شامة وطفيل من مكةعلى المقدار الذى ذكره القاضى وغيره و إذا كانا كذلك فيكون مجنة من مكة على بريدين على مقتضى ماذكر الأزرقى من أن شامة وطفيل مشرفان على مجنة ولعل الأزرقى أراد أن يكتب أن مجنة على بريدين من مكة فسها عن الياء والنون فكتب بريد والله أعلم .

وذكر المحب الطبرى ما يوافق ما ذكره القاضى عياض فى مقدار ما بين مكة وشامة وطفيل وسيأتى كلامه .

ومنها : أن كلام الأزرقى يقتضى أن شامة وطفيل جبلان ، وذكر ما يخالف ذلك ، حكى عنه ذلك القاضى عياض لأنه قال بعد أن قال ما سبق ذكره فى شامة وطفيل قال الخطابى : كنت أحسبهما جبلين حتى أثبت لى أنهما عينان انتهى .

وذكر المحب الطبرى ما ذكره الخطابى ولم يعزه ورجح ما ذكره الأزرقى لأنه قال : وشامة وطفيل قيل جبلان مشرفان على مجنة وقيل عينان عندها ، والأول أشهر ، والمعروف عند العرب اليوم أن شامة وطفيل جبلان على مرحلتين وأكثر من مكة فى جهة اليمن انتهى ، وقول المحب : والمعروف إلى آخره هو ما أشرنا إلى أنه يأتى ذكره من كلامه ولا يبعد أن يسترجح كونهما جبلين فانهما لو كانا عينين لتمنى بلال ورودهما كما تمنى ورود مياه مجنة والله أعلم .

ومنها : أن الأزرقى قال : شامة بالميم وكذا فى الصحيحين وغيرهما: وقيل فى شامة بالباء وذكر ذلك ابن الأثير ورجحه الصاغانى لأن المحب الطبرى قال : قال ابن الأثير رحمه الله : و بعضهم يقول شابة بالباء الموحدة وهو جبل حجازى ، وصحح هذا الوجه شيخنا رضى الدين الصاغانى اللغوى انتهى ، ومجنة بفتح الميم وكسرها وبالفتح قيدها الجبالى والفتح أكثر على ماذكر المحب الطبرى لأنه قال : و بعضهم يكسر ميمها والفتح أكثر، وهى زائدة انتهى .

ورأيت بخطه فى نسخة من كتاب «القرى» ما يشكل مع ماذكره الأزرقى فى جهة موضع مجنة وصورة ما رأيته : ومجنة موضع بأعلى مكة على أميال كان يقام للعرب بها سوق انتهى . ووجه استشكال ذلك مع ما ذكره الأزرقى أن الذى رأيته فى القرى يقتضى أن مجنة بأعلى مكة وكلام الازرقى يقتضى أنها بأسفل مكة لقوله : ومجنة سوق بأسفل مكة ؛ والظاهر أن الذى فى «القرى» سبق قلم من المؤلف والله أعلم . ومجنة غير معروفة الآن ورأيت من يخيل أنها الموضع المعروف بالأطواء فى طريق اليمن إلى مكة وعلل ذلك لأنها تسمى عند العرب الحنينة لطيب مائها وفى ذلك نظر لما ذكره الأزرقى من أن شامة وطفيل جبلان مشرفان على مجنة والجبلان المعروفان عند الناس شامة وطفيل لا يشرفان على الموضع المعروف بالأطواء لبعدهما منه والله أعلم .

ذكر شىء مما قيل من الشعر فى الشوق إلى مكة الشريفة وذكر معالمها المنيعة

أنشدنى المعمر بن محمد بن داود الصالحى اذن مكاتبة والأصيلة أم الحسن فاطمة بنت مفتى مكة شهاب الدين أحمد بن قاسم العمرى اذن مشافهة أن الإمام المحدث فخر الدين عثمان بن محمد بن عثمان المالكى أنشدهما اذن مشافهة قال أنشدنا الأديب أبو بكر محمد بن محمد بن عبد الله بن مرشد البغدادى قصيدة نفيسة سماها « الذهبية فى الحجة المكية والذروة المحمدية » جاء فيها [(١)] :

فيا أين أيام تولت على الحما ... وليل مع العشاق فيه سهرناه
ونحن لجيران المحصب جيرة ... نوفى لهم حسن الوداد ونرعاه

ومنها قوله :

فهاتيك أيام الحياة وغيرها ... ممات فياليت النوى ما عهدناه[(٢)]
وترجع أيام المحصب من منى ... ويبدو ثراه للعيون وحصباه
ونسرح فيه العيش بين ثمامه ... ونستنشق الأرواح طيب خزاماه

ومنها قوله :

فشدوا مطايانا إلى الربع ثانيا ... فإن الهوى عن ربعهم ما ثنيناه
ففى ربعهم لله بيت مبارك ... إليه قلوب الناس تهوى ونهواه

---

(١) هذه الجملة من زيادتنا لتصحيح المعنى .

(٢) هذا الشطر مختلف فى النسختين : م ، ك ، ويروى برواية أخرى هكذا :

وياليت عنا أغمض الدهر طرفه ... وياليت وقتا للفراق فقدناه

يطوف به الجانى فيغفر ذنبه ... ويسقط عنه إثمه وخطاياه
وكم لذة كم فرحة لطوافه ... فلله ما أحلى الطواف وأهناه
نطوف كأنا بالجنان نطوفها ... ولا هم لا غم جميعا نفيناه
فيا شوقنا نحو الطواف وطيبه ... فذلك طيب لا يعبر معناه
فمن لم يذقه لم يذق قط لذة ... فذقه تذق يا صاح ما نحن ذقناه
ترى رجعة أو عودة لطوافنا ... وذاك الحى قبل المنية نغشاه
فو الله لا ننسى الحمى فقلوبنا ... هناك تركناها فيا كيف ننساه
ووالله لا ننسى زمان مسيرنا ... إليه وكل الركب يلتذ مسراه
وقد نسيت أولادنا ونساؤنا ... واخواننا والقلب عنهم شغلناه
تراءت لنا أعلام وصل على اللوى ... فمن ثم أمسى القلب عنهم لويناه
جعلنا إله العرش نصب عيوننا ... ومن دونه خلف الظهور نبذناه
وسرنا نشق البيد للبلد الذى ... بجهد وشق للنفوس بلغناه
رجالا وركبانا على كل ضامر ... ومن كل فج مقفر قد أتيناه
نخوض إليه البحر والبر والدجا ... ولا مقطع إلا إليه قطعناه
ونطوى الفلا من شدة الشوق للقا ... فنمشى الفلا نحكى السجل طويناه
ولا صدنا عن قصدنا فقد أهلنا ... ولا هجر جار أو حبيب ألفناه
وأموالنا مبذولة ونفوسنا ... ولم نبغ شيئاً منها منعناه

ومنها قوله :

عرفنا الذى نبغى ونطلب فضله ... فهان علينا كل شىء بذلناه
ولو قيل إن النار دون مزاركم ... دفعنا إليها والعذول دفعناه

ومنها قوله :

ترادفت الأشواق واضطرم الحشا ... فمن ذاله صرم وتضرم أحشاه
وأسرى بنا الحادى وأمعن فى السرا ... والى الكرى نوم الجفون نفيناه

ومنها قوله :

نحج لبيت حجه الرسل قبلنا ... لنشهد نفعا فى الكتاب وعدناه

دعانا إليـــه الله عنـد بنائه فقلنا له لبّيك داع أجبـــناه
وما زال وفد الله يقصد مـكة إلى أن بدا البيت العتيق وركناه
فحييت ضيوف الله بالذكر والدعا وكبرت الحجاج حين رأينـاه
وقد كادت الأرواح تزهق فرحة لما نحن من عظم السرور وجدناه
وطفـــنا به سبعا رملنا ثلاثة وأربعـة مشيا كما قد أمرناه
كذلك طاف الهاشمى محمـــد طواف قدوم مثل ماطاف طفنـاه
وسالت دموع من غمام جفوننا على ما مضى من اثم ذنب كسبناه
ونحن ضيوف الله جينا لبيتــه نريد القرى نبغى من الله حسناه
فنادى بنا أهلا ضيوفى تباشروا وقروا عيونا فالحجيج أضفناه
فأى قرى يعلو قرانا لضيفنـا وأى ثواب فوق ماقد أثبناه

ومنها قوله :

فطيبوا وسيروا وافرحوا وتباشروا وتيهوا وهيموا بابها قد فتحناه
ولا ذنب إلا قد غفرناه منكم وما كان من عيب عليكم سترناه

ومنها قوله :

ويوم منى سرنا إلى الجبل الذى من البعد قد حيّا كما قد عهدناه
فلا حج إلا أن يكون بأرضه وقوف وهـذا فى الصحاح روينناه
إليه فؤاد المرء يشعر بالهنـا ولولاه ما كان الحجاز سلـكناه
وبتنا بأقطار المحصب من منى فيـاطيب ليل بالمحصب بتناه
وسرنا إليه طالبين وقوفنـــا عليه ومن كل الوجوه أممنـاه
على علميه للوقوف جـــلالة فلا زالتـا تحمى وتحرس أرجاه
وبينهما حزنا إليه برحمـــة فياطيبهـا ليت الزحام رجعنـاه
ولـما رأيناه تعالى عجيجنـا نلبّى وبالتّهليل منا ملأناه
وفيه نزلنا بكرة بذنوبنـا وما هو من ثقل المعاصى حملناه
وبعد زوال الشمس كان وقوفنا إلى الليل نبكى والدعا قد أطلناه

ومنها قوله :

على عرفات قد وقفنا بموقف ... به الذنب مغفور وفيه محوناه
وقد أقبل البارى علينا بوجهه ... وقال ابشروا فالعفو فيكم نشرناه
وعنكم ضمنا كل تابعة جرت ... عليكم وأما حقنا قد وهبناه
أقلنا كم من كل ماقد جنيتم ... ومن كان ذا عذر إلينا عذرناه

ومنها قوله :

وطوبى لمن ذاك المقام مقامه ... وبشراه فى يوم التغابن بشراه
نرى موقفا فيه الخزائن فتحت ... ووالى علينا الله منه عطاياه

ومنها قوله :

ودارت علينا الكأس بالوصل والرضا ... سقينا شرابا مثله ماسقيناه
فان شئت تسقى ماسقينا على الحمى ... فخلى التوانى واقصد محلا حللناه

ومنها قوله .

فظل حجيج الله لليل واقفا ... فقيل انفروا فالكل منكم قبلناه
أفيضوا وأنتم حامدون الهكم ... إلى مشعر جاء الكتاب بذكراه
وسيروا اليه واذكروا الله عنده ... فسرنا ومن بعد العشاء نزلناه
وفيه جمعنا مغربا لعشائنا ... ترى عابد جمع بجمع جمعناه
وبتنا به والتقطنا حجارنا ... وربا ذكرناه على ما هداناه
ومنه أفضنا حيث ما الناس قبلنا ... أفاضوا وغفران الإله طلبناه
ونحو منى ملنا بها كان عيدنا ... ونلنا بها ما القلب كان تمناه
فمن منكم بالله عيد عيدنا ... فعيد منى رب البرية أعلاه
وفيها رمينا للعقاب جمارنا ... ولا جرم إلا مع جمار رميناه.

ومنها قوله :

وبالخيف أعطانا الإله أماننا ... وأذهب عنا كل ما نحن خفناه
وردت إلى البيت الحرام وفودنا ... رجعنا لها كالطير حن لمأواه
وطفنا طوافا للإفاضة حوله ... ولذنا به بعد الجمار وزرناه
ومن بعد مازرنا دخلناه دخلة ... كأنا دخلنا الخلد حين دخلناه

ونلنا أمان الله عنـــد دخوله | كما أخبر القرآن فيما قرأناه
فيـا منزلا قـد كان أبرك منزلا | نزلناه فى الدنيـا و بيت وطئناه
ترى حجة أخرى إليك ورحـلة | وذاك على رب العلا نتمنـــاه
أإخواننا ماكان أحـلى دخولنا | إليه ولبثنا فى حمـــاه لبثناه
أإخواننا أوحشتمونا هنيئاً لـكم | فياليتـكم معنا وأنا سكنـــاه

ومنها قوله :

و بالحجر الميمون لذنا فانـــه | لرب السما فى أرضـــه يمنـاه
نقبـله من حبنا لإلٰهنا | فـكم لثمة طى الطواف لثمناه
على لثمـة للشعث والغبر رحمة | فـكم أشعث كم أغبر قد رحمناه
وذاك لنا يوم القيامة شاهـــد | وفيه لنـــا عهد قديم عهدناه
ونستلم الركن اليمـــانى طـاعة | ونستغفر المولى إذا مالمسناه
وملتزم فيه التزمنـا لذنبـــا | عهـــود وعفو الله فيه لزمناه
وكم موقف فيه مجاب لنـا الدعا | دعونا به والقصد فيه نوينـاه
وصلى باركان المقـام حجيجنـا | وفى زمزم ماء طهور وردناه
وفيه الشفا فيه بلوغ مرادنا | لمـا نحن ننويه إذا ماشربنـاه
و بين الصفا والمروة الحاج قد سعى | فإن تمام الحج تكميل مسعاه

ومنها قوله :

و بينا حجيج الله بالبيت محدق | ورحمة رب العرش تدنو و تغشاه
تداعت رفاق بالرحيل فمـا ترى | سوى دمع عين بالدماء مزجناه
لفرقة بيت الله والحجر الذى | لأجلهما شاق الأمور شققنـــاه
وودعت الحجاج بيت إلههـا | وكلهم تجرى من الحزن عينـاه
فلله كم باك وصـاحب حسرة | يود بأن الله كان توفاه
ولا شهد التوديع يوماً لبيته | و إن فراق البيت مر وجـدناه

ومنها قوله :

ووالله لولا أن نؤمل عودة　　لذقنا طعام الموت حين فجعناه
ومن بعد ماطفنا طواف وداعنا　　رحلنا إلى قبر الحبيب ومغناه

وأنشدنى محمد بن محمد بن داود الصّالحى مكاتبة وفاطمة بنت أحمد الفقيه مشافهة بطيبة أن أبا عمرو الإفريقى أنشدهما اذنا قال أنشدنا أبو اليمن ابن عساكر نزيل مكة لنفسه بقراءته عليه بمسجد الخيف بمنى قوله :

ياجيرتى بين الحجون إلى الصفا　　شوق إليكم مجمل ومفصل
أهوى دياركم ولى بربوعها　　وجد يؤرقنى وعهد أول
ويزيدنى فيها العذول صبابة　　فيظل يغرينى إذا مايعذل
ويقول لى لو قد تبدلت الهوى　　فأقول قد عنى الغداة تبدل
بالله قال لى كيف تحسن سلوتى　　عنها وحسن تصبرى هل يجمل ؟
هل فى البلاد محلة معروفة　　مثل المعرف أو محل يحلل ؟
أم فى الزمان كليلة النفر التى　　فيها من الله العوارف تجزل
أم مثل أيام تقضت فى منى　　عمر الزمان بها أغر محجل
فى جنب مجتمع الرفاق ومنزع　　الأشواق حياها السحاب المسبل

وأنشدتنى أم الحسن فاطمة بنت مفتى مكة شهاب الدين أحمد بن قاسم الحرازى اذنا مشافهة بطيبة إن لم يكن سماعا قالت أنشدنى جدى الإمام رضى الدين إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبرى سماعا قال أنشدنا الإمام أبو بكر الحافظ ابن محمد بن يوسف بن مسدى لنفسه من قصيدة له :

سقى تهامة ما تهمى السحاب به　　سحا يسح وتهتانا بتهتان
حيث الحجيج حجيجى إن تخذت بها　　ربعا بربع وأخدانا بأخدان

ومنها قوله :

أنكرت سلمى وأياً ما بذى سلم　　لوقفة بين تعريف وعرفان

والدار آهلة من كل مغترب ... يعرو اليها بتهليل وقرآن
واسم الحبيب شعار العاشقين ... بهاتيك المشاعر من شيب وشبان
لبيك لبيك توحيدا يوكده ... توابع الشوق فى سر وإعلان
وللإجابة سمع ليس يشغله ... شأن كثير من القول عن شان
وينفرون إلى الزلفى بمزدلف ... جمعا بجمع ووجدانا بوجدان
من لم يقف برسوم الموقفين فما ... مشت به قط للأحباب رجلان
وفى منى للمنى ذاك المنال فلا ... تبعد بك الدار عن قرب وقربان

ومنها قوله :

وفى الإفاضة فيض الجود من ملك ... يلقى المسيء إذ استعفى بإحسان

ومنها قوله .

ياطائفين بنا إنا نطوف بكم ... باعاً بباع ووجدانا بوجدان
مبادرين إليه السعى هرولة ... إليه تاقاه بشرى دون أحزان
أما الغريب وإن عز المكان فلا ... يبعد بك الوهم فى تقرير إمكان
من فاوض الركن قدفاوضته بيدى ... هذا يمينى لحيوها بأيمان
من يستجر فأنا بالمستجار له ... نعم المجير إذا يلجا لى الجانى
وعند ملتزم منا لملتزم ... لو شاء ما شاء منا غير منان

ومنها قوله :

ولى بزمزم سر فيه زمزمة ... عنوانها عند أزمات وأزمان

ومنها قوله :

هذى الأمانى لا أيام ذى سلم ... دار الأمان فما دار بغمدان
كفانى الله تبديلا بمظهرها ... حتى أغيب فى لحدى وأكفانى

وأنشدنى خالى قاضى الحرمين محب الدين النويرى تغمده الله برحمته سماعا بالمسجد الحرام أن القاضى عز الدين

عبد العزيز بن القاضى بدر الدين بن جماعة الشافعى أنشده سماعا قال أنشدنى والدى لنفسه ، وأنشدنى عاليا الإمامان أبو أحمد إبراهيم بن محمد اللخمى وأبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد المصرى اذنا عن القاضى بدر الدين بن جماعة قال :

ما بال قلبى لا يقر قراره . حتى يقضى من منى أوطاره
ماذاك إلا أنه من شوقه قد شام من وادى الحمى تذكاره
يا سائق الأظعان إن جزت الحمى سلم على من بالمحصب داره
واشرح له ما يلتقى مشتاقه من فرط شوق أحرقته ناره
يصبو إذا ذكر الحطيم وزمزم والركن والبيت المكرم جاره
ويهيم من شوق يفتت كبده إذ عز ملقاه وطال مزاره

أنشدنى الرئيس شهاب الدين أحمد بن الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدى العلائى بقراءتى عليه فى المسجد الأقصى بالرحلة الأولى أن الاستاذ اباحيان محمد بن يوسف الأندلسى النحوى أنشدنى لنفسه قصيدة نبوية على وزن بانت سعاد قال فيها :

وإذا قضيت غزاة فأتنف عملا للحج والحج للاسلام تكميل

ثم قال بعد وقفة للحجاج :

يسوقهم طرب نحو الحجاز فهم ذوو ارتياح على أكوارها ميل
شعث رؤوسهم بلس شفاههم حوص عيونهم غرث مهازيل
حتى إذا لاح من بيت الإله لهم نور إذاهم على الغبرا أراجيل
يعفرون وجوها طال ما سهمت باكين حتى أديم الأرض مبلول
حفوا بكعبة مولاهم فكعبهم عال بها لهم طوف وتقبيل
وبالصفا وقتهم صاف بسعيهم وفى منى لمناهم كان تنويل
تعرفوا عرفات واقفين بهـــا لهم إلى الله تكبير وتهليل

وأنشدنى العلامة الأديب المفتن برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن محمد المعروف بالقيراطى لنفسه إجازة من قصيدة ، وأنشدنيها سماعا قاضى مكة جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة رحمة الله عليه عن القيراطى سماعاً قال :

ثم أنشأت من جفونى سحبـــا أى نثر كالدر من إنشـــاء

كم سكبناه بل سبكناه تبرا … فاز منه ثرى الحمـا بالثراء
فإذا جئت المحصب فانثر … من يواقيتــه على الحصباء
أتمنى عيشــا مضى وتقضى … وتولى على الصفــا بالصفاء
ميت أحيا يناديك حيا … إنما الميت ميت الأحيـــاء
لا يمل الثاوى هناك مقاماً … رب ثاو يمل طول الثواء
بك داء فارحل وجز بكداء … وهو داء من الذنوب كداء

ومنها قوله :

ما حنينـــا للمنحنى الجيد إلا … واستقمنا بذلك الانحناء

ومنها قوله :

أنا مالى عن مكة من براح … وبها أشتفى من البرحاء
حبذا الكعبة التى قد تبدت … وهى تزهو فى حلة سوداء
فصفا سترها مساء صباح … وبياض الثنـــا صباح مساء
قبل الخال لا أبا لك عشرا … يا أخا حبها بغير إبـــاء
واملإ الحجر باللآلى من … الدمع ونزهه عن عقيق الدماء
واشربن من شراب زمزم كاسا … دب منه السرور فى الأعضاء
فهى حقـاً طعام طعم لجوع … ولها للسقيم أى شفـــاء
فسقى المسجـد الحرام غمام … ورعى عشنا على البطحاء
كم حطمنا لدى الحطيم ذنوبا … كثرت عدها عن الإحصـاء
صاح قم طف للإله سبعـا … تحظ بالأجر والمنى والولاء
مر بالمروتين وارق لترقى … بجنان مراقى السعـــداء
واكحل العين عند مسعـاك … بالميل ففيه شفاء ذاك العماء
ثم قف خاضعاً على عرفات … علّ تعطى عوارف الإعطاء
وارمها فى منى إلى جمرات … جمرات اللظى بها فى انطفاء

وأنشدنا الإمام بدر الدين أحمد بن محمد المعروف بابن الصاحب رحمه الله إجازة لنفسه وأنشدنى بذلك قاضى القضاة

جمال الدين بن ظهيرة من لفظه عن ابن الصاحب هذا سماعاً قال من قصيدة نبوية :

على الأبطح المكى طيب سلامى ... وأزكى تحيات كمسك ختام
وسقيا له من أدمع بهوامع ... تجود بحفظ الود جود كرام
فذاك هو الحى الذى طاير المنى ... له فيه بالإطراب سجع حمام
إذا ذكروا فى الحى طيب حديثه ... خلعت على السمار ثوب منام
وإن ظفرت نفسى بلثم ترابه ... لبست بذاك اللثم خير لثام
منازل أفراحى وأنسى ولذتى ... وموسم أعيادى ودار هيام
إذا مر من بى نحوها نسمة الصبا ... وجدت لها بردا لحر أوامى
فتبعث فى الروح حتى أكاد أن ... أطير وقد قص الجناح سقامى
فلله عهد من معاهد إنه ... جديد ولو أبلى الممات عظامى
فهل لى إلى تلك المواطن عودة ... على رغم حسادى وأهل ملامى
وا كحل بالميل الأخيضر ناظرى ... بإثمد ركن البيت قبل حمام
وأنشد فى عيدى بقرب أحبتى ... ألا إن هذا اليوم فطر صيامى
أديروا أديروا ماء زمزم خالصاً ... فذا خير كاس فى ألذ مقام
ونادوا على رأسى بأبواب شاربى ... عبيد ذليل مثقل بأثام
عسى عطفة منكم عليه فإنه ... تعلق من إحسانكم بزمام

وقوله أيضا :

فى مكة الوقت قد صفالى ... بطيب جارها ودار
وخفض عيش • جوار ربى ... فذاك خفضى على الجوار

وقوله أيضا :

ليل الحمى كله من طيبه سحر ... أحلى من النوم فيه عندنا السهر
يستلقط البرد من أنفاسه خلسا ... يطفى بها نار أحشاء لها شرر
وتجتلى الكعبة الغراء فى خلع ... من الجمال على من فوقها الخفر
فغننى واسقنى من ماء زمزمها ... هذا هو العيش لا خمر ولا وتر

وقوله أيضا :

وليل ببطحاء الحمى قد قطعته ... وطائر أنسى فى الهوى قد ترنما
وطاف بكاسات الأمانى سرورنا ... فطيب عيش فى المقام وزمزما

وقوله أيضا :

بمكة قد طابت مجاورتى ... فيا إلٰهى فاجعلهامدىالعمر سرمدا
فأنت الذى أحللتنى ساحة الهوى ... وعودت قلبى عادة فتعودا

وقوله أيضا :

بمكة نلت الخير من كل جانب ... ودست على أمنية النفس بالنعل
فعن حرم الرحمن إن سرت قاصداً ... فلا كنت من نفسى الكريم فى حل

وقوله مضمنا :

مجاورتى بمكة نلت فيها ... أجل مناى من أقصى مرام
وما ظفر الفتى فى الدهر يوماً ... بأطيب من مجاورة الكرام

والأشعار فى التشوق إلى هذه المشاعر الشريفة كثيرة(١)، ونسأل الله تعالى أن يجعل أعيننا بدوام مشاهدتها قديرة.

***

وقد انتهى الغرض الذى أردنا جمعه فى هذا الكتاب ونسأل الله تعالى أن يجزل لنا فيه الثواب وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وآله وصحبه الأكرمين .

---

(١) ولبعض الشعراء فى عدد من بنى الكعبة المكرمة :

بنى الكعبة الغراء عشر ذكرتهم ... ورتبتهم حسب الذى أخبر الثقه
ملائكة الرحمن آدم وابنه ... كذاك خليل الله ثم العمالقه
وجرهم يتلوهم قصى قريشهم ... كذا ابن زبير ثم حجاج لاحقه

وزاد بعضهم حادى عشر فقال :

وخاتمهم من آل عثمان بدرهم ... مراد المعالى أسعد الله شارقه

وزاد الفقير محمد بن سليمان الكردى بناء القدرة لها قبل الملائكة فقال :

وواحدهم قد أهملوا وهو قدرة ... فثنتا عشر وهى فيهم فائقه
فعدهم البنا يريدون منه ما ... بنته الأيادى إذ بناؤه سابقه

« انتهى من خط العلامة محمد بن سليمان الكردى »

« خاتمة المؤلف للكتاب »

قال مؤلفه محمد بن أحمد بن على الحسنى الفاسى المكى المالكى ألهمه الله رشده وأنجح قصده : كنت ألفت هذا الكتاب على وجه أخصر من هذا ثم زدت فيه أموراً كثيرة مفيدة تكون نحوا من مقداره أولا وزدت فى أبوابه ستةعشر باباً لأنى استطلت الباب الأخير منه أولا وهوالباب الرابع والعشرون فجعلته سبعة عشر باباً فصارت أبوابه أربعين باباً ولم يخل باب منها من زيادة مفيدةوأصلحت فى كثير منها مواضع كثيرة ظهر لى أن غيرهاأصوب منها ، وذكرت فى بعض الأبواب ما كنت ذكرته فى غيره مع الإعراض عما ذكرته فى الباب الذى كان فيه لما رأيت فى ذلك من المناسبة ، وكان أكثر ما زدته فيه وما أصلحت فيه وما ذكرته فى بعض الأبواب معرضا عن ذكرى له فى غيره.. وجعلى للباب الأخيرمن التأليف الأول سبعة عشر باباً بعد خروج التأليف المختصر الأول من يدى إلى ديار مصر والمغرب و اليمن والهند ، ولأجل ذلك تعذر على أن أضع فيه ذلك وكان اختصارى للمختصر الأول فى آخر سنة إحدى عشرة وثمانمائة والزيادات فيه والإصلاح فى أوقات متفرقة من سنة اثنتى عشرةوثمانمائة ، وفى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة وفى سنة أربع عشرة وثمانمائة ، وفى سنة خمس عشرة وثمانمائة، وفى سنة ست عشرة وثمانمائة ، وما زدته فى سنة خمس عشرة وست عشرة أكثر مما زدته فيما قبلها بكثير، وفى سنة ست عشرة جعلت أبوابه أربعين باباً وزدت فيه فوائد كثيرة أيضا فى المحرم وصفر من سنة سبع عشرة وثمانمائة بمكة وزدت فيه فى شوال وذى القعدة من السنة المذكورة فوائد كثيرة بمرسى جزيرة كمران (١) وفيما بينها و بين باب المندب (٢) من البحر الملح ببلاد اليمن ، وزدت فيه فى بقية هذه السنة وفى سنة ثمان عشرة وفى سنة تسع عشرة فوائد كثيرة أيضا . وأنا حريص على أن ألحق فيه ما يناسب من المتجددات ومن الفوائد .

وأسأل الله تعالى تيسير ذلك وأظن أن الزيادة فيه تقل جداً لأن غالب ما زدته فيه أخذته من كتاب الفاكهى فإنى لم أظفر به إلا بعد ذلك ومن تاريخى المسمى بالعقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين لما فيه من أخبار ولاة مكة والحوادث التى ذكرتها فى الباب الذى فيه ذكر ولاة مكة فى الإسلام ، وقد أخذت من هذا الكتاب ومن كتاب الفاكهى ما يناسب أن يذكر فى هذا الكتاب .

ونسأل الله تعالى تيسير القصد والتوفيق فيه للصواب، إنه كريم وهاب .

وصلى الله على سيدنا محمد سيّد الأنام ورضى الله عن آله وأصحابه حماة الإسلام ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ..

إلى هنا انتهى كتاب الفاسى

---

(١) بالتحريك : جزيرة فى الجنوب الشرقى للبحر الأحمر مقابلة لموانئ تهامة .

(٢) هو المضيق الموصل بين البحر الأحمر والمحيط الهندى .

ملحقات

الملحق الأول

ولاة مكة بعد الفاسى : مؤلف «شفاء الغرام» (١)

قال العلامة المؤرخ ابن ظهيرة القرشى المخزومى المكى فى كتابه « الجامع اللطيف فى أخبار مكة المشرفة والبيت الشريف (٢) » ما تلخيصه :

واستمر السيد بركات بعد موت الفاسى المؤرخ على ولايه مكة إلى أثناء سنة خمس وأربعين وثمانمائة (٣) فعزل عن ذلك .

ثم وليها أخوه السيد على بن حسن وكان بالقاهرة فوصل مكة يوم السبت مستهل شعبان واستمر متوليا إلى رابع شوال سنة ست وأربعين وثمانمائة وقبض عليه وعلى أخيه السيد إبراهيم .

ثم وليها أخوه أبو القاسم بن حسن وقدم من مصر متوليا فدخل مكة فى يوم السبت السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ست وأربعين وثمانمائة واستمر متوليا إلى أوائل سنة خمسين فعزل .

ثم أعيد السيد بركات إلى ولاية مكة ودامت ولايته إلى أن مرض وتوعك بدنه، وذلك فى سنة تسع وخمسين (بتقديم التاء المثناة الفوقية) وثمانمائة فسأل نائب جدة الأمير جانى بك الظاهر بأن يرسل إلى السلطان يسأله ولاية عمرة مكة لولده السيد محمد عوضا عن أبيه فأجاب السلطان ذلك ، وقبل وصول الخبر توفى السيد بركات فى عصر يوم الاثنين تاسع عشر شعبان سنة تسع وخمسين بأرض خالد بوادى مر وحمل على أعناق الرجال إلى مكة ودفن بها فى صبح يوم الثلاثاء لعشرين من شعبان فلما كان عصر ذلك اليوم المذكور وصل قاصد من الديار المصرية بمرسوم للسيد محمد مؤرخا بسادس عشر رجب، ومضمونه ولاية مكة للسيد محمد عوضا عن والده حسب ماسأل نائب جدة، وكان السيد محمد خارجا عن مكة فدعى له على زمزم بعد المغرب من ليلة الأربعاء حادى عشر شعبان ، ثم وصل

---

(١) تذييل وتكميل من الناسخ الفقير الى الله ، الراجى من ربه بلوغ المراد، أبى الفيض وأبى الإسعاد، عبد الستار الصديقى الحنفى، ابن المرحوم الشيخ عبد الوهاب المبارك المكى البكرى .

(٢) هو القاضى ابن ظهيرة المخزومى المكى ، المؤرخ المتوفى عام ٩٥٠ هـ .

(٣) وذلك فى عهد برسباى الأشرف (٨٣٣ - ٨٤١ هـ) وابنه العزيز يوسف بن برسباى (٨٤١ - ٨٤٢ هـ) وجزء من عهد الملك الظاهر سيف الدين جقمق العلائى (٨٤٢ - ٨٥٧ هـ) وهم من الملوك الشراكسة فى مصر .

السيد محمد مكة ليلة الجمعة سابع رمضان فقرئ مرسومه فى صبحها ثم لما كان رابع شوال من السنة المذكورة وصل إلى السيد محمد كتاب من السلطنة بالعزاء فى والده وتوقيع باستمراره مؤرخا بشهر رمضان واستمر السيد محمد على ولاية مكة ودانت له البلاد وأطاعت له العباد لكونه أظهر العدل والإحسان والرأفة على الرعية والالتفات فى أمور المسلمين وعدم الغفلة عن ذلك فبسبب ذلك طالت مدته وحمدت سيرته وطابت سريرته فكانت مدة ولايته ثلاثا وأربعين سنة ونصفا إلا أربعة أيام مع مشاركة والده السيد بركات على عوائدهم، ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى فى الحادى والعشرين من محرم الحرام سنة ثلاث وتسعمائة بوادى الأبيار وحمل إلى مكة ووقف بها[1]

ثم وليها من بعده ولده السيد بركات بن محمد بركات من قبل الملك الناصر محمد بن قايتباى فى رابع شهر ربيع الآخرمن سنة ثلاث وتسعمائة واستمر على ولايتها إلى أن كان موسم سنة ست وتسعمائة .

ووليها أخوه السيد هزاع بن محمد بعد محاربة وقعت بينه و بين أخيه السابق السيد بركات بالموسم المذكور بمحل يقال له وادى الحجون[2] بمر الظهران وانهزم السيد بركات ودخل السيد هزاع مكة وحج بالناس سنة، ثم خرج منها بعد انقضاء الموسم إلى ينبع[3] خوفا من أخيه بركات لقلة عسكره، فعاد السيد بركات إلى مكة واستمر بها إلى جمادى الثانية سنة سبع بتقديم السين وتسعمائة فوصل السيد هزاع من ينبع بعسكر عظيم وتحارب هو وأخوه السيد بركات محاربة ثانية بمحل يقال له : طرف البرقا[4] فانهزم السيد بركات ، فوليها السيد هزاع ثانيا واستمر إلى خامس عشر من رجب ثم توفى إلى رحمة الله .

ثم عاد السيد بركات إلى مكة واستمرت الفتن والشرور بينه و بين أخيه السيد أحمد جازان وتحاربا مراراً، وكان ابتداء ذلك من أواخر ذى الحجة سنة سبع وتسعمائة إلى أن كان يوم السبت الخامس والعشرون من شوال سنة ثمان وتسعمائة فوصل السيد جازان بعسكر كبير من ينبع من بنى إبراهيم وغيرهم ووقع الحرب بينه و بين أخيه السيد بركات فانهزم السيد بركات .

ثم وليها السيد أحمد جازان ودخل مكة فى يوم السبت المذكور ونهب عسكره مكة وفعلوا أفعالاً قبيحة وانتهكوا

---

(١) فقد استمرت ولايتــه من عام ٨٥٩ هـ حتى عام ٩٠٣ هـ وعاصر عهد ملك مصر المنصور بن الظاهر جقمق (٨٥٧هـ) ، ثم الملك الأشرف أنيال العلائى (٨٥٧ – ٨٦٥ هـ) ، ثم ابنه الملك المؤيد أحمد بن أنيال (٨٦٥هـ) ، ثم الملك الناصر سيف الدين بن سعيد خوشقدم الناصرى (٨٦٥ – ٨٧٢ هـ) ثم الملك الظاهر الناصر يلباى المؤيدى (٨٧٢ هـ) ، ثم الملك الظاهر أبى سعيد تمربغا الظاهرى (٨٧٢هـ) ، ثم قايتباى (٨٧٢ – ٩٠١ هـ) ، ثم ابنه الناصر أبو السعادات (٩٠١ – ٩٠٤ هـ) .

(٢) المعرف أن الحجون بمكة ، أما مر الظهران فهى تبعد عن مكة لأنها بالمكان الذى يقال له الآن: (وادى فاطمة)

(٣) قد سبق التعريف بينبع (٤) البرقا : ماء معروف بمر الظهران .

حرمة البيت وجرى منهم على مكة وأهلها أمورا شنيعة ليس هـذا محل ذكرها ولا نحن بصددها ، واستمر السيد جازان بمكة إلى آخر ذى القعدة من السنة المذكورة فبلغه وصول التجريدة من قبل السلطان الغورى [1] بقيادة الأمير الكبير المعروف : بقتب الرجبى (بالجيم ثم الموحدة) بسبب مافعله السيد جازان من نحو مكة ونهب الحاج الشامى والمصرى فخرج من مكة هاربا ، وهذا الشريف أحمد جازان المذكور هو جد أشراف مكة .

ثم عاد إلى مكة السيد بركات فواجه أمير التجريدة وقبض عليه ثم حج وتوجه بعد ذلك إلى القاهرة من طريق ينبع فى أوائل سنة تسع وسبعمائة ثم عاد السيد جازان إلى مكة واستمر بها إلى يوم الجمعة عاشر رجب من السنة المذكورة فقتله الأتراك الشراكسة بالمطاف .

ثم وليهـا بعده أخوه السيد حميضة بن محمـد واستمر إلى أواخر محرم أو أوائل صفر من سنة عشر وتسعمائة فعزل .

ثم وليها أخوه السيد قايتباى بن محمد بإشارة أخيه السيد بركات وقد أمكنه الله بالفرار إلى مكة من مصر ولم يشعر به الغورى إلا بعد يومين فارسل خلفه فلم يلحقه واستمر قايتباى متوليا موافقا لأخيه بركات مستضيئا برأيه إلى أن توفى إلى رحمة الله يوم الأحد الحادى والعشرين من صفر عام ثمان عشرة وتسعمائة بأرض حسان بوادى مر ، فحمل إلى مكة فدفن بها ، وهذا الشريف قايتباى جد أشراف مكة .

ثم استولى السيد بركات بعد موته على مكة إلى شهر شعبان من هذه السنة بمفرده .

ثم أرسل السلطـان الغورى يطلب الشريف بركات إلى مصر ، فاعتذر ، وأرسل ولده الشريف محمـد أبا نمى بن بركات إلى الديار المصرية فوصلها [2] فقابل السلطان قانصوه فأكرمه وعظمه وأنعم عليه بإمرة مكة، ثم عاد إليها شريكا لأبيه وعمره يومئذ سبع سنوات و بضعة شهور [3] وكان وصوله إلى مكة فى أواخر ذى القعدة الحرام بين يدى الحاج من السنة المذكورة واستمر كذلك إلى أن كان عام ثلاث وعشرين وتسعمائة فاستولى السلطان سليم خان من آل عثمان على الديار الشامية والمصرية والحرمين الشريفين وجهز فأصدر إلى مكة [4] للسيد بركات وابنه السيد أبى نمى باستمرارهما فى إمرة مكة فتجهز حينئذ السيد أبو نمى، وسافر إلى القاهرة وقابل السلطان سليما [5] المذكور

---

(١) هو الملك الأشرف قانصوه الغورى ، ولى حكم مصر من عام ٩٠٦ هـ حتى ٩٢٢ هـ.

(٢) كان عمره آنذاك ١٢ عاما، على رواية القطبى (ص ٢١٤ من تاريخ القطبى) .

(٣) هذا غير معقول، والصحيح أن عمره كان ١٢ عاما، كما سبق أن ذكرناه عن القطبى. (٤) أى مرسوما .

(٥) تولى السلطان سليم حكم الدولة العثمانيـة من عام ٩١٨ حتى عام ٩٢٦ هـ وهو الذى فتح مصر ، ودانت له البلاد الخاضعة لحكم مصر ومنها الحجاز .

بمصرفأكرمه واحترمه وأقره هو ووالده على إمرة مكة ثم عاد إلى مكة واستمر شريكا لوالده إلى أن أذن الله بوفاة والده السيد بركات فى أثناء ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من ذى القعدة الحرام عام إحدى وثلاثين وتسعمائة[1] وله من العمر إحدى وسبعون سنة .

ثم ولى بها بعده السيد محمد أبو نمى بمفرده ولقب بنجم الدين ، ووصلت إليه الأحكام السلطانية السليمانية بولاية إمرة مكة فى أواخر عام اثنين وثلاثين وتسعمائة فاطمأنت به الخواطر وقرت به النواظر واستمر منفردا بالولاية إلى عام ست وأربعين وتسعمائة ـ ثم وليها ابنه السيد أحمد شريكا لوالده فى هذا العام بعد وصوله إلى الديار الرومية ومقابلته للإمام الأعظم والخاقان المكرم الملك المظفر السلطان سليمان خان فقوبل بالإكرام والرعاية والاحترام ، وعاد إلى مكة فى أول ربيع الأول عام سبع وأربعين وتسعمائة واستمر شريكا لوالده الشريف أبى نمى إلى عام خمسين وتسعمائة .

واستمر الشريف أحمد بن أبى نمى إلى رجب سنة إحدى وستين وتسعمائة شريكا لوالده ، وانتقل إلى رحمة الله ودفن بالمعلاة ، وهو الشريف أحمد وهو جد ذوى حراز وذوى قنديل من أشراف مكة والله أعلم .

ثم أقام الشريف أبو نمى ولده الثانى الشريف حسن وعرض ذلك على الأبواب السلطانية السليمانية ففوض إليه الأمر واستمر والده مشاركا له فى الدعاء إلى أن مات فى المحرم سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة بتقديم التاء فيهما ، فاستقل ولده الشريف حسن بالأمور ، وهذا الشريف حسن هو جد ذوى حسن من الأشراف .

ثم فى أوائل عام سنة تسع بعد الألف عرض الشريف حسن لأكبر أولاده أن يشاركه فى الأمر ، فوصل الأمر الشريف السلطانى فى آخر السنة المذكورة بأن يكون أول أولاده الشريف أبو طالب بن حسن مشاركا لوالده ودعى لهما واستمر مشاركا لوالده إلى أن قضى الله على والده الشريف حسن فتوفى فى ثالث جمادى الآخرة سنة عشر وألف فى محل يسمى فاعية ، بينه و بين مكة نحو سبعة أيام بالجمال ، وحمل إلى مكة ودفن بالمعلاة .

واستقل بالأمر الشريف أبو طالب المذكور استقلالا تاما إلى أن توفى فى العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتى عشرة وألف بمحل يقال له : العشبة بنواحى بيشة فغسل هناك وكفن وقصد به مكة ودفن بالمعلاة بعد الصلاة عليه حسب العادة، وهو يزار وينذر له النذور، وتحمى ساداتنا بنو حسن من التجأ إلى قبره ولا ينال من استجار به مكروه.

ثم اجتمع الأشراف جميعهم فاختاروا الشريف إدريس بن حسن بن أبى نمى أخا المذكور وصدروه فى جميع الأمور وأشركوا معه فى الدعاء الشريف محسن بن حسين بن حسن بن أبى نمى ، والشريف فهيد بن حسين وكتبوا

---

(١) وذلك فى خلافة السلطان سليمان القانونى (٩٢٦ - ٩٧٤ هـ) .

بذلك إلى أبواب السلطنة العثمانية إلى الروم ثم وصل المكتوب واستمروا كذلك إلى آخر شهر بيع الآخر من سنة تسع عشرة وألف فدخل الشريف محسن بن حسين بن حسن من اليمن بأمر من الشريف إدريس وقد كان الشريف محسن خرج إلى اليمن مغاضبا للشريف إدريس فى سنة خمس عشرة والف ، ثم أخرجوا الشريف فهيدا من الديار المكية ورفعوا يده عما كان يستلمه من غلة الاقطار الحجازية فذهب إلى الروم ومات سنة إحدى وعشرين وألف واستولى على ذلك كله الشريف إدريس ثم إنه جعل ما كان للشريف فهيد من الربع لا بن أخيه الشريف محسن بن حسين بن حسن واستمر كذلك إلى أن حصل التنافر بين الشريف محسن وعمه الشريف إدريس فعند ذلك اجتمع أهل الحل والعقد من بنى عمه فرفعوا الشريف إدريس وفوضوا الأمر إلى الشريف محسن فى يوم الخميس رابع محرم سنة أربع وثلاثين والف وحصل بسبب ذلك القتال ، وركب الشريف أحمد بن عبد المطلب بن حسن ومعه خيل ونادى فى البلاد منادأن البلاد للشريف محسن، فاستقل بالإمرة الشريف محسن المذكور فى اليوم السابق ذكره ثم خرج الشريف إدريس ليلة عيد المولد متوجها إلى الشريف مريضا فتوفى فى جمادى الأخرى من سنته ؛ ثم عرض على الأبواب السلطانية ما وقع فجاء التأييد فى رابع عشر رمضان من العام المذكور للشريف محسن .

ولم يزل الشريف محسن منفردا بمراده قامعا لأضداده آمنافى سربه عزيزا فى حزبه إلى أن دخلت سنة سبع وثلاثين وألف وحصل القتال فيما بينه و بين الشريف أحمد بن عبد المطلب بن حسن فدخل الشريف أحمد مكة وخرج الشريف محسن إلى اليمن بعد عزله فى يوم الأحد سابع عشر رمضان من السنة المذكورة واستمر هناك إلى أن توفى سادس رمضان المعظم بظاهر صنعاء اليمن سنة ألف وثمان وثلاثين وعمره أربع وخمسون سنة فحمل إلى صنعاء ودفن بها و بنى عليه قبة تزار .

واستمر الشريف أحمد متغلبا على مكة إلى أن قتله قانصوه أمير الحج المصرى فى سنة تسع بتقديم التاء وثلاثين وألف .

وولى الشريف مسعود بن إدريس إمرة مكة ونودى له فى البلاد واستمر الى أن توفى فى ثانى عشرين من ربيع الثانى سنة أربعين وألف ؛ فاتفق الأشراف على تولية عمه الشريف عبد الله بن حسن بن أبى نمى وإليه ينسب العبادلة جميعا وعرضوا ذلك على الأبواب السلطانية العثمانية فجاءت المراسم بتأييده وفى أيامه كان إتمام عمارة البيت المعظم فى أيام سلطنة الخاقان الأعظم السلطان مراد خان ، وهذه هى العمارة الموجودة إلى وقتنا هذا ، ثم فى يوم الجمعة غرة صفر سنة إحدى وأربعين وألف خلع نفسه تعففا وديانة وقلد امرة مكة لولده الشريف محمد بن عبد الله بن حسن وابن أخيه الشريف زيد بن محسن بن حسين بن حسن واليه ينسب أمراء

مكة ذوى زيد، وكان الشريف عبد الله قد أرسل إليه يطلبه من اليمن لكونه بقى هناك بعد وفاة والده الشريف محسن فوفد إليه فاشركه مع ولده الشريف محمد وتجرد حينئذ الشريف عبد الله عن إمرة مكة للعبادة إلا أنه كان يدعى له على المنبر معهما إلى أن توفى بالمنحنى فى بستان خاير بيك ليلة الجمعة عاشر جمادى الأخرى من السنة المذكورة أى سنة ١٠٤١ وصلى عليه ودفن بالمعلاة عند والده الشريف حسن .

وأعقب جملة من الذكور وهم محمد وأحمد وحمود وحسين وهاشم وثقبة وزامل ومبارك زين العابدين ، ولهؤلاء أعقاب معروفون بمكة واليمن والحجاز يقال لهم العبادلة — ثم استمر الاميران على ولاية مكة وجاءهما التأييد من السلطنة العثمانية المرادية ، ثم قتل الشريف محمد بن عبد الله فى وقعة الجلالبة وهى وقعة البغاة من جند قانصوه قدموا من اليمن فى سنته ووصلوا السعدية واقتتلوا بأسفل مكة عند فوز المكاسة فاستشهد الشريف محمد المذكور فى يوم الأربعاء خامس عشر من شعبان فوصلوا به مكة عصر ذلك اليوم وغسلوه ودفنوه بعد أن صلوا عليه .

ثم دخلت الاتراك مكة ومعهم الشريف نامى بن عبد المطلب بن حسن فنودى له بالبلاد بعد أن ولاه قانصوه وأشركوا معه الشريف عبد العزيز بن إدريس فى ربع مكة ولم يشركه فى الدعاء وخرج الشريف زيد إلى بدر وأرسل الشريف على بن هيازع إلى الأبواب السلطانية الشريفة يخبرها بوقعة الجلالبة ثم توجه هو إلى المدينة النبوية فجاءه هناك قفطانان ولبسهما فى حجرة جده صلى الله عليه وسلم وتوجه إلى ينبع فواجه العسكر وسار معهم إلى أن وصل الجوم و بلغ خبرهم إلى صاحب مكة الشريف نامى السابق فخرج هو وأخوه الشريف عبد العزيز لأربع من ذى الحجة من سنته وتوجهوا إلى تربة وتوجه الشريف عبد العزيز إلى ينبع وكان بمكة الشريف أحمد ابن قتادة بن ثقبة بن مهنا فنادى فى البلاد للسلطان وأرسل للشريف زيد وأخبره بخلو البلاد ؛ ففى سنته من ذى الحجة دخل الشريف زيد مكة ومعه الصناجق الأربعة المرسلة من السلطنة والعسكر ونزل بدار السعادة فنودى له فى البلاد وحج بالناس فى سنته ثم بعد قضاء المناسك توجه إلى تربة لمحاصرة المذكورين فحاصرهم وهجم بالعسكر على الحصن ودخلوه فى سنة اثنتين وأربعين والف ليلة الجمعة حادى عشر من محرم،وأمسكوا الشريف نامى وأخاه ثم رجعوا إلى مكة واستفتوا العلماء بقتلهما فافتوا بذلك فشنقوا يوم الخميس ثانى عشر من محرم وكان مدة الشريف نامى على عدد حروف اسمه مائة يوم، و بقى زيد حاكما على مكة إلى أن توفى يوم الثلاثاء فى صبحه ثامن محرم أو ثالثه سنة سبع وسبعين وألف ومدته خمس وثلاثون سنة وكانت ولادته بعد مضى درجتين من شروق شمس يوم الاثنين سبع عشرة شعبان من سنة تسع عشرة وألف ببلدة بيشة وكان رديفه الشريف حمود بن عبد الله ابن حسن جد الحمودية من العبادلة فكان يرى أنه الأحق بولاية مكة فاستحسن عمار افندى سنجق جدة وشيخ الحرم المكى تولية الشريف سعد بن زيد المذكور وحصلت هناك رجة شديدة لمنازعة الشريف

حمود وكان يطلبها لنفسه وكان له أتباع نحو أربعمائة من بنى عمه وعبيده وغيرهم وللشريف سعد المذكور أضعاف ذلك وتأخر تأمير الشريف سعد بن زيد بسبب المنازعة المذكورة إلى بعد الزوال وكان إذ ذاك بمكة المشرفة جماعة من أكابر الأتراك والأروام فاتفق رأيهم على تولية الشريف سعد المذكور فذهبوا لبيته ، وخلعوا عليه وهنوه وعزوه فى والده على أنهم يرسلون إلى السلطان محمد خان فى ذلك ثم إنه جلس للتهنئة ، وأرسل إلى حاكم الطائف ، وكان إذ ذاك بمكة وأمره أن يطلع إلى الطائف من ليلته وكان أهلها فى شدة عظيمة فحصل لهم السرور واطمأنوا بقدومه .

وأما ما كان من طرق الحجاز فقد وقع فيها النهب واشتد الخوف فيها فلما كان يوم الخميس حصل بمكة اضطراب كبير من مشاجرة وقعت بين الشريف سعد والشريف حمود، ووقع بينهم رمى البندق ومع ذلك لم يحصل فيهم ضرر والحمد لله ، ووقع لذلك اضطراب بالطائف حتى إن الخطيب امتنع من الخطبة بها لشهرة ذلك عندهم وتخيل عدم صحة التولية وان ذلك ناشىء عنه وقد وقع بين بعض القبائل قتال ولم يزل الناس بعد ذلك فى قيل وقال إلى اليوم الثالث عشر من توليته فوقع الاتفاق بينهم وزينوا لذلك مكة حسب عادتهم ثلاث ليالى واطمأنت القلوب وراقت الأفكار ودام السرور وزالت الأحزان ، والناس مستبشرون بتوليته غير أنه لم تأته الخلعة السلطانية إلا بعد مضى ستة أشهر وهذه هى الولاية الأولى له فلما أهل شهر رجب وقع فى رابعه بين جماعة الشريف سعد وجماعة الشريف حمود النزاع مرة أخرى واشتد الأمر وتجمعت القبائل والعساكر وتراموا بالبندق ومات نحو أربعة رجال اثنان منهم خطأ ودام ذلك بينهم ليلتين ويوما وبعض يوم ثم وقع الصلح ونودى بالأمن والحمد لله إلى صبيحة اليوم السادس والعشرين من رجب فجاء التأييد والخلع السلطانية بإمارة مكة للشريف سعد المذكور فحصل بها غاية السرور ونودى بالزينة سبع ليال وأعطى عسكره فى ذلك اليوم ألفى دينار وخلع على كثير من خدامه واستمر الأمن إلى شهر ذى القعدة فحصل أيضا بين الشريف سعد والشريف حمود تنافر وكلام من جهة المعلوم وخرج لذلك من مكة فلما كان الثالث والعشرون من الشهر المذكور أرسل خدامه إلى الطرقات ينتهبون ما يجدون فبالغوا فى ذلك وجمعوا أموالا كثيرة من القوافل وغيرهم حتى إنهم أخذوا فرساً لبعض خدام الشريف وأرسل لهم عند ذلك عسكراً فلم يجدوهم واستمر أمرهم كذلك إلى زمن الحج فلم يقع منهم أذية للحجاج غير أن أهل مكة وقراها والعرب لم يحج منهم إلا القليل ،وبعد انقضاء الحج طلبوه للصلح وحضر القاضى فلم يقع الصلح وذكر أنه متوجه إلى مصر وخرج مع الأمير المصرى إلى بدر فتخلف فيها ثم انتقل إلى ينبع ووقع لبعض أولاد الشريف زيد تنافر مع أخيهم الشريف سعد والتحقوا بالسيد حمود وفعلوا مثل فعله من النهب وغيره وجهز الشريف إليهم فلم يظفر بهم بل ببعض أموالهم ووقع من الشريف حمود أمور مشتهرة قيدها غير واحد من المؤرخين .

وفى هذه المدة تكاثرت الفتن والغلاء والسرقة والحرائق وسقوط النجوم وظهر عمود فى السماء لم يظهر مثله وكثر الفناء والمرض وكسفت الشمس وقد كان توجه الشريف سعد إلى ينبع مع الحج المصرى وخلف أخاه الشريف أحمد بن زيد على مكة فأقامه الله سبحانه وتعالى أحسن قيام ووجد الطعام ثم توجه هو إلى نواحى المبعوث وأقام مقامه الشريف بشير بن سليمان فى صفر من سنة ألف وتسع وسبعين ، انتهى ماوجدته مذيلا على نسخة المؤرخ العلامة ابن ظهيرة الموجودة بمصر بالأزهر الأنور برواق الأروام بخط كاتب ذلك التاريخ ، وتم نسخ النسخة المذكورة فى يوم الأحد الحادى عشر من ذى القعدة الحرام من سنة الف ومائة وتسع وثلاثين من هجرته صلى الله عليه وسلم .

ثم رجع الشريف سعد إلى مكة فى يوم الثلاثاء ثانى عشر ذى القعدة من ينبع واستمر إلى سنة ثلاث وثمانين وألف وكان فى هذه السنة أمير الحج حسين باشا فحصل التنافر فى يوم الحادى عشر من ذى الحجة بمنى بين الشريف سعد و بين الباشا ، وكان فى ذلك اليوم ترد الخلع السلطانية والمرسوم المتضمن بقاء الولاية والوصاية على الرعية والحجاج وتأخر أمين الصرة بذلك عن وقته المعهود وتعدى الحدود، فحينئذ أرسل الشريف سعد فى طلبه فوجده عند الباشا المذكور و بعثوا يطلبونه من عندهم ليلبسه وكان مرادهم اقتناصه من أبناء جنسه فأرسل يعرفهم أن القواعد جرت بأن يأتيهم به اليه فمنعوه وشحوا به عليه فعلم الشريف القضية وأيقن أنه لا بد من القتال فترك ذلك حرمة للزمان والمكان وراى أن القتال فى هذا الشهر الشريف مما يضر بأهل التعريف وارتحل هو وأخوه الشريف أحمد ليلة الاثنين الثالث عشر من ذى الحجة المذكور إلى الطائف ثم إلى تربة ثم إلى بيشة ثم سار منها إلى بلاد عديدة إلى أن اجتمعا ووصل الديار الرومية وقابل الدولة العلية و بقيا هناك فلما أصبح الناس يوم الثانى عشر منه شاع بين الناس ارتحال الشريف سعد وأخيه أحمد فاجتمع حسين باشا وأمين الصرة فى بيت الشيخ محمد بن سليمان بمنى واستدعوا جماعة من الأشراف منهم الشريف بركات بن محمد بن ابراهيم بن بركات بن أبى نمى فاظهر الباشا أمرا سلطانيا بتولية المذكور فألبسوه خلعة الولاية ثم إنه نزل من منى فى موكب عظيم إلى مكة وجلس كهيئته فى دار أبيه المعروفة به واستمر فى ولاية مكة عشر سنين وعدة أيام إلى أن توفى ليلة الخميس فى التاسع والعشرين من ربيع الثانى سنة ثلاث وتسعين وألف ، ودفن بجوار الشيخ الذنبى بوصاية منه، وقد ترجمه العلامة المحبى فى تاريخه « خلاصة الأثر » .

فولى مكة بعده ابنه الشريف سعيد بن بركات وألبسه قاضى مكة خلعة الاستمرار بموجب الأمر السلطانى الذى بيده المتضمن كونه ولى عهد أبيه بعده يوم وفاة أبيه ولم ينازعه أحد فى ذلك ثم ورد التأييد السلطانى بذلك أيضا و بقى إلى سنة خمس وتسعين وألف .

فولى بعده السلطان إمارة مكة للشريف أحمد بن زيد من الأستانة لكونه كان موجودا هناك وسافر إليها كما تقدم مع أخيه الشريف سعد ثم دخل هو مكة فى سابع ذى الحجة من سنة خمس وتسعين وألف وتوجه الشريف

سعيد بن بركات إلى مصر وتوفى بها واستمر الشريف أحمد إلى سنة تسع وتسعين (بتقديم التاء فيهما) وألف وتوفى يوم الخميس ثانى عشر جمادى الأولى من العام المذكور .

فولى مكة الشريف سعيد بن سعد بن زيد وهى الأولى من إمارته .

حتى ورد الشريف أحمد بن غالب مكة ومعه أمر سلطانى بإمارة مكة له فى ثانى شوال من السنة المذكورة وجلس للتهنئة وحصل التنافر بينه و بين الأشراف فنودى بالطائف وحده للشريف محسن بن حسين بن زيد فدخل مكة وخرج الشريف أحمد بن غالب بعد عشرين يوما منها ، وجلس للتهنئة يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من رجب سنة ألف ومائة وواحد وجاءه التأييد السلطانى فبقى مدة حتى صار الاختلاف فيما بين الأشراف فى سنة ثلاث بعد المائة والألف إلى أن نزل عن ولاية مكة للشريف مساعد بن سعد جد ذوى مساعد من آل زيد .

ونزل هو للشريف سعيد بن سعد السابق جد ذوى سعيد بن ذوى زيد بحضرة القاضى فسجل ذلك و بعث القاضى الشريف سعيد قفطانا من السلطان فلبسه وجلس للتهنئة يوم الأحد سابع محرم سنة ثلاث ومائة وألف، وهذه هى الولاية الثانية للشريف سعيد ثم أرسلوا الخبر إلى أبواب السلطنة بذلك فولت والده الشريف سعد ذلك ، وهذه هى الولاية الثانية له وكان حينئذ عندهم كما تقدم ولم تزل الأخبار تتوارد بمجيء الشريف سعد أن دخل مكة مع الحج فى ذى الحجة من العام وجلس فى داره للتهنئة ثم بعد مدة فى أواخر سنة خمس ومائة وألف عزل عنها لمنافرة حصلت بينه و بين محمد باشا صاحب جدة .

فولى إمارة مكة الشريف عبد الله بن هاشم بن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبى نمى وخرج الشريف سعد إلى القنفذة .

ثم رجع الشريف أحمد بن غالب مكة وواجه أميرها الشريف عبد الله بن هاشم السابق ثم وصل الخبر إلى الشريف بالقنفذة ، وورد مكة فحصل القتال بينه و بين جماعة الشريف عبد الله بن هاشم الأمير والشريف أحمد ابن غالب .

فغلب الشريف أسعد على مكة ودخلهاوارتحل الشريف عبد الله والشريف أحمدإلى الركانى فاجتمع الأشراف وقالوا إن الفتنة لا تسكن إلا إذا نودى فى البلاد للشريف سعد فحينئذ تم الأمر له وجلس فى داره للتهنئة وكانت مدة تولية الشريف عبدالله أربعة أشهر، وهذه هى الولاية الثالثة للشريف سعد ، ثم وصل الخبر بذلك إلى الأبواب الخاقانية والسلطنة العثمانية فأرسل حينئذ السلطان مصطفى خان التأييد للشريف سعد .

و إلى هنا تم تاريخ العلامة المؤرخ السنجارى [١] المسمى [١] «منايح الكرم فى أخبار مكة وولاة الحرم» .

(١) هو السنجارى المكى المؤرخ المتوفى عام ١١٢٥ هـ .

واستمر الشريف سعد في ولايته هذه مطمئنا إلى سنة ثلاث عشرة ومائة وألف فاستحسن أن يعرض للدولة إقامة ولده الشريف سعيد مقامه فى ولاية مكة وينزل عنها فأجيب إلى ذلك وهذه هى الولاية الثالثة للشريف سعيد السابق ذكره، وبقى فيها إلى أن حصل التنافر فيما بينه وبين الأشراف وامتدت الولاية إلى سنة ست عشرة ومائة وحصل بينهما القتال إلى أن خرج الشريف سعيد بعد المغرب من أعلى مكة فى ليلة الحادى والعشرين من شهر ربيع الأول من العام المذكور.

ثم دخلت الأشراف مكة ورئيسهم الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد فنودى فى البلاد له بحكم سليمان باشا بعد عزل الشريف سعيد فجلس فى دار السعادة للتهنئة وبقى تسعة أيام.

ثم نزل عنها للشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى بن حمزه بن معاس بن بركات بن أبى نمى جد ذوى عبد الكريم من آل بركات، فقبلها برضاء الأشراف جميعا وجلس فى داره للتهنئة وهذه هى الولاية الأولى له.

ثم وقع فيما بين قائم مقام الشريف عبد الكريم بمكة وبين الشريف سعد النزاع وحصل القتال فيما بينهما فغلب عليه فنودى فى البلاد للشريف سعد المذكور سادس شوال من سنة ست عشرة ومائة وألف، وكان أمير مكة إذ ذاك غائبا باليمن ودخل الشريف سعد مكة وأرسل له الباشا قفطانا، وهذه هى الولاية الرابعة للشريف سعد ابن زيد وأقام فيها ثمانية عشر يوما، وسببه أن الشريف عبد الكريم ورد الحسينية [1] قافلا من اليمن ومعه بنو عمه وقبائل عتبة وحرب وقاتل الشريف سعدا إلى أن انهزم فدخل الشريف عبد الكريم مكة وفى صحبته الشريف عبد المحسن، ونودى فى شوارع مكة للشريف عبد الكريم وهذه هى الولاية الثانية له واطمأنت البلاد وخرج الشريف سعد إلى العابدية وتوفى هناك يوم الأحد خامس ذى القعدة من سنة ست عشرة ومائة وألف، ودفن بقبة الشريف أبى طالب عند قبر والده الشريف زيد.

ثم ورد الأمر الشاهانى بتولية الشريف سعيد بن سعد من الدولة العلية فدخل مكة بعده فى اليوم السابع من ذى الحجة ونودى له فى البلاد، وهذه هى الولاية الرابعة للشريف سعد فحج من سنته وذهبت القوافل حسب عادته وأهل محرم سنة سبع عشرة ومائة وألف.

ثم كان يوم الاثنين ثامن عشر من رجب وردمكة خبر أغا السلطان وصحبته الأمر السلطانى بولاية مكة للشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى السابق ثم وصل الآغا جدة ونودى له بها فلما كان يوم الثلاثاء سادس شعبان دخل الشريف عبد الكريم مكة، وهذه هى الولاية الثالثة له وجلس للتهنئة فى داره وبقى إلى سنة ثلاث وعشرين ومائة ألف.

---

(١) الحسينية: مزرعة معروفة بأسفل مكة. وهى للأشراف من ذوى زيد.

وفى يوم الثلاثاء السابع والعشرين من رجب أو شوال من السنة المذكورة وردت الأخبار من المدينة النبوية بأن السلطنة أمرت بتوجيه ولاية مكة للشريف سعيد وورد إليهم صورة الأمر الوارد فدخل الشريف سعيد ثامن عشر من ذى القعدة ونودى له فى البلاد وجلس للتهنئة ، وهذه هى الولاية الخامسة للشريف سعيد المذكور واستمر فيها إلى أن توفى فى الحادى والعشرين من المحرم سنة تسع وعشرين ومائة وألف .

ثم تولى بعده ولده الشريف عبد الله بن سعيد و بقى إلى سنة ثلاثين ومائة والف فى ست وعشرين من جمادى الأولى وطلب الشريف على بن سعيد فأعطاه ولاية مكة وكتبوا إلى الدولة باستحسان ذلك فجاءته المراسيم السلطانية فى شوال من سنته ثم عند ورود باشة المحمل طلبت الأشراف أن يولوا الشريف يحيى بن بركات و يعزلوا الشريف الحالى فوافقهم على ذلك فألبس الباشا الشريف يحيى بن بركات خلعة الولاية وهذه هى الولاية الأولى له وذلك فى اليوم السادس من ذى الحجة من سنة ثلاثين ومائة والف ودخل مكة وخرج الشريف على بن سعيد منها واستمر الشريف يحيى إلى أن عزل عنها بالشريف مبارك بن أحمد بن زيد من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف، فدخل مكة بعد القتال مع الشريف يحيى ونودى للشريف مبارك فى شوارع مكة وجلس للتهنئة وهذه هى الولاية الأولى للشريف مبارك ولم يزل فى إمارة مكة إلى ست من ذى الحجة من سنة أربع وثلاثين ومائة وألف فانتزعها منه الشريف يحيى ابن بركات السابق ذكره بولاية من السلطنة الشريفة ، وكان قد توجه هذا الشريف إلى دار السلطنة حتى اجتمع بالسلطان أحمد خان بن محمد بن إبراهيم خان العثمانى فولاه ذلك وأرسله مع أمير المحمل الشامى هو ووالى جدة أيضاً فدخلوا مكة فى ست من ذى الحجة ونودى له فى البلاد وهذه هى الولاية الثانية للشريف يحيى بن بركات وجلس فى دار والده للتهنئة ولم يزل إلى أن نزل لولده الشريف بركات فى ذى الحجة فى سبع وعشرين منه من سنة خمس وثلاثين ومائة وألف ثم حصل القتال فيما بينه و بين الشريف مبارك بن أحمد بن زيد المار ذكره فى ثانى عشر من المحرم الحرام من سنة ست وثلاثين ومائة وألف فانهزم الشريف بركات بن يحيى بن بركات ودخل مكة الشريف مبارك بن أحمد ونودى له وعم الأمن من كل الجهات وهذه هى الولاية الثانية له .

فلما كان خامس عشر جمادى الآخرة عزل عنها وتولى بأمر السلطان الشريف عبد الله بن سعيد ولاية مكة وهذه هى الولاية الثانية له وكان ذلك فى التاريخ المذكور ثم بقى إلى أن توفى خامس عشر ذى القعدة من سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، فتولى، ولده محمد ذلك بعد أن نودى له ودعى من اليمن وكان حين وفاة والده بها فوصل مكة فى تسع وعشرين من ذى القعدة الحرام من العام المذكور وألبس الخلعة ونودى له فى البلاد وعلى المنبر دعى له وكان عمره عشرين سنة واستمر إلى أن حصل النزاع والقتال فيما بينه و بين الشريف مسعود بن سعيد عمه إلى أن انهزم الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد فدخل الشريف مسعود مكة فى سابع جمادى الأولى من سنة خمس

وأربعين ومائة وألف ونودى له فى شوارع مكة وهذه هى الولاية الأولى للشريف مسعود ثم ارتحل الشريف محمد ابن عبدالله بن سعيد اليمنى ثم رجع إلى الطائف فارتحل إليه الأمير الشريف مسعود وحصل القتال فيما بينهما فانهزم الشريف مسعود واستقل الشريف محمد بن عبد الله بكرسى الولاية وتوجه إلى مكة وهذه هى الولاية الثانية له فى السنة المذكورة، و بقى إلى أن أقبل الشريف مسعود بن سعيد مكة بجماعة معه فتقاتلا صبح اليوم السابع من رمضان من سنة ست وأربعين ومائة وألف فانهزم الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد ودخل الشريف مسعود عمه مكة ونزل فى داره وجلس للتهنئة وهذه هى الولاية الثانية للشريف مسعود كما رأيت ذلك بخط العلامة المؤرخ عبد الرحمن ابن عبد الكريم الأنصارى المدنى فى هامش تاريخ ابن ظهيرة المسمى « بالجامع اللطيف فى أخبار مكة المشرفة وولاتها والبيت الشريف » ، واستمر الناس فى ولايته مطمئنين فتوفى فى يوم الجمعة الثانى من ربيع الثانى من سنة خمس وستين ومائة وألف .

وتولى بعده الشريف مساعد بن سعيد ونودى له فى البلاد وعرفوا بذلك الدولة العليـة فجاءه التأييد فى ست وعشرين من شعبان وألبس الخلعة بالحطيم كما رأيت بخط بعض الأماثل المعاصرين للشريف المذكور .

ثم استمر وانقادت له الأمور إلى سنة إحدى وسبعين ومائة وألف فحصل التنافر بينه و بين الأشراف فبسببه قبض على الأمير الشريف مساعد المذكور ، وتولى أخوه الشريف جعفر بن سعيد إمارة مكة وألبس القفطان فى السنة المذكورة .

ثم بعد توجه الحجاج والقوافل نزل الشريف جعفر بالإمارة لأخيه الشريف مساعد المذكور وذلك فى اليوم الرابع عشر من المحرم الحرام من سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف و بقى هو فى ذلك إلا أن توفى يوم الأربعاء لثلاث بقين من شهر المحرم الحرام من سنـة أربع وثمانين ومائة وألف.. فبعد وفاته ولى إمارة مكة أخوه الشريف عبد الله بن سعيد .

فألبسه قاضى الشرع الشريف ونودى له فى البلاد ثم نزل عنها لأخيه الشريف أحمد بن سعيد و بقى أياما ثم فى يوم الجمعة الثامن عشر من ربيع الأول من العام المذكور وصل مكة أبو الذهب محمد بيك من مصر فعزل الشريف أحمد بن سعيد وجلس على كرسى الولاية والإمارة الشريف عبد الله بن حسين بن يحيى بن بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات ابن أبى ، نمى وحسين والد هذا الأمير ينسب إليه ذوو حسين من الأشراف وسكن بدار آبائه المسماة بدار الهنا بباب الوداع ونودى باسمه فى البلاد ، وتوجه الشريف أحمد بن سعيد السابق إلى اليمن ثم جاء إلى مكة لأخذ الثار من الشريف عبد الله بن حسين السابق الأمير ومعه من العربان جمع غفير فحصل بينهما القتال فانهزم الشريف عبد الله بن حسين ودخل مكة الشريف أحمد بن سعيد فى الثانى عشر من جمادى الثانية من السنة

المذكورة سنة ١١٨٤هـ أربع وثمانين ومائة وألف، و بقى إلى أن حصل النزاع فيما بين الشريف أحمد بن سعيد الأمير و بين ابن أخيه الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن مسعد بن زيد يوم السبت ثلاثة عشر من ذى القعدة من سنة ١١٨٦هـ ست وثمانين ومائة وألف وأدى إلى القتال فانهزم الشريف أحمد ودخل مكة المشرفة الشريف سرور بن مساعد يوم السبت ثالث عشر من ذى القعدة من السنة المذكورة ونودى له فى شوارع مكة وامنت البلاد ثم حصل القتال الشديد مراراً وفى كل مكان انهزم عمه الشريف أحمد وفى الوقعة الخامسة عشر من جمادى الأولى من سنة ١١٩٣هـ ثلاث وتسعين ومائة وألف قبض الشريف سرور على عمه وعلى ولديه وأمر بحبسهم بينبع ثم نقلوا إلى جدة وما زالوابها حتى توفى أحد ولديه، ثم توفى الشريف أحمد بن سعيد فى السجن أيضا فى عشرين من ربيع الثانى من سنة ١١٩٥هـ خمس وتسعين ومائة وألف وأطلق حينئذ ابنه الأحسن وجاء جد كاتب النسخة وجاء مع التذييل الشيخ حبيب الله لأجل أداء فريضة الحج من بلاد الهند فى سنة ١٢٠٠ هـ مائتين وألف، ثم بعد فراغه من الزيارة النبوية عاد إلى بلده دهلى بالهند وعاش ممتعا بحواسه بين أقرانه إلى أن توفى سنة ١٢٤٥ هـ خمس وأربعين ومائتين وألف .

وخلف عمى الشيخ عبد النبى ووالد الشيخ عبد الوهاب وعمر الأول أربعون سنة ووالدى إذ ذاك ينيف عمره على عشر سنين والله أعلم .

ولم يزل الشريف سرور فى إمارة مكة إلى سنة اثنتين بعد المائتين والألف حتى توفى فى اليوم الثامن عشر من شهر ربيع الثانى من العام المذكور .

وتولى إمارة مكة أخوه الشريف عبد المعين بن مساعد ونودى له بذلك و بقى أياماً ثم نزل عنها لأخيه الشريف غالب بن مساعد بن سعيد بن مسعد بن زيد جدى ذوى غالب وجاءته الخلعة السلطانية فى التاسع والعشرين من ذى القعدة من العام المذكور وقد حصل فى أيامه فتنة الوهابية المنسوبين إلى محمد بن عبد الوهاب النجدى ودام القتال معه مدة المواسم، ذكرها شيخنا العلامة المرحوم برحمة الملك المنان السيد أحمد بن زينى بن دحلان فى تاريخه «خلاصة الكلام فى تاريخ أمراء بلد الله الحرام» ، ثم صفا الوقت والزمان للشريف غالب المذكور إلى أن وصل محمد على باشا جد العائلة الخديوية بمصر مكة المشرفة . واحتفل به الشريف غالب احتفالا تاما غير أن الباشا المذكور كان مأموراً من طرف الدولة العثمانية بالقبض على الشريف غالب الأمير وارساله إلى الآستانة العلية فصار متحيّراً فى هذا الأمر لتحفظ الشريف غالب أمير مكة على نفسه ، حتى تشاور مع الشيخ أحمد تركى فى ذلك الأمر ، فدبر له تدبيراً حسنا، حتى تم له الأمر فى أواخر ذى القعدة الحرام من سنة ١٢٢٨ هـ ثمان وعشرين ومائتين وألف ، وقد صار الاستحسان بأن تكون إمارة مكة لابن أخيه الشريف يحيى بن سرور بن مساعد ؛ فطلبوه فمضي فألبسه محمد على باشا فروا سمورا وأركبوه فى هيئة على فرس وأوصلوه إلى داره بقرب باب الوداع فجلس

للتهنئة ؛ ثم إن الشريف غالب أنزل إلى جدة وتوجه به إلى الآستانة ، ثم أرسل إلى سلانيك ونفى بها إلى أن توفى فى سنة ١٢٣٥هـ خمس وثلاثين ومائتين وألف وقبره بها يزار .

واستمرت الإمارة للشريف يحيى مدة أعوام إلى أن دخلت سنة ١٢٤٠هـ أربعين ومائتين وألف ، وفى ليلة الثانى من شعبان من العام المذكور صار قتل الشريف ، وفى عام ١٢٤٢هـ حصل نزاع بين الشريف يحيى والأمير التركى أحمد باشا وخصوم الشريف من الحجازيين ، وحصل بين الفريقين ما حصل إلى أن تم الأمر على أن يتوجه الأمير الشريف يحيى إلى مصر ؛ حينئذ تأهب للسفر ، فلما خرج ووصل بدراً صام رمضان فجاءته مشايخ حرب وهم عربان سكنوا بين الحرمين فوعدوه بالإعانة ، ومكث هناك إلى تمام السنة فهلت سنة ثلاث وأربعين ومائتين فأخذ فى الشروع فى جمع القبائل ؛ فوصل الخبر إلى مكة بذلك ، وكان أحمد باشا قد أنهى الأمر إلى مصر لدولة محمد على باشا فأبطأ عليه فى الجواب فاستحسن أن يولى مكة أحداً من الأشراف صورة ؛ فوليها الشريف عبد المطلب بن غالب ليجمع جموعا يقابل بها الشريف يحيى المذكور وذلك فى أثناء سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف وهذه هى الولاية الأولى للشريف عبد المطلب المذكور ؛ وحينئذ نودى باسمه فى البلاد . وبعد دخول سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف جاءت البشائر من مصر بأن محمد على باشا استحسن أن تكون الإمارة للشريف محمد بن عبد المعين بن عوف بن حسين بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبى نمى ، وكان إذ ذاك بمصر وهو جد أمراء مكة فى عصرنا هذا ذوى عون .

وأما الشريف يحيى فذهب من بلاد الحرمين إلى المدينة المنورة وزار قبر جده صلى الله عليه وسلم وتوجه بعد حين إلى مصر فوصلها واجتمع بالشريف محمد بن عبد المعين بن عون المتولى المذكور و بقى هناك إلى أن توفى بها .

ثم أرسل محمد على باشا صاحب مصر الشريف محمدا المذكور مع جموع وعسكر عظيم إلى مكة فوصل جدة ؛ ثم فى اليوم الثانى من جمادى الأولى من العام المذكور أى عام ثلاث وأربعين ومائتين وألف فدخل مكة بدون قتال لتوجه الشريف عبد المطلب بن غالب إلى الطائف ، وجلس الشريف محمد بن عبد المعين بن عون فى اليوم المذكور فى دار الشريف يحيى بن سرور عند باب الوداع للتهنئة ؛ ثم توجه إلى الطائف لقتال الشريف عبد المطلب فلم يقع ذلك ، وحصل الصلح وكان ذلك فى شهر رجب الحرام من السنة المذكورة ، وتوجه الشريف عبد المطلب ابن غالب ومعه أخوه الشريف ابن غالب إلى الآستانة براً فوصلها وتولى ثانياً كما سيأتى إن شاء الله ، ثم استقامت للشريف محمد بن عبد المعين الأمير الأمور على أحسن منوال وانتظمت أحكامه بلا معارض على أتم نظام .

وفى سنة خمس وستين ومائتين وألف توفى بمصر محمد على باشا ، ثم استمر الحال مطمئناً للشريف محمد بن عبد المعين بن عون إلى أن دخلت سنة سبع وستين ومائتين وألف ونزل من الطائف وفى صحبته ولده الشريف عبد الله والشريف على لحضروا عند عبد العزيز باشا الشهير بأنه باشا وكان ذلك فى رجب من العام المذكور ، فأبرزا أمرا مضمونه حضورهما مع والدهما إلى الآستانة دار السلطنة فتوجهوا وأقاموا حينئذ الشريف المنصور بن يحيى بن سرور

وكيلا قائم مقام أمير مكة ، ثم وجهت الدولة الإمارة للشريف عبد المطلب بن غالب فى رمضان من السنة المذكورة وكان إذ ذاك بالآستانة عندهم وهذه هى الولاية الثانية له ، ثم وصل مكة فى ذى القعدة من العام المذكور وجلس فى داره بالقرارة للتهنئة وبقى إلى سنة اثنتين وسبعين ومائتين وألف فعزل وتوجه إلى دار السلطنة فى شوال من سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف .

فولت الدولة العلية إمارة مكة للشريف محمد بن عبد المعين بن عون وكان إذ ذاك بالآستانة كما تقدم ، فهذه هى الولاية الثانية له وجاء الخبر بوصوله إلى جدة فى ثانى شعبان ومعه ابنه الشريف على باشا فقط ، ثم بعد يومين وصلا مكة وجلس الشريف محمد بن المعين بن عون للتهنئة فى داره العامرة بسوق الليل ، وبقى فيها إلى سنة أربع وسبعين ومائتين وألف وتوفى فى الثالث عشر من شعبان المبارك من العام المذكور ، ودفن بقبة السيدة آمنة والدة النبى صلى الله عليه وسلم بالمعلاة .

فلما بلغ الخبر إلى السلطنة بوفاته وجهت الدولة إمارة مكة إلى ابنه الشريف عبد الله باشا فى رمضان وكان إذ ذاك بالآستانة ،وتركه والده كما تقدم وأقيم مقامه أخوه الشريف على باشا بن محمد بن عبد المعين بن العون بمكة إلى حين مجيئه ثم توجه الشريف عبد الله المتولى بعد قضاء حوائجه فى ربيع الأول من سنة خمس وسبعين ومائتين وألف من الآستانة ودخل مكة فى موكب عظيم وجلس فى دار والده للتهنئة دامت له الأمور فى أحسن نظام إلى وفاته فى اليوم الرابع عشر من جمادى الآخرة من سنة أربع وتسعين ومائتين وألف بالطائف ودفن بقبة الحبر ابن عباس .

فأقام تقى الدين باشا والى جدة وشيخ الحرم المكى أخاه الشريف عون الرفيق باشا دليلا بمقام الإمارة وكان أخوه الأكبر الشريف حسين باشا بالآستانة فوجهت الدولة الإمارة له فقدم مكة فى شعبان من السنة المذكورة وتوجه الشريف عون الرفيق إلى الآستانة فى شوال من سنته واستمر الشريف حسين فى إمارة مكة إلى سنة سبع وتسعين (بتقدم السين فى الأولى والتاء المثناة الفوقية فى الثانية) ومائتين والألف .. وفيها توجه إلى جدة فى أوائل ربيع الثانى ، وفى دخوله جدة طعن بسكين مسمومة ودفن فى قبر والده بقبة السيدة آمنة والدة النبى صلى الله عليه وسلم بالمعلاة .

فلما وصل الخبر إلى الآستانة بوفاة الشريف حسين وجهت الدولة إمارة مكة للشريف عبد المطلب بن غالب ، وكان إذ ذاك فى الآستانة وهذه هى الإمارة الثالثة له ثم وصل مكة ودخلها فى الحادى عشر من جمادى الثانية من العام المذكور وجلس للتهنئة فى داره بالقرارة واستمر الحال له بأحسن طريق إلى عشرين من شعبان من سنة تسع وتسعين ومائتين وألف وحصل بينه وبين ولاة جدة ومكة الاختلاف ، ثم جاء الخبر من السلطنة بأنها ولت

عثمان نورى باشا ولاية الحجاز فتوجه إلى الطائف، فلما كان ليلة الثانى والعشرين من شوال ، ولم يشعر به الشريف عبد المطلب الأمير إذ أحاطت العسكر بداره الذى بالمثناة وأخبروه بأنك معزول ونودى فى البلاد للسلطان ، وأنزلوه من داره إلى قشلاق العسكرية للحكومة بالطائف، وأرسل الخبر إلى الدولة بذلك فتوجهت إمارة مكة للشريف عون الرفيق باشا، وكان إذ ذاك بالآستانة، ثم وصل الخبر بذلك إلى مكة وكان عثمان باشا قد أقام أخاه الشريف عبد الإله باشا نائبا عنه .

ثم توجه الشريف عون المتولى من دار السلطنة ووصل إلى جدة فى ثامن يوم التروية من سنته ووصل ، إلى مكة يوم عيد النحر وتوجه إلى منى فى موكب عظيم فى عصره وقرئ فرمانه ثانى يومه على حسب عادة الأمراء ، ثم بعد انقضاء أيام منى نزل إلى مكة ومشت القوافل والحجيج وأهلت سنة ثلاثمائة وألف، وتوجه فى شهر ربيع الأول من العام المذكور أخوه الشريف عبد الاله باشا إلى الآستانة ولم يزل الشريف عون فى إمارة مكة منتظما ، وتوفى فى جمادى الأولى من سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف بالطائف بداره رغدان، ودفن بقبة الحبر ابن عباس على أخيه الشريف عبد الله باشا، ونودى فى البلاد باسم ولى النعم سيدنا الشريف على باشا بن عبد الله باشا بن محمد بن عبد المعين بن محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبى نمى ، ثم أرسل الخبر إلى الحجاز وشيخ الحرم أحمد راتب باشا بوفاة الشريف عون الرفيق ووجهت الدولة إمارة مكة أصالة لولى النعم المتلقى لها باليدين السامى إليها من ذروة الشرف صاحب الدولة والسيادة والشرف سيدنا الشيخ شريف على باشا السابق ذكره وهنئوه بذلك ، ثم نزل إلى مكة فى شعبان من العام المذكور فانتظمت له الأمور على أحسن منوال بدون معارض له ولا منازع ، وقد امتدحته [١] بقصيدة غراء فى عيد الفطر من مطلعها :

وفد الربيع بحلة خضراء فكسى الرياض ملابس الهيفاء... إلى آخرها

وبقى فيها إلى أن انفصل عن ذلك فى شوال من سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وألف، وجاء الخبر من الآستانة بتولية إمارة مكة لعمه الشريف عبد الإله باشا. وكان إذ ذاك باقيا بدار السلطنة وبقى فيها أياما وتوفى هناك من عامه ثم وصل الخبر بتولية الشريف حسين باشا بن على باشا بن محمد بن عبد المعين بن عون إمارة مكة لكونه إذ ذاك كان بالآستانة ، وأقيم أخوه الشريف ناصر باشا نائبا عنه ، ثم وصل فى ذى القعدة إلى جدة وفى ثانى يوم منه دخل مكة فى موكبه وجلس فى بيت جده للتهنئة وكنت إذ ذاك بالمدينة النبوية ، ثم توجهت القافلة حسب عادته وحج هو من سنته ، ثم فى شعبان من سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف توجه أخوه الشريف ناصر باشا إلى دار السلطنة وهو باق بها معززا مكرما ،وتوجه ابن عمه فى هذه السنة الشريف على باشا إلى مصر المحروسة المعزية وهو أيضا باق بها .

---

(١) صاحب هذه القصيدة : هو كاتب هذا التذييل الشيخ عبد الستار الدهلوى .

ولم يزل الشريف حسين باشا بن على باشا بن محمد بن عبد المعين بن عون يلى إمرة مكة من ٦ شوال عام ١٣٢٦ هـ ، ثم أعلن نفسه ملكا على الحجاز[1] .

وقد دخل الملك عبد العزيز مكة فى ٧ من جمادى الأولى عام ١٣٤٣ هـ ، وسلم له الملك حسين حكم الحجاز فى أوائل جمادى الثانية عام ١٣٤٤ هـ ، وصار خالد بن لؤى حاكم مكة من قبله ،وهو أحد قواد جيش الملك عبد العزيز ومن أقربائه، ثم اختير سمو الأمير فيصل نائبا عن والده الملك عبد العزيز فى حكم مكة والمدينة وباقى الحجاز .

وتوفى الملك عبد العزيز فى ٢ ربيع الأول ١٣٧٣ هـ (٩ نوفمبر ١٩٥٣) ، وتولى ولى العهد جلالة الملك سعود حكم المملكة العربية السعودية فى الخامس من ربيع الأول ١٣٧٣ هـ ، وكان قد بويع بولاية العهد قبل ذلك بأمد طويل فى ١٦ محرم ١٣٥٢ هـ ، وميلاده فى ليلة الثالث من شوال عام ١٣١٩ هـ .

وقد عين حضرة صاحب السمو الأمير فيصل رئيساً لمجلس الوزراء فى ٦ من ذى الحجة ١٣٧٣ هـ ، وصار حضرة صاحب الجلالة الملك سعود حفظه الله هو حامى حمى الحرمين وباقى مدن الحجاز وهو حاكم مكة المكرمة . أطال الله حياته ونفع به البلاد والعباد .



(١) إلى هنا ينتهى ما كتبه الشيخ عبد الستار الدهلوى عميد آل الدهلوى بالحجاز وهم إحدى الأسر العريقة فى مكة المكرمة ، ولهم أياد بيض مشكورة : وما يلى ذلك فهو من قلم اللجنة .

الملحق الثاني

الدرة الثمينة في تاريخ المدينة

للمؤرخ الحافظ الشيخ محمد بن محمود بن النجار

[٥٧٣ — ٦٤٧ هـ]

حقق أصوله وعلق عليه

لجنة من كبار العلماء والأدباء

نشر وتوزيع

ملتزم النشر والتوزيع

مكتبة النهضة الحديثة

لأصحابها عبد الحفيظ وعبد الشكور عبد الفتاح فدا

بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم اللجنة التى أشرفت على تحقيق الكتاب

— ١ —

كتاب « الدرة الثمينة ، فى تاريخ المدينة » كتاب جليل ، عظيم الأهمية ، كبير النفع ، يحتوى على كثير من المعلومات التاريخية الحافلة عن مدينة الرسول ، ومسجده النبوى الشريف ، صلى الله عليه وسلم صلاة وسلاما دائمين إلى يوم الدين .

وهذا الكتاب يكاد يكون من أقدم المصادر التاريخية التى وصلتنا فى تاريخ المدينة، بعد تاريخ المدينة لابن زبالة الذى ألفه عام ١٩٩ هـ، وهو من هذه الناحية يعد مصدرا أصيلا لا غنى لباحث أو محقق عن الرجوع إليه ، والإفادة منه .

وهاهو ذا ينشره الرجل الإسلامى الكبير : معالى الشيخ محمد سرور الصبان ، بمعاونة أصحاب مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة : عبد الحفيظ وعبد الشكور عبد الفتاح فدا ، فى هذه الطبعة الجديدة المنقحة المحققة ، ملحقا لكتاب « شفاء الغرام ، بأخبار البلد الحرام » الذى تحدث فيه مؤلفه الفاسى عن مدن الحجاز الكبرى ماعدا المدينة ، وقد آثرنا نشره هنا لتمام الفائدة .

وقد اعتمدنا فى تحقيق الكتاب على ثلاث نسخ :

١ — الأولى نسخة استامبول الخطية لهذا الكتاب ، وتقع فى سبع وستين ورقة من القطع المتوسط ، وقد كتب اسم الكتاب فى الورقة الأولى ، ونص الاسم كما هو مثبت فيها هو : « كتاب تاريخ المدينة المشرفة وفضائلها ، على ساكنها الصلاة والسلام ، تصنيف الشيخ الأجل أبى عبد الله محمد بن محمود بن النجار ، رحمه الله ، ونفعنا به » ؛ وعلى الورقة الأولى كذلك أن هذا الكتاب وقف على العلماء العاملين بمحمية قسطنطينية فى سنة ١٠٧٣ هـ . وفى آخر هذه النسخة الخطية كتب اسم ناسخ الكتاب وهو عبد القاهر بن احمد بن سليمان بن موهوب ، وقد فرغ من نسخه فى ٥ ربيع الآخر عام ٧٣١ هـ ، وقد كتب فى الورقة الأخيرة عدة كلمات فى غير موضوع الكتاب ، وبخط آخر كتب أيضاً فى آخرها تاريخ هو عام ٩٦١ هـ ، وبجواره اسم عثمان بن زيد المالكى .

٢ ــ والنسخة الثانية هى نسخة المكتبة التيمورية الخطية رقم ٩١٢، وقد كتب عليها الدرة الثمينة فى أخبار المدينة لمحب الدين محمد بن محمود النجار الحافظ المتوفى عام ٦٤٣هـ[1] ، وتقع فى ٢٦٣ صفحة من القطع الصغير ، وهى مكتوبة بخط واضح وفى آخرها ما نصه : تمت نسخة تاريخ المدينــة فى دار الخلافة العلية على يد كاتبها الحاج أحمــد الأنقروى الشهير بعرب شيخ زاده غفر الله ذنوبه وذنوب أبويه فى دار الآخرة، فى هلال شهر ذى الحجة مضت منه ثلاث يوم الخميس بعد الظهر .

٣ ــ والنسخة الثالثة هى نسخة مطبوعة عام ١٣٦٦ هـ ــ ١٩٤٧ م بمطبعة الرسالة بالقاهرة بتعليق الأســتاذ صالح محمد جمال ، وتقديم الشيخ محمد بن مانع ، وهذه الطبعة بالاعتماد على نسخة خطية يبدو من المراجعة أن بهـا سقطا كثيرا ، وتقع هذه الطبعة فى ١٣٣ صفحة من القطع المتوسط ، واسم الـكتاب كما هو مكتوب فى هذه الطبعة « أخبار مدينة الرسول، المعروف بالدرة الثمينة » للإمام محمد بن محمود النجار . وهذه الطبعة منقولة عن نسخة خطية مكية، تاريخ نسخها عام ١٢١٧ هـ ، وهى منقولة عن نسخة خطية أخرى، تاريخ نسخها عام ٩٧٥ هـ ، وجاء فى أصل هذه النسخة : « علقه كما وجده الفقير إلى رحمة الله وكرمه محمد بن عبد اللطيف بن محمد الأشبيلى الخزرجى نزيل حرم الله بتاريخ ١١ ربيع الأول عام ٩٧٥ هـ .. وكان الفراغ من تعليق هذه النسخة ليلة البدر من شوال سنة ١٢١٧هـ، مع ما فى أصلها من ضياع بعض الـكلمات لقدم النسخة ، ودثور بعض الألفاظ ومحوها ، وذلك بيد أحد العبيد المحتاج إلى ربه الفتاح ، محمد أبى مرزوق بن أبى الصلاح » .

— ٣ —

ومؤلف الـكتاب هو الشيخ محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن النجار ، وشهرته أبو عبد الله البغدادى ، ولد عام ٥٧٣ هـ ، وتلقى ثقافته فى الدين والعلوم والآداب على أساتذة أجلاء ، ثم عشق الرحلات ، فطاف بالعالم الإسلامى شرقا وغربا ، نحو ثمان وعشرين سنة، وتوفى فى ٥ شعبان عام ٦٤٧ هـ[2] عن خمسة وسبعين عاما . . وله مؤلفات كثيرة من أهمها :

١ ــ تاريخ المدينة المشرفة وفضائلها ، وهو هذا الـكتاب .

٢ ــ أخبار مكة .

٣ ــ « بيت المقدس .

٤ ــ الذيل على تاريخ مدينة السلام خمسة مجلدات .

٥ ــ غرر الفوائد ــ خمسة مجلدات .

---

(١) الصحيح أن وفاته عام ٦٤٧ هـ

(٢) سبق أن نقلنا عن بعض النسخ أن وفاته عام ٦٤٣ هـ .

٦ ـ الكافى فى أسماء الرجال .

٧ ـ القمر المنير ، فى المسند الكبير .

٨ ـ كنز الأيام ، فى معرفة الأحكام .

٩ ـ نهج الإصابة ، فى معرفة الصحابة .

أثابه الله على جهوده فى خدمة الدين والعلم والإسلام خير الثواب ، ورحمه الله رحمة واسعة .

— ٤ —

وبعد فقد بذلنا كل ما أمكننا بذله من مجهود فى مراجعة النصوص ، وتحقيق الروايات ، وضبط الأعلام والتعليق على التواريخ ، وتخريج الأحاديث ، ليخرج الكتاب فى أروع حلة ، وأجمل صورة .

والكتاب صورة لعلم مؤلفه وفضله ، ولا غرو فقد كانت له مكانة علمية رفيعة فى عصره ، مما جعل هذا الكتاب القيم ذا البحوث المنوعة ، والأبواب المختلفة ، جديراً بكل عناية ، حريًّا بكل ما يبذل فيه من مجهود .

ولا يفوتنا أن ننوه بفضل كل من ساعدنا وأمدنا بمعلومات ساعدت على خدمة هذا الكتاب وإخراجه فى مظهر لائق به ، وفى مقدمة هؤلاء سعادة الشيخ صالح القزاز .

وفى آخر الكتاب وضعنا عدة ملاحق فى عمارة المسجد النبوى الشريف ، وفى آثار المدينة ، وذلك لتكون المعلومات التى تضمنتها هذه الملاحق معاونة على تتبع تاريخ المدينة بعد عصر المؤلف حتى اليوم ، ولتثبت تاريخ العمارة فى مسجد الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه منذ العصر النبوى إلى اليوم .

وفقنا الله إلى الصواب ، بفضله وكرمه ، إنه على ما يشاء قدير ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وما توفيقنا إلا بالله .

تحريراً فى { أول ربيع الأول ١٣٧٦ هـ
الموافق اكتوبر ١٩٥٦ م }

اللجنة



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم :

أخبرنا الفقيه الأجل الإمام العالم الشريف العدل : تاج الدين على بن أبى العباس أحمد بن الشيخ الأجل أبى محمد عبد المحسن بقراءتى عليه .

أخبرنا الشيخ الفقيه الأجل أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار بقراءة أبى عليه ، وقراءة ابن الوليد عليه وأنا أسمع .. قال :

الحمد لله حمداً يقتضى من إحسانه المزيد ، ويبلغنا من رضوانه مانؤمل وما نريد ، وصلى الله على من هدانا إلى المنهج السديد ، محمد الذى هو على أمته شهيد ، وعلى آله وأصحابه ذوى المجد المشيد ، ماسار راكب فى البيد .

وبعد فإنى لما دخلت مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأسعدت بزيارته أقمت بها فاجتمعت بجماعة من أهل الصلاح والعلم والفضل من المجاورين بها ، وفقهم الله وإيانا ، فسألونى عن « فضائل المدينة وأخبارها » فأخبرتهم بما تعلق فى خاطرى من ذلك ، فسألونى إثباته فى أوراق ، فاعتذرت إليهم بأن الحفظ قد يزيد وينقص ، ولو كانت كتبى حاضرة كنت أجمع كتاباً فى ذلك شافياً لما فى النفس ، فألحوا علىّ وقالوا : تحصيل اليسير ، خير من فوات الكثير ، وهذه[1] مع شرفها قد خلت ممن يعرف من أخبارها شيئاً ، ونحن نحب أن يكون لك بها أثر[2] صالح تذكر به ، فأجبتهم إلى ذلك رجاء لبركتهم ، واغتناماً لامتثال أمرهم ، وقضاء لحق جوارهم وصحبتهم ، وطلباً لما عند الله تعالى بنشر فضائل دار الهجرة ومنبع الوحى ، وذكر أخبارها والترغيب فى سكناها والحث على زيارة المدفون بها صلوات الله عليه وسلامه ، واستخرت الله وأثبت فى هذا الكتاب ماتيسر من ذلك بعون الله تعالى وحسن توفيقه . ثم إنى ذكرت[3] أكثره بغير إسناد لتعذر حضور أصولى . . وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل ذلك لوجهه خالصاً وإليه مقرباً ، ولنا ولهم نافعاً فى الدنيا والآخرة ، إنه على كل شىء قدير .

وقد قسمته ثمانية عشر بابا ، والله الموفق للصواب :

---

(١) يريد المدينة المنورة ، وفى نسخة استامبول : وهذه البلدة .

(٢) فى نسخة استامبول : ولد (٣) فى نسخة استامبول : وذكرت .

الباب الأول في ذكر أسماء المدينة وأول ساكنيها .
» الثانى » فتح » .
» الثالث » هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إليها .
» الرابع » فضائلها .
» الخامس » تحريمها وحدود حرمها .
» السادس » وادى العقيق وفضله .
» السابع » آبار المدينة وفضلها .
» الثامن » جبل أحد وفضله وفضائل الشهداء به .
» التاسع » إجلاء بنى النضير من المدينة .
» العاشر » حفر الخندق حول المدينة .
» الحادى عشر فى ذكر قتل بنى قريظة بالمدينة .
» الثانى عشر » مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وفضله .
» الثالث عشر » المساجد التى بالمدينة وفضلها .
» الرابع عشر » مسجد الضرار وهدمه .
» الخامس عشر » وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضى الله عنهما .
» السادس عشر » فضل زيارة النبي صلى الله عليه وسلم .
» السابع عشر » البقيع وفضله .
» الثامن عشر » أعيان من سكن المدينة من الصحابة والتابعين من بعدهم، ومن الله نستمد الهداية والسداد ، إلى سبل الحق والرشاد .



الباب الأول

فى ذكر أسماء المدينة وأول من سكنها[1]

أنبأنا ذاكر بن كامل قال كتب إلى أبو على الحداد أن أبا نعيم الحافظ أخبره إجازة عن أبى محمد الخلدى قال أنبأنا محمد بن عبد الرحمن المخزومى حدثنا الزبير بن بكار حدثنا محمد بن الحسنْ بن زبالة عن ابراهيم بن أبى يحيى قال : للمدينة فى التوراة أحد عشر اسما : المدينة ، وطيبة[2] ، وطابة ، والمسكينة ، وجابرة ، والمجبورة ، والمرحومة ، والعذراء ، والمحبة ، والمحبوبة ، والقاصمة . وقال ابن زبالة عن عبد العزيز بن محمد بن موسى بن عقبة عن عطاء بن مروان عن أبيه عن كعب . قال : نجد فى كتاب الله الذى نزل على موسى أن الله تعالى قال للمدينة « ياطيبة ياطابة يامسكينة لا تقبلى الكنوز ، ارفعى أجاجيرك[3] على أجاجير القرى » . قال عبد العزيز ابن محمد : و بلغنى أن لها فى التوراة أربعين اسما . وفى صحيح مسلم من حديث جابر بن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تعالى سمى المدينة طابة » . وفى الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « هى المدينة يثرب » وقال أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى : « يثرب اسم أرض » ومدينة النبى صلى الله عليه وسلم فى ناحية منها ، وقال ابن زبالة : كانت يثرب أم قرى المدينة وهى ما بين طرف «قناة» إلى طرف «الجرف» وما بين المال الذى يقال له البرناوى إلى زبالة .

وكانت زهرة[4] من أعظم قرى المدينة، قيل كان فيها ثلاثمائة صانع من اليهود ، وقيل : إن تُبّعًا لما قدم المدينة بعث رائدا ينظر إلى مزارع المدينة فأتاه فقال : قد نظرت فأما قناة[5] فحب ولا تبن وأما الحرار[6] فلا حب ولا تبن ، وأما الجرف فالحب والتبن .

قال أهل السير : كان أول من نزل المدينة بعد غرق قوم نوح قوم يقال لهم صعل وفالج فغزاهم داود النبى عليه السلام فأخذ منهم مائة ألف عذراء، قال: وسلط الله عليهم الدود فى أعناقهم فهلكوا ، فقبورهم هذه التى فى السهل

(١) فى نسخة استامبول : ساكنيها .

(٢) وقد ورد فى ذلك أحاديث كثيرة ذكرت فيها المدينة باسم طيبة .

(٣) الإجار : السطح ، والجمع أجاجير .

(٤) قرية من قرى ضواحى المدينة .

(٥) اسم موضع بجوار المدينة فيه سيل يسمى سيل قناة .

(٦) جمع حرة وهى الصخور السوداء ، أو هى أرض ذات صخور سوداء ، كأنها أحرقت بالنار .

ومن الحرار حول المدينة حرة المدينة وتعرف بحرة بنى سليم ، أما حرة خيبر فتقع على بعد مائة ميل شمال المدينة وترتفع عن سطح البحر ٢٢٠٠ ، قدم . وتسمى الحرة اللوبة واللابة .

وقد ثارت إحدى الحرات فى شرق المدينة بضع أسابيع عام ٦٥٤ هـ ١٢٥٦ م ، وكان نجاة المدينة منها معجزة من المعجزات لرسولنا العظيم .

والجبل. قالوا : وكانت العماليق قد انتشروا فى البلاد فسكنوا مكة والمدينة والحجاز كله وعتوا عتواً كبيراً فبعث إليهم موسى — على نبينا وعليه السلام — جندا من إسرائيل فقتلوهم بالحجاز وأفنوهم .

وروى عن زيد بن أسلم أنه قال : بلغنى أن ضبعاً رييت هى وأولادها رابضة فى حجاج[١] عين رجل من العماليق . وقال : لقد كان فى ذلك الزمان تمضى أربعمائة سنة وما يسمع بجنازة[٢] .

ذكر سكنى اليهود الحجاز

قال : وإنما كان سكن اليهود بلاد الحجاز أن موسى عليه السلام لما أظهره الله على فرعون وأهلكه وجنوده وطئ الشام وأهلك من بها وبعث بعثا من اليهود إلى الحجاز وأمرهم ألا يستبقوا من العماليق أحدا بلغ الحلم فقدموا عليهم فقتلوهم وقتلوا ملكهم « تبما » وكان يقال له : الأرقم بن أبى الأرقم وأصابوا ابناً له شابا من أحسن الناس فضنوا به عن القتل وقالوا : نستحييه حتى نقدم به على موسى فيرى فيه رأيه ، فأقبلوا وهو معهم وقبض الله موسى قبل قدومهم ؛ فلما سمع الناس بقدومهم تلقوهم فسألوهم عن أمرهم فأخبروهم بفتح الله عليهم وقالوا : لم نستبق منهم أحداً إلا هذا الفتى فإننا لم نر شاباً أحسن منه فاستبقيناه حتى نقدم به على موسى فيرى فيه رأيه ، فقالت لهم بنو إسرائيل : إن هذه لمعصية لمخالفتكم نبيكم ، لا والله لا يدخلوا علينا بلادنا ، فحالوا بينهم وبين الشام ، فقال الجيش : ما بلد إذ منعتم بلدكم خير من البلد الذى خرجتم منه . قال : وكانت الحجاز أكثر بلاد الله شجرا[٣] وأظهره[٤] ماء . قالوا : وكان هذا أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق[٥] (وهم يجدون فى التوراة أن نبياً يهاجر من العرب إلى بلد فيه نخل بين حرتين فأقبلوا من الشام يطلبون صفة البلد ؛ فنزل طائفة تيماء وتوطنوا نخلا ، ومضى طائفة فلما رأوا خيبر[٦] ظنوا أنها البلدة التى يهاجر إليها فأقام بعضهم بها ومضى أكثرهم وأشرفهم فلما رأوا يثرب سبخة وحرة ونخلا قالوا : هذا البلد الذى يكون له مهاجر النبى إليها فنزلوه فنزل النضير بمن معه بطحان)[٧] فنزلوا منها

---

(١) حجاج العين : ما يحيط بالحدقة، وهذه الرواية من الأساطير المكذوبة .

(٢) المدينة المنورة تزتفع عن سطح البحر بنحو ٦٠٠ متر ، وتقع على الخط الخامس والعشرين من العرض الشمالى والخط الأربعين من الطول الشمالى ، وعلى بعد ٣٠٠ ميل من مكة و ١٣٠ ميلا من ينبع ، والمسجد النبوى فى وسط المدينة على شكل مستطيل ، طوله ١٢٦ مترا . وعرضه نحو ثلثى ذلك . وفى شمال المدينة جبل أحد ، وفى جنوبها جبل عير ، ومن الوديان القريبة منها وادى العقيق ، ومرفأ المدينة ينبع ، وجوها على العموم أكثر اعتدالا من مكة ، وتكثر بها الزراعات والبساتين . (٣) فى المخطوطتين : أشجر بلاد الله . (٤) فى النسختين : وأطهره .

(٥) فى المصادر الافرنجية أن مستعمرات اليهود فى الحجاز من مثل خيبر وغيرها كونها اليهود الذين اضطهدهم أباطرة الرومان من مثل أدربان الذى طردهم من فلسطين عام ١٣٢م .

(٦) قرية شمالى المدينة كان سكانها فى القديم من اليهود . (٧) مابين القوسين من زيادة النسخة المطبوعة ، وبطحان : قرية فى ضواحى المدينة بها سيل يسمى سيل بطحان .

حيث شاءوا وكان جميعهم بزهرة[١] وهى محل[٢] بين الحرة والسافلة مما يلى القف وكانت لهم الأموال بالسافلة، ونزل جمهورهم بمكان يقال له يثرب بمجتمع السيول : سيل بطحان والعقيق وسيل قناة مما يلى رغابة ، قال : وخرجت قريظة وإخوانهم بنو هذل وهدل وعمرو أبناء الخزرج بن الصريح بن للتوم بن السبط بن اليسع بن العتين بن عيد ابن خيبر بن النجار بن ناحوم بن عازر بن هارون بن عمران، والنصر بن النجار بن الخزرج بن الصريح بعدهؤلاء فتبعوا آثارهم فنزلوا بالعلية على واديين يقال لهما مذينيب ومهزور فنزلت بنو النضير على مذينيب واتخذوا عليه الأموال ونزل قريظة وهذل على مهزور واتخذوا عليه الأموال وكانوا أول من احتفر بها الآبار واغترس الأموال وابتنوا الآطام والمنازل ، قالوا : فجميع ما بنى اليهود بالمدينة تسعة وخمسون[٣] أطما[٤] .

[قال عبد العزيز بن عمران : وقد نزل المدينة قبل الأوس والخزرج أحياء من العرب منهم أهل التهمة تفرقوا جانب بلقيز إلى المدينة فنزلت بين مسجد الفتح إلى يثرب فى الوطا وجعلت الجبل بينها و بين المدينة فأبرت الآبار والمزارع][٥] .

ذكر نزول أحياء من العرب على يهود

قالوا : وكان بالمدينة قرى وأسواق من يهود بنى إسرائيل وكان قد نزلها عليهم أحياء من العرب فكانوا معهم وابتنوا الآطام والمنازل قبل نزول الأوس والخزرج ؛ وهم بنو أنيف حى من بلى ويقال إنهم من بقية العماليق و بنو مريد حى من بلى و بنو معاوية بن الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان و بنو الجذماحى من اليمن قالوا : وكانت الآطام عز أهل المدينة ومنعتهم التى يتحصنون فيها من عدوهم فكان منها ما يعرف اسمه ومنها ما لا يعرف اسمه ومنها ما يعرف باسم سيده ومنها ما لا يدرى لمن كان ومنها ما ذكر فى الشعر ومنها ما لم يذكر ، وكان ما بنى من الآطام للعرب بالمدينة ثلاثة عشر أطما .

ذكر نزول الأوس والخزرج المدينة

قالوا : فلم تزل اليهود العالية بها الظاهرة عليها حتى كان من سيل العرم ما كان وما قص الله فى كتابه ، وذلك أن أهل مأرب وهى أرض سبأ كانوا آمنين فى بلادهم تخرج المرأة بمغزلها لا تتزود شيئا تبيت فى قرية وتقيل فى

(١) فى المخطوطتين : وكان جميعهم بزهرة ، وفى المطبوعة : وسكن جميعهم زهرة .
(٢) فى المخطوطتين : بئر ، بدل : محل .
(٣) فى جميع النسخ : تسعا وخمسين ، وهو خطأ .
(٤) الأطم : الحصن العالى أو القلعة وكان كل حصن من هذه الحصون محاطا بالمزارع والبساتين .
(٥) ما بين القوسين من زيادات النسخة المطبوعة .

أخرى حتى تأتى الشام فقالوا « ربنا باعد بين أسفارنا » ، فسلط الله عليهم العرم [١] وهو جرذ ، فنقب عليهم حتى دخل السيل عليهم فأهلكهم وتمزق من سلم منهم فى البلاد ،وكان السد فرسخاً فى فرسخ ،كان بناه لقمان الأكبر العادى بناه للدهر على زعمه وكان يجتمع إليه مياه أهل اليمن من مسيرة شهر ، فكان تمزيقهم ، ويروى أن طريفة بنت ربيعة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر بن ثعلبة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث قالت:[٢] أتيت فى المنام فقيل لى : رب أسير ذاب ، شديد الذهاب ، بعيد الإياب ، من واد إلى واد ، وبلاد إلى بلاد ، كدأب ثمود وعاد ، ثم مكثت ثم قالت : أتيت الليلة فقيل لى : شيخ هرم وجعل لزم ورجل قرم ودهر ازم وشر لزم ياويح أهل العرم ، ثم قالت : أتيت الليلة فقيل لى ياطريفة لكل اجتماع فراق فلا رجوع ولا تلاق من أفق إلى آفاق ، ثم قالت : أتيت الليلة فى النوم فقيل لى رب الب موالب ، وصامت وخاطب ، بعد هلاك مارب ، قالت : ثم أتيت فى النوم فقيل لى لكل شىء سبب ، إلا غبش ذو الذنب ، الأشعر الأزب ، فنقب بين المقر والقرب ، ليس من كاس ذهب . فخرج عمرو وامرأته طريفة فيدخلان العرم [٣] فإذا هما بجرذ يحفر فى أصله ويقلب بيديه ورجليه الصخرة ما يقلبها خمسون رجلاً فقال : هذا والله البيان ، وكتم أمره وما يريد وقال لابن أخيه وداعة ابن عمرو : إنى سأشتمك فى المجلس فالطمنى فلطمه فقال عمرو : والله لا أسكن بلداً لطمت فيه أبداً . من يشترى منى أموالى ؟ ، قال : فوثبوا واغتنموا غضبته وتزايدوا فى ماله فباعه ، فلما أراد الظعن قالت طريفة : من كان يريد حمراً وحميراً وبراً وشعيراً وذهباً وحريراً وسديرا فلينزل بطوى ، ومن أراد الراسيات فى الوحل المطعمات فى المحل فليلج يثرب ذات النخل ، قال : فلحقت بنو عمرو بن ثعلبة وهم الأوس والخزرج ابنا حارثة بن عمرو بن ثعلبة بن عمرو ابن عامر يثرب وهى المدينة ، قالوا وكان ممن بقى بالمدينة من اليهود حين نزلت عليهم الأوس والخزرج بنو قريظة وبنو النضير وبنو محمم وبنو زعورا وبنو قينقاع وبنو ثعلبة وأهل زهرة وأهل زبالة وأهل يثرب وبنو القصيص وبنو فاعصة وبنو ماسكة ، وبنو القمعة ، وبنو زيد اللات وهم رهط عبد الله ،وبنوعكوة وبنو مرانة،قالوا: فأقامت الأوس والخزرج بالمدينة ووجدوا الأموال والآطام والنخل فى أيدى اليهود ووجدوا العدد والقوة معهم فسكنت الأوس والخزرج معهم ما شاء الله ثم إنهم سألوهم أن يعقدوا بينهم وبينهم جوارا وحلفا يأمن به بعضهم من بعض ويمنعون به من سواهم فتعاقدوا وتحالفوا واشتركوا وتعاملوا فلم يزالوا على ذلك زمناً طويلاً وأثرت الأوس والخزرج وصار لهم مال وعدد ، فلما رأت قريظة والنضير حالهم خافوهم أن يغلبوهم على دورهم وأموالهم فتنمروا لهم حتى قطعوا

(١) وقع سيل العرم فى أواخر القرن الثانى قبل الميلاد أى قبل ظهور الإسلام بنحو سبعة قرون ، وقد حطم السيل سد مأرب فأغرق البلاد ، وتفرق أهلها فى كل مكان .

(٢) كانت طريفة من كاهنات العرب،وكانت تستفتى فى شتى المسائل المعقدة ، فتجيب السائل بكلام ينطق بما يشبه الحكمة ، على أسلوب سجع الكهان .

(٣) استعمل العرم هنا بمعنى الجرذ ، ويطلق أيضا على السيل وعلى الموضع .

الحلف الذى كان بينهم وكانت قريظة والنضير أعدوا وأكثروا فأقامت الأوس والخزرج فى منازلهم وهم خائفون أن تحتلهم يهود حتى نجم منهم مالك بن العجلان أخو بنى سالم بن عوف بن الخزرج .

ذكر قتل يهود واستيلاء الأوس والخزرج على المدينة

قالوا : ولما نجم مالك بن العجلان سوده الحيان عليهما فبعث هو قومه إلى من وقع بالشام من قومهم يخبرونهم حالهم ويشكون إليهم غلبة اليهود عليهم وكان رسولهم الدمق بن زيد بن امرىء القيس أحد بنى سالم بن عوف بن الخزرج وكان قبيحا دميا شاعراً بليغاً فمضى حتى قدم الشام على ملك من ملوك غسان الذين ساروا من يثرب إلى الشام يقال له أبو جبيلة من ولد حفنة بن عمرو بن عامر ، وقيل كان أحد بنى جشم بن الخزرج وكان قد أصاب ماكا بالشام وشرفا فشكى إليه الدمق حالهم وغلبة اليهود عليهم وما يتخوفون منهم وانهم يخشون أن يخرجوهم فأقبل أبو جبيلة فى جمع كبير لنصرة الأوس والخزرج وعاهد الله لا يبرح حتى يخرج من بها من اليهود أو يذلهم ويصيرهم تحت يد الأوس والخزرج فسار وأظهر أنه يريد اليمن حتى قدم المدينة وهى يومئذ يثرب فلقيه الأوس والخزرج وأعلمهم ما جاء به فقالوا إن علم القوم ما تريد تحصنوا فى آطامهم فلم نقدر عليهم ولكن تدعوهم للقائك وتتلطف بهم حتى يأمنوك ويطمئنوا فتتمكن منهم فصنع لهم طعاماً وأرسل إلى وجوههم [1] ورؤسائهم فلم يبق من وجوههم أحد إلا أتاه وجعل الرجل منهم يأتى بخاصته وحشمه رجاء أن يحبوهم الملك وقد كان بنى لهم حيزا وجعل فيه قوما وأمرهم من دخل عليهم منهم أن يقتلوه حتى أتى على وجوههم ورؤسائهم فلما فعل ذلك عزت الأوس والخزرج فى المدينة واتخذوا الديار والأموال وانصرف أبو جبيلة راجعاً إلى الشام وتفرقت الأوس والخزرج فى عالية المدينة وسافلتها وبعضهم جاء إلى عفا من الأرض لا ساكن فيه فنزله ومنهم من لجأ إلى قرية من قراها واتخذوا الأموال والآطام فكان ما ابتنوا من الآطام مائة وسبعة وعشرين اطما وأقاموا كلمهم، وأمرهم مجتمع ثم دخلت بينهم حروب عظام وكانت لهم أيام ومواطن وأشعار فلم تزل الحروب بينهم إلى أن بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأكرمهم باتباعه [2] .

الباب الثانى

فى ذكر فتح المدينة

قالت عائشة رضى الله عنها : كل البلاد افتتحت بالسيف وافتتحت المدينة بالقرآن ، قلت [3] : وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه فى كل موسم على قبائل العرب ويقول : (أَلَا رجلٌ يحملنى إلى قَومِهِ

(١) الوجوه : رؤساء القوم وأعيانهم . (٢) ومن بين أيامهم فى المدينة يوم بعاث وقد كان بين الأوس والخزرج قبل الهجرة بنحو خمس سنوات ، وهزمت فيه الخزرج . (٣) فى المطبوعة : قالت .

فإنّ قريشاً قد منعونى أنْ أبلّغ كلامَ ربِّى حتى لَقِيَ فى بعضِ السنينَ عندَ العقبةِ نفراً من الأوسِ والخزرجِ قَدِموا فى المنَافرةِ التى كانت بينهم فقالَ لهمْ : من أنتم ؟ قالوا : نفرٌ من الأوسِ والخزرجِ قالَ : من موالى اليهود ؟ قالوا : نعم . قال أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا بلى) ، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن ، وكانوا أهل شرك وأوثان ، وكان إذا كان بينهم و بين اليهود الذين معهم بالمدينة شىء ، قالت اليهود لهم وكانوا أصحاب كتاب: قد علمنا أن نبينا يبعث الآن قد أظل زمانه فنتبعه ونقتلكم قتل عاد وارم ،فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض : ياقوم تَعَلَّمُوا والله إنه للنبيُّ الذى يوعدكم به اليهود فلا تسبقنكم إليه فاغتنموه وآمنوا به فأجابوه فيما دعاهم إليه وصدقوه وقبلوا منه ماعرض عليهم وقالوا : إنَّا قد تركْنا قومنا و بينهم من العداوةِ والشَّرِّ مابينهم ، وعسى أن يجمعهم اللهُ بك فسنقدمُ عليهم فندعوهم إلى أمركَ ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعْهم اللهُ عليهِ فلا رجل أعزَّ منكَ ، ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا ، وكانوا ستة : أسعد بن زرارة وعوف ابن عفراء — وهى أمه — وأبوه الحارث بن رفاعة ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابى وجابر بن عبد الله بن رباب ، فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جرى لهم ودعوهم إلى الإسلام ففشا فيهم حتى لم يبقَ بيتٌ ولا دارٌ من دُور الأنصار إلا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ذكْر ، فلما كان العـام المقبل وافى منهم اثنى عشر رجلا فلقوا رسول الله صل الله عليه وسلم بالعقبة وهى العقبة الأولى فبايعوه ، فلما انصرفوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير إلى المدينة وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم فى الدين وكان منزله على أسعد بن زرارة ، ولقيه فى الموسم الآخر سبعون رجلا من الأنصار ومعهم امرأتان فبايعوه وأرسل رسول صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى المدينة ثم خرج إلى الغار بعد ذلك وتوجه هو وأبو بكر إلى المدينة .

البَابُ الثَّالِثُ

فى ذكر هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه

أخبرنا يحيى بن أسعد المهاجر وأبو القاسم بن كامل الحذاء وجماعة غيرهما فيما أذنوا لى فى روايته عنهم قالوا : أنبأنا الحسن بن احمد أبو على الحداد عن أبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى قال : كتب إلى جعفر بن محمد بن نصير أبو محمد الخلدى قال : أنبانا أبو شريك محمد بن عبد الرحمن المخزومى بمكة قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حـدثنا محمد بن الحسن بن زبالة عن جعفر بن صالح بن ثعلبة عن جده ، ويعلى بن سلام عن محمد بن عبد الله بن

خزيمة بن ثابت أن تبعا لما قدم المدينة وأراد إخرابها جاءه حبران يقال لهما تحيت ومنبه من قريظة فقالا : أيها الملك انصرف عن هذه البلدة فإنها محفوظة، وإنها مهاجر نبي من بنى إسماعيل اسمه أحمد يخرج آخر الزمان ، فأعجبه ماسمع وصدقهما وكف عن أهل المدينة .

وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال[1] : رأيتُ فى المنام أنِّى مهاجر من مكة إلى أرض بها نخلٌ ،فذهب وهمى إلى اليمامةِ أو هجرَ فإذا هى المدينةُ يثرب. وذكر البخارى فى صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم لما ذكر هذا المنام لأصحابه هاجر من هاجر منهم قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (على رسلك[2] فإنِّى أرْجُو أن يُؤذن لى) فقال له : أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبى أنت وأمى ؟ قال : نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده الخبط أربعة أشهر قالت عائشة رضى الله عنها بينما نحن يوما جلوس فى بيت أبى بكر فى نَحْرِ الظهيرة[3] قال قائل لأبى بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها ،قال أبو بكر : فدا له أبى وأمى والله ماجاء به فى هذه الساعة إلا أمر، قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى بكر أخرج منْ عندك ، فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبى أنت يارسول الله، قال فإنى قد اذن لى فى الخروج فقال أبو بكر : الصحابة بأبى أنت وأمى يارسول الله،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم، قال أبو بكر: بأبى أنت وأمى يارسول الله خذ إحدى راحلتى هاتين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالثمن،قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز[4] ، ووضعنا لهما سُفرة[5] فى جراب فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعةً من نِطاقِها فربطت به على فم الجراب فقال رسول صلى الله عليه وسلم: إن لها به نطاقَين فى الجنَّة ، فبذلك سميت ذات النطاقين ، قالت : ثم لحق رسول الله صلى عليه وسلم بغار فى جبل ثور فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبدُ الله بنُ أبى بكرٍ وهو غلام شاب ، فيدلج[6] من عندهما بسَحَرٍ فيصبحُ مع قريشٍ بمكةَ كبائتٍ فلا يسمعُ أمراً يُكادَانِ به إلاَّ وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامرُ بنُ فهيرةَ مولى أبى بكر مِنحةً[7] من لبن فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان فى رسل[8] حتى ينعق بها عامر بغلس يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث واستأجرَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلاً من بنى الدئل هادياً ماهراً بالهداية وهو على دين كفار قريش فأمِناه فدفعا إليه راحلتهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث

(١) هو فى البخارى فى باب علامات النبوة الجزء الرابع صفحة ١٦٩ طبعة مصر ١٢٩٦ هـ .
(٢) أى على مهلك . (٣) أى فى صدرها أو وسطها .
(٤) أى أسرعه . (٥) المراد الطعام والزاد .
(٦) أى فيخرج. (٧) المنحة : الشاة تحلب إناء بالغداة و إناء بالعشى . (٨) الرسل : اللبن .

ليال براحلتيهما صبح ثلاث ، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل أسفل (من عُسْفَان ثم عارض الطريق على امج ثم لقى الطريق بناحية فنزل فى خيام أم معبد بنت الأشقر الخزاعية بأسفل ثنية لفت ثم على الحرار ثم على ثنية المرة ثم استبطن مدبحة ثم محاح ثم بطن مرج محاح ثم مرج ذى القصوى ثم بطن كشد ثم الأجرد ثم ذا سلم ثم اعدا مديحه بعهن ثم اجاز القاحة ثم هبط العرج ثنية العامر عن يمين ركوبة ويقال بل ركوبة نفسها ثم بطن ديم حتى انتهى إلى بنى عمرو بن عوف بظاهر قبـاء ، فنزل عليهم على كلثوم بن الهدم بن امرىء القيس بن الحارث وكان سيد الحى وقد اختلف فى اليوم الذى نزل فيه ، وعن نُجيح بن افلح مولى بنى ضمرة قال : سمعت بريدة بن الحصيب يخبر أنه بعث يساراً غلامه مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر من الحدوات قال : وهى موضع أسفل من ثنية هرشا ، يدلهما على العابرين ركوبة ، قال يسار: فخرجت حتى صعدت الثنية ورجزت به فقلت:

هـذا أبو القاسم فاستقيمى   تعرَّضى مدارجاً وسُومِى   تَعَرُّضَ الجوزاء للنجوم

قال : فلما علوا ظهر الظهيرة حضرت الصلاة ، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة فقـام أبو بكر عن يمينه وقمت عن يمين أبى بكر ودخلنى الاسلامُ فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم صدر أبى بكر فأخره وأخرنى أبو بكر فصففنا خلفه فصلينا ثم خرجنا حتى قدمنا المدينة بكرة وكان يوم الاثنين[1]) ، ولقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فـكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فـكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد أن طال انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم رقى رجل من اليهود أطماً من آطامهم لأمر ينظر إليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين [٢] فلم يملك اليهودى أن قال بأعلا صوته : يا معشر العرب هذا جَـدكم [٣] الذى تنتظرونه ، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعـدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الأنصار ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم يُحَيِّي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك، ولما أقبل النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان مردفا لأبى بكر وأبو بكر شيخ يُعرفُ ونبى الله شاب لا يعرف قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول يا أبا بكر: من هذا الرجل الذى بين يديك فيقول هذا الرجل الذى يهدينى السبيل فيحسب الحاسب أنه يعنى الطريق و إنما يعنى سبيل الخير ، ولبث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليـلة وأسس المسجد الذى أسس على التقوى وصلى فيه ثم ركب راحلته فصار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) مابين القوسين من زيادات النسخة المطبوعة .

(٢) أى عليهم الثياب البيض .   (٣) أى حظكم .

بالمدينة وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مرْبدا[1] للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين فى حجر أسعد ابن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته : هذه إن شاء الله المنزل ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً فقالا : بل نهبه لك يارسول الله فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجداً .

(وعن عبد الرحمن بن يزيد بن حارثة قال : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهرم وصاح كلثوم بغلام له يانجيح ، فقال رسول الله ﷺ : أنجحت ياأبا بكر ، وعن ابن عباس أقام رسول الله ﷺ بقباء يوم الاثنين و يوم الثلاثاء و يوم الأربعاء ويوم الخميس وركب من قباء يوم الجمعة فجمع فى بنى سالم فكانت أول جمعة جمّعها فى الإسلام وكان يمر بدور الأنصار داراً داراً فيدعونه إلى المنزل والمواساة فيقول لهم : خيرا و يقول خلوها فإنها مأمورة حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم وكان المسلمون قد بنوا مسجدا يصلون فيه ، فبركت ناقته ونزل وجاء أبو أيوب الأنصارى فأخذ رحله وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته فلما خرج رسول الله صلى عليه وسلم من المسجد تعلقت به الأنصار فقال المرء مع رحله ، فنزل على أبى أيوب الأنصارى خالد بن يزيد بن كايب ومنزله فى بنى غنم بن النجار .

وعن أبى عمرو بن حجاش قال : اختار رسول ﷺ : المنازل فنزل فى منزله ومسجده فأراد أن يتوسط الأنصار كلها فأحدقت به الأنصار)[2] .

وقال البراء ابن عازب : أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم كلثوم وكانا يقرئان الناس ثم قدم عمار ابن ياسر و بلال ثم قدم عمر بن الخطاب ثم قدم رسول الله ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ حتى جعل الإماء يقولون قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ، قدم ، قالت عائشة رضى الله عنها : لما قدم رسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعك أبو بكر و بلال ، قالت : فدخلت عليهما فقلت ياأبت كيف تجدك و يابلال كيف تجدك ؟ فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

وكل امرء مصبح فى أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

قالت : وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته فيقول :

ألاليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بواد وحولى إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة ... وهل يبدون لى شامة وطفيل

قالت عائشة : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا

(١) المربد : موضع يجفف فيه التمر ، و يقال له : مسطح . (٢) مابين القوسين من زيادات النسخة المطبوعة .

مكة أو أشد وصححها و بارك لنا فى صاعها ومدها وانقل حماها واجعلها بالجحفة. قال أهل السير : وأقام على بن أبى طالب رضى الله عنه بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده ، للناس حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل معه على كلثوم بن الهدم قالوا ولم يبق بمكة من المهاجرين إلا من حبسه أهله أو فتنوه .

أنبأنا أبو القاسم الزاندوادى عن أبى على المقرى عن أبى نعيم الحافظ عن جعفر الخواص قال اخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيــه فى قول الله عز وجل : « وقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِى مدخَلَ صدق وأخرِجْنِى مخرجَ صِدْقٍ واجعلْ لى من لدنك سُلْطَانًا نصيراً » ، قال : جعل الله مدخل صدق المدينة ومخرج صدق مكة وسلطاناً نصيراً الأنصار .

الباب الرابع

فى ذكر فضائلها وما جاء فى ترابها

أخبرنا عبد الرحمن بن على الحافظ فى كتابه قال: (حدثنا معمر بن عبد الواحد إملاء قال أنبانا شكر بن أحمد أنبانا أبو سعيد الرازى الحافظ فى كتابه قال حدثنا عبد الرحمن بن أبى حاتم حدثنا سليمان بن داود)[١]، حدثنا أبو غزية حدثنا عبد العزيز بن عمران عن محمـد بن إبراهيم بن إسماعيل بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيــه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: غبار المدينة شفاء من الجذام[٢] ، اخبرتنــا عفيفة الفارقانية فى كتابها عن أبى نعيم الحافظ عن أبى محمد الخواص قال أخبرنا أبو يزيد المخزومى حدثنا الزبير بن بكار حدثنا محمد بن الحسن عن محمد بن فضالة عن إبراهيم بن الجهم : « أن رسول الله ﷺ أتى بنى الحارث » فرآهم روبا فقال : ما لـكم يا بنى الحارث روبا؟ قالوا : نعم يا رسول الله أصابتنا هذه الحمى قال : فأين أنتم من صُعَيب قالوا : يارسول الله ما نصنع به ؟ قال: تأخذون من ترابه فتجعلونه فى ماء ثم يتفل عليه أحدكم و يقول : باسم الله تراب أرضنا بريق بعضنا شفاء لمرضنا بإذن ربنا ، ففعلوا ، فتركتهم الحمى »[٣] .

---

(١) مابين القوسين وارد فى النسخة المطبوعة ، وفى المخطوطتين مانصه : «قرأت على على بن عمر بن أحمد ، حدثنا عبد الرحمن بن أبى حاتم ، حدثنا سليمان بن داود» . (٢) أخرجه أبو نعيم فى الطب عن ثابت بن قيس بن شماس وقال هو حديث ضعيف ، وورد عن ابن السنى وأبى نعيم معا فى الطب عن أبى بكر بن حسن بن سالم مرسلا هكذا (غبار المدينة يبرئ الجذام) وروى : يطفىء بدل يبرىء ، رواه هكذا الزبير بن بكار فى أخبار المدينة .

(٣) حديث ضعيف .

قال أبو القاسم طاهر بن يحيى العلوى : « صُعَيب » وادى بطحان دون الماجشونية وفيه حفرة مما يأخذ الناس منه وهواليوم إذا ر با إنسان أخذ منه، قلت : ورأيت هذه الحفرة اليوم والناس يأخذون منها وذكروا أنهم جر بوه فوجدوه صحيحاً وأخذت أنا منه أيضاً .

وحدثنا ابن ز بالة عن ابراهيم بن الحارث عن أبى سلمة : أن رجلاً أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرجله قرحة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم طرف الحصير ثم وضع أصبعه التى تلى الابهام على التراب بعد ما مسها بريقه فقال : باسم الله ريق بعضنا بتربة أرضنا يشفى سقيمنا بإذن ر بنا ، ثم وضع أصبعه على القرحة فكأنما حل من عقال [1] .

ماجاء فى تمـــرها

روى مسلم فى الصحيح حديث سعد بن أبى وقاص أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من أكل سبع تمرات ممـا بين لابتيها حين يصبح لم يضره شىء حتى يمسى)[2] ، وروى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث سعيد أيضاً عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : من تصبَّحَ كلَّ يوم سبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم ولا سحر[3] .

ما جاء فى انقباض الإيمان إليها

روى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هر يرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال [4]: (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها) ، قلت : أى ينقبض إليها .

ما جاء فى دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لها بالبركة

أنبأنا محمد بن على الحافظ فى كتابه قال أنبأنا يحيى بن على القرشى أنبأنا حيدرة بن على الأنطاكى أنبأنا أبو محمد بن أبى نصر أنبأنا أحمد بن سليمان بن أيوب حدثنا عبد الرحمن بن عمرو حدثنا عبيـد بن حسان حدثنا الليث ابن سعد حدثنى سعيد بن أبى سعيد عن عمرو بن سليم الزرقى عن عاصم بن عمرو عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال :خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالسقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص فقال رسول الله ﷺ : (ائتونى بوضوء) فلما توضأ قام فاستقبل القبلة ثم كبر ثم قال : (اللهم إن إبراهيم كان عبدك وخليلك دعاك

---

(١) حديث ضعيف . (٢) هذا الحديث : رواية مسلم ويؤيده ما فى البخارى مما سيأتى بعده .

(٣) هذا الحديث : ورد فى البخارى فى كتاب الأطعمة فى الجزء السابع صفحة ٢٩ .

(٤) رواه البخارى فى باب حرم المدينة فى الجزء الثانى صفحة ٢٠٥ .

لأهل مكة بالبركة ، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم فى مدهم وصاعهم مثل ماباركت لأهل مكة مع البركة بركتين)[١] .

أنبأنا عبد الرحمن بن على الفقيه قال : أخبرنا على بن محمد قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن عزيز حدثنى سلامة عن عقيل عن ابن شهاب قال : أخبرنى أنس بن مالك أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ماجعلت بمكة من البركة ، أخرجاه فى الصحيحين[٢] .

وأخرج مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة قال: كان الناس إذا رأوا التمر جاءوا به إلى رسول الله ﷺ فإذا أخذه قال : (اللهم بارك لنا فى تمرنا و بارك لنا فى مدينتنا وبارك لنا فى صاعنا و بارك لنا فى مدنا ، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك و إنه دعاك لأهل مكة و إنى أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه[٣]) قال: ثم يدعو أصغر وليد فيعطيه ذلك التمر .

ما جاء فى الصبر على لأوائها وشدتها

روى مسلم فى صحيحه من حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : (لا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شهيداً أو شفيعا يوم القيامة)[٤] .

أنبأنا أبو محمد الشافعى قال : أخبرنا محمد بن الخليل بن فارس حدثنا أبو القاسم بن أبى العلاء أنبأنا محمد بن عبد الله الدورى حدثنا محمد بن موسى بن إبراهيم بن فضالة حدثنا أبو بكر محمد بن ريان بن حبيب أخبرنا محمد بن رمح ، أنبأنا الليث عن سعيد المقبرى بن أبى سعيد مولى المهرى أنه جاء أبا سعيد الخدرى ليالى الحرة واستشاره فى الجلاء من المدينة وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله ، وأخبره أنه لا صبر له على جهد المدينة فقال : ويحك لا آمرك بذلك لأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا يصبر أحد على جهد المدينة ولأوائها[٥] فيموت إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة إذا كان مسلماً)[٦] .

ما جاء فى ذم من رغب عنها

خرج مسلم فى الصحيح من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : يأتى على الناس زمان يدعو الرجل لابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، والذى نفسى بيده لا يخرج أحد رغبة عنها إلا

---

(١) رواه الترمذى عن على وهو حديث صحيح .

(٢) رواه البخارى فى باب حرم المدينة فى الجزء الثانى ص ٢٠٦ .

(٣) رواه مسلم فى صحيحه وهو حديث صحيح (٤) رواه مسلم فى صحيحه .

(٥) اللأواء : الشدة . (٦) حديث صحيح .

خلف فيها خيراً منه ، ألا إن المدينة كا لـكير يخرج الخبيث ، لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الـكير خبث الحديد) (١) .

ماجاء فى ذم من أخاف المدينة وأهلها

أنبانا أبو الفرج بن على قال أنبأنا عبد الوهاب الحافظ أنبأنا أبو الحسن العاصمى حدثنا أبو عمر مهدى حـدثنا عثمان بن احمد السماك حدثنا احمد بن الخليل والحسن بن موسى قالا : حدثنا سعيد بن زيد حدثنا عمرو بن دينار حدثنا سالم بن عبد الله قال : سمعت أبى يقول : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : اشتد الجهد بالمدينة وغلا السعر ، فقال النبى ﷺ : (اصبروا ياأهل المدينة وأبشروا فإنى قد باركت على صاعـكم ومدكم ، كلوا جميعاً ولا تفرقوا ، فإن طعام الرجل يكفى الاثنين فمن صبر على لأوائها وشدتها كنت له شفيعاً وكنت له شهيداً يوم القيامة ومن خرج عنها رغبة عما فيها أبدل الله عز وجل فيها من هو خير منه ومن بغاها أو كادها بسوء أذابه الله تعالى كما يذوب الملح فى الماء)(٢) .

أنبأنا أبو طاهر لاحق بن الصوفى أنبأنا أبو القاسم الـكاتب أنبأنا أبو على بن المذهب أنبأنا أبو بكر القطيعى أنبأنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبى حدثنا أنس بن عياض حدثنى يزيد بن حصيفة عن عبدالله بن عبدالرحمن ابن أبى صعصعة عن عطاء بن يسار عن السايب بن خلاد أن رسول الله ﷺ قال : (من أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله وعليه لعنة الله والملائـكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا) (٣) .

أنبأنا أبو محمد الشافعى عن أبى محمـد بن طاووس حدثنا سليمان بن إبراهيم حدثنا أبو عبد الله حدثنا حامد بن محمود حدثنا محمد مكى بن ابراهيم حدثنا هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص عن عبد الله بن نسطاس عن جابر ابن عبد الله أن رسول ﷺ قال : (من أخاف أهل المدينة فعليه لعنة الله والملائـكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ومن أخاف أهلها فقد أخاف مابين هذين ووضع يديه على جنبيه تحت ثدييه)(٣) .

وخرج البخارى فى صحيحه من حديث سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا يكيد أحد أهل المدينة إلا انماع كما ينماع الملح فى الماء)(٤) .

اخبرنا عبد الرحمن ابن أبى الحسن فى كتابه قال : أنبأنا أبو البركات بن المبارك أنبأنا عاصم بن الحسن أنبأنا

(١) حديث صحيح رواه مسلم فى صحيحه . (٢) حديث صحيح .
(٣) يروى من أخاف أهل المدينه فقد أخاف مابين جنبي ، وقد رواه احمدفى مسنده عنجابر وهوحديث حسن .
(٤) رواه البخارى فى باب حرم المدينة الجزء الثانى ص ٢٥ .

عبد الواحد بن محمد حدثنا السماك حدثنا إسحاق بن يعقوب حدثنا محمد بن عبادة حدثنا أبو ضمرة عن عبد السلام بن أبى الجنوب عن عمرو بن عبيد عن الحسن عن معقل بن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المدينة مهاجرى فيها مضجعى وفيها مبعثى ، حقيق على أمتى حفظ جيرانى مااجتنبوا الكبائر ، من حفظهم كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة ومن لم يحفظهم سقى من طينة الخبال) ، قيل للمزنى : ماطينة الخبال ؟ قال : عصارة أهل النار .

ماجاء فى منع الطاعون والدجال من دخولها[1]

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال)[2] .

وفيهما من حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر ومنافق) .

وأخرج البخارى من حديث أبى بكر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال ، لها يومئذ سبعة أبواب فى كل باب ملك) .

ذكر ما يؤول إليه أمرها

أنبأنا القاسم بن على قال : أخبرنا عبد الرحمن بن أبى الحسن أنبأنا سهل بن بشر بن محمد بن الحسن بن أبى طاهر حدثنا جعفر بن محمد الغيريانى ، حدثنا هشام بن عمار أنبأنا يحيى بن حمزة الزبيدى حدثنا الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لتتركن المدينة على خير ما كانت مدلاة ثمارها لا يغشاها إلا العوافى ـ يريد عوافى السباع والطير ـ وآخر من يحشر منها راعيان من مزينة يردان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشا حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما)[3] . أخرجه البخارى فى صحيحه .

تضعيف الأعمال بها

أخبرنا عبد العزيز بن محمود الأخضر قال أخبرنا عبد الأول بن عيسى بن شعيب الشجرى قال: أخبرنا محمد بن

---

(١) راجع فى ذلك وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للشيخ السمهودى، وص ٢١ خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى للمؤلف نفسه .

(٢) وفى الحديث : « قدم رسول الله المدينة وهى أوبأ أرض الله » ، وتحويل مثل هذا الوباء من أعظم المعجزات لرسولنا الكريم راجع ٢٤ خلاصة « دار الوفا » .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه .

عبدالعزيز القارسى ، أخبرنا عبدالرحمن بن أبى شريح ، حدثنا ابن صاعد ، حدثنا هارون بن موسى،حدثنا عمر بن أبى بكر الموصلى عن القاسم بن عبد الله عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صلاة الجمعة بالمدينة كألف صلاة فيما سواها) (١) .

و بالإسناد عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صيام شهر رمضان فى المدينة كصيام ألف شهر فيما سواها)(٢) .

فضيلة الموت بها

أنبأنا عبد الرحمن بن على قال: أنبأنا يحيى بن على بن الطراح ، أنبأنا محمد بن أحمد العدل ، حدثنا محمد بن عبدالله الدقاق ، حدثنا الصلت بن مسعود، حدثنا سفيان بن موسى، حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإن مات بالمدينة شفعت له يوم القيامة) (٣) .

الباب الخامس

فى ذكر تحريم النبي للمدينة وحدود حرمها

فى الصحيحين من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها ، وإنى حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ؛ وإنى دعوت فى صاعها ومدها بمثل ما دعا إبراهيم لأهل مكة (٤)) .

وذكر أبو داود السجستانى فى السنن من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (المدينة حرام ما بين عير إلى ثور ، فمن أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ، ولا تلتقط لقطتها إلا لمن أنشدها ، ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال ولا يصلح أن تقطع منها شجرة إلا أن يعلف (٥) رجل بعيره) .

وفى الصحيحين عن على أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (المدينة حرم ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا (٦) .

---

(١) حديث حسن رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عمر ويروى : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام ، رواه مسلم والترمذى عن أبى هريرة وهو صحيح .

(٢) رواه البيهقى عن ابن عمر وحسنه .

(٣) حديث صحيح مروى عن ابن عمر .

(٤) رواه البخارى ومسلم وهو حديث حسن .

(٥) حديث صحيح صححه جماعة .

(٦) رواه البخارى فى كتاب الفرائض الجزء الثامن ص ٩ .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام : عير وثور جبلان وأهل المدينة لا يعرفون بها جبلا يقال له ثور إنما ثور بمكة. فترى أن الحديث أصله ما بين عير إلى أحد .

قلت : بل يعرف أهل المدينة جبل ثور وهو جبل صغير وراء أحد ولا ينكرونه . وفى السنن لأبى داود من حديث عدى بن زيد قال : حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ناحية من المدينة بريداً بريداً لا يخبط شجرها ولا يعضد إلا ما يساق به الجمل. وفيها أن سعد بن أبى وقاص أخذ رجلا تصيد فى حرم المدينة الذى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلبه ثيابه فجاءوا إليه فكلموه فيه فقال : (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حَرَّمَ هذا الحَرَمَ وقال من أخذ الصيد فيه فليسلبه ثيابه) فلا أرد عليكم طعمة أطعمنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن إن شئتم دفعت إليكم ثمنه .

وفيها عن جابر بن عبد الله أنه قال : لا يخبط شجرها ولا يعضد ولكن يهش هشا رفيقا .

أخبرنا يحيى بن أبى الفضل الفقيه ، أخبرنا عبد الله بن رفاعة ، أنبانا على بن الحسن الشافعى، أخبرنا شعيب بن عبد الله ، حدثنا أحمد بن الحسن الرازى ، حدثنا أبو الزنباع ، حدثنا عمر بن خالد، حدثنا بكر بن مضر عن أبى الهاد عن أبى بكر بن محمد عن عبد الله بن عمر عن رافع بن خديج أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، وذكر مكة ، فقال : (إن إبراهيم حرم مكة وإنى أحرم ما بين لابتيها يريد المدينة ، وفى صحيح البخارى فى حديث الهجرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للمسلمين : إنى رأيت [1] دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان .

أنبانا القاسم بن على، قال: أنبأنا محمد بن ابراهيم ،أنبأنا سهل بن بشر، أنبانا على بن منير، أنبانا الذهلى،أنبأنا موسى ابن هارون،حدثنا إبراهيم بن المنذر ،حدثنا عبد العزيز بن أبى ثابت،حدثنى أبو بكر بن النعمان بن عبد الله بن كعب ابن مالك عن أبيه عن جده عن كعب بن مالك قال : حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الشجر بالمدينة بريداً فى بريد، وأرسلنى فأعلمت على الحرم على شرف ذات الجيش وعلى مشيرف وعلى أشراف المجتهر وعلى يتم [2] .

قلت : واختلف العلماء فى صيد حرم المدينة وشجره فقال مالك والشافعى وأحمد : إنه محرم. وقال : أبو حنيفة ليس بحرم واختلفت الرواية عن أحمد هل يضمن صيدها وشجرها بالجزاء فروى عنه أنه لا جزاء فيه و به قال مالك وروى أنه يضمن وللشافعى قولان كالروايتين، وإذا قلنا بضمانه فجزاؤه سلب القاتل يتملكه الذى يسلبه ومن أدخل اليها صيدا لم يجب عليه رفع يديه عنه و يجوز له ذبحه وأكله و يجوز أن يؤخذ من شجرها ما تدعو الحاجة اليه للرحل والوسائد ومن حشيشها ما يحتاج إليه للعلف بخلاف مكة .

---

(١) فى النسخ كلها : رأيت ، وصحة الحديث كما فى البخارى باب هجرة النبى عليه السلام ص ٢٣٧ الجزء الرابع: أريت.
(٢) هذه كلها مواضع قريبة من المدينة المشرفة .

الباب السادس

فى ذكر وادى العقيق وفضله

روى البخارى فى الصحيح من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : أتانى[١] الليلة آت من ربى عز وجل فقال صل فى هذا الوادى المبارك وقل عمرة فى حجة .

وكان عبد الله بن عمر ينيخ بالوادى يتحرى معرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول هو أسفل من المسجد الذى ببطن الوادى بينه و بين الطريق وسط من ذلك .

أنبأنا يحيى بن أسعد الخباز قال : كتب إلى أبو على المقرى، عن أحمد بن عبد الله الأصبهانى قال : أنبأنا جعفر ابن محمد الزاهد إجازة قال : أنبأنا أبو يزيد المخزومى ، حدثنا الزبير بن بكار ، حدثنا محمد بن الحسن عن عمر بن عثمان بن عمر ، حدثنا موسى عن أيوب بن سلمة، عن عامر بن سعد بن أبى وقاص قال : ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العقيق ثم رجع فقال : ياعائشة جئنا من هذا العقيق فما ألين موطئه وأعذب ماءه ، قالت : يارسول الله أفلا ننتقل إليه ؟ فقال : كيف وقد ابتنى الناس .

قالت : ووجد على قبر آدمى عند حمى أم خالد بالعقيق[٢] حجر مكتوب : أنا عبد الله رسول الله سليمان بن داود إلى أهل يثرب ، ووجد حجر آخر على قبر آدمى أيضا عليه مكتوب : أنا أسود بن سوادة رسول رسول الله عيسى بن مريم إلى أهل هذه القرية ، قلت : وابتنى بعض الصحابة بالعقيق ونزلوه ، وكذلك جماعة من التابعين ومن بعدهم ، وكانت فيه القصور المشيدة والآبار[٣] العذبة .

ولأهلها أخبار مستحسنة فى الكتب وأشعار رائقة ، ولما بنى عروة بن الزبير قصره بالعقيق ونزله قيل له : جفوت عن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : إنى رأيت مساجدهم لاهية ، وأسواقهم لاغية ، والفاحشة فى فجاجهم عالية ، فكان بعدى مما هنالك عافية .

قال أهل السير : كانت بنو أمية تجرى فى الديوان رزقا على من يقوم على حوض مروان بن الحكم بالعقيق فى مصلحته وفيما يصلح بئر المغيرة من علقها ودلائها . قالوا : ومر هشام بن عبد الملك[٤] وهو يريد المدينة بجرر هشام

---

(١) الحديث فى البخارى ص ١٣٢ ج ٢ كتاب الحج .

(٢) واد خصب يقع غربى المدينة ويبعد عنها قليلا . (٣) من أشهر آبار العقيق : بئر رومة وبئر عروة .

(٤) تولى هشام الخلافة الأموية عشرين عاما (١٠٥ — ١٢٥ هـ) .

ابن إسماعيل بالرابغ ، فقيل له : ياأمير المؤمنين هذه جرر جدك هشام ، فأمر بإصلاحها وما يقيمها من بيت المال فكانت توضع هناك جرار أربع يسقى منهن الناس .

قالوا : وولى رسول الله صلى الله عليه وسلم العقيق لرجل اسمه هيضم المزنى ، ولم تزل الولاة على المدينة يولون والياً من عهد النبى صلى الله عليه وسلم حتى كان زمان داود بن عيسى[١] فتركه فى سنة ثمان وتسعين ومائة .

قالوا : ومات سعيد بن زيد وسعد بن أبى وقاص وهما من العشرة بالعقيق وحملا إلى المدينة فدفنا بها ، قلت : ووادى العقيق اليوم ليس به ساكن وفيه بقايا بنيان خراب وآثار تجد النفس برؤيتها أنسا كما قال أبو تمام :

ولا الخدود وإن أدمين من خجل   أشهى إلى ناظرى من خدها الترب
ماربع ميــــة معمورا يطيف به   غيلان أبهى ربا من ربعها الخرب[٢]

الباب السابع

فى ذكر آبار المدينة وفضلها

اعلم أنه قد نقل أهل السير أسماء آبار بالمدينة شرب منها النبى صلى الله عليه وسلم وبصق فيها إلا أن أكثرها لا يعرف اليوم فلا حاجة إلى ذكرها ، ونحن نذكر الآبار التى هى اليوم موجودة معروفة على مايذكر أهل المدينة والعهدة عليهم فى ذلك ، ونذكر ما جاء فى فضلها .

فأول ذلك بئر حا[٣]

روى البخارى فى الصحيح من حديث أنس بن مالك قال : كان أبو طلحة أكثر أنصار المدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بئر حا ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ، قال أنس : فلما نزلت هذه الآية : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إن الله عز وجل يقول : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » ، وإن أحب أموالى إلىّ بئر حا وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله ، فضعها يارسول الله حيث أراك الله، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بخ بخ ذلك مال رابح ، وقد سمعت ما قلت وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين فقال

(١) هو والى المدينة فى عهد الرشيد والأمين .
(٢) مية : محبوبة ذى الرمة . وغيلان : هو ذو الرمة الشاعر الأموى المتوفى عام ١١٧ هـ .
(٣) هى فى شمال شرقى المدينة ولا يفصلها عنها إلا مسافة قليلة جدا .

أبو طلحة : أفعل يارسول الله ، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه و بنى عمه .

قلت : وهذه البئر اليوم وسط حديقة صغيرة جداً وعندها نخلات و يزرع حولها ، وعندها بيت مبنى على علو من الأرض وهى قريبة من سور المدينة وهى ملك لبعض أهل المدينة وماؤها عذب حلو ، وذرعتها فكان طولها عشرة أذرع ونصف ماء ، والباقى بنيان، وعرضها ثلاثة أذرع وشبر ، وهى مقابلة المسجد كما ذكرت فى الحديث .

ثم بئر أريس

روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى موسى الأشعرى أنه توضأ فى بيته ثم خرج فقال لألزمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأكونن معه يومى هذا قال : فجاء المسجد فسأل عن النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : خرج وجه هاهنا فخرجت على أثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس[1] قال فجلست عند الباب و بابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ فقمت إليه فإذا هو قد جلس على بئر أريس وتوسط قُفَّها[2] وكشف عن ساقيه ودلاهما فى البئر ، قال : فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت : لأكونن بواب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم فجاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه فدفع الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : أبو بكر فقلت : يارسول الله هذا أبو بكر يستأذن فقال : ائذن له و بشره بالجنة ، قال : فأقبلت حتى قلت لأبى بكر : ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة قال : فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه فى القف ودلى رجليه فى البئر كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكشف عن ساقيه ثم رجعت فجلست وقد تركت أخى يتوضأ و يلحقنى ، فقلت : إن يرد الله بفلان خيراً — يريد أخاه — يأت به فإذا إنسان يحرك الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : عمر بن الخطاب فقلت : على رِسلك ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وقلت هذا عمر بن الخطاب يستأذن فقال : ائذن له و بشره بالجنة فجئت عمر فقلت : ادخل و يبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة قال : فدخل فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القف ثم رجعت فجلست فقلت : إن يرد الله بفلان خيراً — يعنى أخاه — يأت به فجاء إنسان فحرك الباب فقلت من هذا ؟ فقال عثمان ابن عفان فقلت على رسلك قال : وجئت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : ائذن له و بشره بالجنة مع بلوى تصيبه ، قال : فجئت وقلت ادخل و يبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة مع بلوى تصيبك قال : فدخل فوجد القف قد ملىء فجلس وجاههم من الشق الآخر .

---

(١) هى فى غرب المدينة ، وسميت باسم صاحبها ، وهى مشهورة ببئر الخاتم ، لسقوط خاتم الرسول فيها من يد عثمان بن عفان .

(٢) هو ماارتفع من فم البئر على وجه الأرض .

وقد أخرج البخارى فى صحيحه هذا الحديث فزاد فيه ألفاظا ونقص ، وقال : فدخل عثمان فلم يجد معهم مجلسا فتحول حتى جاء مقابلهم عن شقة البئر فكشف عن ساقيه ثم دلاهما فى البئر ؛ وقال البخارى : قال سعيد بن المسيب : فتأولت ذلك قبورهم اجتمعت هاهنا وانفرد عثمان .

وروى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله عليه السلام اتخذ خاتما من ورق ، أى فضة ، وكان فى يده ثم كان فى يد أبى بكر ثم كان بعد فى يد عمر ثم كان فى يد عثمان حتى وقع منه فى بئر أريس .

وروى البخارى فى الصحيح من حديث أنس قال : كان خاتم النبى صلى الله عليه وسلم فى يده وفى يد أبى بكر بعده وفى يد عمر بعد أبى بكر فلما كان عثمان جلس على بئر أريس فأخرج الخاتم فجعل يعبث به فسقط ، قال: فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ننزح البئر فلم نجده .

قلت : وهذه البئر مقابلة مسجد قباء وعندها مزارع ويستقى منها، وماؤها عذب ، وذرعتُها فكان طولها : أربعة عشر ذراعا وشبراً ، منها ذراعان ونصف ماء وعرضها خمسة أذرع وطول قفها الذى جلس عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، وصاحباه ثلاثة أذرع تشف كفاً ، والبئر تحت أطم عال خراب من حجارة .

ثم بئر بضاعة

روى أبو داود فى السنن من حديث أبى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقال له إنه يسقى لك من بئر بضاعة (١) وهى بئر يلقى فيها لحوم الكلاب والمحايض وعذَرُ الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الماء طهور لا ينجسه شىء (٢) .

أنبأنا أبو القاسم الصموت عن الحسن بن أحمد عن أحمد بن عبد الله عن جعفر بن محمد، قال : أنبأنا أبو يزيد المخزومى حدثنا الزبير بن بكار حدثنا محمد بن الحسن عن حاتم بن إسماعيل عن محمد بن أبى يحيى عن أمه قالت دخلنا على سهل بن سعد فى نسوة فقال : لو أنى سقيتكن من بئر بضاعة لكرهتن ذلك، وقد والله سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى منها .

وحدثنا محمد بن الحسن عن عبد المهيمن بن عباس بن سهل عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق فى بئر بضاعة ، وحدثنا محمد بن الحسن عن إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى عن مالك بن حمزة بن أبى السيد عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا لبئر بضاعة، قال أبو داود السجستانى فى السنن : سمعت والله قتيبة بن

(١) هى بالقرب من سقيفة بنى ساعدة .

(٢) هو لأحمد فى مسنده ولمسلم والترمذى والنسائى والدارقطنى وللبيهقى فى السنن عن أبى سعيد وهو صحيح .

سعيد يقول : سألت قيم بئر بضاعة عن عمقها فقلت : أكثر ما يكون فيها الماء ؟ قال: إلى العانة ، قلت : فإذا نقص قال : دون العورة ، قال أبو داود : قدرت بئر بضاعة بردائى مددته عليها ثم ذرعته فإذا عرضها ستة أذرع وسألت الذى فتح باب البستان فأدخلنى إليه هل غير بناؤه عما كان عليه فقال : لا ورأيت فيها ماء متغير اللون . قلت : وهذه البئر اليوم فى بستان وماؤها عذب طيب ولونه صاف أبيض وريحه كذلك ويستقى منها كثيرا ، وذرعتها فكان طولها أحدعشر ذاعا وشبرا،منها : ذراعان راجحة ماء والباقى بناءوعرضها ستة أذرع كما ذكرأبو داود فى السنن.

ثم بئر غرس

أخبرنا يحيى بن أسعد بخطه قال : أنبأنا أبو على الحداد عن أبى نعيم الأصبهانى قال كتب إلى أبو محمد الخواص أن محمد بن عبد الرحمن أخبره قال: أخبرنا الزبير بن بكار حدثنا محمد بن الحسن عن عبد العزيز بن محمد عن سعيد ابن عبد الرحمن بن قيس، قال جاءنا أنس بن مالك بقباء فقال : أين بئركم هذه ، يعنى بئر غرس[1] فدللناه عليها قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم جاءها بسحر فدعا بدلو من مائها فتوضأ منه ثم سكبه فيها فما نزفت بعد .

وحدثنا محمد بن الحسن عن القاسم بن محمد عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت الليلة أنى أصبحت على بئر من الجنة فأصبح على بئر غرس فتوضأ منها وبصق فيها، وغسّل منها حين توفى صلى الله عليه وسلم .

وحدثنا محمد بن الحسن عن سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : غُسّل رسول الله صلى الله عليه وسلم من بئر يقال لها غرس ، وكان يشرب منها .

قلت : وهذه البئر بينها وبين مسجد قباء نحو نصف ميل، وهى فى وسط الشجر وقد خربها السيل وطمها وفيها ماء أخضر إلا أنه عذب طيب وريحه الغالب عليه الأجون[2] ، وذرعتُها فكان طولها سبعة أذرع شافة، منها ذراعان ماء ، وعرضها عشرة أذرع .

ثم بئر البصة

أنبأنا ذاكر الحذاء عن الحسن بن أحمد الأصبهانى عن أحمد بن عبد الله الحافظ عن جعفر بن محمد قال : أخبرنا محمد بن عبد الرحمن حدثنا الزبير بن بكار حدثنا محمد بن الحسن عن محمد بن موسى عن سعيد بن أبى زيد عن ابن عبد الرحمن أن أبا سعيد الخدرى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى الشهداء وأبناءهم ويتعاهد عيالهم قال فجاء يوما أبا سعيد الخدرى فقال : هل عندك من سدر أغسل به رأسى فإن اليوم الجمعة. قال: نعم،

(١) هى فى الشمال الغربى للمدينة . (٢) أى الملوحة .

فأخرج له سدرا وخرج معه إلى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه ومزاقة شعره فى البصة .

قلت : وهذه البئر قريبة من البقيع على طريق المار إلى قباء وهى بين نخل وقد هدمها السيل وطمها ، وفيها ماء أخضر ووقفت على قفها وذرعت طولها فكان أحد عشر ذراعا منها ذراعان ماء ، وعرضها تسعة أذرع وهى مبنية بالحجارة ولون مائها إذا انفصل منها أبيض وطعمه حلو إلا أن الأجون غلب عليه ، وذكر لى الثقة أن أهل المدينة كانوا يستقون منها قبل أن يطمها السيل .

ثم بئر رومة

روى أهل السير : أن تُبّعاً لما قدم المدينة نزل بقباء واحتفر البئر الذى يقال لها: بئر الملك، و به سميت فاستوبئ ماؤها فدخلت عليه امرأة من بنى زُريق من اليهود اسمها فكيهة فشكا إليها وباء بئره فانطلقت فأخذت حمارين واستقت له من ماء رومة[1] ثم جاءته فشرب به فقال : زيدينا من هذا الماء .

وكتبت إلى عفيفة الأصبهانية أن أبا على الحداد أخبرها بخطه عن أبى نعيم قال كتب إلى جعفر الملدى أن أبا يزيد المخزومى أخبره عن الزبير بن بكار عن محمد بن الحسن عن محمد بن طلحة عن إسحاق بن يحيى عن موسى بن طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نعم الحفيرة حفيرة المدنى ، يعنى رومة فلما سمع بذلك عثمان بن عفان ابتاع نصفها بمائة بكرة وتصدق بها فجعل الناس يستقون منها فلما رأى صاحبها أن قد امتنع منه ما كان يصيب عليها باع من عثمان النصف الثانى بشىء يسير فتصدق بها كلها .

وروى البخارى فى الصحيح من حديث أبى عبد الرحمن السلمى أن عثمان حيث حوصر أشرف عليهم وقال : أنشدكم الله ولا أنشد إلا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من حفر رومة فله الجنة ؟ فحفرتها ، ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من جهز جيش العسرة فله الجنة ؟ فجهزتهم ، قال : فصدقوه .

قلت : وهذه البئر اليوم بعيدة عن المدينة جدا فى براح واسع من الأرض وطىء وعندها بناء من حجارة خراب قيل انه كان ديراً ليهود والله أعلم، وحولها مزارع وآبار وأرضها رملة وقد انتقضت خرزتها وأعلامها إلا أنها بئر مليحة جداً مبنية بالحجارة الموجهة ، وذرعتُها فكان طولها ثمانية عشر ذراعا، منها ذراعان ماء و باقيها مطموم بالرمل الذى تسفيه الرياح فيها، وعرضها ثمانية أذرع وماؤها صاف وطعمه حلو إلا أن الأجون غلب عليه ، قلت: واعلم أن هذه الآبار

(١) هى فى وادى العقيق فى الشمال الغربى للمدينة .

قد يزيد ماؤها فى بعض الأزمان عما ذكرنا وقد ينقص وربما بقى منها ما كان مطموما[1] .

ذكر عين النبى صلى الله عليه وسلم

أنبأنا يحيى بن أسعد عن الحسن بن أحمد عن أبى نعيم عن جعفر بن محمد حدثنا محمد بن عبد الرحمن حدثنا الزبير حدثنا محمد بن الحسن عن موسى بن إبراهيم بن بشير عن طلحة بن خراش قال : كانوا أيام الخندق يخرجون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويخافون البيات فيدخلون به كهف بنى حرام فيبيت فيه حتى إذا أصبح هبط ، قال : ونقر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العينية التى عند الكهف فلم تزل تجرى حتى اليوم، قلت : وهذه العين فى ظاهر المدينة وعليها بناء وهى مقابلة المصلى .

الباب الثامن

فى ذكر جبل أحد وفضله وفضل الشهداء به

روى البخارى فى الصحيح من حديث أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع له أُحُد فقال : هذا جبل يحبنا ونحبه ، قال أبو عمر بن عبد البر : فى معنى هذا الحديث يحتمل أن الله خلق فيه الروح فأحب النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل يحمل على المجاز ، أخبرنا أبو غالب محمد بن المبارك الكاتب وعبد العزيز أحمد الناقد قالا : أنبأنا محمد بن عمر الفقيه أنبأنا جابر بن ياسين أنبأنا عمر بن أحمد المقرى حدثنا عبد الله بن محمد البغوى حدثنا

---

(١) ومن عيون المدينة المشهورة : العين الزرقاء أو عين الأزرق ، وهو مروان بن الحكم وكان قد أجراها بأمر معاوية حين كان واليا على المدينة وأصلها من قباء معروف من بئر كبيرة غربى مسجد قباء فى حديقة نخل تعرف بالجعفرية .

وقد أخذ الأمير سيف الدين الحسين بن أبى الهيجاء فى حدود عام ٥٦٠ هـ منها شعبة عند مخرجها من القبة فساقها إلى باب المدينة باب المصلى ، ثم أوصلها إلى باب الرحبة التى عند مسجد النبى من جهة باب السلام ، المعروف قديما بباب مروان وبنى لها منهلا بدرج من تحت الدور يستسق منه أهل المدينة وينتفعون بها وجعل لها مصرفا من تحت الأرض يشق وسط المدينة على البلاط ثم يخرج إلى ظاهر المدينة من جهة الشمال شرقى الحصن الذى يسكنه أمير المدينة وتسمى بئر السوق .

وقد أقام الملك سعود خزانات على مياه عين الزرقاء تتسع لأكثر من ١٥٠٠ متر مكعب من المياه تجرى فى أنانيب من الصلب إلى المدينة لسقيا الناس .

إسحاق حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنى أبو حازم عن سهل قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم : أُحُد ركن من أركان الجنة[١] .

وكتب إلى أبو محمد بن أبى القاسم الحافظ أن عبد الرحمن بن أبى الحسن أخبره قال : أنبأنا سهل بن بشر أنبأنا أبو الحسن بن منير أنبأنا أبو طاهر محمد بن عبد الله الذهلى حدثنا موسى بن هارون حدثنا يعقوب حدثنا عبد العزيز بن محمد عن طلحة بن خراش بن جابر بن عتيك عن جابر بن عتيك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خرج موسى وهارون عليهما السلام حاجين أو معتمرين فلما كانا بالمدينة مرض هارون فثقل فخاف عليه موسى اليهودفدخل به أُحُداً فمات فدفنه فيه[٢] .

وروى عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما تجلى الله تعالى لجبل طور سينا تشظى منه ست شظايا فنزلت مكة ، فكان: حراء وثبير وثور ، وبالمدينة: أحد وورقان وعَير، قلت : فأحد معروف وعير مقابله والمدينة بينهما وورقان عند شعب على رضى الله عنه .

قلت : وكانت قريش قد جاءت من مكة لحرب النبي صلى الله عليه وسلم ولقوه فى يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة عند جبل أحد ، وكان بينهم من القتال ماا كرم الله به من اكرم من المسلمين بالشهادة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذبَّ بالحجارة حتى وقع لشقه فانكسرت رباعيته وشج فى وجهه وكلمتْ شفته ، وكان ذلك كرامة له ﷺ ، ولأصحابه الذين استشهدوا بين يديه وكانوا سبعين رجلا : حمزة بن عبدالمطلب ، وعبد الله بن جحش ، ومصعب بن عمير ، وشماس بن عثمان ،فهؤلاء الأربعةمن المهاجرين ، ومن الأنصار : عمر بن معاذ بن النعمان، والحارث بن أنس بن رافع ، وعمارة بن زياد بن السكن ، وسلمة بن ثابت بن قيس ، وعمرو بن ثابت بن وقش ، وأبو قيس ثابت ، ورفاعة بن وقش، وحسيل بن ثابت ، وهو اليمان أبو حذيفة ، وصيفى بن قبطى ، وعباد بن سهل ، وخباب بن قبطى ، والحارث بن أوس بن هانئ ، وإياس بن أوس ابن عتيك ، وعبيد بن التيهان ، ويقال: عتيك وحبيب بن زيد بن قيم ، وزيد بن حاطب بن أمية بن رافع، وأبو سفيان ابن الحارث بن قيس بن زيد ، وأنيس بن قتادة ، وحنظلة بن أبى عامر بن صيفى ، وأبو حبة بن عمرو بن ثابت أخو سعيد بن حثمة لأمه ، وعبيد الله بن جبير بن النعمان ، وخيثمة أبو سعد بن خيثمة ، وعبد الله بن سلمة ، وسبيع بن حاطب ابن الحارث، وعمرو بن قيس بن زيد وابنه قيس ، وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن مخلد ، وأبو هبيرة بن الحارث بن علقمة ، وعمرو بن مطرف بن علقمة ، وأوس بن ثابت بن المنذر أخو حسان بن ثابت، وأنس بن النضر ، وقيس بن مجلد، وكيسان عبد لبنى النجار، وسليم بن الحارث، ونعمان بن عبدعمرو ، وخارجة بن زيد ، وسعد بن الربيع، وأنس بن الأرقم بن زيد ،

(١) رواه أبو يعلى فى مسنده ، والطبرانى فى الكبير عن سهل بن سعد وهو ضعيف .
(٢) المشهور أنهما قدماتا فى التيه .

ومالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدرى، وسعيد بن سويدبن قيس وعتبة بن ربيع بن رافع ، وثعلبة بن سعدبن مالك ، وثقيف ابن قرة ، وعبد الله بن عمرو بن وهب ، وضمرة حليف لبنى طريف من جهينة ، ونوفل بن عبد الله ، وعباس بن عبادة ، ونعمان بن مالك بن ثعلبة ، والمجذر بن زياد ، وعبادة بن الحسحاس ، ورفاعة بن عمرو وعبد الله بن عمرو بن حرام وعمرو بن الجموح ، وابنه خلاد ، وأبو أيمن مولاه وعنترة بن عمرو بن حديدة ومولاه عنيزة ، وسهل بن قيس بن أبي كعب ، وذكوان بن عبد قيس وعبيد بن المعلى بن لوذان ومالك بن نميلة ، والحارث بن عدى بن خرشة ، ومالك بن إياس ، وإياس بن عدى ، وعمرو بن إياس .

فهؤلاء الذين استشهدوا بين يديه صلى الله عليه وسلم وقاتلوا وقتلوا رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين :

فأما حمزة رضى الله عنه فإن النبى صلى الله عليه وسلم وقف عليه وقد مثل به جدع أنفه وأذناه وبُقِرَ بطنه عن كبده ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : لولا أن تحزن صفية وتكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير لن أصاب بمثلك أبدا ما وقفت موقفاً قط أغيظ لى من هذا ، ثم قال : جاءنى جبريل وأخبرنى أن حمزة مكتوب فى السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ؛ فأقبلت صفية بنت عبد المطلب أخت حمزة لأبيه ولأمه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام : القها فارجعها لاترى ما بأخيها ؛ فقال : يا أُمَّه ؛ رسول الله يأمرك أن ترجعى ، قالت : ولم ؟ وقد بلغنى أنه مثل باخى وذلك فى الله فما أرضانا بما كان من ذلك ، لأحتسبن ولأصبرنَّ إن شاء الله ، فجاء الزبير فأخبره بذلك فقال : خل سبيلها ، فأتته فنظرت إليه وصلَّتْ عليه . واسترجعت واستغفرت له فأمر به النبى صلى الله عليه وسلم فسُجِّى ببردة ثم صلى عليه فكبر عليه سبعين ودفنه ، ولما رجع إلى المدينة سمع البكاء والنواح على القتلى فذرفت عيناه صلى الله عليه وسلم وبكى ؛ ثم قال : لكن حمزة لا بواكىَ له ، فجاء نساء بنى عبد الأشهل لما سمعوا ذلك فبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن على باب المسجد ؛ فلما سمعهن خرج إليهن فقال : ارجعن يرحمكن الله فقد أيستن بأنفسكن .

وأما عمر بن زياد بن السكن فإنه قاتل حتى أثبتته الجراحة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادنوه منى، فأدنوه منه فوسده قدمه فمات وخده على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنه .

وأما عمرو بن ثابت بن وقش فانه كان يأبى الإسلام فلما كان يوم أُحُد بدا له فى الإسلام فأسلم وأخذ سيفه فغدا حتى دخل فى عرض المسلمين فقاتل حتى أثبتته الجراحة فرآه المسلمون بين القتلى فقالوا : ما جاء بك ياعمرو أحرب على قومك أم رغبة فى الإسلام ؟ قال: بل رغبة فى الإسلام آمنت بالله ورسوله وأسلمت ثم أخذت سيفى فغدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلت حتى أصابنى ما أصابنى ثم مات فى أيديهم فذكروه لرسول الله صلى الله عليه

وسلم فقال : إنه لمن أهل لجنة ، وكان أبو هريرة يقول : حدثونى عن رجل دخل الجنة ولم يصل قط فاذا لم تعرفه الناس قال : هو عمرو بن ثابت .

وأما أبو ثابت بن وقش والحسيل وهو اليمان أبو حذيفة فانهما كانا شيخين كبيرين ارتفعا فى الآطام مع النساء والصبيان لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد فقال أحدهما لصاحبه لا أبالك ما تنتظر فو الله إنما نحن هامة اليوم أو غد أفلا نحنى أسيافنا ونلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله يرزقنا الشهادة معه ؟ فأخذا أسيافهما وخرجا حتى دخلا فى الناس فقاتلا حتى قتــلا .

وأما حنظلة بن أبى عامر فإنه لما قتله المشركون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن صاحبكم لتغسله الملائـكة فسألوا أهله ماشأنه فسئلت صاحبته عنه فقالت خرج وهو جنب حين سمع النداء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لذلك غسلته الملائـكة .

وأما أنس بن النضر فانه جاء إلى المهاجرين والأنصار وقد ألقوا ما بأيديهم فقال : ما يجلسكم ، قالوا: قُتِل رسول الله صلى الله عليــه وسلم وكان الشيطان قدنادى بذلك وفقده المسلمون لاختلاطهم فلم يعرفوه فقال لهم أنس : فمــا تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم قال إنى أجد ريح الجنة دون أحد ، فمضى فاستقبل المشركين وقاتل حتى قتل ، ولما وجدوه فى القتلى ما عرفوه حتى عرفته أخته بشامة أو ببنانة وفيــه بضع وثمانون طعنة وضربة ورميــة بسهم .

وأما سعد بن الربيع فان النبى صلى الله عليه وسلم قال : هل من رجل ينظر إلى ما فعل سعد بن الربيع أفى الأحياء هو أم الأموات فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يارسول الله ما فعل فنظر فوجده جريحا فى القتلى وبه رمق قال : فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظر فى الأحياء أنت أم الأموات قال : أنا فى الأموات فبلغ رسول الله صلى الله عليــه وسلم عنى السلام وقل : إن سعد بن الربيع يقول له : جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لـكم: لا عذر لـكم عند الله أن يخلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف قال : ثم لم أبرح حتى مات فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته .

وأما عبد الله بن عمرو بن حرام فانه روى البخارى فى الصحيح أن ابنه جابرا قال: لما قتل أبى جعلت أبكى وأكشف الثوب عن وجهه ، فجعل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ينهونى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: لا تبكه ما زالت الملائـكة تظلله بأجنحتها حتى رفعتموه .

وأما عمرو بن الجموح فإنه كان أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله صلى الله عليــه وسلم المشاهد، فلما كان يوم أُحُد أرادوا حبسه وقالوا: إن الله قد عذرك فأتى النبى صلى الله عليه وسلم

فقال : إن بَنِيَّ يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه : ما عليكم ألا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فخرج معه فقتل بأحد ، وروى البخارى فى الصحيح أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد: أرأيت إن قتلت أين أنا قال : فى الجنة فألقى تمرات فى يده ثم قاتل حتى قتل ، وروى البخارى أيضاً من حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد فى ثوب واحد ثم يقول: أيهم أكثرا أخذاً للقرآن فإذا أشير له إلى أحد قدمه فى اللحد وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة وأمر بدفنهم فى دمائهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا . وروى أبو هريرة عن النبى صل الله عليه وسلم أنه قال : ما من جريح يجرح فى الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى ، اللون لون دم والريح ريح مسك، وروى البخارى فى صحيحه من حديث أبى موسى الأشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: أريت فى رؤياى أنى هززت سيفى فانقطع صدره فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان فإذا هو ما جاء الله به يوم الفتح واجتماع المؤمنين .قال ابن اسحاق : وأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم من القرآن فى يوم أحد ستين آية ، من آل عمران فيها صفة ما كان من يومهم ذلك وهى من قوله تعالى : (وإذ غدوت من أهلك) إلى قوله : (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه) إلى آخر الآية .

وروى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم ، قالوا : ياليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا يلتووا عن الحرب فقال الله تبارك وتعالى : فانا أبلغهم . فأنزل الله على رسوله (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ... الآيات) .

وروى البخارى فى الصحيح عن عقبة بن عامر : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات ثم طلع المنبر فقال : إنى بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد وإن موعدكم الحوض وإنى لأنظر إليه من مقامى هذا وإنى لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها ، قال فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى أبو داود فى سننه من حديث طلحة بن عبيد الله قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نريد قبور الشهدا حتى إذا أشرفنا على حرة واقم[1] فلما تدلينا منها فإذا قبور فقلنا يا رسول الله: أقبور إخواننا هذه ؟ قال: قبور أصحابنا. فلما جئنا قبور الشهداء قال : هذه قبور إخواننا .

---

(١) هى حرة مشهورة من حرار المدينة .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فى قتلى أحد : هؤلاء شهداء فأتوهم وسلموا عليهم ولن يسلم عليهم أحد ما قامت السموات والأرض إلا ردوا عليه .

وروى جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده : أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تختلف بين اليومين والثلاثة إلى قبور الشهداء بأحد فتصلى هناك وتدعو وتبكى حتى ماتت رضى الله عنها .

وروى العطاف بن خالد قال : حدثتنى خالة لى وكانت من العوابد قالت : ركبت يوما حتى جئت قبر حمزة ابن عبد المطلب رضى الله عنه فصليت ما شاء الله ، والله مافى الوادى داع ولا مجيب وغلامى آخذ برأس دابتى فلما فرغت من صلاتى قمت فقلت:السلام عليكم وأشرت بيدى فسمعت رد السلام من تحت الأرض أعرفه كما أعرف أن الله سبحانه خلقنى فاقشعر جلدى وكل شعرة منى فدعوت الغلام وركبت .

وروى مالك فى الموطأ : أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريين كان السيل قد حفر قبرهما وكانا فى قبر واحد وهما ممن استشهدا يوم أُحُد لحفر عنهما لينقلا من مكانهما فوجدا كأنهما ماتا بالأمس ، فكان أحدهما قد جرح موضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين أحد و بين يوم الحفر عنهما ست وأربعون سنة .

قلت : وقبور الشهداء اليوم لا يعرف منها إلا قبر حمزة رضى الله عنه فإنه قد بنت عليه أم الخليفة الناصر لدين الله رحمها الله مشهدا كبيرا[1] وجعلت عليه بابا من ساج منقوش وحوله حصا وعلى المشهد باب من حديد يفتح فى كل يوم خميس وقريب منه مسجد يذكر أهل المدينة أنه موضع مقتله والله أعلم بصحة ذلك[2] .

وأما بقية الشهداء فهناك حجارة موضوعة يذكر أنها قبورهم ، وفى أحد غارٌ يذكرون أنه صلى فيه ، وموضع فى الجبل أيضاً منقوب فى صخرة منه على قدر رأس الإنسان ، يذكرون أنه ﷺ قعد وأدخل رأسه هناك كل هذا لم يرد به نقل فلا يعتمد عليه .

الباب التاسع

فى ذكر إجلاء النبي صلى الله عليه وسلم بنى النضير من المدينة

كان النبي ﷺ قد عقد حلفا بين بنى النضير من اليهود و بين بنى عامر فعدا رجل من بنى النضير على رجلين من بنى عامر فقتلهما . فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى بنى النضير يستعين فى دية ذينك القتيلين فقالوا له :

(١) وذلك عام ٥٩٠ هـ. (٢) وقد زاد الأشرف قايتباى فى مسجد حمزة زيادة فى جهته الغربية وذلك عام ٨٩٣ هـ على يد شاهين الجمالى .

نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، وكان رسول الله ﷺ قاعداً إلى جنب جدار من بيوتهم ، فمروا رجلا يعلو هـذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ، وانتُدِب لذلك أحـدهم فصعد ليلقى عليه صخرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً إلى المدينة وأخبر أصحابه بما كانت اليهود همت به وأمرهم بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم ، وسار حتى نزل بهم فى ربيع الأول سنة أربع من الهجرة فتحصنوا منه فى الحصون، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع نخيلهم وتحريقها ، وكان رهط من الخزرج من المنافقين قد بعثوا إلى بنى إسرائيل أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن خرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا ذلك منهم فلم يفعلوا وقذف الله فى قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح ففعل فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل فكان الرجل يهدم بيته ويأخذ بابه فيضعه على البعير وينطلق به ، واستقلوا بالنساء والأبناء والأموال معهم ،والدفوف والمزامير والقيان تعزف خلفهم، وخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام وخلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقراً فأعطاهما رسول الله ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلان : يامين بن عمير بن كعب وأبو سعد بن وهب أسلما على أموالهما فأحرزاه . فأنزل الله فى بنى النضير سورة الحشر بأسرها يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته وما سلط عليهم به رسوله وما عمل فيهم .

الباب العاشر

حفر النبي صلى الله عليه وسلم الخندق حول المدينة

كان نفر من بنى النضير الذين أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرجوا فقدموا مكة على قريش فدعوهم إلى حرب النبي وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فسرهم ذلك واتّعدوا له وتجمعوا، ثم جاءوا غطفان فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنهم معهم وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك وخرجت قريش وغطفان بمن جمعوا معهم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب الخندق على المدينة يعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ودأبوا فيه .

روى البخارى فى الصحيح من حديث أنس ابن مالك قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون فى غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك فلما رأى ما بهم من النصب قال :

اللهم إن العيش عيش الآخره   فاغفر اللهم للأنصار والمهاجره

فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبدا (١)

وروى أيضا من حديث البراء بن عازب قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه ويقول : والله لولا الله ما اهتدينا ، ولا تصدقنا ولا صلينا ، فأنزلن سكينة علينا ، وثبت الأقدام إن لاقينا، إن الأولى قد بغوا علينا ، إذا أرادوا فتنة أبينا ، ويرفع بها صوته : أبينا أبينا .

قال ابن اسحاق : وحكت ابنة بشير بن سعد قالت دعتنى أمى فأعطتنى حفنة من تمر فى ثوبى ثم قالت : اذهبى إلى أبيك وخالك بغدائهما. قالت: فأخذتها فانطلقت بها فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبى وخالى فقال تعالى : يا بنية ما هذا معك . قالت قلت : يا رسول الله هذا بعثتنى به أمى إلى أبى بشير بن سعد وخالى عبد الله بن رواحة . يتغديانه قال : هاتيه . قالت فصببته فى كفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأتهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ثم قال لانسان عنده : اصرخ فى أهل الخندق أن هلم إلى الغداء فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق وإنه ليسقط من أطراف الثوب.

وروى جابر بن عبد الله أن صخرة اشتدت عليهم فشكوها إلى رسول الله ﷺ فدعا بإناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ثم نضح ذلك على تلك الصخرة فانهالت حتى عادت كالكثيب ما ردت فاسا ولا مسحاة .

ولم يزل المسلمون يعملون فيه وينقلون التراب على أكتافهم حتى فرغوا منه وأحكموه وأقبلت قريش ومن تبعها فى عشرة آلاف حتى نزلت بمجتمع السيول من رومة ، وأقبلت غطفان ومن تبعها من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى إلى جانب أحد ، وخرج رسول الله فى ثلاثة آلاف حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع ، وضرب عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذرارى والنساء فجعلوا فى الآطام ، وخرج حُيَى بن أخطب النضرى حتى أتى قريظة فى دارها ، وسألهم أن يكونوا معهم على حرب رسول الله ؛ فذكروا أن بينهم وبينه عقداً وحلفا ، فلم يزل بهم حتى نقضوه وأجابوه إلى حرب محمد ﷺ ، فبعث سعد بن معاذ وجماعة معه إليهم لينظروا صحة ذلك ، فأتوهم فوجدوهم على أخبث مما بلغهم، فنالوا من رسول الله ﷺ وقالوا : لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ، فشاتمهم سعد وشاتموه، ثم أقبل بمن معه إلى رسول الله ﷺ فأخبروه فعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام المشركون عليه بضعا وعشرين ليلة لم يكن بينهم حرب إلا النبل والرمى والحصار إلا فوارس من قريش فإنهم قاتلوا فَقُتِلوا وقَتَلوا ، ولما وقفوا على الخندق قالوا : إن هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها ؛ ويقال : إن سلمان أشار به على النبى ﷺ

---

(١) أعظم بها من مبايعة ، وأكرم بمن اشترك فيها من مجاهدين خالدين .

ورُمى سعد بن معاذ بسهم فقطع أكحله فقال : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ؛ اللهم وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة . واستشهد يومئذ من المسلمين ستة نفر من الأنصار منهم أنس بن أوس بن عتيك[1] ، وعبد الله بن سهل والطفيل بن النعمان ، وثعلبة بن عنمة ، وكعب بن زيد أصابه سهم فقتله ، وسعد بن معاذ عاش حتى قتل النبىُّ صلى الله عليه وسلم بنى قريظة بحكمه واستجاب دعاءه ثم قبض شهيداً ، وسيأتى ذكر وفاته . وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله تعالى من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى هدى الله نعيم بن مسعود أحد غطفان للإسلام لإنفاذ أمره سبحانه فى نصر نبيه وإقامة دينه ؛ فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنى قد أسلمت وإن قومى لم يعلموا بإسلامى فمرنى بما شئت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خُدَعَة ؛ فخرج حتى أتى بنى قريظة وكان لهم نديما فى الجاهلية فقال : يا بنى قريظة قد عرفتم ودى وخاصة ما بينى وبينكم ، قالوا : صدقت لست عندنا بمتهم ، فقال : إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحولوا عنه إلى غيره ، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم ونساؤهم وأموالهم بغيره فليسوا كأنتم فإن رأوا نهزة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه ، قالوا : لقد أشرت بالرأى ، ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لهم : قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمداً وإنه قد بلغنى أمر قد رأيت علىّ حقا أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتموا عنى ، قالوا : نفعل ، قال : تعلمون أن اليهود قد ندموا على ما صنعوه فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ من القبيلتين قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى حتى تستأصلهم ، فأرسل إليهم : نعم ، فإن بعثت إليكم يهود تطلب منكم رجلا واحداً فلا تدفعوه ، ثم خرج فأتى غطفان فقال لهم مثل ما قال لقريش فأرسلت قريش إلى يهود أن اغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ، فقالوا : لسنا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا . فقالت قريش وغطفان : إن الذى حدثكم نعيم لحق ، ثم أرسلوا إلى قريظة إنا لن ندفع إليكم أحدا فإن أردتم أن تقاتلوا فقاتلوا فقالت قريظة : إن الذى قال لكم نعيم لحق ، وخذل الله بينهم وبعث عليهم الريح فى ليال باردة شديدة البرد فجعلت تكفئ قدورهم وتطرح أبنيتهم ، فرجعوا إلى بلادهم وكان مجيئهم وذهابهم فى شوال سنة خمس من الهجرة .

(١) فى المخطوطتين : عبيد .

قلت : والخندق اليوم باق وفيه قناة تأتى من عين بقباء إلى النخل الذى بأسفل المدينة بالسيح حوالى مسجد الفتح وفى الخندق نخل قد انطم أ كثره وتهدمت حيطانه .

الباب الحادى عشر

فى ذكر قتل بنى قريظة بالمدينة

قال ابن إسحاق : ولما انصرف رسول الله ﷺ من الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح أتى جبريل رسول الله ﷺ معتما بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج فقال أو قد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم فقال : ما وضعت الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن إلا من طلب القوم إن الله عز وجل يأمرك بالسير إلى بنى قريظة فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس من كان سامعاً ومطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببنى قريظة، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فمر بنفر من أصحابه فقال: هل مر بكم أحد فقالوا مر بنا دِحْية الكلبى على بغلة عليها قطيفة من ديباج فقال رسول الله ﷺ :ذاك جبريل بعث إلى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب فى قلوبهم ، وأتاهم رسول الله ﷺ والمسلمون ونزل عليهم وحاصرهم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف فى قلوبهم الرعب فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ فتواثبت الأوس وقالوا : يارسول الله إنهم موالينا دون الخزرج فهبهم لنا فقال : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ، قالوا : بلى ، قال : فذلك إلى سعد بن معاذ وكان سعد فى خيمة فى المسجد يداوى جرحه، فأتاه الأوس فأركبوه وأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أحكم فيهم أن تُقتل الرجال وتُقسم الأموال وتسبى الذرارى، فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة[1]، ثم استنزلوا بنى قريظة من حصونهم فحبسوا بالمدينة فى دار امرأة من بنى النجار ثم خرج صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق ثم بعث إليهم فجيء بهم فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق وكانوا سبعمائة وفيهم حيى بن أخطب النضرى الذى حرضهم على نقض العهد وعلى محاربة النبى ﷺ ولم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة فإنها كانت طرحت رحى على خلاد ابن سويد من الحصن فقتلته فقتلها النبى ﷺ وكان النبى قد قتل منهم كل من أنبت ، ومن لم ينبت استحياه ثم قسم الرسول أموالهم ونساءهم وأبناءهم على المسلمين وأنزل الله فى بنى قريظة وأمر الخندق الآيات من سورة الأحزاب :(يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها) إلى قوله : (وأورثكم أرضهم وديارهم ... الآية) .

---

(١) أى سموات .

ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من شأن بنى قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ فمات منه شهيداً ، وروى أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فى جوف الليل فقال : يامحمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش؟ فقام صلى الله عليه وسلم سريعاً يجر ثوبه إلى سعد فوجده قد مات .

الباب الثانى عشر

فى ذكر مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وفضله

قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة حين اشتد الضحى من يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول فنزل فى علو المدينة فى بنى عمرو بن عوف على كلثوم بن الهدم فمكث عندهم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس فأخذ مربد كلثوم فعمله مسجداً وأسسه وصلى فيه إلى بيت المقدس وخرج من عندهم يوم الجمعة عند ارتفاع النهار فركب ناقته القصوى وحشد المسلمون ولبسوا السلاح عن يمينه وشماله ، وخلفه منهم الماشى والراكب واعترضه الأنصار فما يمر بدار من دورهم إلا قالوا هلم يارسول الله إلى القوة والمنعة والثروة فيقول لهم خيرا ويدعو لهم ويقول عن ناقته إنها مأمورة خلوا سبيلها فمر ببنى سالم فأتى مسجدهم الذى فى الوادى وادى رانوناء وأدركته صلاة الجمعة فصلى بهم هنالك وكانوا مائة رجل فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة ثم ركب راحلته وأرخى لها زمامها وسار حتى انتهت به إلى زقاق الحبشى ببنى النجار فبركت على باب دار أبى أيوب الأنصارى فنزل النبى صلى الله عليه وسلم عليه ، ينزل عليه القرآن ويأتيه جبريل حتى ابتنى مسجده ومساكنه وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد نزل فى سفل بيت أبى أيوب وذكر أبو أيوب أنه فوق النبى صلى الله عليه وسلم فلم يزل ساهرا حتى أصبح فأتاه فقال يا رسول الله إنى أخشى أن أكون ظلمت نفسى أن أبيت فوق رأسك فقال عليه السلام السفل أرفق بنا وبمن يغشانا ، فلم يزل أبو أيوب يتضرع إليه حتى انتقل إلى العلو وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب سبعة أشهر وكان بنو مالك بن النجار يحملون كل يوم قصاع الثريد إلى النبى يتناوبون ذلك بينهم إلا سعد بن عبادة فإنه ما كان يقطع جفنته فى كل ليلة إلى دار أبى أيوب فيدعو النبى أصحابه فيأكلون ، وروى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أخذ المربد من بنى النجار كان فيه نخل وقبور المشركين وخرب « خرائب » فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بالنخل فقطع وبقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت ، قال : فصفوا النخل قبلة له وجعلوا عضادتيه حجارة ، قال : وكانوا يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم : « اللهم إن الخير خير الآخرة ، فاغفر للأنصار والمهاجرة » وجعلوا ينقلون الصخر ، وطفق النبى

صلى الله عليه وسلم ينقل اللبِن معهم فى ثيابه و يقول :

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر

و بنى النبى صلى الله عليه وسلم مسجده مربعاً وجعل قبلته إلى بيت المقدس وطوله سبعون ذراعاً أو يزيد وجعل له ثلاثة أبواب : باباً فى مؤخره، و باب عاتكة وهو باب الرحمة والباب الذى كان يدخل منه النبى صلى الله وهو باب عثمان ولما صرفت القبلة إلى الكعبة سد النبى صلى الله عليه وسلم الباب الذى كان خلفه وفتح الباب الآخر حذاءه فكان المسجد له ثلاثة أبواب : باب خلفه و باب عن يمين المصلى و باب عن يساره وجعلوا أساس المسجد[1] من الحجارة و بنوا باقيه من اللبن ، وفى الصحيحين كان جدار المسجد عند المنبر ما كادت الشاة تجوزه ،وقالت عائشة : كان طول جدار المسجد بسطة وكان عرض الحائط لبنة لبنة ثم إن المسلمين كثروا فبنوه لبنة ونصفا ثم قالوا : يارسول الله لو أمرت فزيد فيه قال : نعم فأمر به فزيد فيه و بنى جداره لبنتين مختلفتين ثم اشتد عليهم الحر فقالوا : يارسول الله لو أمرت بالمسجد فظلل ، قال : نعم فامر به فأقيم له سوارى من جذوع النخل شقة ثم شقة ثم طرحت عليها العوارض والخصف والاذخر وجعل وسطه رحبة فاصابتهم الأمطار فجعل المسجد يكِفُ[2] عليهم فقالوا : يارسول الله لو أمرت بالمسجد يعمر فَطُين فقال لهم : «عريش كعريش موسى ثمام وخشيبات والأمر أعجل من ذلك » فلم يزل كذلك حتى قبض صلى الله عليه وسلم ، و يقال : إن عريش موسى كان إذا قام أصاب رأسه السقف، قال أهل السير بنى النبى صلى الله عليه وسلم مسجده مرتين بناه حين قدم أقل من مائة فى مائة فلما فتح الله عليه خيبر بناه وزاد عليه فى الدور مثله وصلى النبى صلى الله عليه وسلم فيه متوجها إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ثم أمر بالتحول إلى الكعبة فأقام رهطا على زوايا المسجد ليعدل القبلة فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يارسول الله ضع القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة ،ثم قال بيده هكذا فأماط كل جبل بينه و بينها فوضع القبلة وهو ينظر إلى الكعبة لا يحول دون نظره شىء فلما فرغ قال جبريل هكذا فأعاد الجبال والشجر والأشياء على حالها وصارت قبلته إلى الميزاب ،أخبرنا أبو القاسم المظفرى والارحبى فى كتابيهما عن أبى على الأصفهانى عن أبى نعيم الحافظ، عن أبى محمد الخلدى، أنبأنا محمد بن عبد الرحمن،حدثنا الزبير بن بكار، حدثنا محمد بن الحسن أبو زبالة ، حدثنى عبد العزيز بن أبى حازم، عن هشام بن سعد بن أبى هلال عن أبى هريرة قال: كانت قبلة النبى صلى الله عليه وسلم الشام وكان مصلاه الذى يصلى فيه فيه بالناس إلى الشام من مسجده موضع الاسطوانة المخلفة اليوم خلف ظهرك ثم تمشى إلى الشام حتى إذا كنت بين باب آل عثمان كانت قبلته فى ذلك الموضع .

---

(١) فى المخطوطتين : ساريق . (٢) أى يقطر سقفه عليهم ماء .

فضيلة المسجد والصلاة فيه

أنبأنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن أحمد العطار ، أخبرنا أبو سعد عمار بن طاهر الهمدانى ، حدثنا مكى بن عبد السلام الرميلى ، أنبأنا عبد العزيز بن أحمد النصيبى ، أخبرنا محمد بن محمد الواسطى ، حدثنا عمر بن الفضل بن مهاجر ، حدثنا الوليد بن حماد الرملى حدثنا عبد الرازق حدثنا معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال : قال صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى ، أخرجه البخارى فى صحيحه .

أنبأنا الذهلى، حدثنا أبو محمد بن عبدوس ، حدثنا يعقوب بن حميد، حدثنا عبد العزيز بن أبى حازم عن أبيه عن سهل بن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من دخل مسجدى هـذا يتعلم خيراً أو يعلمه كان بمنزلة المجاهد فى سبيل الله ومن دخله لغير ذلك من أحاديث الناس كان كالذى يرى مايعجبه وهو لغيره .

أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحسن الهمدانى فى كتابه قال : أخبرنا القاضى أبو الحسين محمد بن محمد الفقيه، قال أنبأنا عبد العزيز بن أحمد النصيبى، أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد الواسطى ، حدثنا عمرو بن الفضل بن مهاجر ، حدثنا أبى، حدثنا الوليد، أخبرنا محمد بن النعمان، أخبرنا سليمان بن عبد الرحمن، أخبرنا أبو عبد الملك عن عبد الواحد بن زيد عن شهر بن حوشب عن عبد الله قال : سكن الخضر بيت المقدس فيما بين باب الرحمة إلى باب الأسباط وهو يصلى فى كل جمعة فى خمسة مساجد المسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس ومسجد قباء و يصلى كل ليلة جمعة فى مسجد الطور و يأكل كل جمعة أكلتين من كمأة وكرفس و يشرب مرة من زمزم ومرة من جب سليمان الذى ببيت المقدس و يغتسل من عين سلوان .

أنبأنا أبو الفرج بن الجوزى قال : أنبأنا عباد بن أحمد الحسناباذى ، قال : أخبرنا الحسن بن عمر الأصبهانى أنبأنا الحسن بن على البغدادى حدثنا محمد بن على الهمدانى حدثنا محمد بن عمران حدثنا بحر بن نصير أخبرنا موسى بن عبيدة عن داود بن مدرك عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا خاتم الأنبياء ومسجدى خاتم مساجد الأنبياء أحق المساجد أن يزار وتركب إليه الرواحل وصلاة فى مسجدى هذا أفضل من الصلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام . وأخرج مسلم فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام [1] .

أخبرنا عبد الوهاب بن على أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطى أنبأنا أبو محمـد الصيرفى أنبأنا أبو بكر بن عبدان عن عبد الوهاب بن المهتدى حدثنا أيوب بن سليمان الصعدى حـدثنا أبو اليمان حدثنا العطاف بن خالد عن

(١) هو فى مسلم فى كتاب الحج الجزء الأول .

عبد الله بن عثمان بن عمر بن الأرقم بن أبى الأرقم عن أبيه عن جده قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنى أريدأن أخرج إلى بيت المقدس قال : فلم ! قلت: للصلاة فيه ،قال: هاهنا أفضل من الصلاة هناك ألف مرة .

أنبأنا أبو القاسم البقل عن أبى على الأصبهانى عن أبى نعيم الحافظ عن جعفر الخلدى قال : أنبأنا أبو زيد المخزومى أخبرنا الزبير بن بكار أخبرنا محمد بن الحسن حدثنى إسماعيل بن المعلى عن يوسف بن طهمان عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من خرج على طهر لا يريد إلا الصلاة فى مسجدى حتى يصلى فيه كان بمنزلة حجة .

وحدثنى محمد بن الحسن حدثنى حاتم بن اسماعيل عن يحيى بن عبد الرحمن بن أبى لبينة عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يغلب على مسجدى هذا الكلاب والذباب والضباع فيمر الرجل ببابه فيريد أن يصلى فيه فما يقدر عليه .

ذكر حُجَرِ أزواج النبى صلى الله عليه وسلم

لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده بنى بيتين لزوجته عائشة وسوده رضى الله عنهما على نعت بناء المسجد من لبن وجريد النخل، وكان لبيت عائشة مصراع واحد من عرعر أو ساج، ولما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه بنى لهن حجرا وهى تسعة أبيات وهى ما بين بيت عائشة رضى الله عنها إلى الباب الذى يلى باب النبى صلى الله عليه وسلم ، قال أهل السير : ضرب النبى صلى الله عليه وسلم الحجرات ما بينه و بين القبلة والشرق إلى الشامى ولم يضربها فى غربيه ، وكانت خارجة من المسجد مديرة به إلا من المغرب وكانت أبوابها شارعة فى المسجد .

قال عمر بن أبى أنس : كان منها أربعة أبيات بلبن لها حجر من جريد ، وكانت خمسة أبيات من جريد مطينة لا حجر لها ، على أبوابها مسوح الشعر، وذرعت الستر فوجدته ثلاثة أذرع فى ذراع. قال مالك بن أنس وحدثنى الثقة عندى أن الناس كانو يدخلون حجرات أزواج النبى بعد وفاته يصلون فيها يوم الجمعة .

قال مالك: وكان المسجد يضيق عن أهله، وحجر النبى صلى الله عليه وسلم ليست من المسجد ولكن أبوابها شارعة فى المسجد ، قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اعتكف يدنى إلىّ رأسه فَأُرَجِّله وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان .

أخبرنا صالح بن أبى الحسن الحريمى أنبأنا محمد بن عبد الباقى الأنصارى أخبرنا أبو الحسن بن معروف أخبرنا الحارث ابن أبى أسامة حدثنا محمد بن سعد أخبرنا محمد بن عمر ،حدثنا عبد الله بن يزيد الهذلى قال رأيت بيوت أزواج النبى ﷺ

حين هدمها عمر بن عبد العزيز كانت بيوتا باللبن ولها حجر من جريد ، ورأيت بيت أم سلمة وحجرتها من لبن فسألت ابن ابنها فقال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة ، بَنَت أم سلمة بلبنٍ حجرتها ، فلما قدم نظر إلى اللبن فقال : ما هذا البناء، فقالت: أردت أن أكف أبصار الناس فقال يا أم سلمة إن شر ما ذهب فيه مال المسلم البنيان وقال عطاء الخراسانى أدركت حجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يُقرأ يأمر بإدخال حجر النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجده ، فما رأيت باكيا أكثر من ذلك اليوم .

وسمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذ والله لوددت أنهم لو تركوها على حالها ينشأ ناس من أهل المدينة ويقدم القادم من الأفق فيرى ما اكتفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته فيكون ذلك مما يزهد الناس فى التكاثر والفخر ، وقال عمران[1] بن أبى أنس : لقد رأيتنى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه نفر من أصحابه أبو سلمة ابن عبد الرحمن وأبو أمامة بن سهل وخارجة بن زيد يعنى لما نقضت حجر أزواجه عليه السلام وهم يبكون حتى اخضلت لحاهم من الدمع وقال يومئذ أبو أمامة: ليتها تركت حتى يقصر الناس من البنيان ويروا ما رضى الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ومفاتيح الدنيا بيده .

ذكر بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنها : كان خلف بيت النبى صلى الله عليه وسلم عن يسار المصلى إلى الكعبة وكان فيه خوخة إلى بيت النبى صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل إلى المخرج اطلع منها يعلم خبرهم وكان يأتى بابها كل صباح فيأخذ بعضادتيه ويقول: الصلاة الصلاة إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، وقال محمد بن قيس : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر أتى فاطمة رضى الله عنها فدخل عليها وأطال عندها المكث فخرج مرة فى سفر فصنعت فاطمة مسكتين من وَرِق « فضة » وقرطين وستراً لباب بيتها لقدوم أبيها وزوجها فلما قدم عليه السلام ودخل إليها وقف أصحابه على الباب فخرج وقد عُرِف الغضب فى وجهه ففطنت فاطمة إنما فعل ذلك لما رأى المسكتين والقلادتين والستر فنزعت قرطيها وقلادتيها ، ومسكتيها ونزعت الستر وأنفذت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت للرسول: قل له تقرأ عليك ابنتك السلام وتقول لك: اجعل هذا فى سبيل الله فلما أتاه قال : فعلت فداها أبوها ثلاث مرات ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء، ثم قام فدخل عليها .

وقال محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الستر من فاطمة شقه لكل إنسان من أصحابه ذراعين ذراعين .

وقال ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر قبل رأس فاطمة رضى الله عنها .

(١) هكذا فى النسخ المخطوطة . وقد سبقت بلفظ « عمر » .

أنبأ أبو القاسم التاجر عن أبى على الحداد عن أبى نعيم الحافظ عن أبى محمد الخواص قال : أخبرنا أبو يزيد المخزومى ، حدثنا الزبير بن بكار ، حدثنا محمد بن الحسن ، حدثنى محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن جعفر بن محمد ، كان يقول : قبر فاطمة رضى الله عنهـا فى بيتها الذى أدخله عمر بن عبد العزيز فى المسجد ؟ قلت : و بيتها اليوم حوله مقصورة وفيه محراب وهو خلف حجرة النبى عليه السلام .

ذكر مصلى النبى ﷺ بالليل

روى عيسى بن عبد الله عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرح حصيراً كل ليلة إذا انكف الناس ورأيت علياً كرم الله وجهه ثمَّ يصلى صلاة الليل ، قال عيسى : وذلك موضع الأسطوان الذى على طريق النبى صلى الله عليه وسلم مما يلى الدور .

وروى عن سعيد بن عبد الله بن فضيل ، قال : مر بى محمد بن على بن الحنفية رضى الله عنه وأنا أصلى إليها ، قال لى : أراك تلزم هذه الأسطوانة هل جاءك فيها أثر ؟ قلت : لا ، قال : فالزمها ، كانت مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل ، قلت : وهذه الأسطوانة وراء بيت فاطمة رضى الله عنها وفيها محراب إذا توجه الرجل كان يساره إلى باب عثمان رضى الله عنه .

ذكر الجذع الذى كان يخطب إليه النبى عليه السلام

أخبرنا أبو محمد بن أبى نصر الجنابذى ، أخبرنا يحيى بن على المدينى ، أخبرنا أبو الحسين بن النقور ، أخبرنا أبو القاسم بن حنانة ، حدثنا أبو القاسم البغوى ، حدثنا هدية بن خالد ، حدثنا حماد بن عمار بن أبى عمار عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه كان يخطب إلى جذع نخلة فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع وأتى النبى صلى الله عليه وسلم فاحتضنه فسكن ، فقال عليه السلام : لو لم أحتضنه لحنّ إلى يوم القيامة .

أنبأنا عبد الرحمن بن على قال : أخبرنا جابر بن ياسين ، أخبرنا المخلص ، حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا المبارك بن فضالة ، حدثنا الحسن عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إلى خشبة مسنداً ظهره إليها فلما كثر الناس قال : ابنوا لى منبراً فبنوا له منبراً له عتبتان فلما قام على المنبر يخطب حنت الخشبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أنس وأنا فى المسجد فسمعت الخشبة تحن حنين الواله ، فما زالت تحن حتى نزل إليها فاحتضنها فسكنت فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى ، ثم قال : ياعباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إليه فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه ، وفى لفظ : فنزل إليه النبى صلى الله عليه وسلم فاحتضنه

وساره بشيء ، وفى لفظ : فصاحت النخلة التى كان يخطب عندها حتى كادت تنشق ، وفى لفظ : فجعلت تئن أنين الصبى حتى استقرت ، وفى لفظ : كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر ، كل هذه الألفاظ فى الصحيح ، وقال أبو سعيد الخدرى : لما سكن الجذع أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يحفر له ويدفن .

وقال أبو بريدة الأسلمى : لما سكن الجذع قال له النبى صلى الله عليه وسلم : إن شئت أن أردك إلى الحائط الذى كنت فيه كما كنت فتنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمر وإن شئت أن أغرسك فى الجنة فتأكل أولياء الله من ثمرك ، ثم أصغى إليه النبى صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقول ، قال : بل تغرسنى فى الجنة فيأكل منى أولياء الله وأكون فى مكان لا أداس فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم قد فعلت ؛ وعاد إلى المنبر ثم أقبل على الناس فقال : خيرته كما سمعتم فاختار أن أغرسه فى الجنة اختار دار البقاء على دار الفناء .

وقالت عائشة رضى الله عنها لما قال له النبى صلى الله عليه وسلم ذلك غار الجذع فذهب ، وقال ابن أبى الزناد لم يزل الجذع على حاله زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فلما هدم عثمان رضى الله عنه المسجد اختلف فى الجذع فمنهم من قال أخذه أبى بن كعب فكان عنده حتى أكلته الأرضة ومنهم من قال دفن فى موضعه ، وكان الجذع فى موضع الاسطوانة المخلقة التى عن يمين محراب النبى صلى الله عليه وسلم عند الصندوق .

ذكر عمل المنبر

وروى البخارى فى الصحيح من حديث أبى حازم أن نفراً جاءوا إلى سهل بن سعد قد تماروا فى المنبر من أى عود هو فقال : أما والله إنى لأعرف من أى عود هو ومَن عمله رأيت رسول الله أول يوم جلس عليه فقلت له فحدّثنا ، فقال : أرسل عليه السلام إلى امرأة انظرى غلامك النجار يعمل لى أعواداً أكلم الناس عليها فعمل هذه الدرجات الثلاث ثم أمر بها فوضعت بهذا الموضع وهى من طرفاء الغابة .. وفى صحيح البخارى من حديث جابر بن عبد الله أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه فإن لى غلاما نجاراً قال إن شئت فعمل له المنبر . وروى أبو داود فى سننه من حديث عبد الله ابن عمر أن النبى لما بَدُنَ قال له تميم الدارى ألا أتخذ لك منبراً يارسول الله يجمع أو يحمل عظامك قال : بلى قال : فاتخذ له منبراً مرقاتين[1] وروى عن أبى الزناد أنه عليه السلام كان يخطب يوم الجمعة إلى جذع فى المسجد فقال إن القيام قد شق على وشكا ضعفا فى رجليه فقال له تميم الدارى وكان من أهل فلسطين يارسول الله أنا

(١) المرقاة : الدرجة .

أعمل لك منبراً كما رأيت يصنع بالشام قال : فلما أجمع ذوو الرأى من أصحابه على اتخاذه قال العباس بن عبد المطلب إن لى غلاماً يقال له كلاب أعمل الناس فقال له النبى ﷺ : مره يعمل فأرسل إلى أثلة بالغابة فقطعها ثم عملها درجتين ومجلسا ثم جاء بالمنبر فوضعه فى موضع المنبر اليوم ثم راح إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فلما جاوز الجذع يريد المنبر حن الجذع ثلاث مرات كأنه خوار بقرة حتى ارتاع الناس وقام بعضهم على رجليه فأقبل عليه السلام حتى مسه بيده فسكن فما سمع له صوت بعد ذلك ثم رجع إلى المنبر فقام عليه ، وقد روى أن اسم هذا الغلام الذى صنع المنبر مينا ، وقال عمر بن عبد العزيز عمله صباح غلام العباس بن عبد المطلب .

قال الواقدى[1] : وفى سنة ثمان من الهجرة اتخذ النبى ﷺ منبره واتخذه درجتين ومقعدة .

(عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : قال ﷺ قوائم منبرى رواتب فى الجنة ، وما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة)[2] .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ (منبرى على حوضى) ، قال الخطابى : معناه من لزم عبادة الله عنده سقى من الحوض يوم القيامة ، قلت : الذى أراه أن المعنى هذا المنبر بعينه يعيده الله على حاله فينصبه عند حوضه كما تعود الخلائق أجمعون .

أخبرنا أبو طاهر المبارك بن المبارك العطار قال : اخبرنا أبو الغنائم محمد بن محمد الخطيب ، واخبرنا هبة الله بن الحسن بن السبط قال : أخبرنا أحمد بن عبد الله العكبرى قالا : أخبرنا أبو طالب العادى أخبرنا عمر بن أحمد بن شاهين قال : حدثنا على بن محمد العسكرى حدثنى دارم بن قبيصة حدثنى نعيم بن سالم قال : سمعت أنس بن مالك قال : رسول الله ﷺ يقول : (منبرى على ترعة من ترع الجنة) . قال أبو عبيدة القاسم بن سلام فى الترعة ثلاثة أقوال : أحدها أنها الروضة تكون على المكان المرتفع خاصة ، والثانى أنها الباب ، والثالث أنها الدرجة .

وروى أبو داود فى السنن من حديث جابر بن عبد الله قال قال صلى الله عليه وسلم لا يحلف أحد عند منبرى هذا على يمين آثمة ولو على سواك أخضر إلا تبوأ مقعده من النار أو وجبت له النار .

وقال ابن أبى الزناد : كان صلى الله عليه وسلم يجلس على المنبر ويضع رجليه على الدرجة الثانية فلما ولى أبو بكر قام على الدرجة الثانية ووضع رجليه على الدرجة الثالثة السفلى فلما ولى عمر قام على الدرجة السفلى ووضع رجليه على الأرض إذا قعد فلما ولى عثمان فعل كذلك ست سنين ثم على فجلس موضع النبى وكسى المنبر قبطية

---

(١) هو أبو عبد الله الواقدى المتوفى عام ٢٠٧ ﻫ أو ٢١٦ ﻫ . وله: تاريخ مكة ، وفتوح الشام .

(٢) ما بين القوسين ورد فى النسخة المطبوعة وحدها مسبوقا بعنوان هو «ماجاء فى المنبر وتعظيمه» ، وحديث ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم والنسائى عن عبد الله بن زيد المازنى والترمذى عن على وأبى هريرة .

فلما حج معاوية كساه قبطية وزاد فيه ست درجات ثم كتب إلى مروان بن الحكم وهو عامله على المدينة أن ارفع المنبر على الأرض فدعا له النجارين وعمل هذه الدرجات ورفعوه عليها وصار المنبر تسع درجات بالمجلس لم يزد فيه أحد قبله ولا بعده ، قال ولما قدم المهدى المدينة سنة إحدى وستين ومائة قال لمالك بن أنس إنى أريد أن أعيد منبر النبي صلى الله عليه وسلم على حاله فقال له مالك إنما هو من طرفاء وقد سُمِّرَ إلى هذه العيدان وشد فمتى نزعته خفت أن يتهافت ويهلك فلا أرى أن تغيره .

قلت : وطول منبر النبي صلى الله عليه وسلم ذراعان وشبر وثلاث أصابع وعرضه ذراع راجح وطول صدره وهو مستند النبي صلى الله عليه وسلم ذراع وطول رمانتي المنبر الذى يمسكها رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس يخطب شبر واصبعان وطول المنبر اليوم ثلاثة أذرع وشبر وثلاث أصابع والدكة التى هو عليها طول شبر وعقد ومن رأسه إلى عتبته خمسة أذرع وشبر وقد زيد فيه اليوم عتبتان وجعل له باب يفتح يوم الجمعة ولم يزل الخلفاء إلى يومنا هذا يرسلون فى كل سنة ثوبا من الحرير الأسود وله علم ذهب يكسى به المنبر ، ولما كثرت الكسوة عندهم أخذوها فجعلوها ستوراً على أبواب الحرم .

ذكر الروضة

أخبرنا أبو طاهر بن المقطوش قال : أخبرنا أبو الغنائم بن المهتدى وأخبرنا أبو القاسم الهمدانى أخبرنا أبو المعز بن كادش قالا أخبرنا محمد بن على بن أبى الفتح الحربى قال أخبرنا أبو الحفص بن شاهين حدثنا على بن محمد العسكرى حدثنا دارم بن قبيصة حدثنى نعيم بن سالم بن قنبر قال سمعت أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ما بين حجرتى ومنبرى روضة من رياض الجنه) [1] أخرجه البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة وقال: بيتى مكان حجرتى ، وقال الخطابى : معناه من لزم طاعة الله تعالى فى هذه البقعة آلت به الطاعة إلى روضة من رياض الجنة ، والذى هو عندى أن يكون هذا الموضع بعينه روضة فى الجنة يوم القيامة ، وقال أبو عمر بن عبد البر معناه أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت الصحابة تقتبس منه العلم فى ذلك الموضع فهو مثل الروضة قلت ويؤيد قوله : قول النبي صلى الله عليه وسلم إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال : حِلقَ الذكر .

(١) ويروى بلفظ آخر ، وهو : ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة . وهو حديث صحيح رواه أحمد والبخارى ومسلم والنسائى والترمذى عن على وأبى هريرة .

ذكر سد الأبواب الشوارع فى المسجد

روى البخارى فى الصحيح من حديث أبى سعيد الخدرى قال خطب النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله خير عبدا بين الدنيا و بين ما عنده فاختار ما عنده، فبكى أبو بكر فقلت فى نفسى ما يبكى هذا الشيخ أن يكون الله عز وجل خير عبدا بين الدنيا و بين ما عنده فاختار ما عند الله فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو العبد وكان أبو بكر أعلمنا، فقال يا أبا بكر : لاتبك إن أَمَنَّ الناس على فى صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذ من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين فى المسجد باب إلا سُد إلا باب أبى بكر ، قال أهل السير : كان بابه فى غر بى المسجد ، وروى ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بالأبواب كلها فسدت إلا باب على رضى الله عنه .

ذكر تجميره

ذكر أهل السير أن عمر بن الخطاب أتى بسفط من عود فلم يسع الناس فقال اجمروا به المسجد لينتفع به المسلمون فبقيت سنة فى الخلفاء إلى اليوم يؤتى فى كل عام بسفط من عود يجمر به المسجد ليلة الجمعة و يوم الجمعة عند المنبر من خلفه إذا كان الإمام يخطب ، قالوا وأُتى عمر بن الخطاب بمجمرة من فضة فيها تماثيل من الشام فكان يُجَمَّر بها المسجد ثم توضع بين يدى عمر فلما قدم إبراهيم بن يحيى بن محمد والياً على المدينة غيرها وجعلها ساذجا وهى فى يومنا هذا منقوشة .

ذكر تخليقه

روى أن عثمان بن مظعون تفل فى المسجد فأصبح مكتئبا فقالت له امرأته : مالى أراك مكتئبا فقال : لا شىء إلا أنى تفلت فى القبلة وأنا أصلى فعَمَدَتْ إلى القبلة فغسلتها ثم خلقتها فكان أول من خلَّق [1] القبلة ، وقال جابر ابن عبد الله كان أول من خلَّق المسجد عثمان بن عفان رضى الله عنه ثم لما حجت الخيزران أم موسى وهارون فى سنة سبعين ومائة وأمرت بالمسجد أن يخلق فتولى تخليقه جاريتها مؤنسة فخلقته جميعه حتى الحجرة الشريفة جميعها .

منع آكل الثوم من دخوله

روى البخارى فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم، قال : من أكل ثوماً أو بصلا فليعتزل مسجدنا ، وفى لفظ آخر : فلا يقربنا مسجدنا .

(١) أى طيبها بالخلوق وهو ضرب من الطيب .

النهى عن رفع الصوت فيه

روى البخارى فى الصحيح أن السائب بن يزيد قال : كنت نائما فى المسجد فحصبنى رجل فنظرت فاذا هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : اذهب فائتنى بهذين فجئته بهما ، فقال : ممن أنتما أو من أين أنتما فقالا من الطائف ، قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ، ترفعان أصواتكما فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم .

جواز النوم فيه

روى البخارى فى الصحيح أن عبد الله بن عمر كان ينام فى المسجد وهو شاب عزب لا أهل له وروى أيضا من حديث سهل بن سعد قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت فاطمة رضى الله عنها فلم يجد علياً رضى الله عنه فى البيت فقال : أين ابن عمك ، فقالت : كان بينى و بينه شىء فغاضبنى فخرج فلم يقِل (١) عندى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنسان : انظر أين هو فأخبرنا، فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع قد سقط رداءه عن شقه وأصابه تراب فقال له : قم أبا تراب .

جواز الصلاة على الجنائز فيه

روى أبو داود فى السنن من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : والله لقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنى بيضا فى المسجد سهيل وأخيه، وروى أيضا من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من صلى على جنازة فى المسجد فلا شىء عليه .

النهى عن إخراج الحصى منه

روى أبو داود فى السنن من حديث أبى هريرة رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ان الحصاة لتناشد الذى يخرجها من المسجد .

ذكر مواضع تأذين بلال

روى ابن إسحاق أن امرأة من بنى النجار قالت : كان بيتى أطول بيت حول المسجد وكان بلال يؤذن عليه الفجر كل غداة فيأتى بسحر فيجلس على البيت ينتظر الفجر فإذا رآه تمطى ثم قال : اللهم أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك ، قالت : ثم يؤذن ، وذكر أهل السير أن بلالا كان يؤذن على اسطوانة فى قبلة المسجد

---

(١) من القيلولة وهى النوم وقت الظهيرة .

يرقى إليها بأقتاب وهى قائمة إلى اليوم فى منزل عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وروى نافع عن عمر قال : كان بلال يؤذن على منارة فى دار حفصة بنت عمر التى تلى المسجد قال : فكان يرقى على أقتاب فيها وكانت خارجة من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم تكن فيه وليست فيه اليوم .

ذكر أهل الصفة رضى الله عنهم

روى البخارى فى الصحيح أن أصحاب الصفة كانوا فقراء ، وروى أيضا من حديث أبى هريرة قال لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما ازار وإما كساء قد ربطوه فى أعناقهم،فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته .

وروى أيضاً من حديث أبى هريرة أنه كان يقول : والله الذى لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع وإن كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع ولقد قعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعنى فمر ولم يفعل ثم مر بى عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعنى فمر ولم يفعل ثم مر بى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رآنى وعرف مافى نفسى وما فى وجهى ثم قال: أبا هر. قلت لبيك يارسول الله قال :الحق ومضى فاتبعته فدخل فاستأذن فأذن لى فدخلت فوجدت لبناً فى قدح فقال من أين هذا اللبن ؟ قالوا هداه لك فلان أو فلانة قال : أبا هر قلت : لبيك رسول الله قال الحق إلى أهل الصفة فادعهم إلى وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولا يتناول منها شيئاً وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فساءنى ذلك فقلت وما هذا اللبن فى أهل الصفة كنت أرجو أن أصيب من اللبن شربة أتقوى بها فإذا جاءوا أمرنى فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغنى من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت قال أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال خذ فأعطهم فأخذت القدح فجعلت أعطيه فيشرب حتى يروى حتى انتهيت إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقد روى القوم كلهم وأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلى فتبسم وقال يا أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال بقيت أنا وأنت قلت صدقت يا رسول الله قال اقعد فاشرب فقعدت فشربت فقال اشرب فشربت فما زال يقول اشرب حتى قلت : والذى بعثك بالحق لا أجد له مسلكاً قال فأرنى فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة ، وروى أهل السير أن محمد بن مسلمة رأى أضيافا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فقال ألا تفرق هذه الأضياف فى دور الأنصار ونجعل لك من كل حائط قنوا ليكون لمن يأتيك من هؤلاء الأقوام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فلما جذ ماله جاء بقنو فجعله فى المسجد بين ساريتين فجعل الناس يفعلون ذلك وكان معاذ بن جبل يقوم عليه وكان يجعل عليه حبلا

بين الساريتين ثم يعلق الاقناء على الحبل ويجمع العشرين أو أكثر فيهش عليهم بعصاه من الاقناء فيأكلون حتى يشبعوا ثم ينصرفون ويأتى غيرهم فيفعل لهم مثل ذلك فإذا كان الليل فعل لهم مثل ذلك .

ذكر العود الذى فى الاسطوانة التى عن يمين القبلة

روى أهل السير عن مصعب بن ثابت قال طلبنا عِلْمَ العود الذى فى مقام النبى صلى الله عليه وسلم فلم نجد أحداً يذكر لنا منه شيئاً حتى أخبرنى محمد بن مسلم بن السائب صاحب المقصورة أنه جلس إلى جنبه أنس بن مالك فقال: تدرى لم صنع هذا العود ؟ قلت: لا أدرى قال كان رسول الله ﷺ يضع عليه يمينه ثم يلتفت إلينا فيقول استووا وعدلوا صفوفكم فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرق العود فطلبه أبو بكر فلم يجده حتى وجده عمر عند رجل من الأنصار بقباء وقد دفن فى الأرض فأكلته الأرضة فأخذ له عوداً فشقه ثم أدخله فيه ثم شعبه ورده إلى الجدار وهو العود الذى وضعه عمر بن عبد العزيز فى القبلة وهو الذى فى المحراب اليوم باق وقال مسلم بن حباب كان ذلك العود من طرفاء الغابة .

ذكر موضع اعتكاف النبى صلى الله عليه وسلم

روى أهل السير أن ابن عمر قال : كان النبى إذا اعتكف طرح له فراشه ووضع له سرير باسطوانة التوبة .

ذكر اسطوانة التوبة

قال ابن إسحاق : لما حاصر رسول الله بنى قريظة بعثوا إليه أن ابعث لنا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بنى عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس نستشيره فى أمرنا فأرسله رسول الله إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وأجهش إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه فرق لهم فقالوا له ياأبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد قال : نعم وأشار بيده إلى حلقه إنه الذبح قال أبو لبابة : فوالله مازالت قدماى حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عمده وقال : لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله أن لا يطأ بنى قريظة أبدا فلا ترانى ولا يرانى الله فى بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً فلما بلغ رسول الله خبره وأبطأ عليه وكان قد استبطأه قال : أما لو جاءنى لاستغفرت الله له ، فأما إذا فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه فأنزل الله توبته على رسول الله وهو فى بيت أم سلمة قالت : أم سلمة فسمعت رسول صلى الله عليه وسلم من السحر يضحك فقلت مم تضحك يارسول الله ؟ أضحك الله سنك قال : تيب على أبى

لبابة فقلت ألا أبشره بذلك يارسول الله قال : بلى إن شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب الحجاب فقالت : ياأبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك قال : فثار الناس ليلقوه قال : لا والله حتى يكون رسول الله هو الذى يطلقنى بيده فلما مر عليه خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه وأنزل الله فيه (ياأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) قال ابراهيم بن جعفر: السارية التى ارتبط إليها ثمامة بن أثال الحنيفى هى السارية التى ارتبط إليها أبو لبابة ، وروى خالدبن أنس عن عبد الله بن أبى بكر بن عمر بن حزم أنأبا لبابة ارتبط بسلسلة ربوص ، والربوص : الثقيلة ، بضع عشر ليلة حتى ذهب سمعه فما يكاد يسمع وكاد بصره يذهب وكانت ابنته تحله إذا حضرت الصلاة وإذا أراد أن يذهب لحاجته حتى يفرغ ثم تأتى به فترده فى الرباط كما كان وكان ارتباطه ذلك إلى جذع فى موضع الاسطوانة التى يقال لها اسطوانة التوبة ، وروى عن محمد بن كعب القرظى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى أكثر نوافله إلى اسطوانة التوبة قلت وهذه الاسطوانة الثانية عن يمين حجرة النبى صلى عليه وسلم التى كان يصلى إليها (فى الصف الأول خلف أمام الروضة وهى معروفة)[1]

ذكر اسطوانة النبي صلي الله عليه وسلم التى كان يصلى إليها[2]

روى الزبير بن حبيب أن الاسطوانة التى بعد اسطوانة التوبة إلى الروضة وهى الثالثة من المنبر ومن القبر ومن رحبة المسجد ومن القبلة وهى متوسطة فى الروضة صلى النبى صلى الله عليه وسلم إليها المكتوبة بضع عشرة ثم تقدم إلى مصلاه اليوم وكان يجعلها خلف ظهره وأن أبا بكر وعمر والزبير وابنه عبد الله وعامر بن عبد الله كانوا يصلون إليها وأن المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها ؛ وكان يقال لها مجلس المهاجرين ، وقالت عائشة رضى الله عنها فيها لو عرفها الناس لاضطربوا على الصلاة عندها بالأسهم[3] (فسألوها عنها فأبت أن تسميها فأصغى إليها ابن الزبير فساررته بشىء ثم قام فصلى إلى التى يقال لها اسطوانة عائشة قال فظن من معه أن عائشة أخبرته أنها تلك الاسطوانة وسميت اسطوانة عائشة ، وأخبرنى بعض أصحابنا عن زيد بن أسلم قال رأيت عند تلك الاسطوانة موضع جبهة النبى صلى الله عليه ثم رأيت دونه موضع جبهة أبى بكر ثم رأيت دون موضع جبهة أبى بكر موضع جبهة عمر رضى الله عنهما)[4] ويقال : إن الدعاء عندها مستجاب .

ذكر اسطوانة النبى صلى الله عليه وسلم
التى كان يجلس إليها إذا جاءه الوفود

روى ابن أبى فديك عن غير واحد من مشايخه أن الاسطوانة الثالثة من قبر النبى صلى الله عليه وسلم وهى التى تلى

(١) مابين القوسين من زيادات النسخة المطبوعة . (٢) هذا العنوان غير موجود فى النسختين المخطوطتين .
(٣) هذه الكلمة غير واضحة فى المخطوطتين . (٤) ما بين القوسين من زيادات النسخة المطبوعة .

الرحبة وهى خلف اسطوانة على بن أبى طالب التى خلف اسطوانة التوبة كان النبى يجلس إليها لوفود العرب إذا جاءته ، قلت : إذا عددت الاسطوان الذى فيه مقام جبريل كانت الثالثة .

ذكر اسطوانة على بن أبى طالب رضى الله عنه

وروى أهل السير أن الاسطوانة التى خلف اسطوانة التوبة هى مصلى على بن أبى طالب رضى الله عنه .

ذكر فضيلة الصلاة إلى أساطين المسجد

روى البخارى فى الصحيح من حديث يزيد بن أبى عبيد قال كنت آتى سلمة بن الأكوع فيصلى عند الاسطوانة التى عند المصحف فقلت ياأبا مسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الاسطوانة قال : فإنى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يتحرى الصلاة عندها ، وروى أيضا من حديث أنس قال : لقد أدركت أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يبتدرون السوارى عند المغرب . قلت : فعلى هذا جميع سوارى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم يستحب الصلاة عندها لأنها لا تخلو من أن كبار الصحابة صلوا إليها .

ذكر زيادة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المسجد

عن ابن عمر قال : زاد عمر بن الخطاب فى المسجد من شاميه ، وروى البخارى فى الصحيح من حديث عبد الله ابن عمر أن المسجد كان على عهد النبى ﷺ مبنيا باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً وزاد فيه عمر و بناه على بنائه فى عهد النبى ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً ، وروى أهل السير أن عمر رضى الله عنه قال : لولا أنى سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول إنى أزيد فى المسجد مازدت فيه ، أنبأنا أبو القاسم الحذاء عن أبى على المقرى عن أبى نعيم الأصبهانى عن أبى الخلدى ، أخبرنا أبو يزيد المخزومى ، حدثنا الزبير بن بكار ، حدثنا محمد بن الحسن ابن زبالة ، حدثنى محمد بن عثمان بن ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن مصعب بن ثابت عن مسلم بن خباب أن النبى قال يوماً وهو فى مصلاه : لو زدنا فى مسجدنا وأشار بيده نحو القبلة ، فلما توفى عليه السلام وولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : إن رسول الله قال لو زدنا فى مسجدنا وأشار بيده نحو القبلة فأجلسوا رجلا فى موضع مصلى النبى ، ثم رفعوا يد الرجل وخفضوها حتى رأوا أن ذلك نحو ما رأوا أن النبى رفع يده ثم مد ووضعوا طرفه بيد الرجل ثم مدوه فلم يزالوا يقدمونه ويؤخرونه حتى رأوا أن ذلك شبيه بما أشار رسول الله من الزيادة فقدم عمر القبلة فكان موضع جدار عمر فى موضع عيدان المقصورة .

قال أهل السيرة : كان بين المنبر و بين الجدار الذى كان على عهد رسول الله بقدر مايمر شاة فأخذ عمر إلى

موضع المقصورة اليوم وزاده فيه وزاد فى يمين القبلة فصار طوله أربعين ومائة ذراع وسقفه جريد ذراعان و بنى فوق ظهر المسجد سترة ثلاثة أذرع و بنى أساسه بالحجـارة إلى أن بلغ قامة ، وجعل له ستة أبواب بابين عن يمين القبلة و بابين عن يسارها ولم يغير باب عاتـكة ولا الباب الذى كان يدخل منه النبى وفتح بابا عند دار مروان بن الحـكم وفتح بابين فى مؤخر المسجد ، وروى عن أبى هريرة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو بنى هـذا المسجد إلى صنعاء كان مسجدى . وروى غيره مرفوعاً أنه قال : هذا مسجدى وما زيد فيه فهو منه ولو بلغ صنعاء كان مسجدى .

وكان أبو هريرة يقول : ظهر المسجد كقعره وأدخل عمر فى هـذه الزيادة داراً للعباس بن عبد المطلب ووهبهـا للمسلمين ، وعن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه أن عمر بن الخطـاب رضى الله عنه أراد هـدم دار كانت للعباس ابن عبد المطلب ليزيدها فى المسجد وقال : بعنيها فأبى العباس أن يبيعه إياها فأراد عمر أخذها منه و إدخالهـا فى المسجد وقال : ذلك أرفق بالمسلمين فقال له العباس حكم بينى و بينك فى ذلك فجعلا بينهما أبى بن كعب فقال إنى أحدثـكما حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن داود النبىّ أراد بنيان بيت المقدس وكانت أرضه لرجل فاشتراها سليمان منه فلما باعه الرجل إياه قال الرجل ماأخذت منى خير أم ماأعطيتنى ؟ قال بل ماأخذت قال : فانى لا أجيز فناقضه البيع ثم اشتراها ثانية فقال له : ماأخذت منى خير أم ماأعطيتنى ؟ فقال بل ماأخذت منك قال : إنى لا أجيز فناقضه البيع ثم اشتراها الثالثة فصنع مثل ذلك فقال له سليمان أشتريها منك بحكمك على أن لا تسألنى قال : فاشتراها بحكمه فاحتكم شيئاً كثيراً اثنى عشر قنطاراً ذهباً فاستعظمه سليمان فأوحى الله إليه إن كنت تعطيه من رزقنا فأعطه حتى يرضى و إن كنت تعطيه من عندك فذلك لك، وعم النبى العباس إن شاء باعها و إن شاء تركها، قال العباس: أما إذا قضيت فىّ فقد جعلتها للمسلمين .

وكانت للعباس دار إلى جنب المسجد فقال له عمر : بعنيها فقال له العباس لا أبيعك فقال عمر إذاً آخذها فقال العباس لا تأخذها فقال : اجعل بينى و بينك من شئت فجعلا بينهما أبى بن كعب فأخبروه الخبر فقال أوحى الله إلى سليمان أن ابنِ بيت المقدس وكان بيت لعجوز فأراد أخـذه منها فأبت أن تبيعه إياه فعزم على أخذه منهـا و إدخاله فى المسجد فأوحى الله إليه أن بيتى أحق المواضع أن لا يدخل فيه شىء من الظلم فـكف عن أخذه فقال: عمر وأنا أشهدكم أنى قد كففت عن دار العباس فقال له العباس : أما ان كان هذا وحكم لى عليك فإنى أشهدكم أنى قد جعلتها صدقة على المسلمين فهدمها عمر وأدخلها فى المسجد واشترى نصف موضع كان خطه النبى صلى الله عليه وسلم لجعفر بن أبى طالب وهو بالحبشة داراً بمائة ألف فزاده فى المسجد ، أخبرتنا عفيفة الفارقانية فى كتابها عن الحسن بن أحمد عن أحمد بن عبد الله عن جعفر محمد بن الحسن حدثنى عبد العزيز بن أبى حبارة عن الضحاك بن

عثمان عن أبى النضر عن بشر بن سعيد أو سليمان بن يسار الضحاك انه حدثه أن المسجد كان يرش زمان النبى صلى الله عليه وسلم وزمان أبى بكر وعامة زمان عمر وكان الناس يتنخمون فيه و يبصقون حتى عاد زلقاً حتى قدم ابن مسعود الثقفى وقال لعمر أليس قر بكم واد ؟ قال بلى قال فمر بحصباء تطرح فيه فهوأ كف للمخاط والنخامة فأمر بها عمر ، وذكر محمد بن سعد أن عمر بن الخطاب ألقى الحصا فى مسجد رسول الله وكان الناس إذا رفعوا رءوسهم من السجود نفضوا أيديهم فأمر بالحصباء فجىء به من العقيق فبسط فى المسجد .

ذكر زيادة عثمان بن عفان رضى الله عنه فيه (١)

روى البخارى فى الصحيح أن عثمان زاد فى المسجد زيادة كثيرة و بنى جداره بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج ، وذكر أهل السير أن عثمان رضى الله عنه لما ولى الخلافة سنة أربع وعشرين سأله الناس أن يزيد فى مسجدهم وشكوا إليه ضيقه يوم الجمعة حتى إنهم ليصلون فى الرحاب فشاور فيه عثمان أهل الرأى من أصحاب رسول الله فاجتمعوا على أن يهدمه و يزيد فيه فصلى الظهر بالناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنى قد أردت أن أهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزيد فيه وأشهد انى لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من بنى مسجداً بنى الله تعالى له بيتاً فى الجنة وقدر أن لى فيه سلفا والإمام عمر ابن الخطاب زاد فيه و بناه وقد شاورت أهل الرأى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على هدمه و بنائه وتوسعته فحسّن الناس ذلك ودعوا له فأصبح فدعا العمال و باشر ذلك بنفسه وكان رجلا يصوم النهار ويقوم الليل وكان لا يخرج من المسجد فهدمه وأمر بالقصة المنخولة وكان عمله فى أول ربيع الأول سنة تسع وعشرين وفرغ منه حين دخلت السنة لهلال المحرم سنة ثلاثين فكان عمله عشرة أشهر وزاد من القبلة إلى موضع الجدار اليوم وزاد فيه من المغرب اسطوانا بعد المربعة وزاد فيه من الشام خمسين ذراعا ولم يزد فيه من المشرق شيئا و بناه بالحجارة المنقوشة والقصة وخشب النخل والجريد و بيضه بالقصة وقدر زيد بن ثابت أساطينه فجعلها على قدر النخل وجعل فيه طاقات مما يلى المشرق والمغرب و بنى المقصورة بلبن وجعل فيها كوة ينظر الناس منها إلى الإمام وكان يصلى فيها خوفا من الذى أصاب عمر وكانت صغيرة وجعل أعمدة المسجد حجارة منقوشة فيها أعمدة الحديد وفيها الرصاص وسقفه بالساج فجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين ومائة ذراع وجعل أبوابه على ما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باب عاتكة والباب الذى يليه و باب مروان والباب الذى يقال له باب النبى صلى الله عليه وسلم و بابين فى مؤخره .

وقال عبد الرحمن بن سفينة : رأيت القصة تحمل إلى عثمان وهو يبنى المسجد من بطن نخل ورأيته يقوم على

(١) فى المخطوطتين : ذكر زيادة عمر وعثمان رضى الله عنهما فيه .

رجليه والعمال يعملون فيه حتى تأتى الصلاة فيصلى بهم ثم ربما نام فى المسجد واشترى من مروان بن الحكم داره وكان بعضها لآل النجار و بعضها دار العباس لها باب إلى المسجد وهى اليوم باقية على حالها وفيها تسكن الأمراء .

ذكر زيادة الوليد بن عبدالملك فيه(١)

ذكر أهل السير أن الوليد بن عبد الملك لما استعمل عمر بن عبد العزيز على المدينة أمره بالزيادة فى المسجد و بنيانه، فاشترى ما حوله من المشرق والمغرب والشام من أبى سبرة الذى كان أبى أن يبيع عليه ووضع الثمن له فلما صار إلى القبلة قال له عبد الله بن عبد الله بن عمر لسنا نبيع هذا هو من حق حفصة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكنها فقال له عمر : ما أنا بتارككم أنا أدخلها المسجد فلما كثر الكلام بينهما قال له عمر : أجعل لكم فى المسجد باباً تدخلون منه وأعطيكم دار الرقيق مكان هذا الطريق وما بقى من الدار فهو لكم ففعلوا فأخرج بابهم فى المسجد وهى الخوخة التى فى المسجد تخرج فى دار حفصة وأعطاهم دار الرقيق وقدم الجدار فى موضعه اليوم وزاد من المشرق ما بين الاسطوان المربعة إلى جدار المسجد ومعه عشر أساطين من مربعة القبر إلى الرحبة إلى الشام ومد فى المغرب اسطوانتين وأدخل فيه حجرات أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وأدخل فيه دور عبد الرحمن بن عوف (الثلاث التى كان يقال لها القراين اللاتى يقول فيهن أبو قطيفة بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط :

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا بقيع المصلى أم كعمد القراين)(٢)

ودار عبد الله بن مسعود وأدخل فيه من المغرب دار طلحة بن عبيد الله ودار أبى سبرة بن أبى رهم ودار عمار ابن ياسر و بعض دار العباس بن عبد المطلب وأعلى ما أدخل منها فجعل منابر سواريها التى تلى السقف أعظم من غيرها من سوارى المسجد قالوا و بعث الوليد إلى ملك الروم إنا نريد أن نعمل مسجد نبينا الأعظم فأعنا فيه بعمال وفسيفساء فبعث إليه بأربعين من الروم و بأربعين من القبط و بأربعين ألف مثقال عونا له و بأحمال من فسيفساء و بعث هذه السلاسل التى فيها القناديل فهدم عمر المسجد وأخمر النورة التى يعمل بها الفسيفساء وحملوا القصة من النخل منخولة وعمل الأساس من الحجارة والجدار بالحجارة المنقوشة المطابقة والقصة وجعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص وجعل طوله مائتى ذراع وعرضه فى مقدمه مائتى ذراع وفى مؤخره مائة وثمانين وعمله بالفسيفساء والمرمر وعمل سقفه بالساج وموهه بالذهب وهدم حجرات أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وأدخلها فيه وأدخل القبر فيه أيضاً ونقل لَبِنَ حجرات النبى صلى الله عليه وسلم ولبن المسجد فبنى به داره بالحرة وهو فيها اليوم له بياض على اللبن .

(١) تولى الوليد الخلافة بعد موت والده عبد الملك وذلك من عام ٨٦ هـ - حتى عام ٩٦ هـ .
(٢) ما بين القوسين : من زيادات النسخة المطبوعة .

وقال بعض الذين عملوا الفسيفساء : إنا عملناه على ما وجدناه من صور شجر الجنة وقصورها وكان عمر إذا عمل العامل الشجرة الكبيرة من الفسيفساء وأحسن عملها نقده ثلاثين درهماً، قالوا وكانت زيادة الوليد بن عبد الملك من المشرق إلى المغرب ستة أساطين وزاد إلى الشام من الاسطوانة المربعة إلى القبر أربع عشرة اسطوانة منها عشرة فى الرحبة وأربع فى السقايف الأول التى كانت قبل وزاد من الاسطوان التى دون المربعة إلى المشرق أربع أساطين وأدخل بيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد وبقى ثلاث أساطين فى السقايف وجعل للمسجد أربع منارات فى كل زاوية منارة وكانت المنارة الرابعة مطلة على دار مروان فلما حج سليمان بن عبد الملك أذن المؤذن فأطل عليه فأمر سليمان بتلك المنارة فهدمت إلى ظهر المسجد .

قالوا : وأمر عمر بن عبد العزيز حين بنى المسجد بأسفل الأساطين فجعل قدر سترة اثنين يصليان إليها وقدر مجلس اثنين يستندان إليها قالوا ولما صار عمر إلى جدار القبلة دعا مشايخه من أهل المدينة من قريش والأنصار والموالى والعرب فقال لهم: تعالوا احضروا بنيان قبلتكم لا تقولوا عمر غير قبلتنا فجعل لا ينزع حجرا إلا وضع حجرا قالوا ومات عثمان بن عفان رضى الله عنه وليس للمسجد شرافات ولا محراب فأول من أحدث الشرافات والمحراب عمر بن عبدالعزيز، قال وكتب عمر بن عبد العزيز الكتاب الذى فى القبلة عن يمين الداخل من الباب الذى يلى دار مروان ابن الحكم حتى انتهى إلى باب على رضى الله عنه كتبه مولى لحُوَيْطب بن عبد العزى اسمه سعد ، والكتاب « أم القرآن » ومن أول سورة « والشمس وضُحاها » إلى خاتمة « قلْ أعُوذُ بربِّ الناسِ » وعمل الميازيب من رصاص ولم يبق منها إلا ميزابان أحدهما فى موضع الجنائز والآخر على الباب الذى يدخل منه أهل السوق يقال له باب عاتكة وعمل المقصورة من ساج وهدم بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخله فى المسجد وكان ذلك فى سنة إحدى وتسعين ومكث فى بنيانه ثلاث سنين .

وكتب عمر فى القبلة فى صحن المسجد فى الفسيفساء ما نسخته « بسم الله الرحمن الرحيم : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، محمد عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون أمر عبد الله أمير المؤمنين الوليد بتقوى الله وطاعته والعمل بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبصلة الرحم وتعظيم ما صغَّر الجبابرة من حق الله سبحانه وتصغير ما عظموا من الباطل وإحياء ما أماتوا من الحقوق وإماتة ما أحيوا من العدوان والجور وأن يطاع الله سبحانه ويعصى العباد فى طاعة الله فالطاعة لله سبحانه ولأهل طاعته لا طاعة لأحد فى معصية الله يدعو إلى كتاب الله سبحانه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإلى العدل فى أحكام المسلمين والقسم بالسوية فى فيئهم ووضع الأخماس فى مواضعها التى أمر الله سبحانه بها لذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل».

قالوا : ولما قدم الوليد بن عبد الملك حاجا بعد فراغ عمر بن عبد العزيز من المسجد جعل يطوف فيه وينظر إلى بنائه فقال لعمر حين رأى سقف المقصورة ألا عملت السقف كله مثل هذا فقال يا أمير المؤمنين إذاً تعظم النفقة جداً

أتدرى كم أنفقت على عمل جدار القبلة وما بين السقفين ؟ قال وكم ؟ قال خمسة وأربعين ألف دينار ، وقال بعضهم: أربعين ألف دينار ، وقال : والله لكأنك أنفقتها من مالك ، وقيل كانت النفقة أربعين ألف مثقال .

قالوا : وكان معه أبان بن عثمان بن عفان فلما استنفد الوليد النظر إلى المسجد التفت إلى أبان فقال أين بنياننا من بنيانكم فقال أبان بنيناه بناء المساجد وبنيتموه بناء الكنائس ، قالوا : وبينا أولئك القوم يعملون فى المسجد إذ خلا لهم فقال بعضهم لأبولن على قبر نبيهم فتهيأ لذلك ونهاه أصحابه فلما هم أن يعمل اقتُلِعَ وألقى على رأسه فانتثر دماغه فأسلم بعض أولئك النصارى وعمل أحدهم على رأس خمس طاقات من جدار القبلة وفى صحن المسجد صورة خنزير فظهر عليه عمر بن عبد العزيز فأمر به فضربت عنقه ، قالوا: وكان عمل القبلة مقدم المسجد وكانت الروم تعمل ما خرج من السقف من جوانبه ومؤخره ، قال أهل السير: ولما فرغ عمر من بنيان المسجد أراد أن يجعل فى أبوابه فى كل باب سلسلة تمنع الدواب من الدخول فعمل واحدة وجعلها فى باب مروان ثم بدا له عن البواقى ، قلت : فهى باقية إلى اليوم وأقام الحرس فيه يمنعون الناس من الصلاة على الجنائز فيه ومن أن يخترقوه والسنة فى الجنائز باقية إلى هذا إلا فى حق العلويين ومن أراد من الأمراء وغيرهم من الأعيان والباقون يصلى عليهم خلف الحائط الشرقى من المسجد إذا وقف الإمام على الجنازة كان النبى صلى الله عليه وسلم عن يمينه .

ذكر زيادة المهدى فيه

قال أهل السير : لم يزل المسجد على مازاد فيه الوليد بن عبد الملك حتى ولِّى أبو جعفر المنصور(١) فهم بالزيادة وشاور فيها وكتب إليه الحسن بن زيد يصف له ناحية موضع الجنائز ويقول : إن زيد فى المسجد من الناحية الشرقية توسط قبر النبى ﷺ فى المسجد ، فكتب إليه أبو جعفر إنى قد عرفت الذى أردت فاكفف عن ذكر دار الشيخ عثمان بن عفان رضى الله عنه ، قالوا : وتوفى أبو جعفر ولم يزد فيه شيئاً . ثم حج المهدى(٢) بن أبى جعفر سنة إحدى وستين ومائة ، فقدم من الحج إلى المدينة واستعمل عليها جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس سنة إحدى وستين ومائة ، وأمره بالزيادة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاه بناءه هو وعبد الله بن عاصم ابن عمر بن عبد العزيز بن مروان ، وعبد الملك بن شبيب الغسانى من أهل الشام فزيد فى المسجد من جهة الشام إلى منتهاه اليوم ، وكانت زيادته مائة ذراع ولم يزد فيه من الشرق ولا الغرب ولا القبلة شيئاً ، ثم خفض المقصورة وكانت مرتفعة ذراعين من الأرض فوضعها فى الأرض على حالها اليوم وسد على آل عمر خوختهم التى فى دار حفصة حتى كثر الكلام فيها ثم صالحهم على أن خفض المقصورة وزاد فى المسجد لتلك الخوخة ثلاث درجات

(١) ولى أبو جعفر عرش الخلافة العباسية عام ١٣٦ هـ، وظل خليفة حتى توفى عام ١٥٨هـ .

(٢) ظل فى الخلافة من عام ١٥٨ هـ ، حتى عام ١٦٩ هـ .

وحفرت الخوخة حتى صارت تحت أرض المقصورة وجعل عليها فى جدار القبلة شباك فهو عليها اليوم، وكان المهدى قبل بنائه المسجد قد أمر به فقدر ما حوله من الدور فابتيع وكان مما أدخل فيه من الدور دار عبد الرحمن بن عوف التى يقال لها دار مليكة ودار شرحبيل بن حسنة و بقية دار عبد الله بن مسعود التى يقال لها دار القرّاء ودار المسور ابن مخرمة الزهرى وفرغ من بنيان المسجد سنة خمس وستين ومائة . قالوا وكتب على أثر الكتاب الذى كتبه عمر ابن عبد العزيز فى صحن المسجد ما نسخته « أمر عبد الله المهدى أمير المؤمنين أكرمه الله وأعز نصره بالزيادة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم و إحكام عمله ابتغاء وجه الله عز وجل والدار الآخرة أحسن الله ثوابه بأحسن الثواب والتوسعة لمن صلى فيه من أهله وأبنائه من جميع المسلمين فأعظم الله أجر أمير المؤمنين فيما نوى من حسنته فى ذلك وأحسن ثوابه بسم الله الرحمن الرحيم » ثم كتب « أم القرآن » كلها، ثم كتب على أثرها (إنما يعمر مساجد الله... الآية كلها) ثم كتب « وكان مبتدأ ما أمر به عبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين أكرمه الله من الزيادة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة اثنتين وستين ومائة ، وفرغ منه سنة خمس وستين ومائة ، فأمير المؤمنين أصلحه الله يحمد الله على ما أذن له واختصه به من عمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوسعته حمدا كثيرا ، والحمد رب العالمين على كل حال » .

قالوا : وعرض منقبة جدارى المسجد مما يلى المغرب ينقصان شيئاً ، وعرض منقبته مما يلى المشرق ذراعان وأربع أصابع ، و إنما زيد فيها لأنها من ناحية السيل ، وفى صحن المسجد أربع وستون بلاعة لماء المطر ، عليها أرحا ، ولها صمائم من حجارة يدخل الماء من أصعابها ، وكان أبو البحترى وهب بن وهب القاضى على المدينة والياً لهارون أمير المؤمنين فكشف سقف المسجد فى سنة ثلاث وسبعين ومائة فوجد فيه سبعين خشبة مكسورة فأدخل مكانها خشبا صحاحا وكان ماء المطر يغشى قبلة المسجد فجعل بين القبلة والصحن حجارة مربعة لاصقة من غربى المسجد إلى الحجارة المربعة التى فى شرقيه تلى القبر فمنع الماء الصحن ومنع حصباء القبلة أن يصل إلى الصحن .

ذكر الستارة التى كانت على صحن المسجد

قال أهل السير : لما قدم أبو جعفر المنصور المدينة سنة أربعين ومائة أمر بستور فستر بها صحن المسجد على عمد لها رءوس كفريات الفساطيط وجعلت فى الطيقان فكانت الريح تدخل فيها فلا يزال العمود يسقط على الإنسان فغيرها وأمر بستور هى أكثف من تلك الستور و بحبال فأتى بها من جدة من حبال السفن المتينة وجعلت على تشبيك حباله اليوم ، وكانت تجعل على الناس كل جمعة فلم يزل كذلك حتى خرج محمد بن عبد الله بن حسن يوم

الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائة فأمر بها فقطعت ذرائع لمن كان يقاتل معه فتركت حتى كان زمن هارون أمير المؤمنين[١] فأحدث هذه الأستار ولم تكن فى زمن بنى أمية .

أنبأنا ذاكر بن كامل عن الحسن بن أحمد بن محمد الحداد عن أبى نعيم الحافظ عن أبى جعفر الخلدى قال : أخبرنا محمد ابن عبد الرحمن المخزومى قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى محمد بن الحسن بن زبالة قال : حدثنى حسين بن مصعب قال : أدركت كسوة الكعبة يؤتى بها المدينة قبل أن تصل إلى مكة فتنشر على الرضراض فى المسجد ثم يخرج بها إلى مكة وذلك فى سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين ومائة .

ذكر المصاحف التى كانت بالمسجد

قال مالك بن أنس : أرسل الحجاج بن يوسف إلى أمهات القرى بمصاحف فأرسل إلى المدينة بمصحف منها كبير وكان فى صندوق عن يمين الاسطوان التى عملت على مقام النبى صلى الله عليه وسلم وكان يفتح يوم الجمعة والخميس فيقرأ فيه إذا صُليت الصبح وبعث المهدى بمصاحف لها أثمان فجعلت فى صندوق عن يسار السارية ووضعت منابر لها كانت تقرأ عليها وحمل مصحف الحجاج فى صندوقه فجعل عند الاسطوان التى عن يمين المنبر ، وإلى الاسطوان الأخرى التى تليها صندوق آخر فيه مصحف بعث به المهدى يقرأ فيه الناس ثم إلى التى تليها فى المغرب صندوق فيه مصاحف بعث بها المهدى ليقرأ فيها الناس على طبقة منبر صحيح وفى القبلة صندوق لاصق بالمقصورة فيه مصاحف يقرأ الناس فيها تصدقت بها حسنة أم ولد المهدى ، ووضع رجل من أهل البصرة يقال له أبو يحيى صندوقا وجمع فيه مصاحف يتعلم فيها الأميون والأعاجم ، قلت : وأكثر هذه المصاحف المذكورة دثرت على طول الزمان وتفرقت أوراقها فهو مجموع فى يومنا هذا فى خلال المقصورة إلى جانب باب مروان ، وفى الحرم عدة مصاحف موقوفة ، بخطوط ملاح مخزونة فى خزانتين من ساج بين يدى المقصورة خلف مقام النبى صلى الله عليه وسلم وهناك كرسى كبير فيه مصحف مقفل عليه أنفذ به من مصر وهو عند الاسطوانة التى فى صف مقام النبى صلى الله عليه وسلم محاذى الحجرة الشريفة وإلى جانبه مصحفان على كرسى يقرأ الناس فيهما وليس فى المسجد ظاهر سواهما .

---

(١) تولى الخلافة من عام ١٧٠ هـ ، حتى عام ١٩٣ هـ .

ذكر السقايات التى كانت فى المسجد

قال محمد بن الحسن بن زبالة[1] كان فى صحن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة سقاية إلى أن كتبنا كتابنا هذا فى صفر سنة تسع وتسعين ومائة : منها ثلاثة عشر أحدثها خالصة وهى أول من أحدث ذلك ، ومنها ثلاث سقايات ليزيد البربرى مولى أمير المؤمنين ومنها سقاية لأبى البحترى وهب بن وهب وسقاية لسحر أمّ ولد هارون أمير المؤمنين وسقاية لسلسبيل أم ولد جعفر بن أبى جعفر، قلت وأما الآن فليس فى المسجد سقاية إلا فى وسطه وفيه بركة كبيرة مبنية بالآجر والجص والخشب ينزل الناس إليها بدرج أربع فى جوانبها والماء ينبع من فوّارة فى وسطها يأتى من العين ولا يكون الماء فيها إلا فى أيام الموسم إذا جاء الحاج و بقية السنة تكون فارغة عملها بعض أمراء الشام واسمه شامة وعملت الجهمة أم الخليفة الناصر لدين الله وفقها الله توفيقاً سديدا فى مؤخر المسجد سقاية كبيرة فيها عدة من البيوت وحفرت لها بئرا وفتحت بابا إلى المسجد فى الحائط الذى يلى الشام وهى تفتح فى أيام الموسم .

ذكر ذرع المسجد اليوم وعدد أساطينه وطبقاته وأبوابه وذكر تجديد عمارته وما يتعلق به من الرسوم

اعلم أن طول المسجد اليوم من قبلته إلى الشام مائتا ذراع وأربع وخمسون ذراعا وأربع أصابع ، ومن شرقيه إلى غربيه مائة ذرع وسبعون ذراعا شافة وطول رحبته من القبلة إلى الشام مائة ذراع وتسع وخمسون ذراعا وثلاث أصابع ومن شرقيه إلى غربيه سبع وتسعون ذراعا راجحة وطول المسجد فى السماء خمس وعشرون ذراعا ، هذا ماذرعته أنا بخيط ، وذكر محمد بن زبالة أن طول مناراته خمس وخمسون ذراعاً وعرضهن ثمانية أذرع فى ثمانية أذرع وأما طيقانه ففى القبلة إحدى عشرة طاقة وفى الشام مثلها وفى المشرق والمغرب تسع عشرة طاقة وبين كل طاقتين اسطوان ورءوس الطاقات مسددة بشبابيك من خشب وأما عدد أساطينه غير التى فى الطيقان ففى القبلة ثمان وستون اسطوانة منها فى القبر صلى الله على ساكنه وسلم أربع وفى الشام مثلها وفى الشرق أربعون منها اثنتان فى الحجرة وفى المغرب ستون اسطوانا و بين كل اسطوان واسطوان تسعة أذرع وأما أبوابه فكانت بعد زيادة المهدى فيه : فى المشرق باب على رضى الله عنه ثم باب النبى صلى الله عليه وسلم ثم باب عثمان رضى الله عنه ثم باب مستقبل دار ريطة و باب مستقبل دار أسماء بنت الحسن ثم باب مستقبل دار خالد بن الوليد ثم باب مستقبل زقاق

---

(١) لابن زبالة : كتاب فى تاريخ المدينة والمسجد النبوى الشريف هو أصل لكل من كتب حول هذا وقد ألفه عام ١٩٩ هـ

المصانع ثم باب مستقبل ابنا الصوافى فذلك ثمانية أبواب : منها باق فى يومنا هـذا باب عثمان والباب المقابل لدار ريطة وفى الشام أربعة أبواب الأول حذاء دار شرحبيل بن حسنة والرابع حذاء بقية دار عبدالله بن مسعود، وليس منها شيء مفتوح فى زماننا هـذا وفى المغرب سبعة أبواب : الخامس منها باب عاتـكة والسادس باب زياد والسابع باب مروان وليس منها شيء مفتوح فى يومنا هذا إلا باب عاتـكة و يعرف الآن بباب الرحمة وهو الذى يلى باب الامارة وفى دار مروان باب إلى المسجد باق على حاله إلى الآن ، روى ابراهيم بن محمد عن ربيعة بن عثمان قال : لم يبق من الأبواب التى كان رسول الله يدخل منها إلا باب عثمان واعلم أن حدود مسجد رسول الله من القبلة الدرابزينات التى بين الأساطين ومن الشام الخشبتان المغروزتان فى صحن المسجد فهذا طوله وأما عرضه من المشرق إلى المغرب فهو من حجرة النبى صلى الله عليه وسلم إلى الاسطوان الذى بعد المنبر وهو آخر البلاط . ولم تزل الخلفاء من بنى العباس ينفذون الامراء على المدينة و يمدونهم بالأموال لتجديد مايتهدم من المسجد ولم يزل ذلك متصلا إلى أيام الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين(١) فانه ينفذ فى كل سنة من الذهب العين الامامى ألف دينار لأجل عمارة المسجد و ينفذ عدة من النجارين والبنائين ، والنقاشين والجصاصين والحراقين والحدادين والدوزجاربة والحالين ويكون مادتهم ما يأخذونه من الديوان ببغداد من غير هذه الألف المذكورة و ينفذ من الحديد والرصاص والأصباغ والحبال والآلات شيئاً كثيراً، ولا تزال العمارة متصلة فى المسجد ليلا ونهاراً حتى إنه ليس به اصبع إلا عامرا و ينفذ من القناديل والشيرج(٢) والشمع عدة أحمال لأجل المسجد و ينفذ من الند والغالية المركبة والعود لأجل تجمير المسجد شيئاً كثيراً وأما الرسوم التى تصل من الديوان لغير العمارة فأربعة آلاف دينار من العين الأمامية للصدقات على أهل المدينة من العلويين وغيرهم و ينفذ من الثياب القطن ألف وخمسمائة ذراع لأجل أكفان من يموت من الفقراء الغرباء، هذا غير ما ينفذ للخطيب و إمام الروضة وللمؤذنين وخدام المسجد ، وذكر يوسف بن مسلم أن زيت قناديل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم : كان يحمل من الشام حتى انقطع فى ولاية جعفر بن سليمان الأخيرة على المدينة فجعله على سوق المدينة ، فلما ولى المدينة داود بن عيسى سنة سبع أو ثمان وتسعين ومائة أخرجه من بيت المال ، قلت وفى يومنا هذا يصل الزيت من مصر من وقف هناك ومقداره سبعة وعشرون قنطاراً بالمصرى والقنطار مائة وثلاثون رطلا ، و يصل معه مائة وستون شمعة بيضاء كبار وصغار وعلبة فيها مائة مثقال ند .

(١) هو الناصر بن المستضىء تولى الخلافة عام ٥٧٦ هـ حتى عام ٦٢٢ هـ .
(٢) هو نوع من أنواع الزيت ويسمى باللغة المصرية العامية (السيرج) .

الباب الثالث عشر

في ذكر المساجد التي بالمدينة وفضلها

اعلم أن المساجد والمواضع التي صلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة كثيرة وأساميها في الكتب مذكورة إلا أن أكثرها لا يعرف في يومنا هذا، فذكره لا فائدة فيه هنا فأما المساجد التي هي اليوم معروفة فهي :

مسجد قُبَاء

روى البخاري في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه وخرج إلى المدينة .

أنبأنا عبد الرحمن بن علي قال : أنبأنا محمد بن أبي منصور ، أخبرنا محمد بن أحمد المقرى ، أنبأنا عبد الملك بن محمد الواعظ ، حدثنا دعلج بن أحمد ، حدثنا ابن خزيمة ، حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا إسماعيل بن أبي أوس ، حدثني أبي عن شرحبيل بن سعد عن عويمر بن ساعدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأهل قُباء : إن الله تعالى قد أحسن الثناء عليكم في الطهور قال : (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) إلى آخر الآية ، ماهذا الطهور ؟ فقالوا : مانعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا .

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور قباء راكباً وماشيا ، وفي صحيح مسلم أن عبد الله بن عمر كان يأتي قباء في كل سبت ويقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت ، وروى أبو عروبة قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأتي قُباء كل يوم الاثنين ويوم الخميس فجاء يوما فلم يجد أحداً من أهله فقال : والذي نفسي بيده لقد رأيتنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر في أصحابه ننقل حجارته على بطوننا ويؤسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام ، وروى البخاري في الصحيح قال : كان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين الأولين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد قباء فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين . وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من توضأ فأسبغ الوضوء وجاء مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان له أجر عمرة ، وروت عائشة بنت سعد بن أبي وقاص عن أبيها قال : والله لأن أصلي في مسجد قباء ركعتين أحب إلى من أن آتي إلى بيت القدس مرتين ولو يعلمون ما فيه لضربوا إليه أكباد الابل ، وروى نافع عن ابن عمر أن النبي

صلى الله عليه وسلم صلى إلى الأساطين الثلاث فى مسجد قباء التى فى الرحبة قلت : لما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة نزل فى بنى عمرو بن عوف بقباء فى منزل كلثوم بن الهرم وأخذ مر بده[1] فأسسه مسجدا وصلى فيه ولم يزل ذلك المسجد يزوره رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته و يصلى فيه أهل قباء فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تزل الصحابة تزوره وتعظمه ، ولما بنى عمر بن عبد العزيز مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بنى مسجد قباء ووسعه و بناه بالحجارة والجص وأقام فيه الأساطين من الحجارة داخلها عواميد الحديد والرصاص ونقشه بالفسيفساء وعمل له منارة وسقفه بالساج وجعله أروقة وفى وسطه رحبة وتهدم حتى جدد عمارته جمال الدين الأصبهانى وزير بنى زنكى الملوك ببلاد الموصل[2] .

وذرعت مسجد قباء فكان طوله ثمانية وستين ذراعا تشف قليلا وعرضه كذلك وارتفاعه فى السماء عشرون ذراعا وطول منارته من سطحه إلى رأسها اثنان وعشرون ذراعا وعلى رأسها قبة طولها نحو العشرة أذرع وعرض المنارة من جهة القبلة عشرة أذرع شافة ومن المغرب ثمانية أذرع ، وفى المسجد تسعة وثلاثون اسطواناً بين كل اسطوانين سبعة أذرع شافة وفى جدرانه طاقات نافذة إلى خارج فى كل جانب ثمان طاقات إلى الجانب الذى يلى الشام والثامنة فيها المنارة فهى مسدودة والمنارة عن يمين المصلى وهى مر بعة .

مسجد الفتح

أنبأنا حنبل بن عبد الله الرصافى قال أخبرنا أبو القاسم بن الحضر أخبرنا أبو على بن المهذب أنبأنا أبو بكر القطيعى حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبى حدثنا أبو عامر كثير يعنى ابن زيد ، حدثنا عبد الله ابن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال حدثنى جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا فى مسجد الفتح يوم الاثنين و يوم الثلاثاء و يوم الأر بعاء فاستجيب له يوم الأر بعاء بعد الصلاتين فعرف البشر فى وجهه ، أنبأنا القاسم ابن على أخبرنا هبة الله بن أحمد أخبرنا أبو منصور بن شكرويه أخبرنا إبراهيم بن عبدالله حدثنا أبو عبد الله المحاملى حدثنا على بن سالم حدثنا إسماعيل بن أبى فديك عن معاذ بن سعيد السلمى عن أبيه عن جابر أن رسول الله ﷺ مر بمسجد الفتح الذى على الجبل وقد حضرت صلاة العصر فرقى فصلى فيه صلاة العصر ، وروى هارون بن كثير عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق دعا على الأحزاب فى موضع الاسطوانة الوسطى من مسجد الفتح الذى على الجبل ؛ قلت وهذا المسجد على رأس جبل يصعد إليه بدرج وقد عمر عمارة جديدة وعن يمينه فى الوادى نخل كثير ويعرف ذلك الموضع بالسيح ومساجد حوله وهى ثلاثة قبلة الأول منها خراب قد هدم وأخذت حجارته

(١) المربد : موضع يجفف فيه التمر (وهو الجرن والجرين والمسطح) .

(٢) وذلك عام ٥٥٥ هـ ، وقد جدد أيضاً عام ٦٧١ هـ ، وعام ٧٣٣ هـ فى عهد الناصر بن قلاوون ، وعام ٨٤٠ هـ ، وعام ٨٨١ هـ ، وفى عهد السلطان عبد المجيد .

والآخران معموران بالحجارة والجص وهما فى الوادى عند النخل ، وروى معاذ بن سعد أن رسول الله عليه السلام صلى فى مسجد الفتح فى الجبل وفى المساجد التى حوله (١) .

مسجد القبلتين

روى عثمان بن محمد الأخنسى قال : زار رسول صلى الله عليه وسلم امرأة من بنى سلمة يقال لها أم بشير فى بنى سلمة فصنعت له طعاما فجاء الظهر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فى مسجد القبلتين الظهر فلما صلى ركعتين أمر أن يتوجه إلى الكعبة فاستدار رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين ، وكانت يومئذ أربع ركعات منها ثنتان إلى بيت المقدس وثنتان إلى الكعبة ، وقال سعيد بن المسيب (٢) : صرفت القبلة قبل بدر بشهرين والثابت عندنا أنها صرفت فى الظهر فى المسجد، قلت : وهذا المسجد بعيد من المدينة قريب من بئر رومة وقد انهدم وأخذت حجارته و بقيت آثاره وموضعه يعرف بالقاع (٣) .

مسجد الفضيخ (٤)

روى عن هشام بن عروة والحارث بن فضيل انهما قالا : صلّى النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجد الفضيخ (٥) ، قلت : وهذا المسجد قريب من قباء و يعرف بمسجد الشمس وهو حجارة مبنية على نشز من الأرض .

مسجد بنى قريظة (٦)

روى على بن رفاعة عن أشياخ من قومه أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى بيت امرأة فأدخل ذلك البيت فى مسجد بنى قريظة وهو المكان الذى صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة ، قلت : وهـذا المسجد اليوم باق بالعوالى وهو كبير طوله نحو عشرين ذراعا وعرضه كذلك وفيه ست عشرة اسطوانة قد سقط بعضها وهو بلا

---

(١) يقع مسجد الفتح فى شمال المدينة الغربى فى جبل يقال له سلع ، ويسمى أيضا : مسجد الأحزاب، والمسجد الأعلى، وهو فى المكان الذى قام فيه الرسول يدعو على الأحزاب فى غزوة الخندق فاستجاب الله دعاءه وهزم الأحزاب ، وقد عمره عمر بن عبد العزيز ، ثم جدد عام ٥٧٥ هـ بأمر أمير مصر .

(٢) من كبار التابعين بالمدينة توفى عام ١١٠ هـ .

(٣) جدد بناؤه عام ٨٩٣ هـ فى عهد المماليك ، وعام ٩٥٠ هـ فى عهد السلطان سليمان العثمانى .

(٤) هو شرقى مسجد قباء .

(٥) وذلك فى مدة حصاره لبنى النضير .

(٦) يقع شرقى مسجد الفضيخ وقد جدده الشجاعى شاهين الجمالى شيخ المسجد النبوى سنة ٨٩٣ هـ .

سقف وحيطـانه مهدومة وقد كان مبنيا على شكل بناء مسجد قباء وحوله بساتين ومزارع ومشربة أم ابراهيم ابن النبي عليه السلام ، وهذا الموضع بالعوالى من المدينة بين النخل وهو أكمة قد حوط عليها بلبن والمشربة البستان، وأظنه قد كان بستانا لمـارية القبطية أم ابراهيم النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم ... واعلم أن بالمدينة عدة مساجد خراب فيها المحاريب و بقايا الأساطين وتنقض وتؤخذ حجارتها فتعمر بها الدور ، منها: مسجد بقباء قريب من مسجد الضرار فيه اسطوانات قائمة ومسجدان قريبان من البقيع أحدهما يعرف بمسجد الإجابة وفيه اسطوانات قائمة ومحراب مليح و باقيه خراب، وآخر يعرف بمسجد البغلة فيه اسطوانة واحدة وهو خراب وحوله يسير من الحجارة فيه أثر يقولون انه أثر حافرى بغلة النبي صلى الله عليه وسلم فتستحب الصلاة فى هـذه المواضع وان لم يعرف أساميها لأن الوليد بن عبد الملك كتب إلى عمر بن عبد العزيز وهو واليه على المدينة : مهما صح عندك من المواضع التى صلى فيهـا النبي صلى الله عليه وسلم فابن عليه مسجداً فهذه الآثار كلها آثار بناء عمر بن عبد العزيز .

الباب الرابع عشر

فى ذكر مسجد الضرار وهدمه

هذا المسجد بناه المنافقون مضاهاة لمسجد قباء فكانوا يجتمعون فيه و يعيبون النبي صلى الله عليه وسلم و يستهزئون به وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا : حرام بن خالد ومن داره أخرجه ، وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وأبو حبيبة بن الأزعر وعباد بن حنيف وحارثة بن عامر وابناه مجمع وزيد ، ونفيل بن الحارث ومخدج وبجاد بن عثمان ووديعة بن ثابت ؛ فلما بنوه أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يارسول الله انا قد بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية و إنا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه فقال إنى على جناح سفر وحالِ شغل ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لـكم فيه فلما نزل رسول الله « بذى أوان » وهو بلد بينه و بين المدينة ساعة من نهـار ومرجعه من تبوك أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله عليه السلام مالك بن الدخشم ومعن بن عدى أو أخاه عاصماً فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف فأخذا سعفاً من النخل وأشعلا فيه ناراً ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وفيه أهله فحرقاه وهدماه وتفرق أهله عنه ونزل فيه من القرآن ما نزل « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً » إلى آخر القصة .

قلت : وهذا المسجد قريب من مسجد قباء وهو كبير وحيطانه عالية و تؤخذ منه الحجارة وقد كان بناؤه متيناً .

الباب الخامس عشر

فى ذكر وفاة النبى ﷺ وصاحبيه رضى الله عنهما

روى عن أبى مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال : بعثنى رسول الله ﷺ من جوف الليل فقال: يا أبا مويهبة إنى قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معى فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال : السلام عليكم يا أهل المقابر لِيَهْنَ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى . ثم أقبل على وقال : يا أبا مويهبة إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة فخيرت بين ذلك و بين لقاء ربى والجنة قال : فقلت بأبى أنت وأمى يا رسول الله فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، قال : لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربى والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ثم انصرف فبدأ برسول الله وجعُه الذى قبضه الله فيه .

وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع فوجدنى وأنا أجد صداعاً فى رأسى وأنا أقول وا رأساه فقال : بل والله يا عائشة وا رأساه ، فقال : وما ضرك لو متِّ قبلى فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك قالت : قلت لكأنى بك قد فعلت ذلك ثم رجعت إلى بيتى فأعرست فيه ببعض نسائك ، قالت فتبسم رسول الله ﷺ وتتام به وجعه وهو يدور على نسائه حتى اشتد به وجعه وهو فى بيت ميمونة فدعا نساءه وكن تسعاً : عائشة وحفصة وأم سلمة وأم حبيبة وسودة وزينب وميمونة وجويرية وصفية فاستأذنهن على أن يُمرَّض فى بيت عائشة فأذنَّ له فخرج رسول الله ﷺ يمشى بين العباس وعلى رضى الله عنهما عاصباً رأسه تخط قدماه الأرض حتى دخل بيت عائشة ثم حم رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد وجعه فقال : هريقوا على من من سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد اليهم فأقعدوه ﷺ فى مِخْضب وصبوا عليه الماء وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر فصلى على أصحاب أُحد واستغفر لهم وأكثر الصلاة عليهم ثم قال : إن عبداً من عبد الله خيره الله عز وجل بين الدنيا والآخرة و بين ما عنده فاختار ما عنده قال: ففهمها أبو بكر ، وعرف أن نفسه يريد وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، ثم قال رسول الله عليه السلام : يا معشر المهاجرين استوصوا بالأنصار خيراً فإن الناس يزيدون والأنصار على هيئتها لا تزيد وإنهم كانوا عيبتى التى آويت إليها فأحسنوا إلى محسنهم و تجاوزوا عن مسيئهم ثم نزل فدخل بيته وتتام به وجعه ، وروى البخارى فى الصحيح من حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما رأيت أحداً الوجع عليه أشد من رسول الله .

وفيه أيضاً من حديث عبد الله بن مسعود قال دخلت على النبي وهو يوعك فقلت : يارسول الله إنك توعك وعكا شديداً قال أجل إنى أوعك كما يوعك رجلان منكم، ولما اشتد به وجعه ﷺ جاءه بلال يؤذنه بصلاة الفجر من يوم الاثنين، قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فلما تقدم أبو بكر يصلى بالناس وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة فخرج على الناس قال أنس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس وهم يصلون الصبح فرفع الستر وقام على باب عائشة فكاد المسلمون يفتتنون فى صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فرحاً به وتفرجوا فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم قال وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سروراً لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن هيئة منه تلك الساعة ، قال أبو بكر بن أبى مايكة: فلما تفرج الناس عرف أبو بكر أنهم لم يفعلوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنكص عن مصلاه فدفعه رسول الله ﷺ فى ظهره وقال صل بالناس وجلس الرسول إلى جانبه فصلى قاعداً عن يمين أبى بكر فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس فكلمهم رافعاً صوته حتى خرج صوته من باب المسجد يقول : يأيها الناس سعرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم و إنى والله ما تمسكون على بشىء إنى لم أحل إلا ما أحل القرآن ولم أحرم إلا ما حرم القرآن، فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من كلامه قال له أبو بكر : يا نبى الله إنى أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما نحب واليوم يوم بنت خارجة أفآتيها ؟ قال نعم قال ثم دخل عليه السلام وخرج أبو بكر إلى أهله بالسيح وخرج يومئذ على بن أبى طالب رضى الله عنه على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الناس : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله؟ فقال أصبح بحمد الله بارئاً ، قال فأخذ العباس بيده وقال يا على أحلف بالله لقد رأيت الموت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب .

وفى صحيح البخارى من حديث عائشة رضى الله عنها قالت دعا النبيُّ صلى الله عليه وسلم فاطمة فى شكواه الذى قبض فيه فسارَّها بشىء فبكت ثم دعاها فسارَّها فضحكت فسألتها عن ذلك فقالت سارنى أنه يقبض فى وجعه فبكيت ثم سارنى أنى أول أهله لحوقاً به فضحكت ، وفيه من حديثها أيضاً أنها قالت : إن من نعم الله على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى فى بيتى وفى يومى و بين سَحْرِى ونَحْرِى و إن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته، دخل على عبد الرحمن بن أبى بكر وأنا مسندة النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدرى ومعه سواك رطب يستن به فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك فقلت آخذه لك فأشار برأسه أن نعم فلينته وطيبته ثم دفعته إليه فاستن به فما رأيت النبى عليه السلام استن استنانا قط أحسن منه و بين يديه ركوة فيها ماء فجعل يدخل يده فى الماء فيمسح بها وجهه و يقول لا إله إلا الله إن للموت لسكرات ثم نصب يديه فجعل يقول فى الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده .

قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول إنه لن يقبض نبى قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير ، فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذى غشى عليه فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت

ثم قال : اللهم فى الرفيق الأعلى ، فقلت إذا لا يختارنا فعرفت أنه حديثه الذى كان يحدثنا وهو صحيح .

وقالت عائشة رضى الله عنها : سمعت رسول الله عليه السلام وأصغيت إليه قبل أن يموت وهو مسند إلى ظهره يقول : اللهم اغفر لى وارحمنى وألحقنى بالرفيق الأعلى، ولما تغشاه الموت قالت فاطمة رضى الله عنها : وا كرب أباه، قال لها : ليس على أبيك كرب بعد اليوم ، قالت عائشة وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرى فنظرت فى وجهه و إذا بصره قد شخص وهو يقول : بل الرفيق الأعلى فى الجنة، وقبض صلى الله عليه وسلم، قالت : فوضعت رأسه على وسادة وقمت أندب مع النساء أضرب وجهى وقالت فاطمة رضى الله عنها تندبه : يا أبتاه أجاب ربًا دعاه ، يا أبتاه فى جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه ، وقال جبريل للنبى عند موته يا أحمد هذا آخر وطئى فى الأرض ولا أنزل إليها أبداً بعد إنما كنت حاجتى من الدنيا ، وكانت وفاته صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضحى من يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة عن ثلاث وستين سنة من عمره وكمل بالمدينة من يوم دخلها إلى يوم مات عشر سنين كوامل مبلغاً لرسالات الله مجاهداً لأعدائه. ولما توفى رسول الله قام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله قد توفى ، و إن رسول الله مامات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى فانه غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات ووالله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أنه قد مات ،قالوا وأقبل أبوبكر على فرس من مسكنه بالسيح فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فيمم رسول الله وهو مُسَجّى بثوب حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله و بكى ثم قال : بأبى وأمى أنت والله لا يجمع الله عليك موتتين : أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها ثم لن يصيبك بعدها موتة أبداً ثم رد البرد على وجهه وخرج عمر بن الخطاب يكلم الناس فقال : على رِسْلك ياعمر أنصت فأبى إلا أن يتكلم فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنه من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت قال : ثم تلا هذه الآية « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين » قال : فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ قال : وأخذها الناس عن أبى بكر فهى فى أفواههم قال عمر : فوالله ماهو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى وقعت إلى الأرض ماتحملنى رجلاى وعرفت أن رسول الله قد مات ، ولما مات رسول الله قالوا : والله لا يدفن ، وما مات و إنه ليوحى إليه فأخروه حتى أصبحوا من يوم الثلاثاء وقال العباس : إنه قد مات و إنى لأعرف منه موت بنى عبد المطلب وقال القاسم بن محمد مادفن رسول الله حتى عرف الموت فى اظفاره قالت عائشة رضى الله عنها لما أرادوا غسل رسول الله اختلفوا

فقالوا والله ماندرى أيجرد رسول صلى الله عليه وسلم كما نجرد موتانا ؟ أو نغسله وعليه ثيابه ، قالت فلما اختلفوا ألقى عليهم النوم حتى مامنهم رجل إلا ذقنه فى صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو أن اغسلوا النبى وعليه ثيابه قالت : فقاموا إلى رسول الله فغسلوه وعليه قميصه يصبون المـاء فوق القميص دون أيديهم وغسله على رضى الله عنه أسنده إلى صدره وعليه قميصه يدلـكه به من ورائه لا يفضى بيده إلى رسول صلى الله عليه وسلم والعبـاس وابناه الفضل وقثم يقلبونه معه وأسامة بن زيد وشقران مولى النبى يصبان المـاء عليه وعلى يقول : بأبى أنت وأمى ما أطيبك حيا وميتا ولم ير من رسول الله شىء مما يرى من الميت فلما فرغوا من غسله كفن .

روى البخارى فى الصحيح من حديث عائشة رضى الله عنها أنهـا قالت : كفن رسول الله فى ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف ليس فيهـا قميص ولا عمامة فلـما فرغ من جهاز رسول الله يوم الثلاثاء وضع على سريره فى بيته ثم دخل الناس يصلون عليه ارسالاً ـ أى جماعات ـ : الرجال ثم النساء ثم الصبيان ولم يؤم الناس على رسول الله أحد .

واختلفوا فى دفنه فأنبأنا عبـد الرحمن بن على ، أخـبرنا أبو الحسن الفقيه ، اخبرنا على بن احمـد البندار أنبأنا عبيـد الله بن محمد العكبرى حـدثنا أبو عبد الله بن مخلد حدثنا على بن سهل بن المغيرة حدثنا محمد بن عمر حدثنا عبدالحميد بن جعفر عن عثمان بن محمد الأخنسى عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى موضع قبره فقال قائل : بالبقيع فانه كان يكثر الاستغفار لهم وقال قائل : منهم عند منبره وقال قائل : منهم فى مصلاه فجاء أبو بكر رضى الله عنه فقال : إن عندى من هذا خبرا وعلماً سمعت رسول الله يقول : ما قبض نبى إلا دفن حيث توفى . أخبرنا الحسن بن محمد الواعظ أنبأنا أحمد بن جعفر القطيعى حدثنا عبدالله ابن أحمد بن محمد بن حنبل حدثنى أبى حدثنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج قال : أخبرنى أبى أن أصحاب النبى لم يدروا أين يقبرون رسول الله حتى قال أبو بكر رضى الله عنـه فأخروا فراشه وحفروا له تحت فراشه ، وروى عكرمة عن ابن عباس قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله عليـه السلام وكان أبو عبيدة يضرح حفر أهل مكة وكان أبو طلحة يلحد لأهل المدينة فدعا العباس رجلين فقال : لأحدهما اذهب إلى أبى عبيدة وللآخر اذهب إلى أبى طلحة ، اللهم خِرْ لرسولك، فوجد صاحب أبى طلحة أبا طلحة فجاء به فلحد لرسول الله ثم دفن رسول الله من وسط الليل ليلة الأربعاء وكان الذين نزلوا قبره على بن أبى طالب والفضل وقثم ابنا العباس، وشقران مولى رسول الله و بنى على لحده تسع لبنات نصبن نصبا، وروى جعفر بن محمد الصادق عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم رش على قبره وجعل عليه حصباء حمراء من حصباء العرصة ورفع قدر شبرين من الأرض ، وروى البخارى فى الصحيح من حديث أبى بكر بن عياش عن سفيان التمار أنه حدَّثه أنه رأى قبر النبى مسنما .

وفى صحيح البخارى من حديث أنس بن مالك أنه قال : لما دفن النبى قالت : فاطمة رضى الله عنها ياأنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب ؟ أنبأنا أبو جعفر الواسطى عن أبى طالب عن ابن يوسف أخبرنا أبو الحسن بن الابنوسى عن عمر بن شاهين أخبرنا محمد بن موسى حدثنا أحمد بن محمد الكاتب حدثنى طاهر بن يحيى حدثنى أبى عن جدى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : لما رمس رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمة رضى الله عنها فوقفت على قبره وأخذت قبضة من تراب القبر فوضعته على عينها و بكت وأنشأت تقول :

ماذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صُبَّت على مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

روى عن أبى جعفر محمد بن على أنه قال : مارأيت فاطمة رضى الله عنها بعد أبيها ضاحكة ومكثت بعده ستة أشهر .

وروى حجاج بن عثمان عن أبيه قال : رأيتهم اجتمعوا يوم مات النبى على أكمة فجعلوا يبكون عليه .

وروى البخارى فى الصحيح من حديث أبى بردة قال : أخرجت الينا عائشة كساء و إزاراً غليظا فقالت : قبض روح رسول الله فى هذين .

وروى أنس من حديث عائشة قالت قال رسول الله فى مرضه الذى لم يقم منه : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً ، أنبأنا يحيى بن أسعد بن بوش عن أبى على الحداد عن أبى نعيم الحافظ عن جعفر الخلدى أنبأنا يزيد المخزومى حدثنا الزبير بن بكار حدثنا محمد بن الحسن قال : حدثنى غير واحد ، منهم عبد العزيز بن أبى حازم ونوفل بن عمارة قالوا : إن عائشة رضى الله عنها كانت تسمع صوت الوتد والمسمار يضرب فى بعض الدور المطنبة بمسجد النبى صلى الله عليه وسلم فترسل إليهم أن لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عمل على بن أبى طالب رضى الله عنه مصراعى داره إلا بالمناصع توقيا لذلك ، وروى أن بعض نساء النبى صلى الله عليه وسلم دعت نجاراً يغلق ضبة لها وأن النجار ضرب المسمار فى الضبة ضرباً شديداً فصاحت عائشة بالنجار وكلمته كلاما شديداً وقالت ألم تعلم أن حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته إذا كان حياً قالت الأخرى وماذا سمع من هذا قالت عائشة رضى الله عنها إنه ليؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت هذا الضرب كما لو كان يؤذيه حياً صلى الله عليه وسلم تسليما .

ذكر وفاة أبى بكر رضى الله عنه

ذكر محمد بن جرير الطبرى بإسناد له أن اليهود سمت أبا بكر فى أرزة ويقال فى خزيرة وتناول معه الحارث ابن كلدة منها ثم كف وقال لأبى بكر : أكلت طعاما مسموما فسم لسنته فمات بعد سنة ومرض خمسة عشر يوما فقيل له لو أرسلت إلى الطبيب ، فقال قد رآنى ، قالوا فما قال لك ؟ قال : قال إنى أفعل ما أشاء ، وقالت عائشة رضى الله عنها كان أول ما بدا أبو بكر رضى الله عنه أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوما بارداً فَحُمَّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى الصلاة وكان يأمر عمر بن الخطاب يصلى بالناس ويدخل عليه الناس يعودونه وهو يثقل كل يوم وهو يومئذ نازل فى داره التى قطعها له رسول الله وجاه دار عثمان بن عفان ، قال أهل السير كان ينزل أبو بكر بالسيح عند زوجته بنت خارجة بن زيد وأقام بالسيح بعد ما بويع له بالخلافة ستة أشهر يغدو على رجليه إلى المدينة وربما ركب على فرس له وعليه إزار ورداء فيوافى المدينة فيصلى الصلاة بالناس فإذا صلى العشاء رجع إلى أهله بالسيح فكان إذا حضر صلى وإن لم يحضر صلى بهم عمر بن الخطاب وكان تاجراً يغدو كل يوم إلى السوق فيبيع وكانت له قطعة غنم تروح عليه وربما خرج بالغنم لرعيها وربما كفيها ورعيت له وكان يحلب للحى أغنامه فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحى الآن لا يحلب لنا منائح دارنا ، فسمعها أبو بكر فقال بل لعمرى لأحلبنها لكم وإنى لأرجو ربى أن لا يغيرنى ما دخلت فيه عن خُلُق كنت عليه فكان يحلب لهم ثم نزل المدينة فأقام بها ونظر فى أمره فقال والله ما يصلح أمر الناس والتجارة وما يصلحهم إلا التفرغ لهم والنظر فى شأنهم ولا بد لعيالى مما يصلحهم فترك التجارة واستنفق من بيت مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله يوما بيوم ويحج ويعتمر وكان الذى فرضوا له فى كل سنة ستة آلاف درهم فلما حضرته الوفاة قال ردوا ما علىّ من مال المسلمين فإنى لا أصيب من هذا المال شيئاً وإن أرضى التى بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم، فدفع ذلك إلى عمر فقال عمر : لقد أتعب مَن بعده .

روى البخارى فى الصحيح من حديث عائشة رضى الله عنها قالت دخلت على أبى بكر رضى الله عنه فقال : فى كم كفنتم النبى ؟ قالت فى ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة ، وقال لها فى أى يوم توفى رسول الله ؟ قالت يوم الاثنين قال فأى يوم هذا ؟ قالت يوم الاثنين قال أرجو فيما بينى وبين الليلة فنظرت إلى ثوب عليه كان يمرض فيه به ردغ من زعفران فقال اغسلوا ثوبى هذا وزيدوا عليه ثوبين وكفنونى فيها قلت إن هذا لَخَلق قال إن الحى أحق بالجديد من الميت ، فلم يتوف حتى أمسى من ليلة الثلاثاء ودفن قبل الصبح وكان آخر ما تكلم به أبو بكر رضى الله عنه : رب توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين ، وتوفى بين المغرب والعشاء من ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال وكان عمره ثلاثا وستين

سنة وغسلته زوجته أسماء بنت عميس بوصية منه وابنه عبد الرحمن يصب عليه الماء وكفن وحمل على السرير الذى حمل عليه رسول الله وصلى عليه عمر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه المنبر ودفن ليلة الثلاثاء إلى جنب رسول الله عليه السلام وألصقوا لحده بلحده ودخل قبره عمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن ابنه رضى الله عنهم وكان أبوه قحافة حيا بمكة فلما نعى إليه قال : رزء جليل ، وعاش بعده ستة أشهر وأياما ، وتوفى فى المحرم سنة أربع عشرة بمكة وهو ابن سبع وتسعين سنة رضى الله عنهما .

ذكر وفاة عمر رضى الله عنه

روى أبو بكر بن أبى شيبة فى مسنده من حديث معدان بن أبى طلحة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قام يوم الجمعة خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر نبى الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه ثم قال : أيها الناس إنى قد رأيت رؤيا كأن ديكا أحمر نقرنى نقرتين ولا أدرى ذلك إلا لحضور أجلى وإن ناساً يأمرون أن أستخلف وإن الله لم يكن يضيع دينه وخلافته والذى بعث به نبيَّه، فإن عجل بى أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الرهط الستة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فأيهم بايعوا فاسمعوا له وأطيعوا وذكر كلاماً طويلا قال فخطب بها عمر يوم الجمعة وأصيب يوم الأربعاء .

وروى البخارى فى الصحيح من حديث عمرو بن ميمون قال : إنى لقائم ما بينى وبين عمر إلا عبد الله بن عباس حذاءه غداة أصيب وكان إذا مر بين الصفين قال : استووا حتى إذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر وربما قرأ سورة يوسف والنحل أو نحو ذلك فى الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول : قتلنى أو أكلنى الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة وصار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يميناً وشمالاً إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه ، فمن يلى عمر قد رأى الذى رأى وأما أواخر المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال : يا ابن عباس انظر من قتلنى فجال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة قال الصانع ؟ قال نعم قال : قاتله الله لقد أمرت به معروفا وقال الحمد لله الذى لم يجعل منيتى على يد رجل يدعى الإسلام واحتمل إلى بيته فانطلقنا معه وكأنَّ الناس لم تصبهم مصيبة قبل ذلك فقائل يقول لا بأس وقائل يقول أخاف عليه فأتى بنبيذ فشرب به فخرج من جوفه فعرفوا أنه ميت فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك فى صحبة رسول الله وقدمك فى الإسلام ماقد علمت ثم وليت فعدلت ثم الشهادة قال : وددت أن ذلك كان كفافا لا على ولا لى، فلما أدبر رأى رداءه يمس الأرض قال : ردوا على الغلام ، قال : يا ابن أخى ارفع ثوبك فإنه أتقى وأنقى

لثو بك ياعبد الله بن عمر انظر ماعلى من الدين ، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفـا أو نحوه قال : إن وفى له مال آل عمر فأده من أموالهم وإلا فاسئل فى بنى عـدى بن كعب فإن لم تف أموالهم فاسئل فى قريش ولا تعـدهم إلى غـيرهم انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل يقرأ عمر عليك السـلام ولا تقل أمـير المؤمنين فإنى لست اليـوم للمؤمنين أمـيراً وقل يستأذن عمر بن الخطـاب أن يدفن مع صاحبيه ، فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكى فقال : يقرأ عليك السلام عمر بن الخطاب ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسى ولأوثرنه به اليوم على نفسى فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء قال ارفعونى فأسنده رجل إليه فقال ما لديك قال : الذى تحب يا أمير المؤمنين أذنت فقال الحمد لله ما كان أهم إلى من ذلك فإذا أنا قبضت فاحملونى ثم سـلم وقل يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت لى فأدخلونى وإن ردتنى فارددونى إلى مقابر المسلمين ، وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء معها فلما رأينها قمن فولجت عليه فبكت عنده ساعة ، واستأذن الرجال فولجت داخلا ، فسمعنا بكاءها من داخل فقالوا أوص ياأمير المؤمنين ، استخلف، قال ما أجد أحدا أولى وأحق بهذا الأمر من هولاء النفر أو الرهط الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وقال : اشهد يا عبد الله بن عمر ليس لك من الأمر شىء وأوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم ، وأوصيه بأهل الأمصار خيرا فإنهم ردء الإسلام وجباة المال وغيظ العدو ولا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يأخذ من حواشى أموالهم ويرد على فقرائهم وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يـكلفوا إلا طاقتهم فلما قبض رضى الله عنه خرجنا به فانطلقنا نمشى فسلم عبد الله بن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب قالت أدخلوه فأدخل موضعاً هناك مع صاحبيه قلت : وباع عبد الله بن عمر داراً لعمر بن الخطاب ومالا له بالغابة ثم قضى دين أبيه وكانت وفاته رضى الله عنه يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وكانت خلافته عشر سنين كوامل وستة أشهر وأربعة أيام وكان سنه ثلاثا وستين سنة وصلى عليه صهيب وجاه المنبر ودفن مع النبى .

وروى البخارى فى الصحيح من حديث عبد الله بن عباس أنه قال وضع عمر على سريره فكتنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم فلم يرعنى إلا رجل أخذ منكبى فإذا على بن أبى طالب رضى الله عنه فترحم على عمر وقال ما خلت أحداً أحبُّ أن ألقى الله بمثل عمله منك ، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك لأنى كنت أسمع كثيرا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر

وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ، وروى أن عائشة رضى الله عنها لما دفن عمر رضى الله عنه لبست ثيابها الدرع والخمار والإزار وقالت إنما كان أبى وزوجى فلما دخل معهما غيرهما لزمت ثيابى .

وأخبرنى يحيى بن أبى الفضل السعدى قال : أخبرنا أبو محمد الفقيه قال أخبرنا أبو الحسن الشافعى قال أخبرنا أبو عبد الله بن النبهانى أخبرنا أبو العباس الرازى أخبرنا أبو الزنباع حدثنا عمر بن خالد حدثنا أبو بكر بن مضر عن عمرو بن الحارث عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يخبر عن عائشة رضى الله عنها أنها رأت فى المنام أنه سقط فى حجرها أو بحجرتها ثلاثة أقمار فذكرت ذلك لأبى بكر فقال خير.

قال يحيى بن سعيد فسمعت بعد ذلك أن رسول الله ﷺ لما توفى فدفن فى بيتها قال أبو بكر هذا أحد أقمارك يا بنية وهو خيرها ، أنبأنا أبو القاسم الصموت عن الحسن بن أحمد عن أحمد بن عبد الله عن جعفر بن محمد أخبرنا أبو زيد ، حدثنا الزبير حدثنا محمد بن الحسن عن عبد العزيز بن محمد عن أنيس بن أبى يحيى قال : لقى رسول الله جنازة فى بعض سكك المدينة فسأل عنها فقالوا فلان الحبشى فقال رسول الله : سيق من أرضه وسمائه إلى التربة التى خلق منها . قلت : فعلى هذا طينة النبى ﷺ التى خلق منها من المدينة وطينة أبى بكر وعمر من طينة النبى وهذه منزلة رفيعة ، وروى عن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم قال : دخلت على عائشة رضى الله عنها فأطلعت على قبر النبى وقبر أبى بكر وعمر فرأيت عليها حصباء حمراء .

وروى عن هارون بن موسى العروى قال : سمعت جدى أبا علقمة يسأل : كيف كان الناس يسلمون على النبى قبل أن يدخل البيتُ فى المسجد؟ فقال : كان الناس يقفون على باب البيت يسلمون وكان الباب ليس عليه غلق حتى هلكت عائشة رضى الله عنهـا ، قال أهل السير : وكان الناس يأخذون من تراب قبر النبى فأمرت عائشة بجدار فضرب عليهم ، وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما زلت أضع خمارى وأنفصل عن ثيابى حتى دفن عمر فلم أزل متحفظة فى ثيابى حتى بنيت بينى و بين القبور جداراً قلت : وقبر النبى وقبر صاحبيه فى صُفَّة بيت عائشة رضى الله عنها ، قال أهل السير : وفى البيت موضع قبر فى الجهة الشرقية قال سعيد بن المسيب : فيه يدفن عيسى بن مريم عليه السلام، وروى عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال : يدفن عيسى بن مريم مع النبى ﷺ وصاحبيه رضى الله عنهما و يكون قبره الرابع ، واختلف الرواة فى صفة قبورهم فأخبرنا أبو القاسم بن كامل إذنا عن أبى على المقرى عن أبى نعيم الأصبهانى عن أبى محمد الخلدى حدثنا الزبير بن بكار حدثنا محمد بن الحسن حدثنا إسحاق ابن عيسى عن عثمان بن نسطاس قال : رأيت قبر النبى لما هدم عمر بن عبد العزيز عنه البيت مرتفعا نحواً من أربع أصابع عليه حصباء إلى الحمرة مائلة ، ورأيت قبر أبى بكر وراء قبر النبى ورأيت قبر عمر أسفل منه وصوره لنا هكذا :

قبر النبي صلى الله عليه وسلم

قبر أبي بكر رضي الله عنـه

قبر عمر رضي الله عنـه

وبالإسناد حدثنا محمد بن الحسن حدثنى إسماعيل بن عبد الرحمن عن أبيه عبد الله بن أبى بكر عن عمرة عن عائشة قالت: رأس النبي صلى الله اللهعليه وسلم مما يلى المغرب ، ورأس أبى بكر عند رجلى النبي ، وعمر رضى الله عنه خلف ظهر النبى ، وهذه صفته :

قبر النبي صلى الله عليه وسلم

قبر أبي بكر رضى الله عنـه

قبر عمر رضى الله عنـه

وروى عن نافع بن أبى نعيم أن صفة قبر النبى صلى الله عليـه وسلم أمامهما إلى القبـلة مقدما ثم قبر أبى بكر رضى الله عنه حذاء منـكب النبى صلى الله عليـه وسلم ، وقبر عمر رضى الله عنه حذاء منـكب أبى بـكر وهذه صفته :

قبر النبى صلى الله عليه وسلم

قبر أبى بكر رضى الله عنـه

قبر عمر رضى الله عنه

وبالإسناد المتقدم حدثنا محمد بن الحسن قال : حدثنا محمد بن إسماعيل عن عمرو بن عثمان بن هانئ عن القاسم ابن محمد قال : دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت: يا أماه أرينى قبر النبى ﷺ وصاحبيه رضوان الله عليهما فـكشفت لى عن قبورهم فإذا هى لا مرتفعة ولا واطية مبطوحة ببطحاء حمراء من بطحاء العَرَصة ، وإذا قبر النبى صلى الله عليه وسلم أمامهما ، ورجلا أبى بكر عند رأس النبى صلى الله عليه وسلم ، ورأس عمر عنـد رجلى أبى بكر ، وصفة ذلك كما يأتى :

قبر النبى صلى الله عليه وسلم

قبر أبى بكر رضى الله عنه — قبر عمر رضىالله عنه

وروى عن عبد الله بن محمد بن عقيل قال : خرجت فى ليلة مطيرة إلى المسجد حتى إذا كنت عند دار المغيرة بن

شعبة لقيتنى رائحة لا والله ما وجدت مثلها فجئت المسجد فبدأت بقبر النبى فإذا جداره قد انهدم فدخلت فسلمت على النبى ومكثت فيه مليا ، فاذا قبر رسول الله عليه السلام وقبر أبى بكر عند رجليه وقبر عمر عند رجلى أبى بكر رضى الله عنهما ، وعليها من حصباء العرَصة وهذه صفته :

قبر النبى صلى الله عليه وسلم

قبر أبى بكر رضى الله عنه

قبر عمر رضى الله عنه

وروى المنكدر بن محمد عن أبيه قال : قبر رسول الله هكذا وقبر أبى بكر خلفه وقبر عمر عند رجلى النبى وهذه صفته .

قبر النبى صلى الله عليه وسلم

قبر أبى بكر رضى الله عنه — قبر عمر رضى الله عنه

قلت : ذكر أهل السير أن جدار حجرة النبى الذى يلى موضع الجنائز سقط فى زمان عمر بن عبد العزيز فانهارت القبور الشريفة فما رؤى بكاء فى يوم مثل ذلك اليوم فأمر عمر بقباطى فخيطت ثم ستر الموضع بها ، وأمر ابن ورد أن يكشف عن الأساس فبينما هو يكشف إذ رفع يده وتنحى فقام عمر بن عبد العزيز فزعاً فرأى قدمين وراء الأساس وعليهما الشعر فقال عبدالله بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر وكان حاضراً : أيها الأمير لا يروعنك فهما قدما جدى عمر بن الخطاب ضاق البيت عنه فحفر له فى الأساس فقال ياابن ورد أن غطٍّ ما رأيت ، ففعل .

وروى البخارى فى الصحيح من حديث هشام بن عمرو عن أبيه قال : لما سقط عليهم الحائط فى زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا فى بنيانه فبدت لهم قدم ففزعوا وظنوا أنها قدم النبى ﷺ فما وجدوا أحداً يعلم ذلك حتى قال لهم عروة : لا والله ماهى قدم النبى ، وماهى إلا قدم عمر ، قالوا : وأمر عمرُ أبا حفصة مولى عائشة وناساً معه فتبوءوا الجدار وجعلوا فيه كوة فلما فرغوا منه ورفعوه دخل مزاحم مولى عمر فرفع ماسقط على القبر من التراب والطين ونزع القباطى . قالوا : وباب البيت الذى دفنوا فيه شامى ، قلت : و بنى عمر بن عبد العزيز على حجرة النبى حاجزا من سقف المسجد إلى الأرض وصارت الحجرة فى وسطه وهو على دورانها .

ولما ولى المتوكل الخلافة أمر إسحاق بن سلمة وكان على عمارة مكة والمدينة من قبله بأن يأزر الحجرة بالرخام من حولها ففعل ذلك و بقى الرخام عليها إلى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة من خلافة المقتفى ، فجدد تأزيرها جمال الدين وزير بنى زنكى وجعل الرخام حولها قامة و بسطة وجعل لها شباكا من خشب الصندل والأبنوس وأداره

حولها مما يلي السقف ، قيل إن أبا الغنايم النجار البغدادي عمله اروانــكا ، وفي دورانه مكتوب على أقطاع الخشب الا روانك سورة الإخلاص صنعة بديعة ولم تزل الحجرة على ذلك حتى عمل لهـا الحسين بن أبي الهيجاء صهر الصالح وزير الملوك المصريين ســتارة ديبقية بيضاء وعليهــا الطرز والجامات المرقومة بالابريسم الأصفر والأحمر وخيطها وأدار عليها زناراً من الحرير الأحمر والزنار مكتوب عليه سورة يس بأسرها ، قيل إنه غرم على هذه الستارة مبلغا عظيما من المــال وأراد تعليقهـا على الحجرة فمنعه قاسم بن مهنا الأمير على المــدينة وقال : حتى يستأذن الإمام المستضيء[1] بأمر الله فبعث إلى العراق يستأذن فى تعليقها فجـاء الإذن فى ذلك فعلقها نحو العامين ثم جاءت من الخليفة ستارة من الإبريسم البنفسجي عليها الطرز والجامات البيض المرقومة وعلى دوران جاماتها مكتوب بالرقم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي : وعلى ظاهرها اسم الإمام المستضيء بأمر الله فرفعت تلك وأنفذت إلى مشهد على ابن أبي طالب بالــكوفة فعلقت هذه عوضها ، فلما ولى الإمام الناصر لدين الله[2] أرسل ستارة أخرى من الإبريسم الأسود وطرزها وجاماتها من الإبريسم الأبيض فعلقت فوق تلك فلما حجت الجهمة أم الخليفة وعادت إلى العراق عملت ستارة من الابريسم الأسود أيضا على شكل المذكورة فأنفذتها فعلقت عليهــا حتى يومنا هذا على الحجرة ثلاث ستائر بعضهن على بعض. وفى سقف المسجد ـ الذى بين القبلة والحجرة على رأس الزوار إذا وقفوا ـ معلق نيف وأربعون قنديلاً كبارا وصغارا من الفضة المنقوشة والساذجة وفيها اثنان من البلور. وواحد ذهب وفيها قمر من فضة مغموس فى الذهب وهــذه تنفذ من البلدان من الملوك وأرباب الحشمة والأموال ، وأعلم أن حجرة النبي عليها ثوب مشمع مثل الخيمة وفوقه سقف المسجد وفيه خوخة عليهــا ممرق مقفل وفوق الخوخة فى سقف السطح خوخة أخرى فوق تلك الخوخة وعليها ممرق مقفول أيضاً وحولهــا فى سطح المسجد حظيرة مبنية بالآجر و بين سقف المسجد و بين سقف السطح فراغ نحو الذراعين وعليه شبابيك حديد ترمى الضوء (منها إذا أرادوا)[3] الدخول إلى هناك لأجل تعليق سلاسل القناديل وحبال الأباريز لأجل العمارة فى المسجد وهــذه صفة الحاجز الذى بناه عمر بن عبد العزيز والحجرة فى وسطه (ومن الحجرة إلى المقصورة تسعة عشر ذراعا ومن الركن الغربي إلى المسمار الفضة الذى هو مقابل وجه النبي ﷺ خمسة أذرع)[4] .

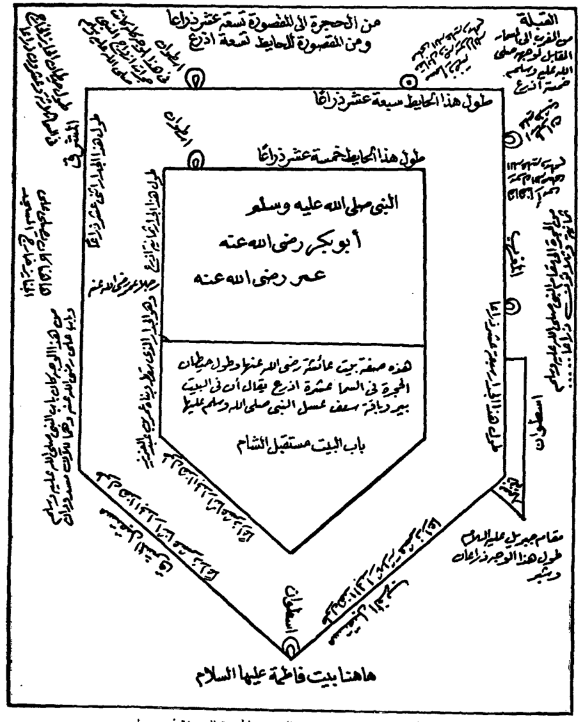
---

(١) تولى الخلافة من عام ٥٦٦ حتى عام ٥٧٦ هـ فى بغداد .

(٢) هو ابن المستضيء ، ولى الخلافة العباسية مدة طويلة ٥٧٦ – ٦٢٢ هـ .

(٣) فى المخطوطين : من رحبة المسجد ، وتشال إذا أرادوا .

(٤) مابين القوسين من زيادات النسخة المطبوعة .



صفة الحاجز الذى بناه عمر بن عبد العزيز والحجرة الشريفة فى وسطه

واعلم أنه فى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة سمعوا صوت هدّة فى الحجرة وكان الأمير قاسم بن مهنا الحسينى فأخبروه بالحال فقال ينبغى أن ينزل شخص إلى هناك لينظر ما هذه الهدّة وافتكروا فى شخص يصلح لذلك فلم يجدوا إلا

عمر النساى[1] شيخ من شيوخ الصوفية بالموصل وكان مجاورا بالمدينة فذكروا ذلك له فذكر أن به فتقا والريح والبول تحوجه إلى الغايط مرارا فالزموه فقال أمهلونى حتى أروض نفسى وقيل إنه امتنع من الأكل والشرب وسأل الله إمساك المرض عنه بقدر ما يبصر ويخرج ثم إنهم أنزلوه فى الحبال من الخوخة إلى الحظير الذى بناه عمر ودخل منه إلى الحجرة ومعه شمعة يستضىء بها فرأى شيئا من طين السقف قد وقع على القبور فأزاله وكنس التراب بلحيته وقيل إنه كان مليح الشيبة وأمسك عز وجل ذلك الداء بقدر ماخرج من الموضع وعاد إليه وهذا ما سمعته من أفواه جماعة والله أعلم بحقيقة الحال فى ذلك، وفى شهر ربيع الآخر من سنة أربع وخمسين وخمسمائة فى أيام قاسم أيضا وجد من الحجرة رائحة منكرة وكثر ذلك حتى ذكروه للأمير فأمرهم بالنزول إلى هناك فنزل بيان الأسود الخصى أحد خدم الحجرة الشريفة ومعه الصفى الموصلى متولى عمارة المسجد ونزل معهما هارون الشاوى الصوفى بعد أن سأل الأمير فى ذلك وبذل له جملة من المال فلما نزلوا وجدوا هرًّا قد هبط ومات وجاف فأخرجوه وكان فى الحاجز بين الحجرة والمسجد وكان نزولهم يوم السبت الحادى عشر من ربيع الآخر، ومن ذلك التاريخ إلى يومنا هذا لم ينزل أحد إلى هناك[2].

---

(١) وفى وفاء الوفاء وخلاصة الوفا : النساء والصحيح ما هنا . وقد توفى عام ٦٥٦ هـ .

(٢) وفى عهد الأشرف قايتباى رئى احتياج المسجد النبوى إلى العمارة وذلك عام ٨٨١ هـ ، ففعل ذلك وجدد رخام الحجرة الشريفة وجدد الكثير من بنائها وكان ختم هـذا البناء فى يوم الخميس سابع شوال عام ٨٨١ هـ (٢١٦ — ٢٢٠ خلاصة الوفا) .

وقد أقام من قبل الملك العادل نور الدين الشهيد خندقا مملوءا من الرصاص حول الحجرة الشريفة وذلك عام ٥٥٧هـ. هذا وقد احترق المسجد النبوى أول ليلة الجمعة أول رمضان عام ٦٥٤ هـ ولم يسلم من الحريق سوى القبة التى أحدثها الخليفة الناصر لدين الله لحفظ ذخائر الحرم النبوى عام ٥٧٦ هـ ، ووقع السقف الذى كان على أعلى الحجرة على سقف بيت النبى صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا فى الحجرة الشريفة ، فكتبوا للخليفة المستعصم وابتدىء بالعمارة عام ٦٥٥ هـ ، وشارك فيها صاحب مصر المنصور نور الدين على بن المعز أيبك الصالحى وصاحب اليمن المظفر شمس الدين يوسف بن المنصور عمر بن على بن رسول ، ثم لما عزل ملك مصر عام ٦٥٧ هـ ، وتولى مكانه المظفر قطز المعزى ولما قتل عام ٦٥٨ تولى مكانه بيبرس وشارك هؤلاء جميعا فى العمارة الشريفة . ولم يزل المسجد على هذه العمارة الجديدة حتى جدد السقف الغربى والسقف الشرقى فى أوائل دولة الناصر محمد بن قلاوون الصالحى فجعلا سقفا واحدا وذلك فى سنتى خمس وست وسبعمائة ثم أمر الناصر عام ٧٢٩ هـ بزيادة رواقين متصلين بمؤخر السقف القبلى فاتسع سقفه بهما وعم نفعه إذ صار فيه سبعة أروقة وكان عددها خمسة كالشمالى ثم حصل فى هذين الرواقين خلل فجددهما الأشرف برسباى عام ٨٣١ هـ ، على يد مقبل القديدى . وجدد الأشرف أيضا شيئا من السقف الشامى مما يلى المنارة السنجارية . ثم جدد الظاهر جقمق كثيرا من سقف مقدم المسجد من الروضة وغيرها وذلك عام ٨٥٣ هـ . ثم جدد الأشرف قايتباى جانبا من السقف الشرقى بعد هدم عقوده التى تلى صحن المسجد ثم أعيد ذلك عام ٨٧٩ هـ و ٨٨١ هـ .

ثم احترق المسجد النبوى ثانيا فى ليلة ١٣ رمضان ٨٨٦ هـ بسبب صاعقة ، ولم يصل إلى جوف الحجرة الشريفة شىء من هدم هذا الحريق وسلمت الأساطين الملاصقة للحجرة الشريفة واحترق المنبر والمقصورة التى كانت حول الحجرة =

الباب السادس عشر

فى ذكر فضل زيارة النبى صلى الله عليه وسلم

أخبرنا يحيى بن أبى الفضل الصوفى ، أخبرنا أبو محمد الفقيه ، أخبرنا أبو الحسن المصرى ، أنبأنا أبو النعمان العسقلانى ، حدثنا أبو الحسن الدارقطنى ، حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا محمد العبادى ، حدثنا مسلمة بن سالم عن أبيه قال قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : من جاءنى زائراً لم يرم حاجة إلا زيارتى كان حقاً على أن أكون شفيعاً له يوم القيامة .

و بالإسناد حدثنا الدار قطنى ، حدثنا الحسين بن إسماعيل ، حدثنا عبيد بن محمد الوراق ، حدثنا موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من زار قبرى وجبت له شفاعتى [1] .

أنبأنا سعيد بن أبى سعيد النيسابورى ، أنبأنا إبرهيم بن محمد المؤدب ، أخبرنا إبراهيم بن محمد ، حدثنا محمد بن محمد بن مقاتل ، حدثنا جعفر بن هارون ، حدثنا إسماعيل بن المهدى عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من زارنى ميتاً فكأنما زارنى حياً ، ومن زار قبرى وجبت له شفاعتى يوم القيامة ، وما من أحد من أمتى له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر) .

وروى عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لم يزر قبرى فقد جفانى .

أنبأنا عبد الرحمن بن على ، أنبأنا أبو الفضل الحافظ عن أبى على الفقيه ، أنبأنا أبو القاسم الأزهرى ، أنبأنا القاسم بن الحسن ، حدثنا الحسن بن الطيب ، حدثنا على بن حجر ، حدثنا حفص بن سليمان عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من حج فزار قبرى بعد موتى كان كمن زارنى فى حياتى وصحبنى)[2] .

= الشريفة وسقطت أكثر عقود المسجد وأساطينه .

فأخذ قايتباى فى عمارة المسجد النبوى وجدد تجديدا كاملا وهدمت المنارة وأحكم بناؤها وهدمت أعالى القبة وأعيدت على ما كانت عليه وتم ذلك كله عام ٨٩١ هـ .

وفى صفر عام ٨٩٨ هـ سقطت صاعقة ثانية على المنارة الرئيسية فأسقطت قبتها وجانبا كبيرا من دورها الأول الذى يقوم عليه المؤذن فأعيد ذلك كله بأمر الأشرف قايتباى .

(١) هو لا بن عدى فى الكامل، وللبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عمر .

(٢) هو للطبرانى فى الكبير ، وللبيهقى فى السنن عن ابن عمر .

أنبأنا أبو أحمد الكاتب ، أنبأنا أبو بكر الأنصارى ، أنبانا أبو محمد الجوهرى ، أنبأنا أبو بكر بن الشخير ، حدثنا أحمد بن محمد بن العباس ، حدثنا أحمد بن على الحرانى ، حدثنا العلاء بن عمرو الحنفى ، حدثنا محمد بن مروان عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صلى على قبرى سمعته ومن صلى على نائيا بُلِّغته[1]) ، أنبأنا أبو الحسن الشافعى ، أنبأنا أبو محمد الفقيه ، أنبأنا على بن الحسين، أنبأنا الحسين بن محمد ، حدثنا إسماعيل بن يعقوب ، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضى ، حدثنا مدد ، حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال : حدثنى عبد الله بن السائب عن زادان عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إن لله عز وجل سياحين يبلغونى عن أمتى السلام) .

أخبرنا أبو طاهر الصوفى ، أنبأنا القاسم بن الحصين ، أنبأنا أبو على بن المذهب ، أنبأنا أبو بكر القطيعى ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبى ، حدثنا عبد الله بن يزيد ، حدثنا حيوة حدثنى أبو صخران يزيد ابن عبد الله بن قسيط أخبره عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ما من أحد يسلم على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام)[2] .

أنبأنا يحيى بن بوش عن أبى علىّ الحداد عن أبى نعيم عن جعفر الخلدى ، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن ، حدثنا الزبير ، حدثنا محمد بن الحسن عن عبد العزيز بن محمد عن محمد بن زيد المهاجر عن المقبرى عن أبى هريرة أن رسول صلى الله عليه وسلم قال : (إن عيسى بن مريم مار بالمدينة حاجا أو معتمرا ولئن سلم على لأردن عليه) .

أنبأنا يحيى بن الحسين المقبرى ، أخبرنا المبارك بن الحسن العطار ، أنبأنا أبو بكر الخياط ، أنبأنا أبو عمر العلاف ، حدثنا الحسين بن صفوان ، حدثنا أبو بكر بن أبى الدنيا ، حدثنا محمد بن الحسين ، أخبرنا قتيبة ، حدثنا ليث بن سعد عن خالد بن وهب أن كعب الأحبار قال : ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبى صلى الله عليه وسلم حتى إذا استوى عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقت الأرض خرج فى سبعين ألفاً من الملائكة يزفونه صلى الله عليه وسلم .

وروى أن عمر بن عبد العزيز كان يرد البريد من الشام يقول سلم لى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنبأنا يحيى بن الحسين الأوانى أنبأنا أبو الكرم بن الشهروزى أنبأنا أبو بكر بن الخياط أنبأنا أبو عمر بن دوست حدثنا

---

(١) هو للبيهق فى شعب الإيمان عن أبى هريرة وهو ضعيف .

(٢) هو لأبى داود عن أبى هريرة وهو ضعيف .

الحسين بن صفوان حدثنا ابن أبي الدنيا ، أخبرنا سعيد بن عثمان الجرجانى أنبأنا محمد بن إسماعيل بن أبى فديك قال سمعت بعض من أدركت يقول بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية «إن الله وملائكته يصلون على النبي » وقال صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك : صلى الله عليك يا فلان لم تسقط لك حاجة .

وبالإسناد حدثنا ابن فديك قال أخبرنى عمر بن حفص أن ابن أبى مليكة كان يقول من أحب أن يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذى فى القبلة عند القبر على رأسه ، وروى جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم أنه كان إذا جاء يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وقف عند الاسطوانة التى مما يلى الروضة فسلم ثم يقول: هاهنا رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت : واليوم هناك علامة واضحة وهى مسمار من فضة فى حائط حجرة النبي صلى الله عليه وسلم إذا قابله الإنسان كان القنديل على رأسه فيقابل وجه النبي صلى الله عليه وسلم و يسلم عليه ثم يتقدم عن يمينه قليلا و يسلم على أبى بكر رضى الله عنه ثم يتقدم قليلا فيسلم على عمر ثم يعود و يجعل الحجرة على يساره و يستقبل القبلة و يدعو الله تعالى بما أحب .

أنبأنا أبو الفرج بن على الفقيه أنبأنا عمر بن ظفر أنبأنا جعفر بن أحمد أنبأنا عبد العزيز بن على حدثنا أبو الحسن الهمدانى حدثنى محمد بن حبان قال سمعت إبراهيم بن شيبان يقول : حججت فى بعض السنين فجئت المدينة فتقدمت إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فسمعت من داخل الحجرة وعليك السلام،أخبرنا عبد الرحمن ابن أبى الحسن فى كتابه ، أخبرنا أبو الفرج بن أحمد ، أخبرنا أحمد بن نصير ، أخبرنا محمد بن القاسم سمعت على ابن غالب الصوفى يقول سمعت إبراهيم بن محمد المذكى يقول ، سمعت أبا الحسن الفقيه يحكى عن الحسن بن محمد عن ابن فضيل النحوى عن محمد بن روح عن محمد بن حرب الهلالى قال : دخلت المدينة فأتيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابى فزاره ثم قال : يا خير المرسلين إن الله عز وجل أنزل كتابا عليك صادقا قال فيه (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيما) و إنى جئتك مستغفراً إلى ربى من ذنوبى مستشفعاً بك ثم بكى وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت النبي الذى ترجى شفاعته ... عند الصراط إذا ما زلت القدم[1]

ثم استغفر وانصرف ، فرقدت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : الحق بالرجل فبشره بأن الله عز وجل قد غفر له بشفاعتى .

(١) الشاعر هنا يقول بالشفاعة والوسيلة ومذهب الموحدين، أن الشفاعة والوسيلة غير جائزتين .

أنبأنا ذاكر بن كامل بن أبى غالب الخفاق فيما أذن لى فى روايته عنه قال : كتب إلى أبو على الحداد عن أبى نعيم الأصبهانى قال : أنبأنا جعفر بن محمد بن نصير، أخبرنا أبو يزيد المخزومى ، أخبرنا الزبير بن بكار ، حدثنا محمد بن الحسن ، حدثنى غير واحد منهم عن عبد العزيز بن أبى حازم عن عمر بن محمد أنه لما كان أيام الحرة ترك الأذان فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام وخرج الناس إلى الحرة وجلس سعيد بن المسيب فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :فاستوحشت فدنوت من قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما حضرت الصلاة سمعت الأذان فى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فصليت ركعتين ثم سمعت الإقامة فصليت الظهر ثم جلست حتى أصلى العصر فسمعت الأذان فى قبر النبى صلى الله عليه وسلم ثم سمعت الإقامة ثم لم أزل أسمع الأذان والإقامة فى قبره صلى الله عليه وسلم حتى مضت الثلاث وقفل القوم ودخلوا مسجد رسول الله ﷺ وعاد المؤذنون فأذنوا فتسمعت الأذان فى قبره صلى الله عليه وسلم فلم أسمعه فرجعت إلى مجلسى الذى كنت فيه أكون .

أنبأنا عبد الرحمن بن على أنبأنا أبو الفضل الفارسى عن أبى بكر الشيرازى أخبرنا محمد بن الحسين سمعت أبا الخير الأقطع يقول: دخلت مدينة الرسول ﷺ وأنا بفاقة فبقيت خمسة أيام ماذقت ذواقا فتقدمت إلى القبر وسلمت على النبى ﷺ وعلى أبى بكر وعمر وقلت أنا ضيفك الليلة يارسول الله وتنحيت فنمت فرأيت النبى فى المنام وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله وعلى بين يديه فحركنى على وقال لى : قم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فقمت إليه وقبلت بين عينيه فدفع إلى رغيفاً فأكلت نصفه وانتبهت وفى يدى النصف الآخر .

أخبرنا عبد الوهاب بن على أخبرتنا فاطمة بنت أبى حكيم إن لم يكن سماعا فإجازة أنبأنا منصور بن الفضل أخبرنا أبو عبد الله الكاتب أخبرنا ابن المغيرة حدثنا احمد بن سعيد الدمشقى حدثنا الزبير بن بكار أخبرنا السرى ابن الحارث عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير وكان مصعب يصلى فى اليوم والليلة الف ركعة ويصوم ، قال : بت ليلة فى المسجد بعد ماخرج الناس منه فإذا برجل قد جاء إلى بيت النبى ﷺ ثم أسند ظهره إلى الجدار ثم قال : اللهم إنك تعلم أنى كنت أمس صائما ثم أمسيت فلم أفطر على شىء اللهم إنى أمسيت أشتهى الثريد فاطعمنيه من عندك قال : فنظرت إلى وصيف داخل من خوخة المنارة ليس فى خلقة وصفاء الناس معه قصعة فأهوى بها إلى الرجل فوضعها بين يديه وجلس الرجل يأكل وحصبنى فقال هلم فجئته وظننت أنها من الجنة فاحببت أن آكل منها لقمة فاكلت طعاما لا يشبه طعام أهل الدنيا ثم احتشمت فرجعت لمجلسى فلما فرغ من أكله أخذ الوصيف القصعة ثم أهوى راجعاً من حيث جاء وقام الرجل منصرفا فتبعته لأعرفه فلا أدرى أين سلك فظننته الخضر عليه السلام .

وروى أن امرأة من المتعبدات جاءت عائشة رضى الله عنها فقالت : اكشفى لى عن قبر النبى ﷺ فكشفت

لما فبكت حتى أنشدنى بعض مشايخى رحمه الله لبعض زوار النبى صلى الله عليه وسلم يقول :

أتيتك زائراً وودت أنى   جعلت سواد عينى أمتطيه
ومالى لا أسير على الأماقى   إلى قبر رسول الله فيـه

وأنشدنى عبد الوهاب عن على قال أنشدنا أبو عبد الله محمد بن محمد الأديب لنفسه من قصيدة يتشوق فيها إلى الحج و إلى زيارة قبر النبى صلى الله عليـه وسلم :

أحن مشتاقا ولولا جوى   أملك بى منى لم أطرب
وكل عام أتمنى المنى   وهن قد سوفن بالوعد بى
وليس فى القلب سوى وقفة   فى حرم المدفون فى يثرب

الباب السابع عشر

فى ذكر البقيع وفضـــله

أنبأنا القاسم بن على ،أخبرنا أبو محمد الدارانى أخبرنا أبوالفرج الاسفرائينى اخبرنا محمد بن الحسين أخبرنا أبوطاهر القاضى أنبأنا محمد بن عبدوس حدثنا سعد بن زياد وأبو عاصم قالا : زعم نافع مولى ابن عمر قال : حدثتنى أم قيس بنت محصن قالت : لو رأيتنى ورسول صلى الله عليه آخذ بيدى فى سكة المـدينة حتى انتهى إلى بقيع الغرقد فقال : ياأم قيس قلت : لبيك يارسول الله وسعديك قال : ترين هـذه المقبرة ؟ قلت : نعم يارسول الله قال : يبعث منها يوم القيامة سبعون ألفاً على صورة القمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم السوسى ، أخبرنا جدى أبو محمد أخبرنا أبو الحسن الربيعى إجازة أخبرنا عبدالوهاب ابن جعفر ، حدثنا أبو هاشم الإمام ، أخبرنا معاوية بن محرز ، حدثنا الحسن بن بجرير المنصورى ، حدثنا محمد ابن عثمان ، حدثنا أبى عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله قال : أنا أول من تنشق الأرض عنه فأكون أول من يبعث فأخرج أنا وأبو بكر وعمر إلى أهل البقيع فيبعثون ثم يبعث أهل مكة فأحشر بين الحرمين .

أنبأنا أبو القاسم ابن كامل عن أبى الحداد عن أبى نعيم الحـافظ عن أبى محمد الخلدى قال : أخبرنا محمد بن عبد الرحمن ، حـدثنا الزبير بن بكار ، حدثنا محمد بن الحسن عن محمد عن إسمـاعيل عن حكام أبى عبد الله

الشامى عن أبى عبد الملك أنه حدثه حديثا يرفعه إلى رسول الله أنه قال : مقبرتان تضيئان لأهل السماء كما يضىء الشمس والقمر لأهل الدنيا : مقبرتنا بالبقيع بقيع المدينة ومقبرة بعسقلان .

وحدثنا محمد بن الحسن عن عيسى بن عبد الله عن أبيه قال ، قال كعب الأحبار نجدها فى التوراة كفتة محفوفة بالنخيل موكلا بها الملائكة كلما امتلأت أخذوا بأطرافها فكفؤها فى الجنة ، قلت يعنى البقيع .

وحدثنا محمد بن الحسن عبد الله بن نافع عن سليمان بن زيد عن شعيب وأبى عبادة عن أبىّ بن كعب القرظى أن النبى قال : من دفناه فى مقبرتنا هذه شفعنا له أو شهدنا له .

وحدثنا محمد بن الحسن عن محمد بن إسماعيل عن داود بن خالد عن المقبرى أنه سمعه يقول قدم مصعب بن الزبير حاجا أو معتمراً ومعه ابن رأس الجالوت فدخل المدينة من نحو البقيع فلما مر بالمقبرة قال ابن رأس الجالوت إنها لهى ! قال مصعب : وما هى . قال : إنا نجد فى كتاب الله صفة مقبرة شرقيها نخل وغربيها بيوت يبعث منها سبعون ألفا كلهم على صورة القمر ليلة البدر فطفت مقابر الأرض فلم أر تلك الصفة حتى رأيت هذه المقبرة ، وحدثنا محمد بن الحسن عن العلاء بن إسماعيل عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال : أقبل ابن رأس الجالوت فلما أشرف على البقيع قال : هذه التى نجدها فى كتاب الله كفتة لا أطؤها قال : فانصرف عنها إجلالا لها .

وروى مسلم فى الصحيح من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كانت ليلتى منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول سلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ماتوعدون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد ، وروى فى الصحيح أيضا من حديثها قالت : لما كانت ليلتى التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عندى انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبسط طرف ازاره على فراشه واضطجع فلم يلبث إلا بقدر ماظن أننى قد رقدت فأخذ رداءه وبدأ وفتح الباب رويداً فخرج ثم أجافه رويدا فجعلت درعى فى رأسى واختمرت وتقنعت إزارى ثم انطلقت على أثره حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام ثم رفع يده ثلاث مرات ثم انحرف فانحرفت فأسرع فأسرعت فهرول فهرولت فأحضر فأحضرت فسبقته فدخلت فليس إلا أن اضجعت فدخل فقال : مالك ياعائشة . قالت : لا شىء قال : لتخبرنى أو ليخبرنى اللطيف الخبير فأخبرته فقال : فأنت السواد الذى رأيت أمامى قلت نعم فلهزنى فى صدرى لهزة أوجعتنى ثم قال : أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله قالت : قلت مهما يكتمه الناس يعلمه الله عز وجل قال : فان جبريل أتانى حين رأيت فنادانى فأخفى منك فأجبته فأخفينا منك ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك وظننت أن قد رقدت وكرهت أن أوقظك وخشيت أن تستوحشى فقال : إن ربك يأمرك أن تأتى إلى أهل البقيع وتستغفر لهم قالت : قلت كيف أقول يارسول الله قال : قولى السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون .

واعلم أن أكثر الصحابة رضى الله عنهم مدفون بالبقيع وكذلك جميع أزواج النبى صلى الله عليه وسلم سوى خديجة . فانها بمكة مدفونة .

وبالبقيع سادة من التابعين ومن بعدهم من الزهاد والعلماء والمشهورين إلا أن قبورهم لاتعرف فى يومنا هذا فمن حضرها وسلم على من بها فقد أتى بالمقصود وليس فى يومنا هذا معين إلا تسعة قبور : قبر العباس بن عبد المطلب عم النبى وعليه طين ساج وقبر الحسن بن على بن أبى طالب ومعه فى القبر ابن أخيه على بن الحسين زين العابدين وأبو جعفر محمد بن على الباقر وأبوه جعفر الصادق والقبران فى قبة كبيرة عالية قديمة البناء فى أول البقيع وعليها بابان يفتح أحدهما فى كل يوم للزيارة رضى الله عنهم أجمعين ، وروى عن عبيد الله بن على بن الحسن بن على قال: ادفنونى إلى جنب أمى فاطمة بالمقبرة فدفن إلى جنبها بالمقبرة . وقال سعيد بن محمد بن جبير : رأيت قبر الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه عند فم الزقاق الذى بين دار نبيه و بين دار على بن أبى طالب وقيل لى دفن عند قبر أمه ، وروى قائد مولى عبادل قال حدثنى الحفار أنه حفر لانسان فوجد قبراً على سبعة أذرع من خوخة بيته مشرفا عليه لوح مكتوب هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : فعلى هذا هى مع الحسن فى القبة فينبغى أن يسلم عليها هنالك وقبر صفية بنت عبد المطلب عمة النبى فى تربة فى أول البقيع .

وقال محمد بن موسى بن أبى عبد الله : كان قبر صفية بنت عبد المطلب عند زاوية دار المغيرة بن شعبة وقبر عقيل بن أبى طالب أخى على رضى الله عنه فى قبة فى أول البقيع أيضا ومعه فى القبر ابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيار وابن أبى طالب الجواد المشهور وقبور أزواج النبى وهن أربعة قبور ظاهرة ولا يعلم تحقيق ما فيها منهن ، وقد روى البخارى فى الصحيح أن عائشة رضى الله عنها أوصت عبد الله بن الزبير : لا تدفنى معهم تعنى النبى وصاحبيه وادفنى مع صواحبى بالبقيع .

وروى عن قائد مولى عبادل قال : قال لى منقذ الحفار : فى المقبرة قبران مطابقان بالحجارة : قبر حسن بن على وقبر عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فنحن لا نحركهما .

وقد روى مالك بن أنس أن زينب بنت جحش توفيت فى زمان عمر بن الخطاب فدفنها بالبقيع ، وروى عن محمد بن عبد الله بن على أنه قال :قبور أزواج النبى صلى الله عليه وسلم من خوخة بيته إلى الزقاق يعنى البقيع ، وروى عن الحسن بن على بن عبيد الله بن محمد بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب أنه هدم منزله فى دار على بن أبى طالب قال فأخرجنا حجراً مكتوباً عليه هذا قبر رملة بنت صخر فسألنا عنه قائد مولى عبادل فقال :هذا قبر أم حبيبة بنت أبى سفيان .

وروى عن إبراهيم بن على الرافعى أنه قال : حفر لسالم البابلى مولى محمد بن على، قال : فأخرجوا حجراً طويلا وفيه مكتوب هذا قبر أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وهو مقابل خوخة آل نبيه بن وهب فأهيل عليه التراب

وحفر لسالم فى موضع آخر، وقبر إبراهيم ابن النبى وعليه قبة وملبن ساج وروى إبراهيم بن قدامة عن أبيه قال : دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع عثمان بن مظعون قال فدفنه ـ أى ابنه إبراهيم ـ رسول الله إلى جنب عثمان ابن مظعون وقبره حذاء زاوية عقيل بن أبى طالب ، قال جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما : قبر إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وجاه دار سعيد بن عثمان التى يقال لها الزوراء بالبقيع مرتفعا عن الطريق ، وأنبأنا أبو القاسم الازجى عن أبى على الأصبهانى عن أبى نعيم الحافظ عن أبى محمد الخواص حدثنا محمد بن عبد الرحمن المخزومى حدثنا الزبير بن بكار حدثنا محمد بن الحسن عن صالح بن قدامة عن أبيه عن عائشة بنت قدامة قالت : كان القائم يقوم عند قبر عثمان بن مظعون فيرى بيت النبى صلى الله عليه وسلم ليس دونه حجاب ، وحدثنا محمد بن الحسن حدثنا سليمان بن سالم عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه قال : أرسلت عائشة إلى عبد الرحمن بن عوف حين نزل به الموت أن هلم إلى رسول الله ﷺ وإلى إخوانك فقال : ما كنت مضيقا عليك بيتك إنى كنت عاهدت ابن مظعون أينا مات دفن إلى جنب صاحبه قلت : فعلى هذا قبر ابن مظعون وابن عوف عند إبراهيم عليه السلام فينبغى أن يزارا هناك وقبر فاطمة بنت أسد أم على بن أبى طالب رضى الله عنهما فى قبة فى آخر البقيع ، روى عيسى بن عبد الله ابن محمد عن أبيه عن جده قال : دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت أسد بن هاشم وكانت مهاجرة مبايعة بالروحاء مقابلها حمام أبى قطيفة قلت : واليوم مقابلها نخل يعرف بالحمام . وقبر عثمان بن عفان رضى الله عنه وعليه قبة عالية وهو قبل قبة فاطمة بنت أسد بقليل وحوله نخل .

روى ابن شهاب أن عثمان رضى الله عنه لما قتل دفن فى حش كوكب فلما ملك معاوية واستعمل مروان على المدينة أدخل ذلك الحش فى البقيع فدفن الناس حوله قلت : والحش البستان؛ وقبر مالك بن أنس إمام دار الهجرة رضى الله عنه فى أول البقيع على الطريق فهذه القبور المشهورة ، والباقى سبخة لا يعرف فيها قبر أحد بعينه .

وأخبرنا أبو القاسم بن سعد بخطه عن جعفر بن محمد ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن عن شريك عن عبد الله بن أبى روق قال : حمل الحسن بن أبى طالب فدفنه بالبقيع بالمدينة ، وحدثنا محمد بن الحسن عن عيسى بن عبد الله عن أبيه قال : ابتاع عمر بن عبد العزيز من زيد بن على وأخته خديجة داراً لهما بالبقيع بألف وخمسمائة دينار ونقضها وزادها فى البقيع فهى مقبرة آل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،وحدثنا محمد بن عيسى عن خالد عن عوسجة قال: كنت أدعو ليلة إلى زاوية دار عقيل بن أبى طالب التى تلى باب الدار فمرّ بى جعفر بن محمد فقال لى : أعن أثر وقفت هاهنا قلت : لا ، قال : هذا موقف نبى الله صلى الله عليه وسلم بالليل إذا جاء يستغفر لأهل البقيع، قلت وداره الموضع الذى دفن فيه .

الباب الثامن عشر

في ذكر أعيان من سكن المدينة من الصحابة ومن بعدهم

اعلم أن أعيان من سكن المدينة من الصحابة والتابعين وأكابر تابعيهم إلى يومنا رضى الله عنهم لا يمكن حصرهم لأن أكثر الصحابة هاجروا إليها والباقون منها وأكثر التابعين منها والباقون دخلوها لزيارة النبي وكذلك من بعدهم من الأكابر إلى يومنا هذا .

وإنما نذكر في هذا الباب أعيان من استوطنها .

فنهم من أقام بها مدة ثم خرج عنها ومنهم من مات بها .

فمن الصحابة رضوان الله عليهم : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن مالك ، وسعيد بن زيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة ابن الجراح ، فهؤلاء العشرة .

ومن أهل بيت النبي ﷺ العباس بن عبد المطلب والحسن ، والحسين ابنا على بن أبى طالب ، وعقيل بن أبى طالب ، وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب .

ومن كبار الصحابة . أبى بن كعب ، أسيد بن حضير ، بلال بن أبى رباح ، أبو ذر الغفارى، أبو قتادة الأنصارى حسان بن ثابت ، حكيم بن حزام ، خالد بن الوليد ، أبو لبابة الأنصارى ، زيد بن حارثة ، زيد بن ثابت ، سعد ابن عبادة، أبو سعيد الخدرى . سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سلمة بن الأكوع، سهل بن أبى حثمة ، سهل بن سعد ، أبو سفيان بن حرب ، صهيب ، عبد الله بن أنيس ، عبد الله بن أرقم ، عبد الله بن عمر بن الخطاب، عبد الله بن مسعود ، أبو حميد الساعدى، أبو هريرة ، عثمان بن حنيف ، العلاء بن الحضرمى ، عمر بن أبى سلمة، عبد الله بن أم مكتوم، مالك بن التيهان، محمد بن سلمة ، المقداد بن عمرو ، أسيد بن ظهير ، أسلم وهو أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، البراء بن عازب ، بلال بن الحارث ، بشير بن سحيم ، بشر بن سعد ، ثابت بن وديعة ، جابر بن عتيك، جبير بن مطعم ، جويبر بن خويلد الأسلمى ، الحارث بن زياد ، أبو سعيد بن المعلى ، الحجاج بن عمرو ، الحجاج بن علاط ، حمل بن مالك ، حنظلة الكاتب ، خلاد بن السائب ، خفاف بن أيمن ابن رخصة ، خوات بن جبير ، ذؤيب أبو قبيصة ، رافع بن خديج ، رافع بن مكيث ، ربيعة بن كعب ، رفاعة بن رافع ، رفاعة بن عرابة ، الركين بن الربيع ؛ رويفع بن ثابت ، زيد بن الخطاب ، زيد بن خالد ، زيد بن سهل ،

زيد بن الصامت ، السائب بن خلاد ، سبرة بن أبى سبرة ، سراقة بن مالك بن جشعم ، سفيان بن أبى العرجاء ، سلمة بن صخر ، سويد بن النعمان ، نشل بن معبد ، الصعب بن جثامة ، الضحاك بن سفيان الكلابى ، عامر بن ربيعة ، عبد الله بن حراقة ، عبد الله بن زيد ، عبد الله بن زمعة ، عبد الله بن عبد الاسد ، عبد الله بن عتيك ، عبد الله بن كعب ، عبد الله بن أزهر ، عبد الرحمن بن جبير ، عبد الرحمن بن عثمان ، عتبان بن مالك ، عمارة ابن معاذ ، عمرو بن أمية ، عمير مولى آبى اللحم ، قتادة بن النعمان، كعب بن عجرة، كعب بن عمرة، مالك بن ربيعة ، مالك بن صعصعة ، مالك بن ضمرة ، مجمع بن حارثة ، محمد بن عبد الرحمن بن جحش ، محمود بن الربيع ، محجر الدئلى ، معاوية بن الحكم الأسلمى ، معمر بن عبد الله ، ناجية الخزاعى ، نوفل بن معاوية ، هذال الأسلمى ، هشام بن حكيم ، زيد أبو السائب ، أبو بشير الأنصارى ، أبو خيبرة ، أبو زيد الأنصارى ، أبو مربع الأنصاوى .

ومن كبار التابعين : أبو سعيد المقبرى ، محمد بن الحنفية ، سعيد بن المسيب ، أبو سلمة بن عبد الرحمن ، عطاء وسليمان ابنا يسار ، عروة بن الزبير ؛ خارجة بن زيد ، على بن الحسين زين العابدين ، أبو بكر بن عبد الرحمن ، عكرمة ، كريب ، مقسم مولى عبد الله بن عباس ، على بن عبد الله بن العباس بن المطلب ، نافع مولى عبد الله ابن عمر رضى الله عنهم أجمعين .. ومن مشاهير الذين بعدهم : عمر بن عبد العزيز، أبو بكر بن حرام الزهرى ، محمد بن المنكدر ، زيد بن أسلم ، أبو الزناد ، ربيعة الرأى ، صفوان بن سليم ، أبو حازم الأعرج ، يحيى بن سعيد القطان ، أبو جعفر محمد بن على الباقر ، وابنه جعفر الصادق ، إبراهيم ومحمد وموسى بنو عقبة أصحاب الأخيار محمد بن إسحاق بن يسار ، مالك بن أنس ، الإمام يوسف بن الماجشون ، عبد العزيز الدراوردى ، محمد بن عمر الواقدى ، رحمهم الله تعالى ورضى عنهم ونفع بعلومهم .

والحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .



انتهى الكتاب وبانتهائه ينتهى الملحق الثانى .

الملحق الثالث

– ١ –

العمارة التى أدخلت على المسجد النبوى الشريف منذ إنشائه حتى اليوم
وفوائد أخرى عن المدينة

إنشاء المسجد الشريف :

شيد[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده الشريف فى السنة الأولى من هجرته .

واتخذ سواريه من النخيل ، وسقفه من الجريد . ولم يبالغ فى ارتفاعه بل كان يزيد على المترين قليلا ليتمكن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الوقوف على الجذع فى وقت الخطبة .

وقد كانت مساحته سبعين ذراعاً فى ستين كما حققه النووى وتساوى بالامتار ١٠٣٠ متراً مربعا تقريباً .

وقد ظل المسجد النبوى الشريف . على الحال الذى شيده رسول ﷺ فى فاتحة الهجرة إلى العام السابع الهجرى ، ومن هذا العام إلى عصرنا هذا والدول الإسلامية تتناوله بالعمارة .

(١) توسعة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

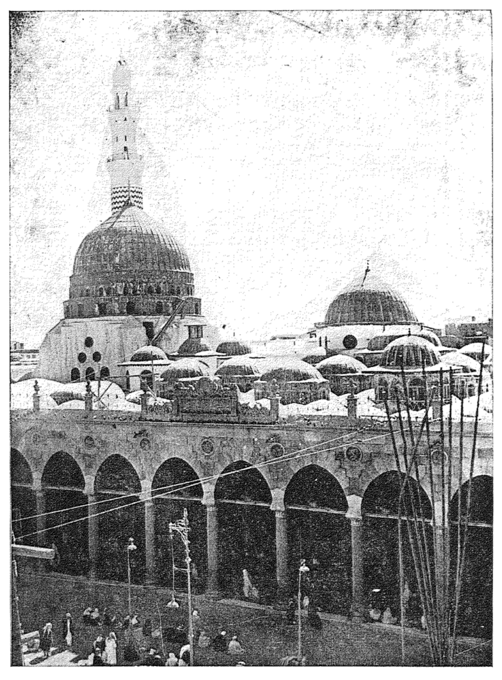
فى عام ٧ هجرية رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب عودته من غزوة خيبر أن المسلمين قد تكاثروا ، وأصبح المسجد لا يسعهم جميعاً ، فاعتزم صلى الله عليه وسلم توسعته ، وكان هو أسبقهم إلى العمل ، وقد جعله فى هذه المرة مربعاً ١٠٠ ذراع فى ١٠٠ ذراع فأصبح بعد هذه الزيادة ٢٤٧٥ متراً مربعاً فتكون الزيادة التى أحدثها صلى الله عليه وسلم ١٤٤٥ متراً تقريباً .

توسعة عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

فى عام ١٧ هجرية رأى سيدنا عمر رضى الله عنه أن الحاجة تقتضى توسعة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد حدد ابن عمر مقدار هذه الزيادة فقال : « . . . جعل طوله ١٤٠ ذراعاً ، وعرضه ١٢٠ ذراعاً . فتكون الزيادة فيه ١١٠٠ متراً مربعاً . . . »

---

(١) ص ٢٦ من كتاب توسعة الحرم النبوى الشريف : للأستاذين هاشم دفتردار وجعفر فقيه .

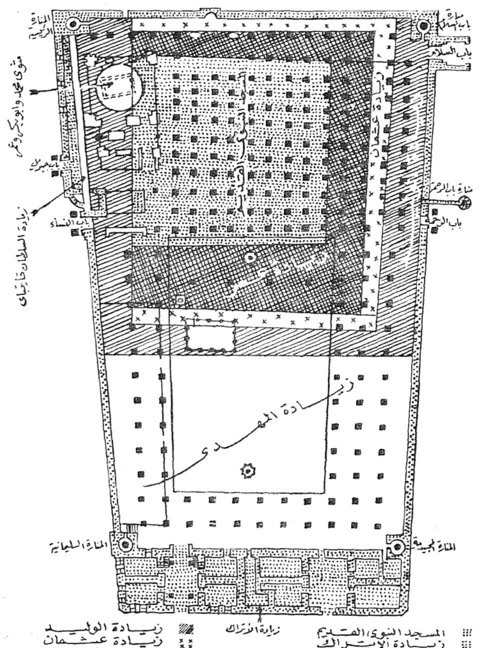


آثار العمارة التركية وقد ظهرت القبة الخضراء والمنارة الرئيسية

توسعة عثمان بن عفان رضى الله عنه :

وفى عام ٢٩ هجرية ، شيد سيدنا عثمان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسق ماجدٌ من عمارة فى المدينة المنورة ، أى شيده بالحجارة المنحوتة ، والسوارى الضخمة ، وجعل سقفه من خالص خشب الساج .

تقسيم معمارى للمسجد النبوى الشريف
وبعض الزيادات



كما أفسح فى كل جهة من جهاته الثلاث : الجنوبية والغربية والشمالية عشرة أذرع ، فيكون ماأضافه إلى المسجد ٤٩٦ متراً مربعاً . وقبل بدء العمل استشار أصحاب رسول صلى عليه وسلم فى التوسعة .

فحسن الناس له ذلك ودعوا له . وفى صباح اليوم التالى دعا العمال وقد باشر ذلك بنفسه . وكان ابتداء العمل فى ربيع الأول عام ٢٩ هـ ونهايته فى أول محرم عام ٣٠ هجرية ، وقد استغرق العمل عشرة أشهر .

توسعة الوليد بن عبد الملك الأموى:

فى عام ٨٨ هجرية وسعه الوليد بن عبد الملك الأموى وأضاف إليه حجرات أمهات المؤمنين ، وقد بلغت توسعته من الجهة الغربية عشرين ذراعاً ، ومن الجهة الشرقية ثلاثين ذراعاً، فتكون زيادته ٢٣٦٩ متراً مربعاً .

وهو أول من وشّى جدرانه بالمرمر ، وزخارف الفسيفساء . وجلل سقفه بماء الذهب ، وقد جعله من خالص خشب الساج . واستمر العمل فى تجديده أربع سنوات . لأنه ابتدأه فى سنة ثمان وثمانين وانتهى فى سنة احدى وتسعين للهجرة .

وقد أنفق فى عمارته خمسة وأربعين ألف دينار .

وكان ذلك فى ولاية عمر بن عبد العزيز ، على المدينة المنورة . وقد أشرف على العمارة بنفسه .

توسعة المهدى بن المنصور العباسى:

فى عام ١٦١ هجرية . جدد عمارة المسجد المهدى العباسى .

وزاد مائة ذراع فى الجهة الشمالية فتكون توسعته ٢٤٥٠ متراً مربعاً .

وقد استمر العمل أربع سنوات . ابتدأ فى عام ١٦١ هـ وانتهى سنة ١٦٥ هـ .

تجديد المستعصم بالله العباسى:

فى عام ٦٥٥ هـ . وقع احتراق فى المسجد النبوى الشريف بسبب إهمال موقد المصابيح . وقد خرب الحريق المسجد ، ولم يفلت منه إلا قبة الناصر لدين الله التى كانت فى رحبته . وحين بلغ المستعصم العباسى الخبر ، أرسل الصناع والآلات فى موسم الحج ، و بدأ العمل عام ٦٥٥ هـ . وقد حدثت فى هذا العام أحداث التتار وحروبهم . ولكن عمل البناء لم يتوقف إذ اشترك فيه الملك المظفر ملك اليمن ، وملك مصر نور الدين على بن المعز الصالحى ، و إن كانت العمارة لم تنته إلا فى عهد الملك الظاهر بيبرس .

ومن أشهر الملوك والسلاطين الذين قاموا بالتجديد ، أو التوسعة أو الإصلاح أو الترميم :

(١) : الملك الناصر محمد بن قلاوون فى الأعوام ٧٠٥ و ٧٠٦ و ٧٢٩ هجرية .

(٢) الملك الأشرف برسباى عام ٨٣١ هـ.

(٣) الملك الظاهر شقمق عام ٨٥٣ هـ .

(٤) الملك الأشرف قايتباى عام ٨٧٩ هـ (١) وقد زاد فيه ١٢٠ متراً مربعا .

(٥) السلطان سليمان العثمانى عام ٩٧٤ هـ (٢) .

(٦) السلطان سليم الثانى عام ٩٨٠ هـ .

(٧) السلطان محمود الأول ، وهو أول من شيد القبة الخضراء عام ١٢٣٣ هـ .

(٨) السلطان عبد المجيد ، وقد بدأت عمارته عام ١٢٦٥ هـ وانتهى منها عام ١٢٧٧ هـ .

ففى هذا العام كان تجديد البناء الضخم الذى قام به السلطان عبد المجيد العثمانى وقد استمر العمل فيه ثلاثة عشر عاماً : من عام ١٢٦٥ هـ إلى عام ١٢٧٧ هـ .

وقد زاد فيه الكتاتيب ، لاستظهار القرآن المجيد وتعليم القراءةوالكتابة. والمستودعات زادها فى الجهة الشمالية. كما زاد من الشرق خمسة أذرع ؛ فتكون توسعة السلطان عبد المجيد ١٢٩٣ متراً مربعا . وتصبح مساحة المسجد بعد إضافة هذه التوسعة إليه ١٠٣٠٢ متر مربع .

فيكون القسم الداخلى الجنوبى الذى لم يمس ٤٠٥٦ ، والقسم الخارجى الشمالى الذى هدم وألحق بالتوسعة السعودية ٦٢٤٦ .

ولم يكن بعد عمارة السلطان عبد المجيد من عمل تاريخى كبير فى مسجد رسول الله ﷺ حتى زمن الملك عبد العزيز آل سعود فأمر بإجراء توسعة كبرى هى أفسح التوسعات التاريخية على الإطلاق ، إذ بلغت مساحتها ٦٠٢٤ متراً مربعا . وهذه التوسعة غير العمارة ، فالعمارة أفسح من التوسعة لأن مساحة التوسعة وحدها قد بلغت ٦٠٢٤ متراً مربعا، ومساحة العمارة المشتملة على التوسعة المضافة إلى القسم الشمالى الذى هدم من المسجد هى ٦٢٤٦ متراً مربعا .

وإذا نظرنا إلى مساحة القسم الداخلى من المسجدالذى لم يمس البالغ ٤٠٥٦ مترا مربعا يكون مجموع المساحتين معا يبلغ ١٦٣٢٦ متراً مربعا، وهذه هى المساحة التى انتهى اليها المسجد الآن (٣) .

---

(١) الصحيح أن ذلك عام ٨٨١ هـ كما سبق .

(٢) وقد وجدت لدى عملية الهدم الحالية حجر تشتمل على تاريخ العمل كما ذكره المؤرخون ، وهو محفوظ لدى المكتب فى المدينة المنورة . وفى عام ٨٨٦ هـ وقع حريق فى المسجد النبوى فقام قايتباى ببناء المئذنة الكبيرة وجدار القبلة والجدار الشرقى إلى باب جبريل والجدار الغربى إلى باب الرحمة وسوى ذلك .

(٣) ويذكر الأستاذ عبد القدوس الأنصارى فى كتابه آثار المدينة أن فخرى باشا رمم المحرابين النبوى والسليمانى ورخم البئر التى فى صحن المسجد عام ١٣٣٦ هـ ، وان الملك عبد العزيز آل سعود رمم أرض المسجد مما يلى رحبته =

— ٢ —

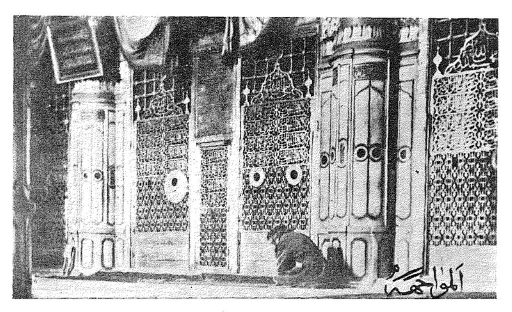
المسجد النبوى الشريف قبل التوسعة السعودية

كان المسجد النبوى الشريف[1] قبل التوسعة السعودية يشتمل على قسمين : جنوبى وشمالى .

القسم الجنوبى :

فالقسم الجنوبى يشتمل على كل المشاعر المقدسة ، التى هى :

(١) الحجرة الشريفة : وتضم ضريحه — ﷺ — وضريحى صاحبيه الجليلين: أبى بكر وعمر رضوان الله عليهما. وتقع فى الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد النبوى الشريف .



مثوى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأبى بكر و عمر رضى الله عنهما

(٢) الروضة المطهرة : وتبتدىء من ضريحه ﷺ وتنتهى عند المنبر .

(٣) مصلاه ﷺ : وكان يؤم الناس منه فى صلواته الخمس . وهو موضع المحراب بالذات .

(٤) منبره ﷺ الذى كان يخطب عليه ، وموضعه بالذات نصب المنبر الحالى .

(٥) السوارى الأثرية المعروفة الواقعة فى الروضة المطهرة .

= فى الجهات الأربع عام ١٣٤٨ هـ ووضع أطواقا حديدية على بعض الأساطين التى حدث فيها انشقاق بقرب الرحبة وشرقيها عام ١٣٥٠ هـ . وأن الحكومة المصرية قامت بعمارة للمسجد عام ١٣٥٣ هـ .

(١) عن ص ٤٧ من كتاب مشروع توسعة الحرم النبوى الشريف .

(٦) السدة التى يبلغ المؤذن من أعلاها و يسميها أهل المدينة المنورة « المكبرية » .

(٧) المآذن : ومآذن هذا القسم ثلاثة : « الرئيسية » ومأذنة باب الرحمة و « السليمانية » .

وهذا القسم الجنوبى ، مسقوف جميعه بالقباب ، التى تحملها السوارى الضخمة على منا كبها .

و يبتدىء هذا القسم من الجهة الغربية بباب السلام المجاور للجهة الجنوبية ، وينتهى بباب الرحمة المجاور للرحبة من الجهة الشمالية ؛ ويبتدىء من الجهة الشرقية بالمئذنة « الرئيسية » المجاورة للجهة الجنوبية . وينتهى بباب « النساء » المجاور للجهة الشمالية . ويقع باب « جبريل » عليه السلام بين باب النساء والمئذنة الرئيسية .

ومساحة هذا القسم الجنوبى من المسجد النبوى الشريف ٤٠٥٦ متراً مربعاً . وقد قرر الإبقاء عليه .

القسم الشمالى : هذا القسم الشمالى من مسجد النبوى الشريف الذى عمره السلطان عبد المجيد رحمه الله ، هو الذى قرر هدمه وادخال التوسعة السعودية عليه ، وهو يشتمل على :

(١) الرحبة : وهى مفروشة بالحصى الأحمر ، وتحيط بها من جهاتها الثلاث الشرقية والغربية والشمالية أروقة مسقوفة بالقباب الشامخة ، التى تحملها السوارى الباسقة على منا كبها . فأروقة الجهة الشمالية والغربيه اثنتان ، وأروقة الجهة الشرقية ثلاثة . أما من الجهة الجنوبية القبلية فان الرحبة متصلة اتصالا مباشرا بالقسم الجنوبى بالذات ، لذلك لم يجعل لها فى هذه الجهة أروقة خاصة .

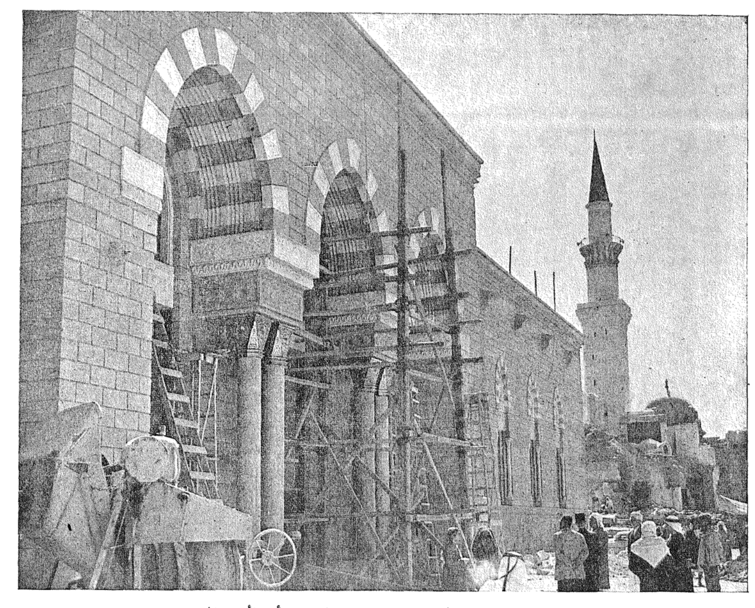
(٢) المآذن فى هذا القسم الجنوبى مئذنتان مرتفعتان جداً : تقع إحداهما فى الجهة الشمالية الشرقية قرب باب المجيدى ، وتسمى المجيدية ، وتقع الثانية فى الجهة الشمالية الغربية وتسمى الشكيلية .

(٣) الكتاتيب :

هى مدارس صغيرة ، لتحفيظ القرآن الكريم للاطفال ، وتعليمهم الكتابة والقراءة ، بصورة بسيطة . وفوق الكتاتيب طابق ثان ، فيه مكتبة الحرم النبوى المشهورة . .

(٤) باب المجيدى المفضى إلى عرصة الكتاتيب ، التى تؤدى بدورها إلى الاروقة الشمالية فالرحبة .

(٥) مخازن الزيت ، وموقعها فى الجهة الشمالية بين المجيدى والمئذنة الشكيلية .



جانب من العمارة السعودية الحديثة بالمدينة المنورة وقد ظهرت بها أحد الأبواب الحديثة

— ٣ —

سير العمل فى العمارة الجديدة

فى ٥ شوال عام ١٣٧٠ هـ عين لوكيل أمير المدينة المنورة حدود الدور التى سيتناولها الهدم ، وتدخل فى توسعة المسجد الشريف من الجهات الثلاث : الشرقية والغربية والشمالية

وسار الهدم بنشاط وسرعة ، وكانت أنقاض الأبنية المهدومة تنقل إلى المواطن التى خصصت لها : من إصلاح طرق وردم حفر ، وسوى ذلك. ثم ذللت أرضها تذليلا، حتى غدت ميدانا فسيحا مستويا تعبره السيارات الضخمة التى تحمل الآلات الثقيلة ...

وفى ٦ شعبان عام ١٣٧١ هـ أمر سعادة الشيخ محمد بن لادن بإنشاء جدار ، على حدود أروقة الجهة الغربية ، من باب الرحمة،إلى مستودعات الزيت الواقعة فى مؤخرة المسجد من الجهة الشمالية ليفصل هذه الأروقة عن المسجد، لتهدم وتضم إليها التوسعة الجديدة.

وبعد أن تمت عمليات هدم هذه الأروقة استعملت الأنقاض التى لا حاجة إليها فى تعبيد الطرق وردم المنخفضات أيضا .

وفى ١٥ شعبان عام ١٣٧٢ هـ أمر الشيخ ابن لادن العمال بأن يباشروا حفر الأسس ، وقد خططها المهندسون وعينوا مواطن الآبار العميقة التى تحفر لتصب فيها أسس السوارى . وانتهت عمليات حفر الأسس فى ٢٤ رمضان المبارك عام ١٣٧٢ هـ .

وفى أثناء ذلك كانت قد أزيلت دور القسم الشمالى وأنقاضها ، وسويت أرضها ، حتى أصبحت صالحة للعمارة أيضاً .

وفى ٢٤ رمضان المبارك عام ١٣٧٢هـ سارت العمارة فى طريقها الجدى سيرا حثيثا متواصلاً .

وحين تبوأ العرش جلالة الملك سعود حفظه الله أحب أن يطلع على سير العمارة بنفسه فقصد المدينة المنورة فى ١٦ ربيع الأول عام ١٣٧٣ هـ ، وقد أعجبه ارتفاع العمارة ، وسره سير العمل وأبى إلا أن يباشر بعض أعمال البناء بنفسه ، ليحظى بشرف الاقتداء برسول الله ﷺ لتحقق مباشرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء مسجده الشريف بنفسه مرتين : مرة لدى عمارته ، ومرة لدى توسعته .

وهذا بيان تفصيلى عن العمارة الجديدة :

	أمتار مربعة
مساحة المسجد النبوى الشريف حينما بناه النبى صلى الله عليه وسلم .	٢٤٧٥
زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .	١١٠٠
» » » عثمان بن عفان » » »	٤٩٦
» الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك رحمه الله .	٢٣٦٩
» » العباسى المهدى .	٢٤٥٠
» الملك الأشرف قايتباى رحمه الله	١٢٠
» السلطان عبد المجيد العثمانى » »	١٢٩٣
المساحة الكلية للمسجد النبوى الشريف قبل التوسعة السعودية .	١٠٣٠٣
الزيادة التى بدأ بها جلالة الملك عبد العزيز وأتمها جلالة الملك سعود .	٦٠٢٤
	١٦٣٢٧
	أمتار مربعة

بيان تفصيلى آخر

عمارة التوسعة السعودية .	٦٠٢٤	
عمارة الأجزاء القديمة التى هدمت وأعيد تعميرها وهى الجهات الثلاثة .	٦٢٤٧	
مجموع العمارة السعودية .	١٢٢٧١	
مساحة الجهة القبلية الباقية من البناء القديم .	٤٠٥٦	
	١٦٣٢٧	المجموع

عدد الأعمدة المحيطة بالجدار .	٠٤٧٤	عمود مربع
» » المستديرة فى العمارة الجديدة .	٠٢٣٢	» مستدير
الجدار الغربى .	٠١٢٨	متر طولى
الجدار الشرقى .	٠١٢٨	» »

الجدار الشمالى .	٠٠٩١	متر طولى
البواكى الشمالية .	٥	»
البواكى الوسطى .	٣	»
البواكى الشرقية .	٣	»
البواكى الغربية .	٣	»
الأبواب الجديدة .	٩	»

الحصاوى ٢ حصوة

العقود ٠٦٨٩ عقدا

النوافذ ٤٤ أربعة وأربعون نافذة .

عمق الاساسات للجدران والأعمدة (٥) أمتار ، عمق أساسات المآذن ١٧ مترا .

عدد المآذن (٢)ـ ارتفاع المئذنة (٧٠) مترا .

— ٤ —
المبانى التى هدمت

أما العقارات (١) التى تحيط بالمسجد النبوى الشريف : فمنها ما كان عامراً مسكونا ، ومنها ما كان أطلالا شاخصة . وذلك من أثر التهديم الذى اجراه فخر الدين باشا . فى خلال الحرب العالمية الأولى .

وهذا بيان عن جملة العقارات التى أزيلت ، لتدخل فى التوسعة حسب موقعها من المسجد :

(١) عقارات الجهة الغربية .

ابتدأ العمل لإزالة العقارات ، فى ٥ شوال عام ١٣٧٠ هـ

وابتدأ فى الجهة الغربية ، مما يلى باب الرحمة إلى جهة الجنوب : كما تراه مفصلا :

(١) اطلال وقف آل السمهودى الواقعة فى جنوب مكتبة امين باشا .

(٢) اطلال دار الأوقاف .

(٣) » » »

(١) ص : ٨٤ من كتاب «مشروع توسعة المسجد النبوى الشريف» .

(٤) اطلال دار سيدنا تميم الدارى رضى الله عنه .
(٥) اطلال دار وقف السادة المغاربة .
(٦) خرائب وسبل عدة تابعة للأوقاف .
(٧) أطلال دار بيت الشيخ عبد العزيز أبى الطاهر .
(٨) دار قائمة تابعة للأوقاف .
(٩) وهناك جملة دور وخرائب تقع فى الجهة الغربية ، قد أزيلت . ولكن لا تدخل فى التوسعة لأنها واقعة فى المنطقة المنخفضة ، ما بين باب السلاح و باب الرحمة . أى جهة القسم الجنوبى الذى قرر عدم مساسه وستكون الرحبة الخارجة عن المسجد فيها ولأجل ذلك أزيلت . وهى :

(١) المدرسة المحمودية .
(٢) بيت العلامة الشيخ عمر برى .
(٣) دائرة لجنة العين الزرقاء .
(٤) جملة دكاكين ومقاه للاوقاف .

(٢) العقارات الواقعةفى الجهة الشمالية :

(١) دار المرحوم العلامة الحافظ الشيخ ابراهيم الفقيه والد السادة : الاستاذ الشيخ جعفر الفقيه والسيد عبد الواهاب الفقيه والسيد عبد العزيز والسيد سليمان الفقيه الملازم فى الجيش .
(٢) دار كتب امين باشا .
(٣) دار للاوقاف .
(٤) كراج للشيخ محمد اضلنى .
(٥) اطلال دار الشيخ بركات الأنصارى .
(٦) جملة خرائب للاوقاف .
(٧) جملة دكاكين للاوقاف .
(٨) دار تغسيل الموتى المعروفة بالشرشورة .
(٩) الحوش الكبير المعروف بوقف والدة السلطان عبد العزيز « برتو دنيال » هانم ، اوقفته ليكون مستودعا للحرم الشريف .
(١٠) مخازن تابعة لوقفية والدة السلطان عبد العزيز .
(١١) مخفر شرطة باب المجيدى .
(١٢) انقاض اربطة تابعة للاوقاف كرباط المجاريح وسواه .
(١٣) جملة مخازن للاوقاف .

(٣) العقارات الواقعة فى الجهة الشرقية :

(١) رياض البهرة ـ والرياض هو عمارة مقسمة إلى جملة أجنحة لسكنى «الطبقة الفقيرة » أو لسكنى الذين حبس الرباط عليهم .

(٢) المدرسة الناصرية .
(٣) اطلال دار داود عرب .
(٤) معمل السيد محمود احمد .
(٥) دور للاغوات .
(٦) دار وزاوية آل السمان .
(٧) دار العلامة الشيخ مأمون برى .
(٨) دار للاوقاف .

— ٥ —

وصف المسجد النبوى الشريف بعد التوسعة[١]

(١) المساحة : المساحة التى انتهت بها توسعة المسجد النبوى الشريف هى ١٦٣٢٦ متراً مربعاً .

(٢) الاقسام : نجد للمسجد النبوى بعد إضافة العمارة السعودية الجديدة قسمين : جنوبى وشمالى :

(ا) القسم الجنوبى : وهذا هو القسم الذى قرر الاحتفاظ به على وضعه الذى هو عليه .

(ب) القسم الشمالى : وهذا هو القسم الجديد الذى أمر بتشييده المغفور له جلالة الملك عبد العزيز ، وأتمه جلالة الملك سعود حفظه الله .

(٣) الرحبات :

والمسجد النبوى الشريف بعد العمارة السعودية الجديدة ، رحبات ثلاث : اثنتان داخليتان وواحدة خارجية ، ويفصل بين الرحبتين الداخليتين رواق ممتد متصل بباب خالد بن الوليد الشرقى ، وباب السعودى الغربى ، وهذا الرواق من التنظيم الدقيق .

وأما الرحبة الخارجية ، فهى بين باب السلام وبين باب الرحمة ، من الجهة الغربية .

(٤) المآذن :

عرفنا أن المآذن التى كان يشتمل عليها المسجد النبوى قبل العمارة السعودية الجديدة خمس :

١ الرئيسية الواقعة فى الجنوب الشرقى .
٢ منارة باب السلام الواقعة فى الجنوب الغربى .
٣ المجيدية الواقعة شرقى باب المجيدى من الجهة الشمالية .
٤ الشكيلية ، الواقعة شمال باب المجيدى .
٥ السليمانية الواقعة فى الجهة الغربية.وكانت هذه المئذنة خارج المسجد وقصيرة ومن أجل ذلك أزيلت .

(١) ص : ٥٣ من « كتاب مشروع توسعة الحرم النبوى الشريف » .

وأما ما جد منها فى العمارة الجديدة فسيأتى الحديث عنه .

— ٦ —

أبواب الحرم النبوى الشريف

كان أهمها أحد عشر باباً وهذا بيانها :

١ ـ باب السلام .
٢ ـ « الصديق .
٣ ـ « الرحمة .
٤ ـ « سعود .
٥ ـ « عمر بن الخطاب .
٦ ـ الباب المجيدى .
٧ ـ باب خالد بن الوليد .
٨ ـ « عبد العزيز آل سعود .
٩ ـ « النسا .
١٠ ـ « جبريل .
١١ ـ « عثمان بن عفان .

وقد ذكر المطرى فى تاريخه « التعريف بما آنست إليه دار الهجرة من معالم الهجرة » أن عدد أبواب المسجد النبوى كان ثلاثة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأن الوليد كان قد جعل له عشرين بابا .

وفى رحلة ابن جبير ذكر هذا المؤرخ أنه لما ذهب إلى المدينة المنورة عام ٥٧٩ هـ رأى أن عدد أبواب المسجد النبوى الشريف تسعة عشر بابا (ص ١٥١ رحلة ابن جبير طبعة عبد الحميد حنفى) .

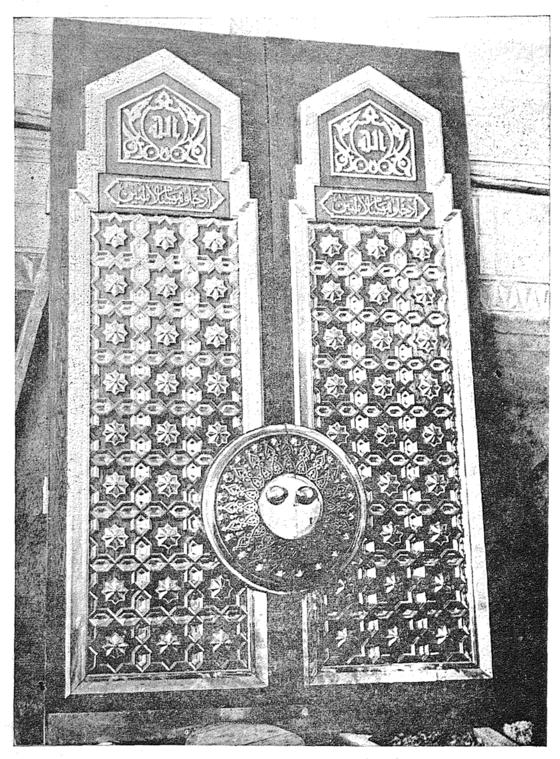
ونقل ابن زبالة أنه كان له أربعة وعشرون ، لم يبق منها فى القرن التاسع الهجرى إلا ستة عشر بابا[1] .

وللمسجد بعد العمارة الجديدة تسعة أبواب : أربعة فى القسم الجنوبى الذى بقى على حاله ، وخمسة فى القسم الشمالى الجديد ، وهى :

(١) الباب السعودى وموقعه فى الجهة الغربية .
(٢) باب خالد الوليد رضى الله عنه . وموقعه فى الجهة الشرقية .
(٣) الباب المجيدى ، وموقعه فى الشمال الشرقى ، واسم هذا الباب هو عين اسم الباب القديم الذى كان قبل التوسعة ، وقدبقى اسمه عليه وفاء للسلطان عبد الحميد الذى بذل من ذات يده فى سبيل مسجد رسول الله الكثير.
(٤) الباب العزيزى : وموقع هذا الباب فى الشمالى الغربى .
(٥) باب الضيافة : وموقع هذا الباب فى الشمال ، فى الوسط بين الباب المجيدى والباب العزيزى .

---

(١) راجع ص : ٧٥ من كتاب « تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة» للمراغى المتوفى عام ٨١٦ هـ .



مصراعا أحد الأبواب بالعمارة السعودية الحديثة وقد ظهرت عليهما
النقوش والزخارف العربية

— ٧ —

حول عمارة المسجد النبوى الشريف

أسئلة موجهة من الحاج عبد الشكور فدا إلى سعادة الشيخ صالح القزاز وإجابة فضيلته عليها

س ـ ما مقدار المبلغ الذى صرف على عمارة المسجد النبوى الجديد ؟

ج ـ بلغ ماصرف على عمارة المسجد النبوى الشريف مايقرب من ٣٠ مليونا من الريالات حتى الآن (حوالى ثلاثة ملايين جنيه مصرى) .

س ـ ما مقدار التعويضات التى دفعت للأهالى مقابل أملاكهم من أجل التوسعة ؟

ج ـ بلغت قيمة العقار الذى انتزعت ملكيته للتوسعة الجديدة وللشوارع الرئيسية حول الحرم الشريف حتى الآن مايقرب من أربعين مليونا من الريالات (حوالى أربعة ملايين جنيه مصرى) .

س ـ ماطول جدار المسجد وعرضه وارتفاعه ؟

ج ـ مساحة المسجد النبوى الشريف قبل التوسعة السعودية (١٠٣٠٣) متر مربع ، أما مساحة الزيادة فهى (٦٠٢٤) مترا مربعا ، وحيث إنه قد هدمت أجزاء من الجامع القديم فقد بلغت مساحة العمارة الجديدة (١٢٢٧١) مترا مربعا . أما الجدار الغربى فطوله ١٢٨ مترا ـ والجدار الشرقى ١٢٨ مترا ـ والجدار الشمالى ٩١ مترا ـ وارتفاع سقف المسجد من الداخل ١٢ مترا .

س ـ كم عدد أبوابه وما أسماؤها وما طول مصراع كل باب وعرضه وارتفاعه مع وصف مختصر له وللزخارف التى عليه ؟

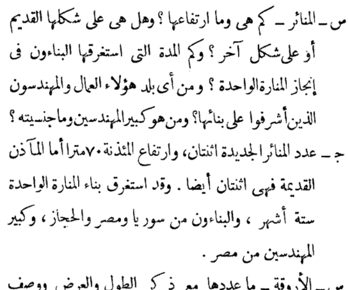
ج ـ عدد الأبواب هى ستة أبواب (ا) باب سعود ومكون من ثلاثة مداخل (ب) باب عبد العزيز مكون من ثلاثة مداخل (ج) باب عبد المجيد (د) باب الصديق (هـ) باب عمر بن الخطاب (و) باب عثمان ابن عفان ـ طول كل باب من الأبواب الجديدة ٦ أمتار وعرضه ٣/٢٠ متر ، والباب مصنوع من الخشب وبه زخارف من النحاس الأصفر على الطراز العربى (الأرابسك) .

س ـ ما عدد الأساطين التي أقيمت فى العمارة الجديدة وما ارتفاعها وقاعدتها مع وصف لواحدة منها ؟

ج ـ عدد الأساطين بالعمارة الجديدة ٢٣٢ وارتفاع الواحد منها ٥ أمتار وقاعدته من الرخام الأسود تعلوه قاعدة من النحاس الأصفر ثم العمود الذى ينتهى بتاج من النحاس الأصفر .

س ـ ما عدد العقود والشرفات وشىء موجز فى وصفها ؟

ج ـ عدد العقود ٦٨٩ عقدا ، والشرفات عددها ٤٤ شرفة ويتجلى فى العقود جمال الفن الاسلامى من ناحية الزخرفة المعروفة بالمقرنصات .

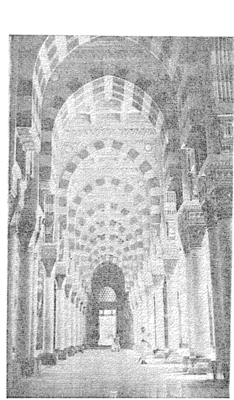


س ـ المنائر ـ كم هى وما ارتفاعها ؟ وهل هى على شكلها القديم أو على شكل آخر ؟ وكم المدة التى استغرقها البناءون فى إنجاز المنارة الواحدة ؟ ومن أى بلد هؤلاء العمال والمهندسون الذين أشرفوا على بنائها ؟ ومن هو كبير المهندسين وما جنسيته ؟

ج ـ عدد المنائر الجديدة اثنتان، وارتفاع المئذنة ٧٠ مترا أما المآذن القديمة فهى اثنتان أيضا . وقد استغرق بناء المنارة الواحدة ستة أشهر ، والبناءون من سوريا ومصر والحجاز ، وكبير المهندسين من مصر .

س ـ الأروقة ـ ما عددها مع ذكر الطول والعرض ووصف لبلاطها ونقوشه وزخارفه ؟

ج ـ عدد الأروقة أربعة : وهى الرواق الشمالى والرواق الأوسط والرواق الشرقى والرواق الغربى وأساس الرواق هو العقود المتكررة .. والتى تحتوى على زخارف الارابسك وأما أرضية الرواقات فهى مفروشة بالرخام الأبيض وتتخللها أشرطة من الرخام الاسود وهذا عدا الرواق الجنوبى وهو القسم القديم من المسجد الشريف .



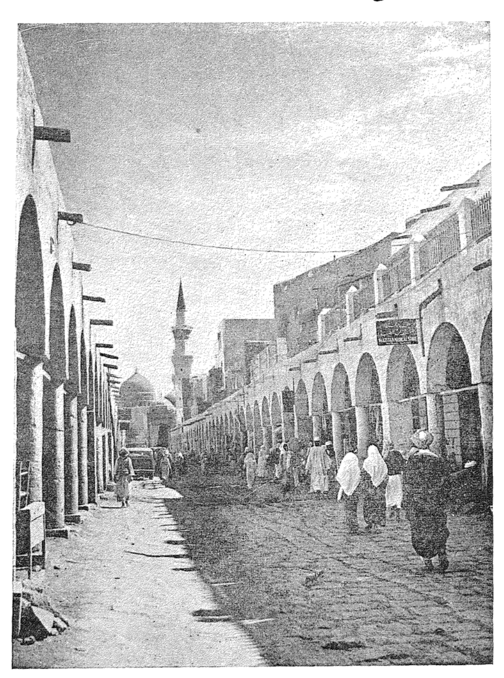
نماذج لأحد الأروقة والعقود بالعمارة السعودية

س ـ الثريات الكهربائية : ما عددها وما شكلها مع وصف لأهمها ؟

ج ـ قد حلى المسجد الشريف فى العمارة الجديدة بمصابيح كهربائية مثبتة فى أعلى الأعمدة فى كل عمود أربعة مصابيح من أربع جهات وقد عملت بشكل عربى جميل أخاذ وعددها ألف وأحد عشر مصباحا هذا عدا الإضاءة التى رتبت فى زوايا العقود والثريات الكهربائية التى صممت على طراز عربى خاص ويبلغ عددها ١١٦ قطعة عدا ١٤٠٠ مصباح دائرى فى زوايا العقود .

س ـ متى بدىء فى عمارة المسجد ؟ ومتى تم الانتهاء منها ؟ ومن كان رئيس لجنة الاشراف على العمارة ؟ ومن كان يعاونه من كبار مساعديه ؟

ج ـ كان البدء فى تنفيذ مشروع عمارة الحرم النبوى الشريف فى الخامس من شهر شوال عام ١٣٧٠ هـ : وكان معالى الشيخ محمد بن لادن مدير الانشاء والتعمير المشرف العام على العمارة، ومعالى الشيخ محمد صالح قزاز هو مدير مكتب مشروع توسعة المسجد النبوى الشريف .



أحد الشوارع الرئيسية بالمدينة المنورة وقد ظهرت القبة الخضراء ومنارة باب السلام

س ـ ما الوصف العام الشامل لشكل المسجد من الخارج ؟

ج ـ يحيط بالمسجد الشريف أربعة شوارع رئيسية وثلاثة ميادين عدا الشوارع الرئيسية تجاه المسجد الشريف ، وان تخلية أطراف المسجد الشريف من الدور وتنظيم هذه الشوارع قد جعل للمسجد منظرا رائعا وقد زينت جدار المسجد الشريف من الخارج بزخارف عربية جميلة وجعلت له نوافذ ذات عقود بنيت على طراز بديع ، كما أن بنـاء الجدار من الداخل والخارج وكذلك السقوف كان بناؤها كلها بالحجارة المنقوشة المعمولة من الموازيكو مما جعل للمسجد الشريف منظرا جميلا يدعو للاعجاب والاستحسان.

س ـ هل حصلت هناك بعض الاصلاحات للطرق الموصلة لبعض المزارات بالمدينة إبان عمارة المسجد ، وما هى وما مقدار ما صرف عليها ؟

ج ـ لقد عبدت جميع طرق المزارات بالمدينـة المنورة وهى : طريق سيد الشهداء ـ وطريق قباء ـ وطريق المساجد ـ والقبلتين، وجميع الطرق الرئيسية بالمدينة، وقد فرشت جميعها بالاسفلت .



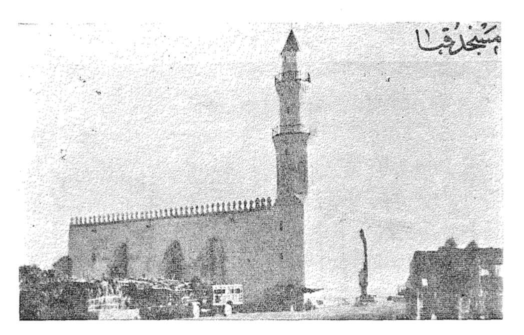
الملحق الرّابع

بعض آثار المدينة والمزارات وغـــيرها

– ١ –

مساجد المدينة المنورة[١]

تحفل طيبة بالمساجد الأثرية ، التى تعد بحق من أجل الآثار الإسلامية الخالدة ، وأولها مسجد قباء وهو أول مسجد اسس على التقوى ، ومن أشهرها المساجد السبعة . وقد سبق ذكر بعضها

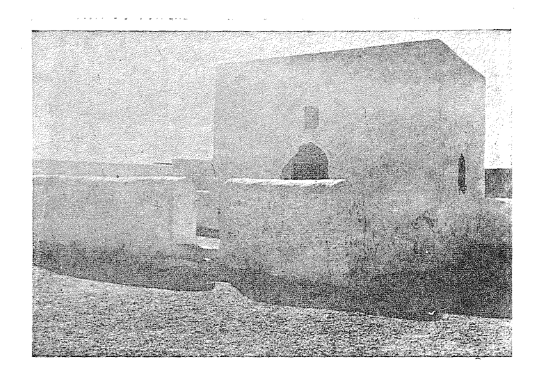


أول مسجد أسس على التقوى

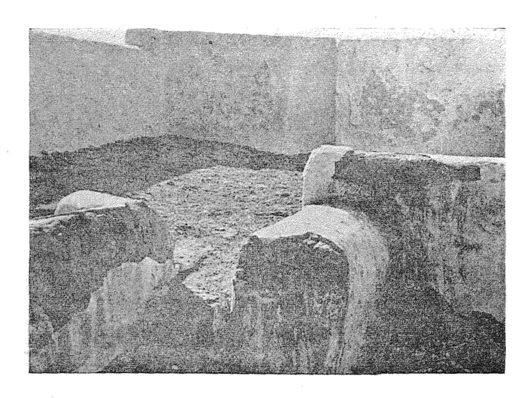
وقد قام المغفور له جلالة الملك عبد العزيز – لما بلغه أن مساجد طيبة ، تحتاج إلى إصلاح وترميم ، أو تجديد بالآجر – بالنظر فى شأنها جميعا ، ويعطى كل مسجد حاجته التى تعيد له جدته . وهذه هى أهم هـذه المساجد :

---

(١) راجع ص: ١٩١ مشروع توسعة المسجد النبوى الشريف .



نماذج لأحد المساجد السبعة



صورة قديمة لمسجد القبلتين

١ ـ مسجد السبق : الواقع بجوار المستشفى الملكى . فى الباب الشامى وهـذا المسجد قد أصلح ، وسلم لدائرة الاوقاف .

٢ ـ مسجد مالك بن سنان الواقع فى الحماطة حيال حوش المرزوق . وقد جدد بناؤه بالطرق الفنية الحديثة . وسلم للاوقاف .

٣ ـ مسجد بلال بن أبى رباح الواقع فى دار الحكومة فى السيح . وهذا المسجد تم الكشف عليه ورسمت خطة إصلاحه وسيبدأ العمل فيه قريباً .

٤ ـ مسجد محطة سكة الحديد كذلك .

٥ ـ مسجد الكاتبية كذلك .

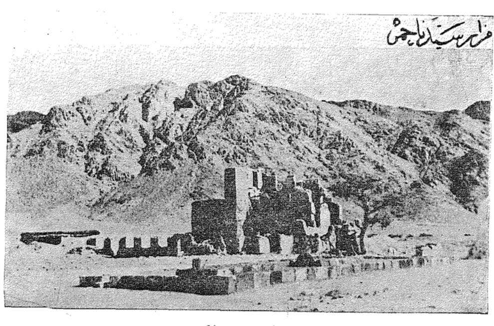
٦ ـ مسجد حوش التاجورى كذلك .

٧ ـ مسجد المصلى : والعمل جار فيه الآن ، وطفقوا يفتحون له باباً من الجهة الشمالية . .

٨ ـ مسجد عروة بن الزبير الكائن فى وادى العقيق، وقد قرر إصلاحه .

٩ ـ مسجد شمس الواقع فى الباب المجيدى قرب فندق التيسير . وهذا المسجد تم إصلاحه وسلم للاوقاف . .

١٠ ـ جبل أحد وضريح سيدنا حمزة رضى الله عنه .



ضريح سيدنا حمزة رضى الله عنه

— ٢ —

القصور التاريخية بالمدينة

فى المدينة كثير من الآثار والقصور التاريخية الاسلامية ، ومن أشهر هذه القصور :

(١) قصر سعيد بن العاص وموقع هذا القصر فى العقيق الصغير .

(٢) قصر عروة بن الزبير رضى الله عنهما وموقع هذا القصر بجوار بئر عروة .

(٣) قصر سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما .

(٤) قصر ابنة المرازق . (٥) قصر مراجل .

(٦) قصر إسحاق بن أيوب . وموقع هذه القصور الأربعة فى حرة الوبرة .

(٧) قصر عبد الله بن عامر . (٨) قصر مروان بن الحكم .

والقصر الوحيد الذى لا تزال أطلاله شاخصة إلى اليوم هو قصر سعيد بن العاص .

وللملك سعود حفظه الله قصر فخم أقيم حديثا فى المدينة المنورة .

قصر داود باشا (١)

كان داود باشا والياً على العراق من قبل الدولة العثمانية، وقدقام بثورته عام ١٢٥٨ هـ . ولما أخمدت الدولة العثمانية ثورته ، عفت عنه وأرسلته إلى المدينة المنورة شيخاً للحرم النبوى الشريف،وكان هـذا المنصب مرموقاً لدى الدولة .

وحين استقر داود باشا فى المدينة المنورة ، أنشأ قصره الفخم إلى جانب بستانه الذى عنى به ، وسماه بالداودية عام ١٢٦٥ هـ .

وقد اختار هضبة المستندر التاريخية مكانا لتشييد قصره ليشرف على ما حوله من مناظر ، وشيد بجواره سبيل ماء . لا يزال قائما بناؤه إلى اليوم . وهضبة « المستندر » نزلها المهاجرون من بنى الديل فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اهتم الشيخ محمد بن لادن، بهذا المكان التاريخى ، فاستأجره من الأوقاف ، وأجرى فيه إصلاحات واسعة ، حتى جعله صالحا ليكون مستودعاً لآثار المسجد النبوى الشريف ومحلاً لورش عمارة التوسعة ، ومكاتب للأعمال الإدارية ومحطة للبنزين ، على الطريقة الحديثة ، لتموين جميع الآلات والسيارات التابعة لأعمال مكتب التوسعة فى المدينة المنورة .

---

(١) راجع ص : ١٠١ مشروع توسعة المسجد النبوى الشريف .

ولداود باشا مشيد قصر الداودية يد لا تنسى ، هى أنه فى غضون مشيخته شاهد المسجد النبوى فى حاجة إلى تجديد العمارة ، فبعث إلى السلطان رسائل يخبره بالأمر ، فما كادت توافيه رسائل داود باشا حتى أجاب الطلب ، وأوفد إلى المدينة المنورة جماعة من العلماء والمهندسين والخبراء ليدرسوا حالة المسجد ويرسموا خطة عماره من جديد ، وقد رفعوا قرارهم إلى السلطان فوافق عليه ، وأمر بمباشرة الأعمال لتجديد البناء عام ١٢٦٥ .

— ٣ —

خزانات ماء الشرب[١]

كان أهل المدينة المنورة فى الجاهلية ، وصدر الإسلام ، يستقون من آبارها الشهيرة بعذوبة مائها : كبئر « بضاعة » ، وبئر « اريس » وبئر « بيرحاء » ، وبئر « غرس » ، وبئر « رومة » ، وبئر « البصة » ، وبئر « السقيا » ، وبئر « ذروان » ، وبئر « عروة » ، وبئر « أبى أيوب » .

وما زال هـذا شأن أهل المدينة المنورة ، حتى انتقلت الخلافة من الكوفة إلى دمشق ، وأصبح معاوية بن أبى سفيان هو الخليفة . فاحب أن يتخذ يداً عند أهل المدينة المنورة ، فبعث إلى واليه فيهـا « مروان بن الحكم » . وكان ذلك فى طليعة النصف الثانى من القرن الأول الهجرى ، وأمره بإجراء المـاء من الضواحى إلى البلدة كما رأى ذلك فى دمشق ، وأمده من أجل ذلك بكل ما يحتاجه من أموال ورجال وآلات وسوى ذلك.

وبعد أن استقر رأى الخبراء على أن يكون مأتى المـاء من ضاحية قباء لعذوبة مياهها وغزارتها . طفقوا يحفرون الانفاق للديل[٢] وقد فرح أهل المدينة بذلك . وسموا عين المـاء التى جرت إليهم بالعين الزرقاء نسبة إلى مروان الذى كانت عيناه زرقاوين .

وقد ظل مصدر العين الزرقاء من بئر الازرق الواقعة غربى مسجد قباء ، مدة من الزمن ، ثم ضوعف ماؤها من آبار كثيرة ، وينابيع شتى ، فى عصور مختلفة على جملة من الأيدى البارة المحسنة .

وقد وافت عين الزرقاء المدينة المنورة وهى منخفضة ، لذلك شيدت لها جملة مناهل ذات دركات يهبط منهـا اليها كمنهل الزكى ، ومنهل درب الجنائز ، ومنهل باب السلام ، ومنهل حارة الأغوات ومنهل مسجد المصلى ، ومن المناهل ماجعل كآبار يجذب المـاء من « الديل » بواسطة ، الدلاء كمنهل أبى جيدة الواقع قريبا من الجسر .

---

(١) راجع ص ١١١ مشروع توسعة المسجد النبوى الشريف .

(٢) الديل: هو جدول الماء ، والجمع ديول ، وهو اللفظ المطلق لدى أهل المدينة حتى اليوم .

ومنهل الباب المصرى ، ومنهل باب بصرى . ومنهل الباب الشامى .

ولم يفت جلالة الملك سعود حين زار المدينة ، أن يمد يده و يساهم فى إصلاح العين الزرقاء مساهمة جليلة ، حيث أصدر أمره ، بانشاء خزانات حديثة بالاسمنت المسلح ، لتحفظ فيها المياه من منابعها صافية نقية ، ثم توصل إلى المدينة المنورة فى الانانيب الحديدية الخفية فى جوف الأرض وتوزع فيها على محلاتها .

والذى يدلنا على اهتمام جلالة الملك بمشروع خزانات العين الزرقاء ، وضعه الحجر الأساسى بيده . وقد دس فيه جملة من النقود الذهبية والفضية و بعض الوثائق التاريخية والخرائط ، وجملة من أعداد جريدة المدينة المنورة . و بالله التوفيق ؟



كلمة الختام

هذه هى خاتمة الجزء الثانى من كتاب «شفاء الغرام» والملحقات التى ذيلنا بها الكتاب ، و بانتهائه ينتهى هذا الكتاب القيم ، والسفر النفيس ، وقد وقع الجزء منه فى أكثر من ٤٢٠ صفحة ، ووقع الجزء الثانى فى أكثر من ذلك وقد طبع الكتاب طبعة لم تتح لكتاب قديم من قبل ، ويعد إخراج الكتاب بهذه الصورة مفخرة جليلة من المفاخر العربية ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى معالى الشيخ محمد سرور الصبان الذى كان له فضل اخراج هذا الكتاب إلى عالم النور ، و إلى مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة لأصحابها عبد الحفيظ وعبد الشكور فدا اللذين أسهما بجهود مشكورة فى اخراجه ونشره وطبعه ، ومما ساعد على إناقة هذه الطبعة أنها محلاة بأروع الصور والخرائط الجديدة المنقحة التى لم يظهر لها من قبل مثيل فى صحتها و إنافتها .

والأصول الخطية للكتاب فى منتهى الرداءة ، بحيث يصعب قراءة أية كلمة من كلماته دون مجهود شاق ، فإخراج الكتاب جملة بهذه الصورة الرائعة من شدة التحرى والجهد ، ومع صعوبة أصول الكتاب ورداءتها التى ليس لها مثيل فى المخطوطات ، يعد عملا جليلا[1] .

وللفاسى عدا « كتاب شفاء الغرام » الذى نتحدث عنه عدة كتب من أهمها :

١ ـ تاريخه الكبير المسمى « العقد الثمين فى أخبار البلد الأمين » وهو مخطوط فى أربعة أجزاء ضخام ، ومنه عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية ، وقد ترجم فيه لولاة مكة وأعيانها وعلمائها وأدبائها ، منذ ظهور الإسلام حتى عصره ، و بدأ بالمحمدين والأحمدين ، وفى صدره مقدمة لطيفة تحتوى على مقاصد الكتاب .

٢ ـ تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام وهو مختصر لكتابه « شفاء الغرام » و يسمى أيضاً « تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام » ، وقد اختصر هذا الكتاب وهو « تحفة الكرام » فى كتاب عنوانه « هادى ذوى الأفهام إلى تاريخ البلد الحرام » واختصر هذا الكتاب الأخير فى كتاب له بعنوان « الزهور المقتطفة فى تاريخ مكة المشرفة » .

٣ ـ عجالة القرى للراغب فى تاريخ أم القرى .

٤ ـ الجواهر السنية فى السيرة النبوية .

٥ ـ منتخب المختار المذيل به على تاريخ ابن النجار[2] .

---

(١) راجع الضوء اللامع : جـ ٧ ص : ١٨ .

(٢) منه نسخة مخطوطة سنة ٨٣٠ هـ ، فى مكة المكرمة .

وقد توفى الفاسى ليلة الأربعاء الثالث والعشرين من شهر شوال المكرم عام ٨٣٢ هـ بمكة المشرفة بعد أن اعتمر فى السابع والعشرين من رمضان من العام المذكور .

وكتاب شفاء الغرام هذا من أروع ما أبدعه مؤرخ عربى من حيث الدقة والأمانة العلمية والروعة فى البحث والتحليل والاستقصاء والاستنتاج ، ولا يعرض الفاسى لموضوع من موضوعات بحثه فى الكتاب إلا ويذكر الآراء فيه وينقدها ويرجح بينها ، مؤيدا كلامه بالدليل تلو الدليل ، وقد دوّن فيه الفاسى أخبار مكة بتفصيل كثير ، وإحاطة شاملة ، ويعد من المصادر الاصيلة فى هذا الموضوع بعد كتاب الازرقى المتوفى نحو عام ٢٥٠ هـ ، والفاكهى المتوفى نحو عام ٢٨٠ هـ ، وقد رتبه الفاسى على أربعين بابا ، تحدث فيها رحمه الله عن مكة وألمّ بالطائف وجدة ، ولم يعرض للمدينة المنورة ، لذلك رأينا إضافة كتاب ابن النجار فى تاريخ المدينة كملحق لهذا الكتاب إتماماً للفائدة واستكمالا للنفع .

وترجع أهمية شفاء الغرام إلى استقصائه واستيعابه وجمعه لشتى الأخبار التى تتعلق بمكة وحرمها ، مما لم يجمعه مدوّن بعد كتابى الأزرقى والفاكهى ، وإلى نقله عن مصادر تاريخية تعد اليوم مفقودة .

والكتاب كما يقول المرحوم الأستاذ محمد مبروك نافع فى تصديره له : « ليس كتابا لتاريخ مكة السياسى فحسب ، بل هو بفصوله الأربعين يعتبر دائرة معارف شاملة لهذا البلد الحرام وما يتصل به من النواحى العمرانية والدينية والثقافية والاجتماعية ، وفيه من هذه النواحى مالا يوجد فى كتاب آخر من كتب التاريخ المعروفة » .

والباب الخاص بولاة مكة فى الإسلام يعد كتابا ضخما مستقلا بذاته ، وهو من أمتع ما كتبه الفاسى .

وبعد فإن كتاب الفاسى بحق دائرة معارف رفيعة فى تاريخ الإسلام والبلد الحرام والبيت والكعبة، وفى التاريخ العربى بوجه عام .

ونحن على ثقة من أن مجهود الفاسى فى هذا الكتاب يكاد لا يضارعه مجهود مؤلف آخر ، وشفاء الغرام أول كتاب كامل يطبع للفاسى ، وقد سبق الأوربيون فطبعوا فى أوروبا منتخبات منه منذ نحو ثمانين عاما .

وإن الثقافة العربية لتستبشر اليوم بظهور هذا الكتاب كاملا فى ثوب أنيق ، وطباعة جميلة .

ونحب أن نشير هنا إلى أن فى الكتاب كثيرا من الشعر المهلهل النسج، المضطرب الوزن ، وفى بعضه مالا يظهر معناه . ولولا المحافظة على الأمانة والدقة لألغينا الكثير منه، خاصة وأن مراجعه معدومة، إذ لا يوجد فى كتاب آخر

وقع فى يدنا غير « شفاء الغرام ». ويبدو أن نسخ الكتاب كلها قام بنسخها نساخ أعاجم لحرفوا كثيرا من الشعر الوارد فى الكتاب الذى يصعب فهمه على غير العناصر العربية ، فأبدلوا كلمة بأخرى ؛ مما جعل الشعر يضطرب .

ويوجد من « شفاء الغرام » نسخة فى برلين برقم ٩٧٥٣، ونسخة ثانية فى غوطا بألمانيا برقم ١٧٠٦ ، ونسخة أخرى فى باريس برقم ١٦٣٣ ، وأخرى فى الآستانة برقم ٨١٦ ، وأخرى فى مدينة فاس برقم ١٢٨٢.

وقد ساعدنا الحظ فى العثور على نسخة خطية جديدة من الكتاب أثناء طبع الجزء الثانى ، وهى برقم ٢٠٦٧ تاريخ ، وكانت فى مكتبة طلعت بالقلعة ، ولم تبح دار الكتب المصرية الاطلاع على مخطوطات هذه المكتبة إلا منذ أمد قريب مما سهل علينا العثور على هذه النسخة ، وقد صورناها تصويرا (فتوغرافيا) وراجعنا عليها أصول الجزء الثانى ، وذلك من بدء الملزمة الثالثة والعشرين ، وهذا هو السر فى تأخر صدور الجزء الثانى قليلا عن موعده الذى كنا عازمين على إخراجه فيه ، وتقع هذه النسخة فى ٦٥٤ صفحة ، وهى أوضح قليلا من النسختين الخطيتين الأخريين للكتاب ، وإن كانت لا تختلف فى قليل ولا فى كثير عن نسخة دار الكتب المصرية الخطية الأخرى.

وقد نشرت مجلة المنهل الحجازية الغراء كلمة فى عددها الأخير الذى ظهر أثناء طبع هذه الخاتمة للأستاذ إبراهيم الدروبى ببغداد أشار فيها إلى أن بالمكتبة القادرية ببغداد نسخة خطية من « شفاء الغرام » رقم ٦٦٣ ، وقياسها ٢٨سم ٢٠سم ، وعدد أسطر صفحتها ٢٥ سطرا ، ومجموع صحائفها ٦٨٢ صفحة ، وهى ناقصة الصحيفة الأولى والورقة الثالثة كلها ويظن أن ثلثى الكتاب من أوله من خطوط أهل القرن العاشر للهجرة ، والباقى من خطوط القرن الثانى عشر للهجرة .

وللأساتذة الأجلاء : الشيخ العلامة حمد الجاسر والسيد المحقق محمد سعيد العامودى والأستاذ عبد القدوس الأنصارى والأستاذ عبد الله عبد الجبار الشكر على توجيهاتهم الصائبة لنا أثناء طبع الكتاب .

ونحن هنا نعتذر للقارىء عن بعض الأخطاء المطبعية التى حاولنا جهدنا التخلص منها ، ولكن دائما الكمال لله وحده .

كما نرجو أن يوفقنا الله فى القريب العاجل لإخراج دراسة تفصيلية عن الكتاب ومخطوطاته التى وصلت إلينا، مع فهارس الأعلام والأماكن التى تفضل الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم مدير الشئون المكتبية بدار الكتب المصرية بالقيام بعملها .

ولا يفوتنا فى هذا المقام تقديم خالص الشكر لمدير دار إحياء الكتب العربية وعمالها جميعاً ، ونخص بالشكر الأستاذ سليم الحلبى مدير المطبعة ، والسيد ابراهيم كامل رئيسها لما قاما به من جهد مشكور فى معاونتنا فى إخراج وطبع هذا الكتاب القيم بهذه الصورة اللائقة .

ونحن نحمد الله أخيرا على فضله وتوفيقه ، وعلى أن سدد خطانا إلى الصواب ، ونسأله مزيد السداد ، وأن يلهمنا الحق ، ويعرفنا إياه ، إنه أكرم مأمول ، وأفضل مسؤول ، وما توفيقنا إلا بالله عليه نتوكل وإليه ننيب ؟

محققو الكتاب



استدراك

ص	س	الكلمة	صحتها	ص	س	الكلمة	صحتها
٤	٥	حرباأوحربين	جرباأوجربين	٩٧	١٦	وقماً	وقمعنا
١٣	٤	أول	عن أول	١٠٠	١٢	يال	يا آل
١٥	٣	ثابت (١)	نابت	١١٦	٩	أخذ	أحد
٢٤	١١	ورثنا	ورثناه	١٢١	٢٠	لترفقا	لترفقان
٢٩	١٣	فسد مضر	فسد حي مضر	١٣٦	٧	ثقفه	تقفه
٣٢	١١	من حكم	حكم	١٤٣	٥	الخندق	الخذمة
٤٦	١٢	أقصى	أفصى	٢٤٥	١٧	نواحى	نواح
٤٧	٢٢	أهل	فى	٢٥١	٥	وطمح	وطمع
٦٩	١٩	المنيع	المتبع	٢٩٠	١١	قال	قل
٨٢	٢٠	وهاشما	وهاشم	٣٣٧	٨	مات	من مات
٩٣	٩	ذكر	ذكرا	٣٤٧	١٨	أيستن	آسيتن

ونعتذر للقارىء عن بعض أخطاء مطبعية أخرى وردت فى الجزءين وستتلافى فى الطبعة الثانيــة القريبة للـكتاب إن شاء الله .



(١) وردت كذلك فى الجزء الأول وصحتها (نابت)

فهـــرس

موضوعات الجزء الثانى من كتاب

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام

للإمام تقى الدين الفـــاسى رحمـه الله



﴿ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ﴾

